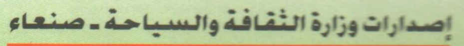
عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

الحياةُ العِلْميَّة في اليمن

في القرنين الثالث والرابع للهجرة


إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



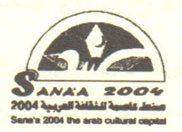
الحياة العلمية في اليمن

في القرنين الثالث والرابع للهجرة

عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

الحياة العلمية في اليمن

في القرنين الثالث والرابع للهجرة



إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء

١٤٢٥هـ - 2004 م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٩٢/٢٠٠٤)

الناشر

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب. (36)-(237)

هاتف: 235114 - فاكس: 235113

بريد الكتروني: moc@y.net.ye

من بهاء صنعاءَ... وتجليات عبقها.. في عام تتويجها عاصمةً للثقافة العربية.. يأتي هذا الاحتفاءُ بمجد الكلمة.. وجلال أنوارها.

في بدء الوعي الإنساني كانت الكلمة..

وعلى رأس فعاليات هذا العام الاستثنائي تأتي هذه الإصدارات..

حدثاً يتوج صنعاء فضاءً شاسعاً للثقافة والتاريخ والجمال والخصوصية.

خالد عبد الله الرويشان

وزير الثقافة والسياحة

أعدت هذه الدراسة لنيل درجة الدكتوراه من قسم التاريخ والحضارة (كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الشريف). وقد نوقشت علناً في مساء يوم الأربعاء ٢٩ رجب ١٤٠٦ هـ الموافق ٩ أبريل ١٩٨٦م وكانت لجنة التحكيم والمناقشة مكونة من:

- أ.د. يوسف علي يوسف أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي المتفرّغ مشرفاً ورئيساً.
- أ.د. إبراهيم أحمد العدوي نائب رئيس جامعة القاهرة. عضواً.
- أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامي. عضواً.

ومنح الباحث: عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع درجة الدكتوراه (العالمِيَّة) في التاريخ الإسلامي وحضارته (بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى).

تصدير

بقلم
دكتور إبراهيم أحمد العدوي
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقاً

تمثل الحياة العلمية في عالم الحضارة الإسلامية نبعاً ثرَّ العطاء، ما زال، يجذب الباحثين إليه للإفادة من فيضه العالي، الحافل بأشهى المعارف من العلوم والفنون والآداب. وجاءت هذه السعة الفريدة وليدة نشاط مراكز الحضارة الإسلامية، التي حفلت بها عواصم الدولة الإسلامية وولاياتها، حيث توافر بها أبناؤها من العلماء على البحث والتحصيل، حتى غدت حياتهم قدوة للأجيال التالية، يتابعون السير على خطاهم ديناً وخلقاً وعلماً.

ويأتي كتاب «الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة»، للدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع، خطوة في مسيرة الباحثين المسلمين المعاصرين على نهج السلف الصالح، وجهداً علمياً طيباً يدفع الصحوة الإسلامية اليوم إلى الانطلاق، بعيداً عن التيه وسط ما يواجهها من مسالك متشابكة، أو التردي فيما تمتلئ به تلك المسالك من معاثر وخطوب. ذلك أن كتاب «الحياة العلمية في اليمن» للدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع يتناول صفحة مهمة من التاريخ السياسي للدولة الإسلامية صاحبت ازدهار الحضارة الإسلامية، وهي صفحة اتسمت بظهور كم هائل من الفرق والمذاهب الإسلامية، امتد الكثير منها إلى بلاد اليمن نفسها، التي غدت لموقعها الجغرافي محط أنظار الدعاة وأصحاب كل فكر جديد، طلباً للأمن والأمان بها، ووسط أهلها الأعزة أباة النفس.

ويقدم الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع للصحوة الإسلامية المعاصرة من خلال كتابه «الحياة العلمية في اليمن» منظوراً تاريخياً واسعاً، يطل عليه من نافذة واسعة أيضاً، وهي وطنه بلاد اليمن ذات التاريخ الحافل بالأمجاد، قبل

الإسلام وبعده، إذ استنشق الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد من تلك النافذة اليمنية كل أصناف المعنويات والماديات في كل من التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

وعزز الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد دراساته القيمة على امتداد كتابه بالنماذج العلمية العديدة، شارحاً: أن العديد من المراكز العلمية المنتشرة باليمن ظلت برغم تعدد الفرق والمذاهب تؤدي رسالتها العلمية، حيث يأتيها الطلاب والعلماء، وتقيم حلقات العلم في كل الأحوال، وتحت أي ظروف، وفي أي جو. واشتهر من تلك المراكز خمسة، هي: «صعدة» مقر المذهب الزيدي وفقهه، «الجند» مقر الفقه الشافعي، «صنعاء» و«زبيد» مقر الحديث والفقه الحنفي والمالكي، «مسور» و«يام» مقر الإسماعيلية وأخيراً «دوعن» في حضرموت مقر الخوارج. فكانت هذه المراكز اليمنية - أشبه بمثيلاتها في الأمصار الإسلامية - عاملاً مهماً، لمواصلتها حياة العلم، في الاحتفاظ بتماسك المجتمع الإسلامي وعلى مقوماته، بالرغم من الفتن المذهبية والطائفية، «التي كانت» - كما يقول الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد - « تلتهم الأخضر واليابس».

وغدت اليمن نموذجاً مصغراً لما كان يحدث في البلاد الإسلامية، إلا أنها استطاعت بفضل جهود أهلها أن تجعل من العلم وحده هو السبيل للإقناع، وذلك على نحو ما قرره الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد، قائلاً على سبيل المثال، وليس الحصر: «على الرغم من الواقع السياسي المتردي في الثلثين الأخيرين من القرن الرابع الهجري إلا أن المذهب الزيدي (فكراً وفقهاً) ظل يرسي قواعده في أوساط الناس ويكتسح غيره من المذاهب بجهود علمائه دون تدخل من القوى السياسية بينما الإسماعيلية لم تكن تتمتع بقاعدة شعبية في اليمن».

ويقدم كتاب «الحياة العلمية في اليمن» للصحوة الإسلامية المعاصرة معلمين من معالم الهدى، من الحضارة الإسلامية، وهما:

أولاً: إن أسباب النبوغ العلمي تقتضي أن يكون للطالب - كما كان لقرينه في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية - «الحق في اختيار الأستاذ الذي يأخذ عنه علمه،

دون أن يقتصر على أستاذ بعينه، وله أن يأخذ العلم الواحد من أكثر من أستاذ. ولذا كانت « الرحلات العلمية» للأخذ من العلماء المتفوقين في المراكز العلمية المتنوعة. بالإضافة إلى أن الطالب يظل طالب علم طوال عمره، ولا تنتهي رحلة طلب العلم في سن معين، ولا يتلقى شهادة معينة، لتنقضي مرحلة التحصيل العلمي، بل يظل العالم شاباً في علمه، حتى لو بلغ من العمر عتياً».

ثانياً: إن العلماء المسلمين العاملين في حقل الحضارة الإسلامية على اختلاف مراكزها بشتى البلدان والعواصم في الولايات كانوا يرتبطون بعرى وثيقة، حيث مصدر المعرفة عندهم واحد. وهو القرآن الكريم، واللغة التي يتفاهمون بها أيضاً واحدة، وهي اللغة العربية، والعلماء يتنقلون بين شتى المراكز العلمية في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، يُعلِّمون ويَتعلمون، ويتولون المناصب، تارة في المغرب، وتارة أخرى في المشرق، لا يحول بينهم حائل أو مانع طالما يدينون بالإسلام، والولاء له.

وغدا علماء المسلمين، على نحو ما يشرحه كتاب «الحياة العلمية في اليمن» للدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد: وحدة واحدة، ولحمة متماسكة، كل واحد يكمل الآخر، سواءً أكان في الأندلس أم في اليمن، أم في فارس وخراسان... فهذه الوحدة الثقافية... من عوامل تماسك المجتمع الإسلامي طوال هذه القرون « من حياة ازدهار الحضارة الإسلامية». وهو الأمر الذي يعبر عن عودة أمانيه للمجتمع الإسلامي المعاصر، مؤلف الكتاب في إخلاص، ودراسة علمية ممتازة.

ويسعدني أن أُثني على النتائج الطيبة التي يحملها كتاب «الحياة العلمية في اليمن» للدكتور عبد الرحمن عبد الواحد محمد الشجاع للأمة الإسلامية، حيث سعدت بالمشاركة في ميلاده وهو غض الإهاب، حيث كانت رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف، ونالت أعلى تقدير وأرفعه. وإني على الثقة نفسها لما سيكون لهذا الكتاب من دور مهم في مسيرة الصحوة الإسلامية المعاصرة، وتوجيهها إلى ما فيه عزة الإسلام والمسلمين.

إبراهيم أحمد العدوي

مقدمة

إن الحمد لله، نَحْمدَه، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد . . .

فإن التاريخ الإسلاميّ في حاجة إلى جهود جبارة متكاتفة لتنفض عن كاهله ركام الجهل والتجهيل، وبعثه من جديد، وإحيائه بدراسته جزءاً جزءاً وقطاعاً قطاعاً لكشف عوامل نمو المجتمع الإسلامي ورقيه وسموه، وعوامل انحرافه وانهياره وتداعي الأمم عليه.

و(العلم) هو قاعدة الإسلام، و(العلماء) هم الذين يدركون حقيقة التوحيد، وحقيقة الإسلام وقد قال الله عنهم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾(١).

وبعث الرسول ﷺ وهو يدعو الناس إلى القراءة والتَّعلُّم، ويحمل كتاباً تلقاه عن الله سبحانه. فتعلَّم منه المسلمون ونشروه، وبالعلم فتحوا البلدان، ودانت لهم الأمم، ووصل المسلمون إلى ما وصلوا إليه من احتواء جميع الأمم والحضارات والثقافات.

لذلك فإن الحياة العلمية في الحضارة الإسلامية هي من أهم جوانب الحضارة الإسلامية، وهي في أمس الحاجة إلى دراسة عميقة بناءة ذاتِ مدلولات عملية.

وبما أن الجهد الفرديّ لا يفي بالدراسة الشاملة المتكاملة فإن الأجدر به القيام بدراسات جزئية من ناحية المكان والزمان، أو من ناحية العلم نفسه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

ومن هنا فإنني - وقد هيأ الله لي الظروف لكي أُحَضِّرَ بحثاً - لأنال به درجة العالمِيَّة (الدكتوراه). اتجهت رغبتي للخوض في أعماق الحياة العلمية.

فاخترت اليمن - (مكاناً) - والقرنين الثالث والرابع الهجريين (زماناً).

فأما اختيار اليمن مكاناً لمجال هذا البحث هو أمر بَدَيهِيٌّ؛ لأنه مسقط رأسي، وفيه تعلمت وفيه - إن شاء الله - سأُعَلِّم.

أما اختيار القرنين الثالث والرابع الهجريين زماناً لإطار هذه الدراسة فهو لعدة اعتبارات أهمها:

١ - إن القرنين الثالث والرابع الهجريين بالنسبة للحضارة الإسلامية - بصفة عامة - هما عصرها الذهبي. فكنت أسأل نفسي: هل كان لليمن إسهام في هذا العصر الذهبي؟!.

٢ - إن اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري دخل في عداد الأقاليم التي حاولت الانفصال عن الدولة العباسية.

٣ - إن هذه الحقبة غامضة سياسياً إلى حد ما تختلف عما قبلها حينما كانت تابعة للخلافة العباسية وعما بعدها حينما أصبحت تسيطر عليها دول محددة المعالم واضحة الشارات.

وبالرغم من صعوبة دراسة هذه الحقبة في اليمن من جانبها العلمي إلاّ أنني آليت على نفسي إلا أن أخوض غمارها وأسعى إلى إظهار خافيها، وإيضاح غامضها قدر ما وهبني الله سبحانه من جهد، ويسَّر لي من مصادر، وسخَّر لي من وسائل.

❁ ❁

ومن غموض تاريخ اليمن في هذه الحقبة تمثلت الصعوبات؛ فحينما بدأت عملياً في البحث والدراسة قابلتني صعوبات متعددة في مجالات كثيرة، ويكفي هنا أن أذكر الصعوبات التي قابلتني في المصادر وفي طبيعة المعلومات.

أما الصعوبات التي قابلتني في المصادر:

فقد تمثلت - أولاً - بالسعي المضني الذي بذلته لتجميع المصادر خاصة حينما سافرت إلى اليمن - ظناً مني أنني سأنال بغيتي - فقد قصدت المكتبات الخاصة والعامة للحصول على المصادر المطلوبة فوجدت معظم هذه الجهات ضنينة بكتبها، حريصة على ألا تخرجها حتى للتصوير والإعادة مع بذل أي مقابل يطلب مني وغالباً ما كنت أعود خائباً.

وتمثلت - ثانياً - بعدم توفر المصادر المخصوصة عن أي جانب من جوانب الحياة العلمية.

ومن هنا أصبح لزاماً عليّ أن أستقي معلوماتي من مصادر شتى.

أما الصعوبات التي قابلتني في طبيعة المعلومات فقد تبين لي أن المعلومات عن بعض جوانب هذه الدراسة - مع ندرتها - هي معلومات مغلوطة أو معدومة أو متناقضة أو لا تستقيم مع الأحداث فتوقفت عندها كثيراً حتى هداني الله إلى ما يمكن أن يكون قد ترجَّح لديَّ.



وعلى الرغم مما ذكرته عن الصعوبات التي قابلتها إلا أنني سعيد الحظ حينما وجدت أن معظم الكتب التاريخية والجغرافية التي تُعْنَى بهذه الحقبة هي كتب معاصرة أو شبه معاصرة؛ لأنها قريبة العهد بالحقبة ذاتها، وتروي عن شخصيات عاصرتها وعاشت فيها.

ولا بد من إلقاء الضوء على أهم هذه المصادر محاولاً ترتيبها زمنياً:

أولاً: سيرة الهادي إلى الحق لعلي بن محمد العلوي (متوفى في القرن الرابع الهجري):

وقد تحدثت عن المؤلف وكتابه في الفصل السادس المخصص لعلم التاريخ إلا أنني أشير هنا إلى أن هذا الكتاب كان من أهم وأبرز المصادر لنشأة الدولة الزيدية، بل

يمكن الجزم بأنه المصدر الوحيد لهذه النشأة من وجهة نظر زيدية بحتة، وأنَّ كلَّ من جاء بعده نقل عنه؛ ولذا فهو من أقدم المصادر.

وقد ضم قسماً هاماً من كتاب مفقود يسمى: الروض الأزهر في سيرة الشهيد أبي جعفر لمؤلف غير معروف.

وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات قيمة عن الزيدية في القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري.

ثانياً: كتب الحسن بن أحمد الهمداني (توفي بين عامي ٣٥٠هـ/ ٩٦١م و٣٦٠هـ/ ٩٧٠م):

وقد تعرَّضتُ لقيمة كتبه التاريخية في الفصل السادس.

وكان جُلّ الاعتماد في كثير من هذه الدراسة على كتب الهمداني؛ لأنه كان معاصراً للأحداث مهتماً بتسجيلها، متحرياً جمع المعلومات التي لا توجد عند غيره.

وله أهمية خاصة بالنسبة لأحداث القرامطة في اليمن لكونه شاهد عَيَان.

فالأجزاء الموجودة من كتاب (الإكليل) تتضمن معلومات متنوعة نادرة في غاية الأهمية.

وأما الكتاب المسمى بـ(الجوهرتين العتيقتين المائعتين) فقد حوى معلومات تاريخية واجتماعية واقتصادية وطبية وصناعية منقطعة النظير.

وأما كتاب (المقالة العاشرة من سرائر الحكمة) فهو وإن لم يأخذ حقه من التحقيق إلا أنه تضمَّن معلومات عن الهمداني نفسه كانت في غاية الأهمية.

ولعلَّ كتابه (صفة جزيرة العرب) هو أعظم كتبه؛ لأنه ضم معلومات نادرة في مجالات شتى.

ثالثاً: تاريخ مدينة صنعاء لأحمد بن عبد الله الرازي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م):

وكان من أكثر الكتب التي اعتمدت عليه هذه الدراسة فهو كتاب فَذٌّ في نوعه

لاستخراج معلومات نادرة عن الحياة الاجتماعية والعلمية، وقد خُدِمَ - في التحقيق- خدمة تليق به إلى حد ما.

رابعاً: تاريخ اليمن في الكواني والفتن وملوك حمير وفي رجال الحديث من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم، ومن وَفَدَ، إلى رسول الله ﷺ. من أهل اليمن ومن خرج من العمل، وما جرى في اليمن إلى القرن الخامس من الهجري:

هذا الكتاب لمؤلف مجهول وكما يبدو من طول اسم الكتاب أنه ليس هو الاسم الحقيقي له بل كأنه وضع للتعريف بمحتوياته.

وبالرغم من جهلنا بمؤلفه، ومن الاضطراب الموجود في تنسيق مواده العلمية إلا أنه أفاد هذه الدراسة أيّما إفادة وأمدها بمعلومات لا توجد في أي مصدر آخر.

خامساً: تحصَّلت على الجزء الباقي - كما أحسب - من كتاب أبي الغمر مسلم بن محمد اللحجي (ت ٥٤٥هـ/ ١٠٥٣م)، وهو الجزء الرابع من كتاب (**أخبار الأئمة من أهل البيت) عليهم السلام وشيعتهم باليمن ويعرف (بتاريخ مسلّم اللحجي)**. ثم تحصلت على مخطوطة مبتورة لعلّها جزءٌ من كتاب مسلَم من أجزائه الأولى حيث احتوت على قسم من سيرة الناصر بن الهادي، ثم حققه في وقت لاحق ويلفرد ماديلونغ ونشره المعهد الشرقي بجامعة اكسفورد سنة ١٩٩٠م.

وكان هذا المصدر من أكثر الكتب أهمية لهذه الدراسة؛ حيث أمدني بمعلومات معاصرة عن القرن الرابع الهجري في غاية الأهمية.

سادساً: طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي (توفي بعد ٥٨٦هـ/ ١١٨٩م):

فالكتاب قيِّم في مادته، وفي ترتيبه وتحقيقه، وكان بالنسبة لهذه الدراسة بمثابة (المفتاح)؛ لأنه كان يتحدث عن طبقات العلماء، وجوانب حياتهم العلمية، وأماكن وجودهم ومدارسهم ونتاجهم الفكري، والكتب التي كانوا يتناولونها، وإن كان هذا مختصراً بالنسبة للقرنين الثالث والرابع الهجريين إلا أن معلوماته كانت لها أهمية

قصوى. ومع هذا فالقارئ يظل متعطشاً لمعلوماته النادرة؛ ثم يصاب بحالة إحباط شديدة حينما يُصَرِّح المؤلف أكثر من مرَّة أن لديه معلومات عمن يترجم لهم، وأنه ترك ذلك رغبة في الاختصار، ومن هنا كانت الخسارة التي لم تعوَّض بعده أبداً.

سابعاً: كان الاعتماد أيضاً على مصادر معاصرة غير يمنية دخل أصحابها اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين وسأذكر بعضهم بترتيب زمني:

١ - **ابن رستة توفي بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م) صاحب كتاب الأعلاق النفسية**، وقد سجل فيه معلومات عن اليمن على درجة كبيرة من الأهمية على الرغم من قلتها.

٢ - **المسعودي (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)**: من خلال كتابيه مروج الذهب، والتنبيه والإشراف، وقد ذكر معلومات جديدة عن الناحية السياسية في اليمن في السنة التي زار فيها اليمن (وهي سنة ٣٣٢هـ) وما قبلها، إلا أنه كان كثيراً ما يحيل بالتفاصيل إلى كتبه الأخرى التي هي الآن مفقودة أو في حكم المفقود!!.

٣ - **أما الإصطخري (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) صاحب كتاب مسالك الممالك** فلا يعدم كتابه من فائدة؛ لأنه دخل اليمن وسجل بعض معلوماته التي شاهدها أو سمعها.

٤ - **وقد تبعه ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) في كتابه صورة الأرض**، حيث استفاد من الإصطخري وعرض عليه ما كتب، وقد بدأت رحلته من بغداد في رمضان عام ٣٣١هـ واحتفظ لنا بمعلومات لا تُضَاهى عن الدويلات اليمنية التي عاصرها.

٥ - **أما المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) وكتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، فهو كتاب لا يستغني عنه مؤرخ، وبالنسبة لليمن فإنه قد زارها تقريباً بين عامي ٣٧٠ و٣٧٥هـ ومكث فيها سنة كاملة، وما كتبه عن اليمن كثير في فائدته قليل في كميته، شيِّق في بيانه ورصفه.

ثامناً: واعتمدت هذه الدراسة أيضاً على مصادر أصلية كثيرة حول كل من الإسماعيلية والقرامطة معاصرة لفترة الدراسة وشبه معاصرة أذكر هنا ثلاثة منها:

١ - **رسالة افتتاح الدعوة (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية) لقاضي قضاة**

الدولة الفاطمية النعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) وهو يتحدث عن الإسماعيلية من وجهة مؤيدة.

٢ - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للحمادي اليمني (توفي حوالي عام ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، وهو يتشابه مع القاضي النعمان في معلوماته، إلا أنه ليس إسماعيلياً، وقد حاول الدخول فيهم لاكتشاف أسرارهم ثم كتب هذا الكتب ليوضح حقيقتهم.

٣ - عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار لإدريس عماد الدين القرشي أحد دعاة الإسماعيلية وقد احتوى كتابه على معلومات غزيرة عن الإسماعيلية وغيرهم ممن عاصرهم.

تاسعاً: استندت هذه الدراسة إلى مصادر أصلية ومراجع متنوعة تنوعَ علومها ومعارفها؛ وإنني - مخافة التطويل - أحيل القارئ إلى صُلب الرسالة وقائمة المراجع ليطلع على تلك المصادر في مظانها.

عاشراً: استفادت الدراسة في معظم مجالاتها من كتب التراجم الخاصة كطبقات الزيدية والتراجم العامة كطبقات الفقهاء والمحدثين، والقرّاء والنحاة وغيرهم.

كما أنني اطَّلعت على مراجع كثيرة استفدت منها في تكوين تصورات عامة ولكني لم آخذ منها معلومات إلاَّ وجهات نظر خاصة أشرت إليها في مواضعها.

❁ ❁

أما منهج الدراسة فلا يمكن أن أسرد تفاصيل المنهج المتبع في هذه الدراسة إلا أنني أشير إلى بعض الخطوات التي اتبعتها:

أولاً: إنني قسّمت الحياة العلمية إلى أربعة أركان: مكان العلم، ومنهجه، وحملته من طلاب وأساتذة، وأخيراً العلوم ذاتها.

ثانياً: إنني كنت - غالباً - أعرض صورة موجزة عن كل ركن من أركان الحياة

العلمية في الحضارة الإسلامية بصفة عامة كتمهيد لإدراك مساحة هذه الحياة في اليمن، ويتضح هذا كثيراً في الركن الرابع.

ثالثاً: إنني اتَّبعت خُطَّةً للتفريق بين الحديث عن المذاهب الفقهية وعلم الفقه - لكل مذهب - خاصة أن كلاً منهما في فصل مختلف عن الآخر.

فالمذهب يدرس من ناحية النشأة كيف وأَيْنَ؟ ثم الانتشار أين ولماذا؟

أما علم الفقه فيدرس من ناحية طبقات علمائه ودورهم في تأصيله وذيوعه، وما ألفوه من كتب.

رابعاً: إن الدراسة حينما تخلو من الفهارس فإنها شبيهة بصندوق بدون مفتاح ولذا فهي ضرورية وقد حرصت على ذلك تزييناً وتنظيماً وترتيباً للدراسة، وتيسيراً للباحثين. فقد ألحقت بفهرس شامل لكل ما احتوت هذه الدراسة من الأعلام، والبلدان، والطوائف، والكتب والمصطلحات وغيرها أرجو أن تكون وافية بالغرض.

❊ ❊

وأخيراً هل أستطيع أن أقول: إنني أضفت جديداً بهذه الدراسة إلى مكتبة الحضارة الإسلامية؟ إنه ادعاء وزعم عريض إن قلت ذلك ولكن الذي يناسب قوله هنا: إنني جمعتُ شوارد المعلومات، ونسقتُها وفق منهج معين، ووضعتُ يَدَيَّ على بعض الجوانب المهمة التي تُبين لنا مقومات الحضارة الإسلامية، ولفتُّ الانتباه إلى حياةٍ خِصْبَة في المجتمع الإسلامي تتطلب من الباحثين مزيداً من البحثِ والاستقصاء والتَّحرِّي لرسم المستوى الحضاري الذي مَرَّ به المجتمع المسلم في مختلف عصوره.

ولا يسعني هنا إلاَّ أن أسطر ما كتبه القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ) إلى العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) وهو يعبر عما أريد قوله أدق تعبير:

> **«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاَّ قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العِبَر،**

وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر».

ولا تكتمل هذه المقدمة إلاَّ إذا أشفعتها وعطَّرتها بذكر أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور / يوسف علي يوسف لما له عليَّ من دَيْن، ولما أحاطني به من حنو وحَنَان، ورعاية وتوجيه، وإرشاد، ولما تميَّز به من صبر على أخطائي صغائرها وكبائرها على حد سواء، وحرصه على التنبيه على كل شيء يلحظه ويرى أن الطالب في حاجة إليه.

كل هذا ينبع من تواضع جم، وعلم غزير، وود عميم، وإخلاص متفانٍ.

لقد كان - صادقاً - يردد على مسامعنا عبارة ينفذها هو في حياته وهي: « ليس في العلم كبير»، ومن هنا فلا يقف أمام طموحات طلابه ووجهات نظرهم وآرائهم وإن كانت لا تتوافق - في بعض الأحيان - مع ما يراه هو.

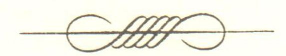
جزاه الله عني بما هو له أهل، وتقبله بما يليق به سبحانه من رحمته وكرمه.

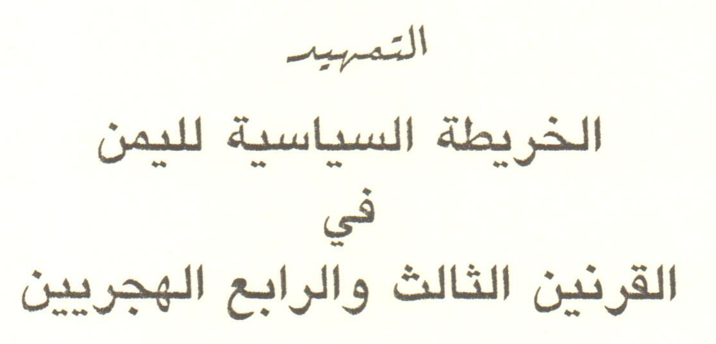
كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لكل من الأستاذ الدكتور إبراهيم العدوي والأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف لتفضلهما مناقشة هذه الرسالة.

وأتقدم بالشكر أيضاً لكل من ساهم وساعد وأشار لاستكمال هذه الدراسة وإخراجها بهذه الصورة التي بين يدي القارئ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن الشجاع





التمهيد

الخريطة السياسية لليمن
في
القرنين الثالث والرابع الهجريين

أطلت دار الإسلام على القرن الثالث وهي تترنح بعد ذلك القتال الذي نشب بين الأمين والمأمون (١٩٣هـ/ ٨٠٨م - ١٩٨هـ/ ٨١٣م) وصار ذلك القتال سبباً لجرأة الكثير من الطامحين للبحث له عن مُسَوِّغ للانفصال عن الدولة العباسية سواء أكان انفصالاً كاملاً أم انفصالاً إسمياً. . مذهبياً أم قبلياً وأسرياً.

وكان اليمن أنموذجاً صارخاً لهذا الوضع الخطير، ولذلك تعاورته كل الاتجاهات (العباسية، والشيعية بألوانها المختلفة: زيدية، واثناعشرية، وإسماعيلية فاطمية، وإسماعيلية قرمطية، وأخيراً اتجاه قبلي كان أكثرها نفوذاً وأسرعها تغلباً: ظهوراً واختفاءً).

أولاً: الولاء للدولة العباسية:

فاليمن من أول الأمصار الموالية للمأمون والخالعة بيعة الأمين[١]، ولكن هذا التصرف كان بداية لاضطراب واضح حصل داخل اليمن، يدل على هذا كثرة الولاة الذين تعاقبوا على اليمن في عهود المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل[٢] إلى أن صار يعفر الحوالي منفصلاً باليمن عن الدولة العباسية وإن كان انفصالاً مرتبطاً بالخلافة العباسية اسمياً.

ويدل على هذا أيضاً ظهور حركات علوية داخل اليمن[٣] كما سنلاحظ فيما بعد، وخروج بعض الزعامات القبلية على الدولة العباسية أمثال: أحمد بن محمد العُمري - نسبة إلى عمر بن الخطاب - سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م[٤]، ويعفر الحوالي الذي بدأ بالظهور سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م[٥].

---

(١) الطبري. تاريخ ٨/ ٤٤١.

(٢) ابن الديبع. قرة العيون ١/ ١٣٨-١٤٩.

(٣) ابن خلدون. التاريخ ٥/ ٥١٤-٥٤٢.

(٤) اليعقوبي. تاريخ ٢/ ٤٦١- الطبري. تاريخ ٢/ ٦١٩، ٦٢٢ - ابن خلدون. تاريخ ٥/ ٥٤١.

(٥) ابن سعد. الطبقات ٦/ ٢٤٧ - الهمداني. الإكليل ٢/ ٧١.

وأبرز دليل على ذلك رواج ظاهرة الإنابة . . إنابة الولاة المعينين على اليمن من قبل الدولة العباسية لأشخاص من قبلهم يقومون بإدارة اليمن نيابة عنهم، وكانت هذه الظاهرة واضحة من آخر عهد المأمون(١).

ومهما كانت المسوِّغات والأسباب وانشغال الولاة، أو قلة ما يتحصلونه من اليمن، أو لحرصهم البقاء في مركز الخلافة، إلا أن هذه الظاهرة زادت من ضعف الوجود العباسي في اليمن على الرغم من المحاولة التي بذلها المعتمد والمعتضد والمكتفي بالله بإرسالهم أحد قوادهم(٢) الأقوياء لإعادة اليمن إلى حظيرة الدولة العباسية رغم وجود الدولة اليعفرية إلاَّ أنها كانت - رغم قوتها - لا تعدو الحركة التي تسبق خروج النَفَس الأخير.

ويدل على هذا - أيضاً - ما قامت به الدولة العباسية مؤخراً من إسناد إمارة اليمن إلى أمير مكة(٣)، وهذا الإجراء إن دل على شيء فإنما يدل على مزيد من ضعف الدولة العباسية وتخليها عن اليمن لتصبح الدولة العباسية واحدة من القوى الموجودة في دار الإسلام، ولم تعد متفردة حتى في أمر الخلافة بل صارت هناك خلافة فاطمية (عُبَيْدِية)، وخلافة أموية بالأندلس، وخلافة زيدية باليمن، وخلافه زيدية بالديلم(٤).

وصارت اليمن تتقاذفها قوى عدة (شيعية وقبلية) متعددة.

ثانياً: الولاء الشيعي:

وقد تعدد اللون الشيعي إلى لون زيدي، ولون إمامي اثنا عشري أو إسماعيلي (العبيدي - الفاطمي) أو الإسماعيلي القرمطي.

---

(١) انظر: اليمن في عيون الرحالة. للمؤلف ١٦، ١٧.

(٢) هذا الوالي هو: علي بن الحسين، المعروف: بجفتم الذي أرسل إلى اليمن مرتين، الأولى في عهد المعتمد والمعتضد، والثانية في عهد المكتفي، وقتل في هذه المرة (مجهول. تاريخ اليمن ١٢٤/ أ - ابن الديبع. قرة العيون ١/ ١٦٣ - الخزرجي. اليمن في عهد الولاة ١١٤، ١١٥ - العلوي. السيرة ٢٥٠، ٢٥١).

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ٣٢٣- ابن الديبع. قرة العيون ١/ ١٧٥ وهذا الأمير هو: عج بن حاج.

(٤) المسعودي، التنبية والإشراف ٣٤٦ - ابن خلدون. تاريخ ٦/ ٨٣٠-٩٠٧- الجنداري. الجامع الوجيز ق ٦٣.

وبدأ اللون الزيدي يظهر بوضوح في مطلع القرن الثالث الهجري على يد إبراهيم الجزار الذي خرج باسم محمد بن إبراهيم طباطبا الذي خرج في الكوفة سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م[١].

ثم اختفت هذه الحركة إلى نهاية القرن الثالث الهجري حينما جاء الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، وفشلت محاولته ثم أعادها مرة أخرى سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م[٢]، فقامت الدولة الهادوية، فأنشأها يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م) وأرسى قواعدها ابنه الناصر إلى أن توفي سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) فجاء من بعده أبناؤه وأحفاده فانقلبت عليهم الأحوال وصار الذين كانوا جنوداً للهادي والناصر[٣] مطاردين لهما ولأحفادهما[٤] حيث كان صراع هذه الدولة منذ البداية مع القوى العباسية ثم الإسماعيلية القرمطية والخوارج[٥] والقوى القبلية المختلفة، وأبرزها قوة آل يعفر الحوالي[٦].

وكان لأحفاد الهادي دور في إنهاء الدولة التي أنشأها جدهم، وذلك لتصارعهم وتنافسهم بسبب انطلاقهم من مبدأ الإمامة عند الزيدية المعروف بالخروج، أي خروج من يرى في نفسه الصلاحية للإمامة حيث يدعو إلى نفسه ويشهر سيفه، فكل واحد منهم شهر السيف ولم يغمده حتى انتهت دولة الهادي.

---

(١) الهمداني. الإكليل ٢/ ١٣١ - الطبري. التاريخ ٨/ ٥٢٨، ٥٣٦ - ابن خلدون. تاريخ ٥/ ٥١٤-٥١٨ - الأشعري. مقالات الإسلاميين ١٥٦، ١٥٧ - المحلي. الحدائق الوردية ١/ ١٩٧ وقد احتوى المأمون الحركة وعين إبراهيم الجزار على اليمن بعد القضاء على حركة الكوفة.

(٢) المسعودي. مروج الذهب ٤/ ١٤٧.

(٣) العلوي. سيرة الهادي ٦٦-٦٨، ١٤٨، ١٩٢.

(٤) المصدر نفسه ١٠٨ - المقدسي. أحسن التقاسيم ٩٩ - الهمداني. الإكليل ١/ ٤٢٥.

(٥) العلوي. السيرة ٣٣٠، ٣٤٠، ٤٠٣ - ٤٠٧- نشوان الحميري. الحور العين ٢٠٠ - المحلي. الحدائق ٢/ ٤٩-٥٢.

(٦) الهمداني. الإكليل ١/ ١٨٥، ٤٢٦ - الجوهرتين العتيقتين ٤٧ - الجنداري. الجامع الوجيز (٣٠/ ب) - مسلم اللحجي. كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن (٤٩/ ب) - العلوي. سيرة الهادي ٤٠٧ - ٤٠٩.

وعاصر اللون الشيعي الزيدي لوناً شيعياً آخر ألاَ وهو اللون الشيعي الإمامي، إما الاثنا عشري أو الإسماعيلي (الفاطمي - العبيدي) أو القرمطي[١].

أما الاثنا عشري فما هو إلا رصيد للإسماعيلية، ولم يكن لهم دور يذكر في هذه المرحلة[٢].

وأما الإسماعيلية فبرزت على هيئة حركة سرية محكمة التخطيط وأقامت قوة عسكرية سيطرت بها على اليمن على يد علي بن الفضل من المناطق الجنوبية الشرقية (أبين وعدن) وابن حوشب (منصور اليمن) من المناطق الغربية الشمالية، وبدأ هذا التخطيط داخل اليمن سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م وأشهرَا أمرهما سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، واستمرَا في صراع مع من حولهما إلى أن قتل مسموماً علي بن الفضل سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م وورقة الدولة اليعفرية باسم الدولة العباسية، أما منصور اليمن فقد توفي سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م، وورثت ممتلكاته القوى القبلية تارة والزيدية تارة أخرى.

وبالسرعة التي حققت فيها الدولة القرمطية انتصاراتها كانت سرعة سقوطها أيضاً وعودتها إلى دور الستر والخفاء.

ثالثاً: الولاءات القبلية والشخصية:

من مطلع القرن الثالث الهجري أطلت الزعامات الشخصية والقبلية بشكل ملحوظ، ولعلَّ ما قلناه آنفاً عن الممارسات التي حصلت في الدولة العباسية كان هو السبب من وراء هذا الوضع.

نضيف هنا إلى ما سبق أن غياب السلطة المركزية الحازمة يؤدي إلى وجود خلية قابلة للانشطار والتضخم تارة، والانكماش والاختفاء تارة أخرى، فإذا ما قام كيان في أثناء غياب القوة المتجذرة يكون هناك إمكانية لبروز كيان آخر على حساب الكيان السابق.

---

(١) راجع تفاصيل هذا الدور في كتاب اليمن في عيون الرحالة للمؤلف ٣٣ وما بعدها - وتاريخ اليمن في الإسلام للمؤلف أيضاً ١٥٧ - ١٦٨.

(٢) الوصابي. الاعتبار ٢٣ - القاضي النعمان. رسالة افتتاح الدعوة ٤٤، ٤٥.

هذا هو الوضع الذي حصل داخل اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وقد ساعد على تحقق هذه الأوضاع: الطبيعية والجغرافية المتعاونة من ناحية، والصعبة المراس من ناحية أخرى.. بالإضافة إلى التمحورات القبلية المتأثرة بالموازين والقيم الثأرية.. وزاد الأمر استفحالاً انتشار الأفكار المذهبية داخل اليمن التي كانت بمثابة الفتيل الذي أشعل الفوران القبلي والزعامات القبلية.. ومن ثم برزت ظاهرة التقلب السريع في الولاءات للزعامة القبلية تارة، ولزعامة مذهبية معينة تارة ثانية، ولزعامة مذهبية أخرى معادية تارة ثالثة.. وهكذا.

ولكي تتشكل صورة الوضع في اليمن على وجهة الدقة نشير في لمحات سريعة إلى القوى القبلية - دون تفصيل - مع الإحالة إلى المصادر التي تسد هذه الثغرة[١].

١ - في جنوب اليمن وحدت قوة المناخيين وآل الكرندي والوائليين والمخائيين وبني الهيثم، وكل منهم كان له دور في إرباك الاستقرار داخل اليمن.

وأكبر هذه القوى هي قوة المناخيين الذين كانوا يتخذون من (المذيخرة) عاصمة لقوتهم[٢]، وبدأت قوتهم من عهد المأمون في مطلع القرن الثالث، ولم تنته إلا على يد القرامطة سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م[٣].

وأما القوى الباقية كآل الكرندي والوائليين وغيرهم فكانوا أقل سيطرة إلا أنهم كانوا ممن قضى عليهم القرامطة ثم عادوا للانضمام إلى آل يعفر[٤].

٢ - في شرق اليمن ظهرت زعامات خولانية وهمدانية ومذحجية، تصارعت

---

(١) انظر: اليمن في عيون الرحالة ٤٥-٦٥ وتاريخ اليمن في الإسلام وكلاهما للمؤلف.
(٢) الهمداني. الإكليل ٢/ ١٩٣- نشوان. ملوك حمير ١٦٧ - الخزرجي. العسجد المسبوك٣٩.
(٣) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ٢١١ - الجندي. السلوك ٥٩ - يحيى بن الحسين. غاية الأماني ١/ ١٤٨، ١٤٩.
نشوان. ملوك حمير ١٦٧ - الوصابي. الاعتبار ١٠٢ - الخزرجي. العسجد المسبوك ٣٩- الحمادي. كشف أسرار الباطنية ٢٩.
(٤) الهمداني. الإكليل ١/ ٢٢٩ و٢/ ٢٤١، ٢٧٩- ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ١٠٥- الوصابي. الاعتبار ٢٠- ابن خلدون. تاريخ ٧/ ٤٧٥- ٤٧٩.

فيما بينها، وامتد صراعهم هذا إلى صنعاء، ومع آل يعفر والزيدية، والقرامطة أيضاً[١].

٣ - أما في غرب اليمن فقد كان يمثل المناطق التهامية، حيث كان فيهم الملوك الشراحبيين في (عركبة) في وصاب، ولهم سيطرة على زبيد[٢]، ثم ورثهم بنو زياد الذين كان لهم سيادة على مناطق تهامة طوال القرن الرابع الهجري[٣].

٤ - أما في شمال صنعاء وعاصمته صعدة فقد كانت هذه هي مقر الدولة الهادوية، وكانوا مجاورين للقبائل الهمدانية والخولانية معاً، وكانت أبرز القوى الهمدانية هي آل الضحاك وآل الدعام، وكانت قوتهما هذه متقلبة الولاء بحسب قوتها وضعفها، أو قوة القوى السائدة في المنطقة أو ضعفها[٤].

٥ - وأخيراً مركز اليمن - صنعاء وما حواليها - فقد تناوبتها قوة آل يعفر وآل الضحاك وآل الدعام، بالإضافة إلى الزيدية والقرامطة، ونشير سريعاً إلى آل يعفر الحوالي لأهميتها وسعة انتشارها.

لقد بدأت دولتهم من عام ٢١٤هـ/ ٨٢٩م واستقرت في عهد الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٤٦م) ثم قويت هذه الدولة إلى أن صارت ممثلة للدولة العباسية حينما عين نائباً على اليمن في المحرم من سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م في عهد المعتمد[٥]، ثم حصل اضطراب لهذه الدولة من عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١م إلى عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م عندما

---

(١) الهمداني. صفة ٢٣٦- ابن رسته. الأعلاق النفيسة ١١٣- يحيى بن الحسين. غاية الأماني ١/ ٢٢٢-٢٣٤- ابن أبي الرجال. مطلع البدور ٤/ ٥٥ - الواسعي. تاريخ اليمن ١٥٧-العلوي. السيرة ٢٤٠.

(٢) الهمداني. الإكليل ٢/ ٣٤٦ - صفة ٢٢٢، ٢٥٩ - نشوان. ملوك حمير ١٨٠ - الوصابي. الاعتبار ١٨، ١٠١.

(٣) راجع: اليمن في عيون الرحالة ٦٩-٨٢ للمؤلف.

(٤) راجع: اليمن في عيون الرحالة للمؤلف ٦٣-٦٤.

(٥) نشوان. ملوك حمير ١٦٥ - الوصابي. الاعتبار ١٨، ١٩ - الهمداني. الإكليل ٢/ ١٨٢- الأكوع. الوثائق السياسية ٢٣٤.

هلك علي بن الفضل وخلا الجو لأسعد الحوالي ليتصدر الأحداث، وليتمكن من السيادة على اليمن في المناطق الجبلية واستمر أسعد الحوالي حتى توفي سنة ٣٣٢هـ/ ٤٩٣[١] ليعود الاضطراب مرة أخرى، وجاءت شخصية ضعيفة على يدها قضت على دولتهم، ولم تقم بعد القرن الرابع مرة أخرى، فكما كان أسعد بن إبراهيم الحوالي هو صاحب الفضل في إرساء قواعد الدولة فقد كان أسعد بن عبد الله الحوالي (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) آخر أمراء هذه الأسرة الذي دخل تحت كفالة الإمام القاسم العياني، وبوفاته شُيِّعَت الدولة اليعفرية إلى مثواها الأخير[٢].

وأسدل ستار القرن الرابع الهجري على وضع مأساوي داخل صنعاء التي وصفها أحد المؤرخين[٣] بأنها كانت مفرقة بين القوى المتحاربة حتى هجرها أهلها لأنه لم يستقر لها سلطان في هذه الأثناء.



(١) العلوي. السيرة ٣٩٨-٤٠٣-نشوان. الحور العين ٢٠٠- الوصابي. الاعتبار ٢٥- ابن الديبع. قرة العيون ١/٢٠٧-٢٠٩- يحيى بن الحسين. غاية الأماني ١/٢٠٩ - إدريس عماد الدين. عيون الأخبار ٥/٤١-٤٤.

(٢) الجرافي. المقتطف ٦٢.

(٣) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ٤/٥٥.

الفصل الأول

المراكز والمؤسسات العلمية

- المراكز العلمية (المدن والقرى)
- المؤسسات العلمية
- المكتبات

تمهيد:

حينما نخصص فصلاً عن المراكز العلمية لا بد لنا من أن نقسمها إلى نوعين بارزين: نوع يُعْنَى بالمدن والقرى التي كانت تؤهل العلماء فيأتيها طلاب العلم ليأخذوا عن علمائها.

ونوع يُعْنَى بأماكن التدريس في هذه المدن والقرى وهو ما يمكن أن نطلق عليه المؤسسات العلمية من مدارس في المساجد أو المنازل... الخ.

النوع الأول: المراكز العلمية (المدن والقرى):

كانت المراكز العلمية في اليمن - مثلها مثل بقية أمصار دار الإسلام - تتمثل في المدن التي كانت حواضر ذلك العصر.

وتحيط بالمدن قرىً صغيرة اتخذت مراكز علمية لقربها من الحواضر الكبيرة أو لسُكْنَى أحد العلماء فيها مما جعلها تشتهر ويرحل إليها طلاب العلم.

ولذلك سنفرد كل نوع على حدة.

أولاً: المدن:

مدينة صنعاء: نبدأ بهذه المدينة التي توفر لها ما تباهي به الحواضر الإسلامية، فقد وصفها الرحّالة المسلمون غير اليمنيين بأنها: «قصبة نجد اليمن، وهي بلد رحب كثير الفواكه، رخيص الأسعار، شبهت بالكوفة، وجامعها ظريف ولا يرى في الدنيا أطيب من الهواء بها».

بتلك الأوصاف وغيرها وصفها الرحّالة المسلمون غير اليمنيين مثل: المقدسي(١)، والإصطخري(٢)، وابن حوقل(٣)، وابن رسته(٤)، واليعقوبي(٥)، وأبي

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٨٦.
(٢) مسالك الممالك ص٢٤.
(٣) صورة الأرض ص ٤٣.
(٤) الأعلاق النفيسة ص ١٠٩-١١٢.
(٥) البلدان ص٣١٧ ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة.

الفداء[١]، وابن المجاور[٢].

أما أبناء اليمن أنفسهم فقد أطنبوا وأوجزوا وكان على رأس هؤلاء الهمداني الذي يطلق عليه (لسان اليمن) لما عرف عنه من عشق لليمن، ودندنة باسمه وتاريخه، فقد وصف مدينة صنعاء وأهلها ونواديها وصفاً شاملاً ذكر المحاسن والمساوئ[٣].

ومثل ما فعل الهمداني فعل غيره من المؤرخين اليمنيين مثل: الرازي الذي أَرَّخَ للمدينة وخلَّدها في كتاب خاص، وهو تاريخ مدينة صنعاء[٤].

هذه الصورة المصغرة التي رسمناها لصنعاء، تجعلها بالبداهية بلداً مرحولاً إليه من قبل العلماء[٥]، ولعلَّها نالت في القرن الثاني الهجري قسطاً موفوراً من الارتحال العلمي حتى إنَّ (الحادي) وهو يحدو بالقوافل كان يردد رجزاً مشهوراً وهو:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر لطيبها والشيخ فيها من دَبَر[٦]

وقد رحل إليها غُرَرٌ من العلماء لتلقي العلم عن علمائها[٧]، ولم تنقطع

---

(١) تقويم البلدان ص ٩٤، ٩٥ لعماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء (ت٧٣٢هـ) مطبعة دار الطباعة السلطانية - ١٨٤٠م. باريس.

(٢) تاريخ المستبصر ص ١٩٠-١٩٢.

(٣) انظر: الهمداني. الإكليل جـ ٨ ص٣٣-٤٨- وصفة جزيرة العرب ص ٨١-٩٦ يقول عنها: «ولم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد ومن يحب الله عز وجل المحبة المفرطة».

(٤) انظر: على سبيل المثال ص ١٩٥- وقد جرى على منواله صاحب كتاب تاريخ اليمن في الكواني والفتن - غير المعروف مؤلفة - حيث أشاد كثيراً بصنعاء..

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٨.

(٦) الجندي. السلوك ق٣٨- الرازي. تاريخ صنعاء ص١٩٠. هذا ما يحفظه مؤرخو اليمن، وقد راجعني أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ يوسف علي يوسف بأن المحفوظ عند غير أهل اليمن هو:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر وإن تحنى كل عود ودبر

ووجدت عند ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك بلفظ: «وإن تثنى كل عود وانعصر».

(٧) مثل: يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ) والإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) والإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) وسفيان الثوري (ت١٦١هـ) [انظر: ابن حجر. شهاب الدين. أبو الفضل أحمد علي (ت٨٥٢هـ). تقريب التهذيب جـ٢ ص٣٥٨ تحقيق/ عبد الوهاب عبد اللطيف. =

الرحالات العلمية إلى اليمن في القرن الثالث بل أشارت المصادر إلى تلقي العلم من علماء صنعاء مما يدل على أنهم ارتحلوا إليهم. وسنتحدث عن الرحلات في فصل قادم إنْ شاء الله.

وكما كانت صنعاء بلداً مرحولاً إليه من خارج اليمن فهي بالأولى مهبطاً لعلماء اليمن(١) من المراكز اليمنية الأخرى ومهوى أفئدة من الناس منهم الذين يتطلعون إلى تلقي العلوم والمعارف وتتبع شواردها أنى وحيثما كانت.

مدينة ذَمَار(٢):

تبعد عن صنعاء بثمانية وتسعين كيلو متراً، وهي من البلدان التي رحل إليها العلماء وبنى فيها معاذ بن جبل مسجداً كان فيما بعد هو المسجد الجامع لمدينة ذمار(٣)، ومدرستها المشهورة، وقد استقبلت العديد من الطلبة والعلماء الذين قصدوها للتزود من مناهل علمائها(٤)، وأهلها مشهورون بالاهتمام بالعلم(٥).

= ط٢ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م نشر المكتبة العلمية. المدينة المنورة. طبع دار المعرفة. بيروت - والجندي. السلوك ق ٣٣، ٣٦- والرازي. تاريخ صنعاء ص ٣١٦، ٣٧٠، ٤٢٨- ومجهول. تاريخ اليمن (ق٥٥/ ب، و ٧٦/ ب) - وابن جماعة الكناني. أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ). تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم تعليق / محمد هاشم الندوي. دار الكتب العلمية. بيروت وبامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص٢، ١٣، ١٤].

(١) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء ص ٣١٠، ٣١١ ذكر أن القطراني أحد أئمة مسجد صنعاء المتوفى عام ٣٢٩هـ نزل صنعاء وترك البادية وتعلم القرآن فأتقنه، وتعلم من العلم ما يسره الله له. وكان من القراء الفاضلين وفي (طبقات الزيدية الصغرى ليحيى بن الحسين ص٨١ مخطوط تحصلت على صورة منه عن نسخة مصورة بجامعة صنعاء) دخل مطرف بن شهاب صنعاء لطلب العلم فتعلم القرآن عند معلم بصنعاء.

(٢) ذمار: بذال وميم مفتوحتين. هكذا هي مشهورة عند أهل اليمن وإن كان البخاري ضبطها بكسر الذال (ياقوت. معجم البلدان. ج٣ ص٧)ولا ندري هل كانت معروفة في عصره بالكسر.

(٣) أبو الفداء. تقويم البلدان ص٩١.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨١.

(٥) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص١٩٢.

وينسب إليها نفر من أهل العلم، ولها ذكر لدى المحدثين وفي أخبارهم(١)، وسيأتي ذكرهم فيما سيأتي من فصول إن شاء الله.

مدينة الجَنَد:

مدينة قديمة وبلد جليل(٢)، دخلها معاذ بن جبل وأَسَّسَ فيها مسجداً جامعاً على غرار مسجد المدينة المنورة وقيل إنه رابع مسجد يبنى في الإسلام بعد مسجد رسول الله ﷺ ومسجد صنعاء ومسجد ذمار(٣).

وكما أن (الجند) مدينة فهي مخلاف يشمل مدينة الجند وما حولها من القرى.. مثله مثل صنعاء وزبيد وكان مخلاف الجند يضم قرى تهامة اليمن قبل تمصير زبيد(٤)، بل كان مخلاف الجند أكبر مخاليف اليمن(٥).

وكانت مدينة الجند زاخرة بالعلماء والفقهاء(٦)، يرحل إليها العلماء لمراجعة علمائها ومناظرتهم(٧)، ويرحل إليها طلاب العلم لينهلوا من معين علمائها(٨)، وقد نسب إليها كثيرٌ من أهل العلم وأخذ عنهم الكثير من طلابهم(٩).

---

(١) ياقوت. المعجم ج٣ ص٧ - والهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٩، ٨٠- وابن منظور. لسان العرب ج٣ ص١٥١٥- والجندي. السلوك ص٣٦ - ومجهول. تاريخ اليمن (ق١٠/أ) و(١٦٦/أ) - ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٢٧- وابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٣ص٣٤- والرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٥١٠.

(٢) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص١٦١-وأبو الفداء. تقويم البلدان ص٩٠، ٩١ والجند: بطن من المعافر سمي باسم جند بن شهران (الحازمي. أبو بكر محمد بن أبي عثمان. عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب ص ٤٢ تحقيق / عبد الله كنون. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م).

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق١٠/أ).

(٤) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٨.

(٥) ياقوت. المعجم ج٢ ص١٦٩.

(٦) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٩.

(٧) الجندي. السلوك ص٧٧.

(٨) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٨.

(٩) نسب إليها - مثلاً- أبو سعيد الجندي أحد الحفاظ الثقات. (انظر: ابن حجر. تهذيب التهذيب=

وكان بعض العلماء في بعض القرى يستأذن سلاطين البلاد أن ينزلوا الجند للتدريس والفتوى(١).

ولها علاقات بالمراكز العلمية الأخرى سواء في اليمن أم خارج اليمن وذلك عن طريق رحلات علمائها المشهورين(٢).

وكان مسجد الجند لا يخلو من حلقة أو حلقات للدراسة(٣)، أو المناظرة(٤)، وسنعود للحديث عن المسجد فيما بعد إن شاء الله.

مدينة جَيْشَان:

مدينة من مدن اليمن وهي مخلاف أيضاً من مخاليفه، وتقع مدينة (جَيْشَان) في الوقت الحاضر في عزلة (الأعْشُور) من (العَوْد) في (النّادرة) شمال (قَعْطَبَة)(٥)، وتنسب إلى جيشان بن عبدان بن حجر بن ذي رعين(٦).

وربما كانت المدينة مهبطاً للعلماء والطلاب؛ حيث كان علماؤها لا يبخلون على غيرهم بما لديهم من علم(٧).

وقد أشاد بها الهمداني، بأنها لا يزال بها علماء وفقهاء وتجار أبرار بل قرنها (بالجند) و(ذمار) من حيث وجود العلماء والفقهاء فيها(٨).

= ج٩ ص٥٣٩. مطبعة دائرة المعارف النظامية. الهند. ١٣٢٥هـ - ١٣٢٧هـ - وابن حجر. لسان الميزان ج٦ ص٨١ مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند. ١٣٢١هـ- وابن سمرة. الطبقات ص٦٩-٧١- والجندي. السلوك ص٣٩، ٤٠ - ياقوت. معجم البلدان ج٢ ص١٦٩).

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٩٤.

(٢) مثل أبي قرة موسى بن طارق اللحجي (انظر: ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٩- والجندي. السلوك ص ٣٦، ٣٧- وبامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص٢٥٩).

(٣) الجندي. السلوك ص٨١.

(٤) إدريس. عيون الأخبار ج٥ ص٣٥.

(٥) الأكوع. حاشية صفة جزيرة العرب ص٢١٩.

(٦) الحازمي. عجالة المبتدي ص٤٤.

(٧) ياقوت. معجم البلدان ج٢ ص٢٠٠ ج٥ ص٦٨.

(٨) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٩، ٨٠، ٢١٩.

وكانت من المدن التي استقر بها بعض طوائف الشيعة[١].



وهناك بعض المدن الصغيرة التي اشتهرت بالفقهاء والعلماء ومنها:

مدينة (الجوّة):

التي كانت من المدن المعدودة المعروفة بسكنى الملوك والعلماء، حيث كان جامعها مدرسة تلقى فيه الدروس وتقصده الطلبة[٢] وهي اليوم مدينة خربة في جبل الصلو تحت قلعة الدُّمْلوة[٣].

حضرموت:

ذلك البلد الواسع الذي يقع شرق (عدن) داخل في الصحراء حيث الرمال الكثيرة التي تقع في منطقة (الأحقاف)، ويشتهر حضرموت بمدينتيه (تَريم) و(شبام)[٤].

فأما (شبام) حضرموت فهي مدينة كبيرة بها ثلاثون مسجداً أُخْرِبَتْ نصفها في الحروب التي حصلت بين الخوارج الإباضية وخصومهم[٥].

ووصف الهمداني مدينة (تريم) بأنها مدينة عظيمة[٦].

ولما كانت الإباضية - إحدى فرق الخوارج وسيأتي الحديث عنها فيما بعد- قد

---

(١) انظر: القاضي النعمان. افتتاح الدعوة ص٣٨- والهمداني. صفة جزيرة العرب ص٢١٩.

(٢) الجندي. السلوك ص٨٠ - والهمداني. صفة جزيرة العرب ص٩٩، ١٠٠-وياقوت. معجم البلدان ج٢ ص١٩١.

(٣) المقحفي. معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ١٤٧.

(٤) ياقوت. معجم البلدان ج٢ ص٢٨، ٢٧٠، ج٣ ص٣١٨- والإصطخري. مسالك ص٢٥-وابن حوقل. صورة الأرض ص٤٤.

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ وتعليق الأكوع عليها.

(٦) المصدر نفسه ص ١٧٤.

استقرت في حضرموت فقد كانت سبباً في تخريبه[١]، مما أدى إلى خموله نتيجة ذلك الخراب، فكان مقر عزهم وموضع قيادتهم في مدينة (دَوْعَن)[٢].

أما المقدسي[٣] فقد أشاد بأهل حضرموت وقال: إن أهلها لهم في العلم والخير رغبة إلاّ أنهم شراة - أي خوارج-.

وهذا يدل على أن فيهم وفي أوساطهم حركة علمية[٤]، وسنتحدث عن هذا فيما بعد إن شاء الله.

إلى جانب العلماء من غير الخوارج كانت مدينة (تريم) يكثر فيها أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب[٥]، بل روي أنه كان بها في مطلع القرن الرابع الهجري ثلاثمائة (٣٠٠) مفتٍ[٦].

ورحل إلى حضرموت علماء وبعضهم استقر فيها[٧].

مدينة زبيد:

مدينة نسبت إلى وادي (زبيد) وتبعد عن (الحديدة) بخمسة وستين كيلومتراً،

---

(١) الشاطري. محمد بن أحمد بن عمر. أدوار التاريخ الحضرمي ج١ ص١٣٦، ١٣٧ مكتبة الإرشاد - جدة.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص١٧٥.

(٣) أحسن التقاسيم ص ٨٧، ١٠٣.

(٤) الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي ج١ ص ١٤٥، ١٤٩ - وباوزير. سعيد عوض. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص٦٩- وما بعدها. طبع سنة ١٣٨١هـ-١٩٦١م (بدون مكان الطبع).

(٥) باحنان. محمد بن علي عوض بن سعيد بن زاكن. جواهر تاريخ الأحقاف ج٢ص٣١ مراجعة وتصحيح الدكتور/ حسن جاد حسن ومحمد عبد الله الديوي - مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة- ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

(٦) الشلي. محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي. المشرع الرّوي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ج١ ص٢٥٢ وباوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي ص٦٥.

(٧) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٢٦٠ مثل المحدث أبي يحيى عبد الحميد بن صبيح البصري الساكن في حضرموت.

وكان اسمها (الحصيب) وهي كورة (تهامة) وسواحلها (غلافقة) و(المندب) و(المخا)[١]، وهي مدينة كبيرة عامرة، وهي مجتمع التجار من الحجاز والحبشة والعراق ومصر[٢].

وعلى الرغم من أن المصادر[٣] التي نقلت عن عمارة اليمني أشارت إلى أن ابن زياد هو الذي بنى مدينة زبيد إلاّ أن الهمداني اعتبرها مدينة قديمة ولم يشر في كتبه إلى أحد من بني زياد لا في حكم ولا في سيطرة على تهامة أو بناء زبيد بل سجل أن قرى تهامة تنسب في دواوين الخلفاء إلى عمل (الجند)[٤].

ولكن المقدسي[٥] - الذي زار اليمن قبل عام ٣٧٥هـ- جعل اليمن مُقَسَّماً إلى مصرين مصر تهامة وقصبته زبيد، ومصر الجبال وقصبته صنعاء.

ويصف (زَبيد) بأنها بلد جليل.. مستقر ملوك اليمن حسن البنيان يسمونه بغداد اليمن، وبه تجار كبار، وعلماء وأدباء.. آبارهم حلوة وحماماتهم نظيفة، عليه حصن من الطين بأربعة أبواب، وحولها قرى ومزارع أعمر من مكة.. والجامع ناء عن الأسواق نظيف، وقد أجرى إليها ابن زياد قناة[٦]، فهو يشير إلى أثر ابن زياد في مد الماء إلى المدينة ولكنه لم يذكر أن ابن زياد هو الذي تولى بناءها.

ومما يلفت النظر أن كلاً من (الإصطخري) و(ابن حوقل) وهما قبل (المقدسي) لم يذكرا مدينة (زبيد) في كتابيهما وهذا قد يدل على عدم ذيوع صيتها في وقتهما.

ولا يهمنا الخلاف في نشأة مدينة (زَبيد) ولكن الثابت والمؤكد أنها لم تظهر بصفتها مركزاً علمياً بارزاً ولم تتبوأ مكاناً علمياً مرموقاً إلاّ في القرن الرابع، وقت أن كان السلطان (حسين بن سلامة) يدير أمورها ويسعى فيها إصلاحاً وتعميراً ورعاية،

---

(١) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٢٥٨.

(٢) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٢/ب).

(٣) انظر المؤلف: البحث في عيون الرحالة فصل: الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال.

(٤) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٨.

(٥) أحسن التقاسيم. ص ٨٤.

(٦) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٨٤.

فقد كان له شرف بناء المسجد الجامع وإعادة مسجد (الأشَاعرة)، وجدد مسجداً في ميناء (غَلاَفِقَة)[(١)].

وقد وردت إشارات تفيد أن مدينة كانت في الثلث الثاني من القرن الرابع مدينة يرحل إليها العلماء ليتلقوا علومهم فيها مثل (أبي مسلم الكجّي أو الكَشِّي) الذي كان يتردد بين صنعاء ومكة وزبيد وسمع عليه شيوخ في الحديث كثيراً[(٢)].

وكانت (زبيد) مزرعة لمذهب الإمام مالك؛ لأن زبيد كونها جزءاً من التهائم كانت على صلات ثقافية بالحجاز: بمكة والمدينة.

وكان لعلماء الشافعية دور في توسيع رقعة انتشاره ونسب إليها واستقر بها علماء كثيرون[(٣)].

مدينة عَدَن:

مدينة صغيرة مشهورة وتوجد باليمن مدن كثيرة هي أكبر منها ليست مشهورة إلاّ أن (عدن) اشتهرت بمينائها على البحر حيث ينزلها السائرون في البحر، وبها مستودع اللؤلؤ[(٤)]، وكانت تعد ساحل صنعاء[(٥)].

وقد أطنب المقدسي[(٦)] في وصفها؛ لأنه دخلها وسكنها وتاجر فيها فهي بلد جليل عامر آهل بالسكان، حصين، دهليز (الصين). وفرضة ضريبة اليمن، وخزانة

---

(١) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص٢٤٠ - المقدسي. أحسن التقاسيم ص٧٦ - ابن الديبع. بغية المستفيد ص٤١.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤، ٦٥ - والكشي هو: أبو سلم إبراهيم بن عبد الله الكجي البصري- من حفاظ الحديث له كتاب السنن - مات ببغداد عام ٣٥٥هـ، وقد دخل حديثه في كتاب الشريعة للآجري (ت ٣٦٠هـ) (انظر: الذهبي. تذكرة الحفاظ ج٢ ص١٧٦- والخطيب البغدادي. تاريخ بغداد ج٦ ص١٢٠- والزركلي. الاعلام ج١ ص٤٢).

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩، ٧٣، ٨٨.

(٤) الإصطخري. مسالك الممالك ص٢٥.

(٥) اليعقوبي. البلدان ص٣١٩ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ٢/ب).

(٦) أحسن التقاسيم ص٨٥.

المغرب، ومعدن التجارات، . . . كثير القصور . . مساجد حسان ومعائش واسعة، وأخلاق طاهرة؛ ونعم ظاهرة . . . والجامع ناء عن الأسواق . . . الخ، وهذا الجامع يقال بُني في أول الإسلام بأيدي أبناء الفرس ويبدو أن عمر بن عبد العزيز جدده، ثم لما جاء الحسين بن سلامة تولى إنشاءه من جديد، وكان فيها مسجد خاص بالمالكية(١).

ولأنها مدينة مفتوحة أمام جميع الأجناس والملل والديانات، وفيها الكثير من أخلاط الناس فإنها كانت أرضاً صالحة لتقبل المذاهب والملل ولذا كان للإمامية مكان فيها(٢). وكان لهم مسجد خاص على ساحل عدن(٣).

وقد نسب إليها الكثير من العلماء الأفاضل(٤)، وارتادها ورحل إليها رحالون علماء مثل المقدسي البشاري، وأبي قرة موسى بن طارق اللحجي(٥)، والقاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي(٦)، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم إن شاء الله.

مدينة صعدة:

ذلك البلد الذي يبعد عن صنعاء بمائتين واثنين وأربعين كيلو متراً شمالاً.

وكانت مقصداً للتجار(٧)، ولم تكن مقراً للعلماء في القرنين الأول والثاني لعدم

---

(١) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ١٢٠، ١٣٢.

(٢) القاضي النعمان. افتتاح الدعوة ص٤٤، ٤٥ - إدريس. عيون الأخبار ج٥ص ٣١، ٣٧.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٥٠.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٢، ٧٤- بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص١٢٩، ٢٣٠- الجندي. السلوك ص٣٥، ٦٨ - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧١.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٩.

(٦) المصدر نفسه ص٨٨.

(٧) البكري. أبو عبيد. عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع ج٢ ص٨٣٢- تحقيق مصطفى السقا - ط الأولى ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٩٨، ٢٤٨ - ياقوت. معجم البلدان ج٣ ص٤٠٦- المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٨٦، ٨٧ - الإصطخري. مسالك الممالك ص٢٤ - وابن حوقل. صورة الأرض ص٤٣ - وأبو الفداء. تقويم البلدان ص٩٤، ٩٥.

استقرار أهل الحديث فيها[١]، ولكنها منذ أن استهل القرن الثالث الهجري أصبحت محط أنظار العلويين من حين أن خرج إبراهيم الجزار إليها في مطلع القرن الثالث الهجري[٢] حيث غرست فيها بذور التشيع فنبتت وبرزت في الثلث الأخير من القرن الثالث، ثم ترعرعت لتكون (صعدة) منذ ذلك الحين قاعدة الزيدية وموطن علمائها: منها تخرج علومهم وإليها يرحل طلابهم.

ولما جاءها الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين كانت مبانيها قد تهدمت لكثرة الحروب بين أهلها فبنى مسجداً جامعاً، واستقر الهادي بجواره فسكن الناس حول المسجد وبنوا المساكن والأسواق، وكان الهادي يأمر بإضاءة الطرقات بالليل،[٣] حرصاً على المارة السالكين فيها.

ومن الملاحظ أن صعدة أصبحت في أواخر القرن الثالث وفي القرن الرابع مكاناً آمناً وقبلة للعلماء ومستقراً للشعراء لتتبوء الدولة الزيدية فيها مكاناً مرموقاً بما اشتهر عنهم من التزام بالشرع وحرص على تنفيذه ورعاية الحرمات وبث العدل[٤].

فقد هاجر إليها من صنعاء أبو نصر الحنبصي هرباً بدينه من القرامطة وكان شيخ الهمداني وأحد علماء الهادوية حيث عاصر الهادي وأولاده[٥]، وسكنها الهمداني نفسه عشرين سنة[٦].

وتجمع في صعدة كثير من الشعراء سواء من أهل اليمن أم ممن هرب من الفتن في بقاع دار الإسلام، أم ممن كان يهوي الزيدية، فلما قامت لهم دولة آووا إليها

---

(١) الهمداني. الإكليل ج١ ص٢٧٥.
(٢) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ٢٠٤.
(٣) العلوي. السيرة ص٣٨٦.
(٤) المقدسي. أحسن التقاسيم ص٨٦، ٨٧.
(٥) الهمداني. الإكليل ج١ ص٩، ٨٥، وج٢ ص ١٩٠- نشوان الحميري. ملوك حمير وأقيال اليمن ص١٦٢، ١٦٣ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٧- مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٢٨٣).
(٦) المصدر نفسه، ج١ ص٢٧٥ وج٨ ص٨٢.

ونصروها[(١)]، وأتاها كثير من علماء الزيدية أو من غيرهم في عهد الهادي، وابنيه للتزود منهم أو للتعرف عليهم[(٢)]، ويكفيها شهرة أنها ضمت الهادي إلى الحق أبرز علماء الزيدية ورأس المذهب الهادوي ذلك المذهب الذي خرج من مدرسة الهادي في صعدة التي أنجبت العديد من العلماء، كما سنلاحظ هذا إن شاء الله في الفصول القادمة.

فشهرتها العلمية - إذن - لم تكن إلاّ حينما استقر بها المذهب الزيدي وأصبحت مركز الزيدية في اليمن.

ثانياً: القرى:

على الرغم من أنا أفردنا المدن في قسم خاص وجعلنا القرى في قسم آخر وذلك لضرورة البحث إلاّ أننا لا ننكر أن القُرَى لم تأخذ شهرتها إلاّ لأنها قريبة من المدن المشهورة، وأنها كانت تتزود بالعلوم والمعارف من تلك المدن، وهذه سنة العلاقة في تقدم العلوم بين القرى وبين المدن، أو بين الحضر والبدو[(٣)].

وستتضح هذه الملاحظة بوضوح من خلال موضوع القرى في الصفحات التالية، ولن نذكر كل القُرَى بل بعضها وسيرد في أثناء هذا البحث ذكر لقرى أخرى إن شاء الله، مع الأخذ في الاعتبار أن بعضاً منها كانت مدينة في فترة زمنية قصيرة لتعود إلى قرية معزولة، وسننّبه لهذا في ثنايا الحديث عنها.

قرية دَبَر:

قرية خربة في سنحان بوادي الفرات بالقرب من صنعاء[(٤)]، وتشتهر بالعلماء

---

(١) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٤ ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢) المحلي. الحدائق الوردية ج٢ ص١٥، ١٩.

(٣) ابن خلدون. المقدمة ج٢ ص٧٧٧ - القنوجي. صديق حسن خان (ت١٣٠٧هـ) أبجد العلوم ج١ ص١٨٦ - إعداد/ عبد الجبار زكار. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م، وصوَّرتها دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) المقحفي. معجم البلدان ص٢٣٨.

الأفاضل، وفي مقدمتهم أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري المتوفى عام ٢٨٧هـ وهو من أعيان رجال الحديث، وراوي كتب عبد الرزاق. وممن أخذ عنه الفقه والحديث قبل ظهور مذهب الإمام الشافعي في اليمن وهو الذي عناه الحادي حينما أنشد:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر   لطيبها والشيخ فيها من دَبَر

وفي رواية لعجز البيت:

ونقصد القاضي إلى هجرة دَبَر[(١)].

قرية شِبام أقيان (شبام كوكبان):

وهي قرية في رأس جبل (شبام) في مغرب صنعاء على بعد أربعة وثلاثين كيلو متراً إلاّ أنها كانت مقراً لمملكة بني حوال، وقد بناها يعفر بن عبد الرحمن الحوالي وأحاطها بسور حصين[(٢)]، وعلى الرغم من أنها كانت بمثابة قلعة مجهزة تجهيزاً عسكرياً إلاّ أنها - على كل حال- كانت دار حكم (الحواليين) وكان فيها مسجد جامع بمنارة عالية[(٣)]. ولا أظن أن شبام كانت مركزاً للعلم والعلماء في عهد بني يعفر؛ لأنهم عاشوا في حروب طويلة، دائمة إلا أنه من الممكن أن تكون شاركت أكدار للملك- في جذب بعض الشخصيات إليها ولكن هذا لم يدم ومن هنا عَدُّوها قرية ولَمْ تعد مدينة، وعلى العكس منها كحلان.

قرية كُحْلان:

قرية أو حصن في شرق يريم بمسافة ٢٣ كيلو متراً وتعرف بكحلان حضور

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٤- والجندي. السلوك ص٣٨ والرازي. تاريخ صنعاء ص٤٦٨ إلا أنه ذكره في ص١٩٠ بأنه إبراهيم بن عباد وهو سقط واضح. والهمداني. الإكليل ج٢ ص٣٠١.

(٢) ابن رسته. الأعلاق النفسية ص ١١٣- الهمداني. الإكليل ج٨ ص١٥١ - وصفة جزيرة العرب ص ١٣٢- الحازمي. عجالة المبتدي ص٧٨- المقحفي. معجم البلدان ص٣٥٠.

(٣) الرازي.. تاريخ مدينة صنعاء ص ٢٤٣.

اتخذه أسعد بن أبي يعفر مقراً لملكه من سنة ٣٠٦هـ إلى أن توفي عام ٣٣٢هـ وكانت هذه الحقبة مستقرة إلى حد ما، واستمر خلفاؤه من بعده في كحلان حتى انقرضوا.

ومما لا شك فيه أن تكون قبلة أنظار علماء وأدباء ليتخذوا منها مقراً ويخطبوا ود بني حوال.

ولذا فقد ورد أن عالماً لُغوياً مشهوراً وهو محمد بن الحسين الوحاظي توفي فيها[١]، وهذا مما يدل على اعتبارها مكاناً لتجمع العلماء.

وكانت مشهورة بقصر كحلان حيث كان الأمراء يقيمون فيه جلسات الشعر فيلقي الشعراء ما تجود به قريحتهم ويتفاخرون فيما بينهم[٢].

قرية ذي أَشْـرِق:

وهي قرية كبيرة بالوادي المعروف بنخلان في سفح جبل التعكر جنوب غرب مدينة إب وشمال الجند تقريباً[٣]، وهي في الشرق الشمالي من تعز[٤].

ولعلَّها لم تظهر مركزاً للعلم وتخريج العلماء إلاّ بعد وفاة الهمداني؛ لأنه لم يشر إليها في كتابه صفة جزيرة العرب. ويدل على هذا أن أول من وليَّ الإمامة في جامع ذي أَشْرق كان ممن ولد عام ٣٧٥هـ[٥].

ومسجد ذي أَشْرِق قديم البناء فقد أمر ببنائه عمر بن عبد العزيز[٦].

ولقرب ذي أَشْرِق من الجند مكنها من التزود من علمائها، ثم أصبحت تُخَرِج

---

(١) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٢١٧ - حاشية محمد الأكوع. (الحازمي. عجالة المبتدي ص١٠٦)- المقحفي. المعجم ص٥٥٠ وهي غير كحلان عفَّار، وكحلان الشرف في حجة.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٥٦ - والهمداني- سرائر الحكمة ص١٧ (المقدمة).

(٣) الجندي. السلوك ص ٨٠- المقحفي. المعجم ص٣٥.

(٤) الأكوع. حاشية تاريخ اليمن لعمارة اليمني ص٧٤.

(٥) الجندي. السلوك ص٨٠ يسمى: أبو عبد الله محمد بن سالم الشعبي.

(٦) عمارة. تاريخ اليمن ص٧٤.

العلماء ويرحلون إليها طلاب العلم[١].

ومما شجع الراحلين إقبالاً إليها تلك الكتب الموقوفة في ذي أَشْرِق فكان كل من لا يقدر للحصول على الكتب آثر الاستقرار في ذي أَشْرِق حتى يتزود من الكتب الموقوفة هناك[٢].

قريـة المُشَيْرِق:

ومثل ذي أَشْرِق كانت قرية (المُشَيْرِق) وهي من مخلاف جعفر كان فيها من أكابر علماء الشافعية في أواخر القرن الرابع الهجري[٣].

قرية سَهفنة:

قرية قريبة من الجند، وهي إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم[٤]، وقد اشتهرت أيضاً في النصف الثاني من القرن الرابع.

واكتسبت هذه الشهرة من خلال ظهور أحد علمائها الأفاضل وهو القاسم بن محمد الجمحي القرشي الذي انتشر عنه مذهب الشافعي في الجند وصنعاء وعدن حيث كان تفقهه وتعلمه بوسط المائة الرابعة[٥].

ثم أصبحت سَهفنة مهبطاً للعلماء، ولطلبة العلم على حد سواء. ولذا قدم إليها الحسين بن جعفر المراغي من مكة بناءً على طلب القاسم بن محمد عام٣٨٨هـ فتهيأت الفرصة لطلبة العلم أن ينهلوا من معين علمه فقصده الطلبة من صنعاء ونواحيها والجند ونواحيها وعدن وأبين ولحج والمعافر... الخ[٦].

---

(١) ياقوت. معجم البلدان ج١ ص١٩٧ - الجندي. السلوك ص٨٠.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨٢، ١١٥ - الجندي. السلوك ص٩٩.

(٣) الجندي. السلوك ص٧٥، وهي عزلة من ناحية حُبَيْش وأعمال إب (المقحفي. المعجم ص٦٢٩).

(٤) المصدر نفسه ص ٧٤.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨٨.

(٦) المصدر نفسه ص٨٣، ٨٩ - الجندي. السلوك ص٧٤-٧٦.

وأقام القاسم مسجداً عرف باسمه وأصبح يشكل مدرسة خرَّجت العديد من العلماء[(١)].

قرية الصَّرْدَف:

قرية بناحية شرق الجند، وتقع في سفح الجبل المعروف (بسَوْرق)[(٢)].

وقد نالت هذه القرية شهرتها من خلال علمائها، ومؤسساتها العلمية.

فالمسجد الجامع كان يطلق عليه - إلى جانب كونه مسجداً للعبادة - مدرسة جامع الصّردف[(٣)].

وقد انتسب إليها العديد من الفقهاء[(٤)]، فاشتهر منهم فقهاء آل زرقان في القرن الرابع الهجري الذين كانوا مقصد العلماء والطلاب للأخذ عنهم[(٥)].

قرية العَقيِّرة:

قرية صغيرة في قرى جبل التعكر قريبة من الجند، وكانت موئلاً للفقهاء، وأشهرهم بطن من يافع يعرفون باليحيويين[(٦)].

قرية أُحَاظَة:

أو وُحَاظة وهي أعلى جبل حبيش من بلاد (السحول) شمال (إبِّ)، وكانت تشكل مركزاً علمياً لتلقي العلوم والمعارف ونشرها فيما حولها من قرى، فقد تلقى

---

(١) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص١٢٧- الجندي. السلوك ص٧٥.
(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ١٣٤ - الجندي. السلوك ص٦٩.
(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص١٠٨.
(٤) المصدر نفسه ص١٠٦.
(٥) الجندي. السلوك ص٦٩، ٧٠ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨١، ٨٢، ٨٩.
(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن، ص٣٢١- الجندي. السلوك ص٩٩، ١٠٠- المقحفي. المعجم ص٤٦٢.

علماؤها من علماء سهفنة مذهب الإمام الشافعي ونشروه في أوساطهم ومن حولهم(١).

قرية ظُبَا:

قرية بين سَهفنة و(ذي السّفال) التي تقع على بعد ثلاثين كيلومتر من (إب) وهي إحدى القرى المعدودات في بلاد الجبال بكثرة الفقهاء(٢). وتعرف حديثاً بقرية (الجامع)، وتقوم في أعلاه مدينة ذي السفال، وفي أسفله مدينة القاعدة الجديدة التجارية(٣).

واشتهرت(ظُبَا) بقلعة ظبا وكان أيوب بن محمد بن كديس أحد مشاهير هذه القرية، وكان ينادي في موسم الحج في مكّة للإعلان عن مدرسة ظَبَا وعالمها ابن كديس(٤).

قرية مَسْوَر:

تعرف بمسور المنتاب وهي ناحية من نواحي محافظة حجة في الشمال الغربي من صنعاء(٥)، وقد تبوءها علماء الدعوة الإسماعيلية في دور الظهور في حقبة حكم منصور اليمن ثم في دور الستر مرة أخرى، وقد خَرَّجت الدعاة الإسماعيليين(٦)، ثم أصبحت بعد ذلك مقراً لبني المنتاب، ومنهم العلماء ورواة الأخبار(٧).

---

(١) المصدر الأول نفسه ص٨٨، ٩٣، ٣٠٧- الأكوع. محمد علي. مطبعة السعادة. القاهرة- يرجع الاسم إلى وحاظة بن سعد. بطن من حمير (الحازمي، عجالة المبتدي ص١٢٠)

(٢) الجندي. السلوك ص٧٨.

(٣) الأكوع. حاشية صفة جزيرة العرب ص١٠٢.

(٤) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ص١٢٧ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٩١، ٩٧- الأكوع. حاشية صفة جزيرة العرب ص٧٨.

(٥) الهمداني. الإكليل ج٢ ص٧٤ وتعليق الأكوع.

(٦) عمارة اليمني: تاريخ اليمن ص ٦٢، ٦٣.

(٧) الهمداني. الإكليل ج٢ ص٧٧ - الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٢٤١.

قرية عَثَّـر:

ذلك البلد الذي كان من أعمال زبيد، وأصبح ضمن المخلاف السليماني من تهامة اليمن، وكان ممن شارك في إخراج علماء كان لهم دور في رواية الحديث وحفظه، ومنهم يوسف بن إبراهيم العثري الذي كان تلميذاً لعبد الرزاق[١]. وقد يطلق أحياناً على هذا البلد مخلاف (عثر) وكانت في آخر القرن الرابع الهجري حاضرة المخلاف السليماني[٢].

قرية المَعْقِر:

وهي قرية على وادي دوال - في تهامة- بالقرب من بيت الفقيه كان فيها جماعة من الفقهاء يعرفون بآل أبي الطلق، وكان وجودهم في آخر المائة الثالثة وصدر الرابعة[٣].

❁ ❁

وفي أواخر القرن الرابع ظهرت بعض المراكز العلمية حول صنعاء كانت فيما بعد بمثابة مراكز تَجَمُّع للزيدية.

مثل: (الجوب) وهي من (البَوْن)، في شمال صنعاء من أرض (حَاشِد)، بالقرب من عمران، وأصبحت في أول القرن الخامس تضم الكثير من الزيدية حملة القرآن وطلاب العلم والأدب والفقه وجمّاع الكتب، وقالة الشعر، ورواة الحديث والأخبار[٤].

ومثل: (سَنَاع): تلك البلدة التي تقع جنوب مدينة صنعاء حيث أصبحت بؤرة

---

(١) ياقوت. المعجم ج٤ص٨٥- والأكوع. اليمن الخضراء ص٤١، ١٨٠-١٨٣.

(٢) العقيلي. المخلاف السليماني ج١ ص٧٠، ٧١.

(٣) الجندي. السلوك ص٧٦ - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٤ وتعليق الأكوع عليها. وفي اليمن الخضراء ص٩١: علي وادي رمع - المقحفي. المعجم ص ٦٤٠.

(٤) مسلم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١٣) - المقحفي. المعجم ص١٤٨.

فرقة المَطَرَّفية، وكانت تعقد في مسجد (سَنَاع) المناظرات وحلقات العلم، ومجالس الحديث، وعلم الكلام، وخلوات الذكر[١].

ومثل: (مَدَر): وهي قرية من (مشرق حاشد) من همدان وبالذات في أرحب، كانت مشهورة في القرن الرابع الهجري بعلمائها ومنهم (بنو الريان) وقد تزوج منهم مَطَرَّف بن شهاب الذي نسبت إليه فرقة (المَطَرَّفية) إحدى فرق الزيدية، ثم أصبحت (مدر) فيما بعد ملتقى مشايخ الزيدية لتدارس الحديث وتدريس العلوم وذكر الله كل ليلة[٢].

ومثل: (رَيْدة): وهي من أعمال (البون) شمال صنعاء على بعد تسعة وأربعون كيلو متراً، وقد حازت مكانتها لدى علماء الزيدية من تلك الثروة العلمية التي تجمَّعت لدى الشيخ (محفوظ) شيخ الزيدية في عصره حيث جمع كتباً عديدة كانت بمثابة مكتبة كبرى يرحل إليها العلماء لقراءة أو نسخ ما شاؤوا منها وأصبح الشيخ محفوظ جداً لآل محفوظ علماء (ريدة)[٣].

النوع الثاني: المؤسسات العلمية:

أولاً: أماكن التدريس للمرحلة الأولى (الكتّاب):

لعلَّه من المفيد أن نشير إلى أن المساجد الجامعة لم تكن غالباً مقراً لتدريس الصبيان في مرحلة التعليم الأولى وهو ما عرف فيما بعد (بالكُتَّاب) أو (الكتاتيب)، وقد يرجع هذا إلى التحرز من تواجد الصبيان في المساجد لعدم خلوهم من النجاسة وتوقيرهم للمساجد، ولهذه المسألة أصل في كتب الحديث[٤]، حيث إنَّ كثيراً من

---

(١) المصدرا نفسهما (ق٥٢) ص٣٣٤.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٢٤٥- مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٢٩، ٣٠)- المقحفي. المعجم ص٥٩٨.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ج٥٢- وابن أبي الرجال. مطلع البدور ج١ص١٣١- المقحفي. المعجم ص٢٨٨.

(٤) ابن الأخوة. محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ). معالم القرية في أحكام الحسبة=

العلماء في بلاد الإسلام لا يستحسنون تعليم الصبيان في المساجد عموماً[١].

وقد رُوي أن الشافعي (ت٢٠٤هـ) دخل (الكُتَّاب) فلما ختم القرآن دخل المسجد فجالس العلماء وسمع الحديث[٢]، وهذا يدل على أن (الكتّاب) ينفصل عادة عن المسجد في غير اليمن... أما في اليمن فبالإضافة إلى أن المساجد العامة كانت مخصصة - غالباً - للتدريس في المراحل العليا سواء للطلبة.. أم للسماع من الشيوخ الكبار، أم للمناظرة والمناقشة والمدارسة.. فقد وردت إشارات بأنه كان في مسجد صنعاء (معلم) اسمه محمد بن داود[٣]، ومن المعروف - في ذلك الوقت- أنه لا يطلق مصطلح (معلم) - غالباً- إلاّ على من يعلم الصبيان[٤].

وكان تعليم الصبيان - عادة - ما يتم في مساجد صغيرة مثل مسجد (الرّقَّاع) نسبة إلى معلم يعرف بالرّقَّاع[٥]، ومسجد (عزيز) في سوق ابن ماعز بصنعاء كان فيه معلم للصبيان[٦].

أو كانت في أماكن خاصة جُهِّزت لهذا الغرض بجوار المساجد أو هي جزء من أحد المنازل فحينما دخل (مَطَرَّف) إلى صنعاء أشير عليه بمعلم ليتعلم عنده فذهب إليه

= ص٢٦٠ - تحقيق / د. محمد محمود شعبان. وصديق أحمد عيسى المطيعي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م-، وانظر: سعيد عبد الفتاح عاشور. الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ص١١٠- ومحمد توفيق بلبع. المسجد والحياة الدينية في المدينة الإسلامية ص٢١٢ (مجلة عالم الفكر - مجلد ١١ عدد ١ سنة ١٩٨٠م - الكويت).

(١) الأهواني. أحمد فؤاد (الدكتور). التعليم في رأي القابسي من علماء القرن الرابع ص٤٢، ٩٥ وملحق به الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م

(٢) ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ) - جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٩٨- دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٢٠٨.

(٤) الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن محمد (ت ٢٥٥هـ). البيان والتبيين ج١ ص١٠٠، ١٠١ - ط الأولى - المطبعة العلمية سنة ١٣١١هـ.

(٥) مجهول، تاريخ اليمن (ق١٠٦/ ب)

(٦) المصدر نفسه (ق ١١٣/ أ)

مما توحي العبارة أنه كان في مكان خاص يعلم فيه[١]، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه (الكُتّاب)، وإن كان هذا اللفظ - كما يبدو - غير مشهور في اليمن فلم تذكره المصادر التي بين أيدينا بأي صورة من الصور. ولكن يطلق عليه في اليمن (المِعْلاَمَة)[٢].

ثانياً: أماكن التدريس للمراحل العليا:

المساجد الجامعة[٣] هي أماكن التدريس للمراحل العليا حيث كانت تتوجه إليها أنظار العلماء لإلقاء دروسهم؛ لأنها أشهر الأماكن الدراسية.

فمثلاً مسجد صنعاء كانت تدار فيه الحلقات الدراسية بل ربما أقيمت بإذن خاص عن أمراء صنعاء[٤].

أيضاً مجالس المناظرات أخذت قسطها من المسجد الجامع[٥]، حتى أصبح في أواخر القرن الرابع مسرحاً للصراع المذهبي بين الزيدية وغيرهم من الفرق الإسلامية[٦].

ولا ننسى أن أئمة المسجد الجامع بصنعاء كانوا يعينون من قبل الأمراء المتولين

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨١.

(٢) الحجري. محمد بن أحمد. مساجد صنعاء عامرها وموفيها ص١٢٥ ط الثانية ١٣٩٨هـ- دار إحياء التراث العربي- بيروت مصور عن طبعة وزارة المعارف - صنعاء ١٣٦١هـ - نشر مكتبة اليمن الكبرى. صنعاء.

(٣) المساجد في المدينة صنفان: مساجد عظيمة للصلوات العامة وأمرها راجع إلى الخليفة والأمراء، وآخر صغيرة إما مختصة بقوم أو مَحلَّة فترجع إلى أصحابها ولا تحتاج إلى نظر خليفة ولا سلطان (ابن خلدون. المقدمة ج١ ص٣٨٨).

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٤٨ سمح ابن الضحاك - أمير صنعاء - للطبري - أحد علماء الزيدية - أن يلقي دروسه في الجامع الكبير بصنعاء.

(٥) المصدر نفسه ص٤١ جرت مناظرة بين الهادي وبين سبعين فقيهاً في مسجد صنعاء وكان على رأسهم قاضي صنعاء أبو سلمة يحيى بن كليب النقوي - مع العلم أن الإمام مالك كره المناظرات في المساجد بينما جوز أبو حنيفة ذلك (ابن عبد البر - جامع بيان العلم ج١ ص١٣٩).

(٦) المصدر نفسه ص٤٨.

عليها[١]، وكان الإمام الذي يؤم المصلين في هذا الجامع لا بد أن يكون من العلماء الأفاضل. وقد تعاقب عليه في أواخر القرن الثالث ومعظم القرن الرابع عدة أئمة فيهم من الفضل والصلاح والتقوى والحرص على دين الله ما لا تستطيع التفريق بين واحد وآخر منهم، وكان هؤلاء الأئمة من رواة الحديث[٢]، فلا يبعد أن تكون لهم حلقات للحديث في الجامع الأعظم؛ لأنه في الغالب لا يتم إلقاء الحديث إلاّ في المساجد[٣]، وَبَدَهِيّ أن يكون تواجدهم في الجامع الأعظم معظم الوقت لأداء مهمة الإمامة والقيام بإلقاء الدروس على طلابهم.

ومثلهم كان المؤذنون - أيضاً- أو بعضهم رواة للحديث، وقد تلقى أحاديثهم في مجالس للحديث كانت تقام في المساجد، وكان من أشهر المؤذنين لجامع صنعاء الذي روي عنه الحديث إبراهيم بن خالد الصنعاني المؤذن، فقد روى عنه ابن المديني وأحمد بن حنبل[٤].

ومثل هذا كان في مسجد الجند الذي اختطه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - وصار فيما بعد مسجداً جامعاً مباركاً[٥]، تقام فيه حلقات علمية ومذهبية، وتقام فيه مجالس

---

(١) العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٦، ٣٩٨- الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٩٤- كلف أسعد بن أبي يعفر القاضي أبا القاسم عبد الأعلى بن محمد البوسي بإمامة جامع صنعاء، وكان يقوم بمهمة الإمارة حينما تخلو صنعاء منها.

(٢) انظر: الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، والأئمة هم: القاضي أبو القاسم عبد الأعلى البوسي. وعبد الله بن محمد بن يوسف القطراني (ت ٣٢٩هـ) وقد اعتزل إمامه المسجد عام ٣٢٦هـ لاعتراضه عن زيادة الأذان يوم العيد - وأبو بكر محمد بن المعان البعداني (ت ٣٤٨هـ) - ومحمد بن أحمد بن عبد الله النقوي.

(٣) منير الدين أحمد. تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٧٢ ترجمة وتلخيص وتعليق/ د. سامي الصقار، دار المريخ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - الرياض - السعودية.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٦ - السمعاني. أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ). أدب الإملاء والاستملاء ص٥١- ط الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م- دار الكتب العلمية - بيروت - وابن سعد. الطبقات ج٥ ص٢١٣- وابن حجر. تهذيب التهذيب ج١ص١١٧- ط الأولى ١٣٢٥هـ- مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد - الهند.

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٧٨، ١١٤.

للمناظرة[١]، وحلقات متعددة في وقت واحد لكل عالم حلقته ومنهجه[٢].

وكان هذا المسجد من المساجد التي يرابط فيه الطلبة ويحرصون على الهجرة إليه[٣]، وما ذلك إلاّ لأنه زاخر بالعلماء والحلقات العلمية، ولذا كان العلماء يقبلون من القرى للتدريس في المسجد الجامع بالجند[٤].

وأما مسجد (ذمار) فقد كان فيه حلقات العلم حيّة منتشرة، وأبرزها حلقة الحديث، وفيها ألقى المروزي (٣٧١هـ) كتاب صحيح البخاري فتلقاه عنه علماء اليمن[٥].

وهكذا بقية المساجد في المدن الرئيسة في اليمن.

فبالإضافة إلى المساجد الجامعة - حسب ما قلناه سابقاً - التي كانت غالباً ما تجمع أكثر من حلقة من حلقات العلم فقد كانت المساجد الصغيرة مخصوصة بعلماء معينين، فكانت بمثابة مدرسة يمكننا نسبتها إلى من يعلم فيها.

وكثير من العلماء من كان يبني مسجداً ليكون مكاناً يلقي فيه دروسه من حديث، وفقه، وما إلى ذلك من علوم.

وهذه العادة قديمة، فقد اتخذها (وهب بن منبه) في مسجده، الخاص الذي كان يدرس فيه في القرن الثاني الهجري[٦]، ولعلّها انتشرت بعده، فالقاضي أبو سلمة يحيى بن عبد الله بن كليب كان له مسجد ولعلّه كان مقراً لدروسه[٧]، بالإضافة إلى مسجد النقوي نسبة إلى آل النقوي وهم بيت علم. ومسجد إسماعيل بن شروس[٨].

---

(١) إدريس. عيون الأخبار ج٥ ص٣٥.

(٢) الجندي. السلوك ص٨١.

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٨.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٩٤.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨١- الجندي. السلوك ص٦٩ و٧٠ كان أبرز العلماء الذين تلقوا عن المروزي في جامع ذمار عبد الله بن علي آل زرقان.

(٦) مجهول. تاريخ اليمن (١٠٦٦)- الحجر. مساجد صنعاء ص١٢٩.

(٧) الهمداني. الإكليل ج٢ص١٥٦.

(٨) الحجري. مساجد صنعاء ص١٣٦،١٣٨.

والمحدث أبو مطر بن ماجد الهمداني كان له مسجد يحدث فيه[١]، ثم كان هذا المسجد وهو المعروف بمسجد (السحطين) قاعة لإلقاء دروس الحديث من أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الصعري، حيث كان يحدث أهل صنعاء في هذا المسجد، وقد تعهده الأمير الحوالي بالرعاية والعناية وجراية الأوقاف عليه وعلى غيره من المساجد ثم أصبح زاوية لأحد الصوفيين أواخر القرن الرابع[٢].

وكان مسجد في (درب الفرس) يعد مدرسة باسم ابن الأصبغ البصري، فحينما دخل صنعاء نزل في هذا المسجد فألقى فيه الحديث وأملاه للمتعلمين[٣]، وكان هناك مسجد لابن أبي الرجاء في صنعاء، وهو من العلماء[٤].

وكان بعض العلماء حينما يكبرون أو يصيبهم المرض يضطرون إلى القيام بمساجد مخصوصة لأداء واجبهم العلمي، فأبو الحسن أحمد بن محمد بن يزيد قعد في مسجد (بقدوم) يفقه فيه ويسمع فيه الحديث، وذلك لما زَمِنَ ولحقه ضعف في رجليه[٥].

وفي قرية (ظُبا) كان مسجدها قد تحول إلى مدرسة يتلقى الطلبة فيها العلم[٦].

ومع هذا فلم تكن المساجد وحدها هي الأماكن الوحيدة للتدريس أو إقامة المناظرات أو حلقات الفقه.. بل لقد كانت منازل العلماء - أيضاً- مدارس أو مجالس للعلم والعلماء.

وكانت عادة ما تقام مجالس الفقهاء في الليل بصنعاء بعد أداء صلاة العشاء

---

(١) مجهول، تاريخ اليمن (ق ١٠٤/ب) - الحجري. مساجد صنعاء ص٩.

(٢) المصدر نفسه (ق١٠٨/أ)، (١٠٦/أ) - الرازي. تاريخ صنعاء ص١٠١.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٧٧/ ب).

(٤) كان عبد الرحمن بن أبي الرجاء أحد علماء صنعاء وقد أشهده أسعد بن أبي يعفر على ما أوقفه لمسجد صنعاء. (الحجري. مساجد صنعاء ص٧).

(٥) مجهول. تاريخ اليمن (ق١٠٨/أ) كان مسجد (بقدوم) بصنعاء.

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٩١، ٩٧- الأكوع. حاشية صفة جزيرة العرب ص٧٨.

فكانت هذه المجالس - حسب مفهوم عبارة ابن رسته - تقام في غير المساجد(١)، كذلك كانت تقم بعض المجالس في المنازل مثل مجلس لمساجلة الشعر، فقد أقيم مثل هذا المجلس في منزل شريف من أشراف صعدة(٢).

وأقيم مجلس للمناظرة في أحد المنازل في (ذمار)(٣)، كذلك أقام أحمد بن الحسين الطبري كثيراً من مناظراته في المساجد والمنازل على حد سواء في صنعاء، وذمار، وعدن(٤).

وقد رُوِيَ أن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه حينما قَدِمَا اليمن على عبد الرزاق بن همام لتلقي الحديث عنه، نزلا في منزل واحد عند عبد الرزاق، فكان ابن راهويه في غرفة أحمد بن حنبل(٥)، ولا شك أن منزل عبد الرزاق والحال كذلك يمثل مدرسة خاصة للإقامة والدراسة، وعلى الرغم من أن القرن الرابع- على مستوى بلاد الإسلام- قد أدت انتشار طرق التدريس فيه وذيوع المناظرات والجدل إلى ظهور مدارس متخصصة لكي تكون المناظرات في حرية للأخذ والعطاء بدلاً من التقييد الذي قد يحصل في المساجد احتراماً لها(٦)، إلاّ أن اليمن - كما يبدو- لم يظهر فيه هذا النوع من المدارس، خاصة أنه لم ينتشر إلاّ على نطاق محدود حيث كنت نيسابور موطن تلك المدارس.

وأشرت - سابقاً- إلى أن بعض المساجد كانت تمثل زاويا صوفية(٧)، ولا شك أن لها دوراً في نشر العلم، ولذلك يمكننا أن نعدها مدرسة من تلك المدارس التي كان لها أثرها في القرون التالية.

---

(١) ابن رسته. الأعلاق النفسية ص١٠٣.
(٢) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٤ ص١٨٠.
(٣) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٣٢، ٣٤).
(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص٤٩، ٥٠.
(٥) ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢٣، ٢٣٠ (حاشية).
(٦) آدم متز. الحضارة الإسلامية ج١ ص٣٣٦ ط٤- ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
(٧) مثل مسجد (السحطمين) وكان فيه رجل يعرف بالصوفي، وقد اتخذه زاوية حتى توفي عام ٣٧٨هـ (مجهول. تاريخ اليمن (ق١٠٥/أ).

ومثل هذا نشأت ما يسمى (بالهِجَر): جمع (هجرة)[١]، وهي قرى يهاجر إليها العلماء والطلاب، وكانت في مقدمة هذه الهجر الهجرة (اليحيوية) نسبة إلى الهادي يحيى بن الحسين، وكانت تعد بصعدة هي مدرسة الزيدية التي أقام فيها المرتضى بن الهادي وألقى فيها دروسه[٢].

ثالثاً: المكتبات:

المصادر التي بين أيدينا - حسب ما اطلعت عليه - لم تشر إلى أن هناك سوقاً في صنعاء للكتب أو للورق والوراقين، على الرغم من كثرة أسواق صنعاء، فهل معنى هذا خلو صنعاء من حوانيت الوراقين؟

أرى أن هذا حكم بالغ القسوة، فالمصدر الذي حدثنا عن أسواق صنعاء لا يفردها في باب خاص بل جاء بها متناثرة، عند ذكر المساجد والسقايات والحمامات، فهو حينما يحدد أماكنها يشير إلى أن سقاية في سوق الحجامين، وأخرى في سوق النجارين[٣] وهكذا، ومثله فعل الرازي أيضاً[٤]، ومن هنا فلا يوجد حصر واستقصاء لأسواق مدينة صنعاء.

ومع هذا فربما لم تكن هناك سوق مخصوصة بالوراقة والوراقين، بل توجد حوانيت للوراقة تتخلل بعض الأسواق، وقد نستأنس لهذا الرأي بما نراه في صنعاء

---

(١) الهجر: بالحميرية هي القرى والقصور الملتفة أو القرية المسورة بسور وأصبحت تعرف فيما بعد بالقرى التي يهاجر إليها العلماء والطلاب لتلقي العلم من علمائها (الهمداني. الإكليل ج٢ ص٣١٧- وج٨ص١١١)- وانظر: الأكوع. إسماعيل (القاضي). المدخل إلى هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الفكر المعاصر، بيروت.

(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٢) - ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٩،١٢ وكانت (هجرة معين) نسبة إلى (معين بن الحكم) وتقع في أرض (الربيعة) من (خولان) وكان عالماً زاهداً وفارق الإمام الحسين بن القاسم العياني لأشياء أنكرها عليه (انظر: ابن أبي الرجال- مطلع البدور ج٤ ص٢٩٨) انظر الكتاب النفيس المسمى الهجرة العلمية للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٠٧-١١٦).

(٤) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٢٧،٣٢، ١٠٣،١٠٥،١٠٧،١١٧،٢٠٤،٢٣٢.

حالياً من تناثر حوانيت المكتبات في سوق الخرازين، وسوق البز وغيرهما. ويمكننا الاستئناس بما ثبت أن دكاكين بيع الكتب كانت قد انتشرت منذ مطلع الدولة العباسية(١)، فليس ببعيد أن يصل هذا الانتشار إلى اليمن.

ومع هذا فإن الوراقة والوراقين وجامعي الكتب كانوا مشهورين في اليمن بصورة عامة، فكانت توجد مكتبة في (رَيدة) تعد مكتبة عامة، تضم كتب آل محمد يشرف عليها الشيخ محفوظ الزيدي، وقد سافر إليها أبو الحسين الطبري من صنعاء للاستزادة من الكتب المحفوظة هناك(٢).

وكانت في (ذي أشرق) مكتبة كبيرة موقوفة فمن لم يكن لديه القدرة على شراء الكتب ذهب إليها، وتزود مما تحويه من كتب(٣)، ومن العادة المتبعة في بلاد الإسلام أن كل جامع كبير كان يحتوي على مكتبة، لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع(٤)، ولا يستبعد أن تشمل هذه العادة المساجد الجامعة في اليمن.

أما (الوراقون)، فقد وردت إشارات في بعض المصادر تدل على وجودهم فمحمد بن سليمان الهرثمي كان يكتب المصاحف وينسخ دفاتر يبيعها، وبقيت كتبه تتداول للبيع حتى بعد موته(٥)، وكان (ابن دانة) ورَّاقاً كاتباً للدفاتر(٦)، ووجدت -حتى الآن- مخطوطات كتبت قبل ٤٠١هـ بخط الحسن بن أحمد بن يعقوب وهي بالخط الكوفي الجميل(٧).

---

(١) شلبي. أحمد (الدكتور). التربية الإسلامية ص ٦٣ ط٧ - ١٩٨٢م- مكتبة النهضة - القاهرة. مرسي. محمد منير (الدكتور) التربية الإسلامية ص٢٤٠- عالم الكتب - القاهرة- ١٩٨٣م.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٥٢- وابن أبي الرجال- مطلع البدور ج١ص١٣١.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨٢،١١٥ - والجندي. السلوك ص٩٩.

(٤) آدم متز. الحضارة الإسلامية ج١ ص٣٢٢.

(٥) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٢٩٣) وكان الهرثمي ممن سمع المرتضى بن الهادي في بداية القرن الرابع وعُمِّرَ طويلاً حتى توفي في القرن الخامس الهجري.

(٦) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٢ ص٣٨ وكان موجوداً عام ٣٧٢هـ.

(٧) انظر: فهارس مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ج٢ ص٧٤٦،٨٧٩، وج٣ص١١٤٢ إعداد/ أحمد عبد الرزاق الرقيحي، وعبد الله محمد الحبشي، وعلي وهاب الآنسي. تحت إشراف وزارة الأوقاف بصنعاء ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

ومما لا ريب فيه أنهم سيتقاضون أجراً مقابل ما يكتبون، فالمتعارف عليه في عهد الدولة العباسية أن الوراقين كانوا يتقاضون أجراً متواضعاً متوسطة دينار عن كل كتاب(١).

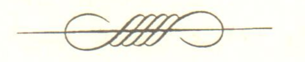
ولتجليد الكتب دلالة على كثرة تداولها وبيعها، فالمقدسي يحدثنا عن نفسه أنه اشتغل في (عدن) بالتجليد، وأن أهل اليمن يعجبهم التجليد الحسن، ويبذلون فيه الأجرة الوافرة. «وربما كنت أعطي على المصحف دينارين»(٢).

وَيشُدُّ من أزر هذا تأنق أهل اليمن بكتابة المصاحف بماء الذهب(٣).

هذا بالإضافة إلى المكتبات الخاصة التي لا شك أنها كانت منتشرة في ربوع اليمن ويكفي للتدليل على ذلك تلك العلوم والمعارف التي تحصل عليها الهمداني - كما سيأتي -(٤)، فلن تأتي من فراغ، فإما أنه تحصل عليها من حوانيت الوراقة، أو من الرحلات إلى مكة. وبذا يكون مختزناً لمكتبة لا يستهان بها.

ولنضرب مثلاً آخر على المكتبات الخاصة ما روي عن محمد بن أحمد العلوي بأنه كان جمّاعاً للكتب احتوت مكتبته على ستمائة مجلد فيها عيون كتب آل محمد وغيرهم(٥).

وهكذا، فلا تخلو اليمن من الورّاقين، أو المكتبات الخاصة والعامة.



(١) شلبي. التربية الإسلامية ص٦٤.
(٢) المقدسي. أحسن التقاسيم ص١٠٠.
(٣) الهمداني. الجوهرتين العتيقتين ص ١٠٩.
(٤) سيأتي ذكر الهمداني في معظم العلوم التي كانت في اليمن في ذلك الوقت.
(٥) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٢).

الفصل الثاني
النظام التعليمي

- نظام التعليم للمرحلة الأولى
- نظام التعليم للمرحلة العليا
- المواد المقررة
- نظام الحلقات
- نظام المجالس
- طرق ووسائل التدريس
- التعليم الإلزامي ومحو الأمية

تمهيد:

لتقريب الصورة إلى ذهن القارئ المعاصر، تجدنا مضطرين - ونحن نتحدث عن الحياة العلمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين - إلى استعارة بعض المصطلحات الحديثة التي وإن لم تكن مستخدمة - في ذلك الوقت - إلاّ أن الكثير من الممارسات والوسائل التي اتبعت في تلك الحقبة تدل عليها، حيث نجدها مندرجة تحت أي من تلك المصطلحات.

ومثالاً لهذا ما اتبعناه في هذا الفصل الذي نتحدث فيه عن النظام التعليمي، حيث قسمناه إلى مرحلتين: تعليم أولي، أو ابتدائي، وتعليم عالي، وما سيتتبع ذلك من الحديث عن مناهج كل مرحلة من تلك المراحل، وموادها المقررة، وطرق تدريسها، وبرامجها اليومية والأسبوعية، وما إلى ذلك، ثم نشير إلى قضيتين هامتين تنالان حيزاً كبيراً في كتب التربية الحاضرة: وهي قضية محو الأمية، وقضية التعليم الإلزامي.

أولاً: نظام التعليم للمرحلة الأولى:

سبق في الفصل الأول أن أشرنا إلى وجود نوع من المؤسسات التعليمية، وهو المعروف (بالكُتّاب).. أو ما يمكن أن نسميها مدارس التعليم الأولي أو الأساسي أو الابتدائي.

وهنا نفصِّل الحديث عن هذا النوع من التعليم ببيان برامجه، وأنظمته، ومواده المقررة، والطرق المتبعة في تدريس تلك المواد.

الهدف:

قبل أن نمضي في هذا البيان نقرر في البداية حقيقة بديهية وهي: أن الإسلام حينما جاء كان من أول ما أنشأه تلك الاستعدادات والدوافع النفسية لطلب العلم، وسعى بكل وسائله لإرساء دعائم العلم والتعليم، فكانت أول آية أوحى الله بها إلى رسوله ﷺ هي قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1]، كما حث رسول الله ﷺ على

---

(١) سورة العلق، الآية: ١.

التعليم في أكثر من حديث[١].

مما يجعلنا نقول إن الإسلام كان ولا شك أول حركة تعليمية ظهرت في الجزيرة العربية[٢].

ثم جمع الله سبحانه دينه في كتاب مَقْروء محفوظ ألاَ وهو القرآن الكريم، فكان لا بد من التَّعلُّم لمعرفة كتاب الله، ثم دُوِّنَت السنة، وسيرة رسول الله ﷺ لتكون النموذج التطبيقي لكتاب الله الكريم.

وكان لا بد أيضاً من التعلم لمعرفة النموذج العملي للإسلام.

ولذا كان تعليم القرآن وتعلمه نظاماً في المجتمع الإسلامي لا تختص به طائفة دون أخرى، بل هو سببُ ووسيلةُ وطريقُ الجميع، ودينهم، لا يتركه أي واحد منهم صغيراً أم كبيراً ذكراً أم أنثى، مع اكتساب المبادئ الأولى التي تهيئ الصبي لممارسة حياته العامة وتعرفه بمبادئ دينه التي لا يسع المرء جهلها، والمفروض عليه ديناً أن يعرفها[٣].

المواد المقررة:

من البداهة أن تكون أول مادة يتعلمها الصبيان في مرحلتهم الأولى هي مادة القرآن الكريم، بل أصبح حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة وتعليمه أيضاً فرض كفاية، وهو أفضل القربات إلى الله[٤]، ففي الصحيح عن عثمان بن عفان (رضي الله

---

(١) من تلك الأحاديث: عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجه وآخرون [انظر: العجلوني. إسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢هـ). كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ج٢ ص٤٣-٤٥ (دون تاريخ ولا مكان الطبع].

(٢) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٥١.

(٣) ابن عبد البر. جامع بيان العلم ج١ ص١٠، ١١.

(٤) طاش كبرى زاده. أحمد بن مصطفى (٩٠١-٩٦٨هـ). مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ج٢ ص٤٠١ مراجعة وتحقيق / كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور - دار الكتب الحديثة - القاهرة - وابن جماعة. تذكرة السامع ص١١٢.

عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(١).

والقرآن هو أساس حياة المسلمين عليه يتربون، ومنه يتعلمون وبه يتخلَّقون، وبقيام التعليم على أساس القرآن الكريم يتعلم الصبي نطق العربية في دقة ويسر، وتزخر ذاكرته بالعديد من الجمل العربية الفصيحة التي تهيئه بعد ذلك لدراسة النحو وغيره من علوم اللغة(٢).

وإذاً فالمنهج المعتبر لدى المسلمين على طول وعرض المجتمع الإسلامي ومنذ قيام الإسلام هو القرآن وما يتبعه من صلاة ودعاء وآداب، وأخلاق، وما هو ضروري لمعرفة القرآن من قراءة وكتابة وخط وشكل وتعلم النحو والعربية. وقد تضاف بعض المواد مثل الحساب ومبادئ في الفقه والشعر(٣).

وإذا كان هذا ما قرره أحد علماء القرن الرابع الهجري وهو القابسي (ت٤٠٣هـ)، فابن سحنون(٤) كان قد سبق إلى تقرير المنهج نفسه في القرن الثالث الهجري، مما يدل على استمرارية ذلك المنهج، بل يدل أيضاً على شموله في جميع حواضر الرقعة الإسلامية. أما ما ذكره ابن خلدون(٥) من اختلاف أهل الأمصار في طرقهم في التعليم، فهو اختلاف من ناحية الترتيب تقديماً وتأخيراً فقط. فقد يتم البدء بالخط والحساب والعربية ثم القرآن.

---

(١) الحديث رواه البخاري والترمذي وأحمد وأبو داود وابن ماجه، (العجلوني. كشف الخفاء ج١ ص٣٩٢).

(٢) ربيرا. خوليان. التربية الإسلامية في الأندلس ص ٤٤. ترجمة الدكتور/ الطاهر أحمد مكي-دار المعارف- القاهرة.

(٣) الأهواني. التعليم في رأي القابسي ص ١٤٤، ١٤٥، ١٥٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ومرسي. التربية الإسلامية ص٢٢٦.

(٤) ابن سحنون. محمد بن عبد السلام (٢٠٢-٢٥٦هـ) آداب المعلمين ص٣١٣ جاءت هذه الرسالة ضمن كتاب التربية في الإسلام للدكتور/ أحمد فؤاد الأهواني ط٢- دار المعارف بمصر. (سلسلة دراسات في التربية) وعبد الأمير شمس الدين (الدكتور) الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي ص٤٨، ٤٩، ٧٨ - دار اقرأ - بيروت.

(٥) مقدمة ج٢ ص ١٠٣٨-١٠٤٢.

واليمن لا تخرج عن غيرها من الأمصار الإسلامية، خاصة أن كلاً من ابن سحنون والقابسي هما على مذهب الإمام مالك، وهذا المذهب كان له انتشار في اليمن، ولعلَّ ما قرره هو المتبع في اليمن في هذه الحقبة، ثم إن المصادر اليمنية أمدتنا بالشيء ذاته من حيث إنَّ القرآن كان في مقدمة المواد المقررة على الصبيان ثم الهجاء (أو تهجِّي الحروف)، والخط، واللغة، ومبادئ من الفقه[١].

الخـط:

ولا بد من التوقف عند (الخط) كمادة أساسية من المواد المقررة في هذه المرحلة.

فهو على الرغم من أنه مادة أساسية، إلا أنه لم يكن يقصد منه الإجادة والتحسين، بل كان يتعلمه الصبيان بقدر إدراكهم ليكتبوا ويقرؤوا دروسهم من المواد المطلوبة منهم، وهو خط قاصر عن الإجادة مثلهم مثل بقية أهل المشرق[٢].

ثم يفرد (الخط) بتعليم خاص ولدى معلمين يجيدون الخطوط، وليس كل معلم في (الكتَّاب) كان يجود الخط، ومن هنا فقد كان لأهل صنعاء ميل إلى تعلم الخط بصورة خاصة لإجادته وتحسينه، فكان لهم الخط الصنعاني المسمى (بالمكسّر)، (والتحسين) الذي لا يضارع، وهو خلاف نوع من الخطوط يسمى (المَشق)، ومع هذا كان له مقدرة على توضيح الشكل وإعجام الكتابة وإزالة لبسها[٣].

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق/١٠٦/ب،١١٣/أ) - ومسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١١٨)- ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨١ وقد يؤكد ما قلناه إن المعلمين أو بعضهم كانوا يتصفون بالفقه أيضاً مما يدل على ممارستهم لتدريس الفقه للصبيان.

(٢) ابن خلدون. مقدمة ج ٢ ص ١٠٤٠.

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٨٢- الإكليل ج٢ ص١٣٥ - المُكَسَّر والتَحْسِين والمَشق: أسماء لثلاثة أنواع من الخطوط العربية (انظر: عفيفي. فوزي سالم، نشأة تطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي ص١١٨. ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. وكالة المطبوعات. الكويت).

لذلك وصف كثير من الوراقين أو العلماء بإجادة وحسن الخط[١]، وكانوا يتفننون خصيصاً بكتابة ونسخ المصاحف، ويستخدمون ماء الذهب في كتابتها[٢]، وقد اشتهر منهم محمد بن أحمد المصاحفي الذي وصفه الهمداني[٣]: بأنه أكتب أهل الأرض في مصحف.

ويبدو أن لبعض الخوارج طريقة خاصة في الكتابة أشار إليها مسلّم اللحجي[٤] حيث يقول: «وجدت بخط بعض أهل بلادنا من الإباضية، أو من يكتب على مثل عاداتهم في الخط وعلى طريقتهم»، ولا ندري كيفية هذه العادة وهذه الطريقة.

الأدوات والوسائل:

ومما لا شك فيه أن اختيار المواد، والوسائل التي توصلها إلى أذهان الصبيان كانت في هذه الحقبة يفوّض أمرها إلى (المعلم)، ومن هنا تتحقق الفائدة المرجوّة لأن (المعلم) يقبل على تنفيذها طواعية وبرغبة وشوق وإبداع، بخلاف أن تفرض عليه فرضاً[٥].

وكان (اللَّوح) الخشبي هو الوسيلة التي تتخذ لكتابة الدروس عليها، وكان يصاحب (اللوح) بالضرورة الأدوات الكتابية من (دواة)، (وقلم) (وسكين) خاص لبري الأقلام[٦]، مع الأخذ في الاعتبار أن وسائل وطرق التدريس كانت محصورة في: التلقين والإملاء في الألواح ثم الحفظ والاستظهار وكانوا يتوصلون إلى ذلك

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٧٤- وابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٢ص٣٨- مثل الحسن بن محمد بن دانة الذي كان له خط حسن وقل ما يشبهه وكان وراقاً كاتباً للدفاتر - ومسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ت٢٩٣) كان محمد بن سليمان الهرثمي صاحب خط قديم حسن وهو ممن يكتب المصاحف وينسخ الدفاتر ليبيعها.

(٢) الهمداني. الجوهرتين العتيقتين ص ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه. الإكليل ج٢ ص٢٧٢- هذه دعوى عريضة لا أرى أنها واقعية.

(٤) مسلّم اللحجي. كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية (ق ٤٠/ب).

(٥) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة ج١ ص٢٨.

(٦) مجهول. تاريخ اليمن (ق١١٣/ أ).

بالتكرار والتفهيم ومن هناك كانت تحفظ السورة من القرآن بإعرابها وكتابتها وحسن قراءتها مع الترتيل الجهري الجماعي أحياناً[(١)].

البرنامج اليومي والأسبوعي والسنوي:

لم ترد معلومات كافية عن البرنامج اليومي بالتفصيل إلاّ أن هناك إشارات تدل على أن الصبيان كانوا يحضرون مبكرين[(٢)] فلعلّهم يبدؤون بالقرآن للتبرك به؛ لأنه هو المادة الأساسية ثم تستمر الدراسة حتى المغرب.

أما البرنامج الأسبوعي والعطلة فيه فيبدو أنه نظام متبع في القرن الثالث الهجري وما قبله كما حكاه ابن سحنون[(٣)]، وفي القرن الرابع كما وصفه القابسي[(٤)]، وهو أن الدراسة تستمر طوال الأسبوع حتى إذا جاء يوم الأربعاء عرض الصبيان ما عندهم من أحزابهم ويكملون ذلك يوم الخميس حتى العصر فيكتبون في ألواحهم بعض دروسهم ثم ينصرفون لقضاء عطلة بقية يوم الخميس ويوم الجمعة ليأتوا مبكرين صباح يوم السبت[(٥)].

أما العطلة بمناسبة العيدين فلم ترد إشارة إلى ذلك في المصادر التي بين أيدينا، والغالب أنهم كانوا يمنحونها؛ لأنها ثابتة في أماكن أخرى غير اليمن[(٦)].

الختمة:

من الأشياء التي تلحق في هذه المرحلة مسألة (الختمة) وهو حدث خاص له روعته وبهجته عند المعلم والطالب وولي أمره سواء ختم الصبي المصحف أو قطع

---

(١) الأهواني. التعليم في رأي القابسي ص ١٦٥-١٦٩، ٢٨٩، ٢٩٦.

(٢) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١١٣/ أ).

(٣) ابن سحنون. آداب المعلمين ص ٣١٣، ٣١٤. (ملحق بكتاب التربية في الإسلام). ومرسي. التربية الإسلامية ص ٢٢٧.

(٤) القابسي. المفصلة ص ٢٩٠ (ملحق بكتاب التعليم في رأي القابسي).

(٥) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١١٣/أ) - القابسي. المفصلة ص ٢٩٠.

(٦) ابن سحنون. آداب المعلمين ص ٣١٢.

جزءاً متفقاً عليه، وقد أوجب الإمام مالك للمعلم أن يكون له حق (الختمة) سواء اشترطها أو لم يشترطها[١].

وعلى الرغم من عدم ذكر إحداث بهذا الخصوص في المصادر اليمنية إلاّ أنه كما يبدو يعد من المبادئ التعليمية البدهية التي تتميز بها المجتمع الإسلامية قاطبة بل إن هذه العادة كانت مشهورة ومعمولاً بها في اليمن حتى زمن قريب.

ثانياً: نظام التعليم للمرحلة العليا:

على الرغم من عموم انتشار التعليم الأَوَّلي في اليمن بنسبة كبيرة، وخاصة في المدن، فعلى العكس من ذلك بالنسبة للتعليم في المراحل العليا.

فليس هناك إلزام لاستمرار التعليم، ولا تتوفر الإمكانيات المالية أو الاستعدادات النفسية عند معظم الناس، ثم إن الأحداث والفتن التي عصفت بهدوء اليمن واستقراره في هذه الحقبة تجعلنا نرجح عدم ثبوت تلك النسبة من التعليم في المراحل العليا، ولن يقبل على مواصلة التعليم إلاّ من تتوافر له عدة عوامل أهمها: الرغبة الحقيقية عند أهله وذويه، والنبوغ الذهني الذي يدفعه لاقتحام الصعاب، أو المتذهب بمذهب يدفع أهله إلى التعليم والدعوة إليه مثل الزيدية، والإسماعيلية.. وهكذا.

وكان من العادة أن ينقطع التعليم عند المراحل الأولى ثم ينتشر الناس في الأرض يبتغون من فضل الله كل منهم قد هيأ نفسه أو هيأه أولياء أمره لتحمل مسؤولية ما من سبل الحياة المعيشية. ومما لا شك فيه أن ينقطع بعضهم للعلم والتَّعلُّم حيث يتلقون العلوم بأسلوب جديد وبتطلع ودافع آخر غير الدافع الأول. وبسعي ومثابرة ومصابرة وهجرة ورحلات لتمني العلوم في مجالس العلماء المختلفين في شتى المراكز العلمية.

---

(١) القابسي. المفصلة ص ٢٧٥- ابن سحنون. آداب المعلمين ص ٣١١ وعبد الأمير الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي ص ٦٣.

وإذا كان الهدف من التعليم في المراحل الأولى هو اكتساب المبادئ الأولى من التعليم، وهو حفظ ما يتيسر من القرآن، وتعليم الصلاة والصوم والأخلاق والآداب ومبادئ في الخط والحساب والفقه، وتهيئة الصبي لممارسة حياته العامة وليعرف بمبادئ دينه التي لا يسع المرء جهلها والمفروض عليه دِيْناً أن يعرفها[١]، فإن الهدف في مراحل التعليم العليا يتأصل ويتعمق ويستزيد علوماً أخرى ومعارف جديدة.

فالمتعلم ابتداء يسعى للاستزادة من علمه لا للعلم لذات العلم، بل للوصول إلى معرفة دينه والفقه فيه. كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٢].

مدة طلب العلم:

كان المتعلم في هذه المرحلة غير مرحلة تعليم الصبي في الكتاتيب؛ فالطالب هنا هو الذي بَلَغَ درجة من الرشد والوعي حيث قرر بذاته وإرادته اختيار طريق العلم والسعي إليه[٣].

ولم تكن هناك مدة محددة لطلب العلم بل كان طلبهُ من المهد إلى اللحد[٤]، فكان البعض ممن يطلب العلم يجالس العلماء سنوات محددة، فعبد الرزاق الصنعاني

(١) أجمع العلماء على أن مع العلم ما هو فرض عين على كل فرد، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين من أهل ذلك الموضع، وحدد الفرض المتعين على الفرد والذي ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة كالشهادتين، وأركان الإسلام.. الخ (انظر: ابن عبد البر. جامع بيان العلم ص١٠،١١)، وعبد الأمير، الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي ص٩٠.

(٢) الحديث رواه مسلم (انظر؛ النووي. شرح صحيح مسلم ج٧ ص١٢٧ و١٢٨ باب النهي عن المسألة - وج ١٣ ص٦٧ باب قوله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..). المطبعة المصرية، القاهرة.

(٣) انظر: العجلوني. كشف الخفاء ج٢ ص٢٨٥ - عبد الأمير شمس الدين (الدكتور). المذهب التربوي عند ابن جماعة ص٣٧- ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - دار اقرأ - بيروت.

(٤) الزرنوجي. برهان الدين (تُوفي بعد ٥٦٣هـ). تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٤٥، ٤٧ - إعداد الدكتور/ عبد اللطيف محمد العبد - ط الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - النهضة العربية بالقاهرة.

(ت٢١١هـ) - مثلاً- جالس معمر بن راشد (ت١٥٣هـ) سبع سنين كتب عنه عشرة آلاف حديث[١]، ونهد بن الصباح مكث عند مطرف بن شهاب أربعين يوماً، وفي المرة الثانية مكث عنده سنة كاملة[٢]، وبالرغم من الاختلاف حول ابتداء سماع الحديث إلاّ أن المختار هو إذا صار الصبي مميزاً؛ لأن إبراهيم الدبري أخذ عن عبد الرزاق الصنعاني وعمره ست سنين أو سبع وكان هو الذي روى عنه عامة كتبه[٣].

المواد المقررة:

أما المواد التي كانت تدرس فهي لا شك لا تخرج عن القرآن والسنة غالباً.

فعلوم القرآن: من قراءات، وتفسير، وأحكام القرآن المتعلقة به، ثم علوم الحديث التي عرفت فيما بعد بعلم مصطلح الحديث[٤].

ثم العلوم الموصلة إليهما من العلوم العربية بشعبة المتفرقة كالنحو، واللغة، والبلاغة، والأدب.. وغيرها.

ومن البداهة أن يكون علم الفقه علماً أساسياً في المناهج المدروسة؛ لأنه مستنبط من الكتاب والسنة وعليه تقام الحياة.. وهو الجانب التطبيقي في الواقع.

بالإضافة إلى (علم الكلام) الذي كان يقف خلف نشوء المذاهب الكلامية.

أما العلوم الأخرى كالعلوم الاجتماعية مثل: الجغرافية والتاريخ، والعلوم الطبيعية من طب وكيمياء والعلوم العقلية كالمنطق والفلك والهندسة.. الخ فلعلّه تعقدُ لها الحلقات والدروس المنتظمة، بل كانت حسب الاستعدادات الشخصية والقابليات لدى متعلميها، فيتعلمها من أراد أن يتعلمها يأخذها ممن يعرفها دون أن تكون هناك حلقات دراسية أو مجالس علمية عامة.

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ١٨.

(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١٢، ١٣).

(٣) السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ج٢ ص٦، ٧- تحقيق/ عبد الوهاب عبد اللطيف ط ٢-١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م- المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

(٤) سيأتي في الفصل الخامس تحديد معنى علم مصطلح الحديث.

وهذه الصورة كانت منتشرة في بلاد الإسلام على وجه العموم[١]، فهل اليمن- كجزء من بلاد الإسلام - كان يمارس ذلك المنهج أيضاً؟

مما لا شك فيه أنه لم يخرج عن غيره من الأمصار، وسيتضح لنا هذا في ثنايا البحث إن شاء الله.

ونشير هنا إلى خاصية تفرد بها بعض أهل اليمن ممن لديهم اهتمامات بالتاريخ والأنساب. فقد عرف أن بعضاً من علمائهم كانوا يجيدون (الخط المسند) (الكتابة الحميرية)[٢]، وكان منهم من يتولى تعليم هذا الخط لمن طلبه، فالهمداني مثلاً تلَقَّى هذا العلم عن محمد بن أحمد الأوساني[٣]، حتى أصبح (حجة) في قراءة (الخط المسند) وصار ينقل الخطوط الحميرية إلى كتابه ويترجمها[٤].

نظام التعليم:

إن الفترة التي ندرسها لم يكن فيها ما يمكن أن نسميه (نظاماً تعليمياً) محدداً للمرحلة العليا من ناحية المحاضرات والبرامج. . . الخ؛ ولكننا من خلال دراستنا للحياة العلمية في الأمصار الإسلامية بصفة عامة واليمن بصفة خاصة نلاحظ وجود نظامين: نظام الحلقة، ونظام المجالس[٥] ولم يخرج التعليم عن هذين النظامين خاصة في القرنين اللذين ندرسهما، وما قبلهما.

١ - نظام الحلقات:

فأما نظام الحلقات، ويقصد به تَحَلُّقُ طلبة العلم حول الشيخ وليس المقصود هو

---

(١) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص٥٠، ٥١.

(٢) ابن رسته. الأعلاق النفسية ص١١٤ - الهمداني. الإكليل ج١، ص١٥،١٩،٢٠ والخط المسند: هو خط لحمير مخالف للخط العربي كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم (لسان العرب ج٣، ص١١٥) وقد رجح بعض الباحثين الرأي القائل بأن أصل الخط العربي هو الخط المسند (انظر: عفيفي. نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ص٦٢).

(٣) الهمداني. الإكليل ج١٠ ص١٥.

(٤) المصدر نفسه ج١٠ ص١١١، ١١٢، وج٨ ص١٧٦، ١٩٦، ١٩٧.

(٥) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص٥٣.

التَّحَلُّق بحيث يصير العالم في وسط الحلقة؛ ولكنه قد يستند إلى جدار أو إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد فيتحلّق المتعلمون أمامه في شبه دائرة كاملة.

وهذا النوع من التدريس كان أشهر من غيره، لأن المساجد - غالباً - كانت هي مقر الدرس والتحصيل، ولا يتم التجمع للدارسين إلاّ بتلك الصورة حول شيخهم. وكانت تدار الحلقات إذا ما أثيرت مسألة، حيث يواجههم الشيخ فيبدأ بمن على يمينه حتى ينتهي إلى من على شماله(١)، وكان في اليمن نوعان من تلك الحلقات: نوع دائم، ونوع طارئ.

أ - الحلقات الدائمة:

أما النوع الدائم فهو ذلك النوع من الحلقات التي ترتبط بعلماء اتخذوا مساجد محددة مقراً لهم يلقون فيها دروسهم ويأخذ عنهم طلابهم فجامع (الجند) مثلاً كان فيه حلقات دائمة متناوبة حتى أصبح الطلاب مرابطين مجاورين(٢) لذلك الجامع يتلقون العلم من أصحابه في تلك الحلقات. ويفد إليه طلاب العلم والعلماء لمراجعة علماء مسجد (الجَنَد) والأخذ عنهم(٣). ولم تكن مقصورة على الحلقات التعليمية فقط، بل كانت تقام حلقات للمناظرات المذهبية(٤).

وفي (سَهْفَنَة) كانت هناك حلقات دائمة يمكننا أن نصفها (بالمدرسة) وكان على رأس هذه المدرسة القاسم بن عبد الله الجمحي القرشي(٥)، وتخرج منها علماء كثيرون ويكفي أن نشير إلى واحد منهم وهو أبو الخير أيوب بن محمد بن كديس الذي استقر في قرية (ظُبَا)(٦)، وكان له حلقة علم دائمة. هذا العالم الذي لم يكن مشهوراً

---

(١) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٣٢٣).

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٨.

(٣) الجندي. السلوك ص٧٧.

(٤) إدريس. عيون الأخبار ج٥ ص٣٥ كانت مناظرات في مسجد الجند بين الشعية وأهل السنة في القرن الثالث الهجري.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨٨،٨٩- الجندي. السلوك ص٧٤-٧٦، وسيأتي التعريف بالقاسم في الفصل الخامس إن شاء الله.

(٦) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص١٢٧ - ابن سمرة: طبقات اليمن ص ٩١.

بالعطاء العلمي المغدق على قاصديه فحسب، بل كان يشملهم برعايته وإنفاقه عليهم، فقد كان ينادي المنادي في الحرم المكي كل عام من أراد الورَق - بفتح الراء- والورِق- بكسر الراء الفضة - والسَّمَاع العالي فعليه بأيوب بن محمد بن كديس في (ظُبَا) من أرض اليمن[١].

وفي قرية (ذي أشْرِق) مسجد كانت تدار فيه حلقات الدرس[٢] الدائمة.

وأما (زبيد) فكانت في طليعة تلك المدن التي اشتهرت بحلقات الدرس الدائمة التي تهوي إليها أفئدة الدارسين والعلماء على حد سواء، ويبدو أنها كانت تضم حلقات مختلفة منها حلقات شافعية، ومنها حنفية، ومنها مالكية. فقد دخلها القاسم ابن محمد الجمحي - الذي تفقه في وسط المائة الرابعة- وتلقى المذهب الشافعي عن أبي بكر بن المُضَرِّب[٣]، مع العلم أن غالب أهل زبيد كانوا على المذهب الحنفي[٤]، ومنهم أيضاً مذهب الإمام مالك الذي انتشر في اليمن كانتشاره في المدينة المنورة، لأن أهل اليمن كانوا يتفقهون بفقهاء مكة والمدينة[٥].

وأما (صنعاء) التي كانت في القرنين الأول والثاني للهجرة وأول الثالث حاضرة العلم وقبلة العلماء. فكانت في النصف الثاني من القرن الثالث والقرن الرابع كله مسرحاً للأحداث والفتن، ومع هذا فلم تنته منها حلقات العلم.

فمسجد صنعاء بالرغم مما أصابه من جرّاء استيلاء القرامطة على صنعاء وإصابته بالخراب، إلاّ أن الأمراء الذين توالوا على صنعاء كانوا يُولُونَه قسطاً من الاهتمام، ويبدو أنه كان يحتوي على عديد من الحلقات العلمية، وأن المذهب الحنفي غالب عليه[٦]، فلم يجرؤ أحد من غيرهم أن ينافسهم فيه حتى جاء أبو الحسين أحمد بن

---

(١) الجندي. السلوك ص٧٨ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٩٧ - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص١٢٦، ١٢٧.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١١٦.

(٣) الجندي. السلوك ص ٧٢- ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨٨.

(٤) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص٨٨ - والجندي. السلوك ص٨٥.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٥٥، ٧٤.

(٦) المقدسي. أحسن التقاسيم ص٩٦.

موسى الطبري الزيدي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهو يحمل المذهب الزيدي واجتهادات الإمام الهادي إلى الحق ولعلَّه حاول اقتحام المسجد إلاَّ أنه لم يُمَكَّن من ذلك إلاَ تحت رعاية وحماية ابن الضحاك الهمداني، فدخل جامع صنعاء وتكلم ودعا إلى مذهب الهادي إلى الحق فأستجيب له، فلم يلبث أن صار له حزب وشيعه يصلي بهم في المسجد(١).

وأشارت بعض المصادر إلى وجود المذهب المالكي في صنعاء، وعلماء مالكيين(٢)، فلا يبعد أن يكون لهم حلقات علمية خاصة بهم. بالإضافة إلى أن مؤذني الجامع الكبير - وقد كانوا علماء ومحدثين - لا نستبعد أن يكون لهم حلقات علمية في المسجد بحكم تواجدهم الدائم فيه.

كذلك ورد أنَّ عالماً جليلاً وهو علي بن موسى بن أبي جعفر العباسي (توفي سنة ٣٧٩هـ) ودفن أسفل مأذنة جامع صنعاء(٣)، مما يدل على أنه كان مرابطاً للعلم في هذا المسجد.

ولا بد أن نشير إلى أن محدثين كثيرين كان لهم ذكر في كتب الحديث ولا يستبعد أن يكونوا قد حدثوا في حلقات سواء في المسجد الجامع أم مساجد أخرى(٤).

كذلك كان للإمام عبد الرزاق حلقة دائمة يأتيه فيها طلبته ومريدوه والراحلون إليه وأصبح له تلاميذ اشتهروا بأنهم رواة كتبة(٥).

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٤٨- وصف (الطبري) ابن الضحاك الهمداني بأنه أسد اليمن وقد اختار الإقامة تحت حمايته لذلك.

(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٣١٣ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٧/أ) كان محمد بن عبد الرحيم بن شروس مالكياً متولياً للمظالم وتوفي عام ٢٢٨هـ.

(٣) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٣ ص٢٥٥.

(٤) مجهول. تاريخ اليمن (ق٢٨/ب، ٢٩/أ،٣٩/أ،٤١/ب،٤٢/أ، ٧٥/أ،٧٧/ب،١٠٥،١٠٨/أ) كانت في مسجد (السحطين) ومسجد (بقدوم) بصنعاء تقام حلقات للحديث والفقه - وكان رجل بصري يعرف بالأصبغ البصري قد أقام بمسجد بصنعاء عرف باسمه وكان يدير حلقات في الحديث.

(٥) كان إسحاق بن إبراهيم الدبري (ت٢٨٧هـ) من أعيان الحديث وراوي كتب عبد الرزاق وأخذ=

وفي (عدن) كان محمد بن يحيى بن عمر العدني (ت٢٤٣هـ) الذي أخرج له مسلم في صحيحه والترمذي في جامعة[١]، ولا يستبعد أن يكون له حلقات علمية في (عدن) قبل أن يستقر في (مكة) آخر أيامه.

وكان للمذهب المالكي حلقات خاصة في (عدن) كانت تقام في مسجد خاص بهم عرف بمسجد المالكية[٢]، هذا فضلاً على ما عرف عن الإمام الهادي من أنه اتخذ أسلوب الحلقات العلمية الدائمة في مسجد صنعاء حينما استولى عليها فكان يلقي فيها دروسه وخاصة بعد الصلوات من كل يوم فيعلمهم فرائض الدين، والمواريث... الخ[٣].

ب - الحلقات الطارئة:

النوع الآخر من الحلقات هو نوع الحلقات الطارئة، وكانت تنشأ نتيجة قدوم أحد العلماء سواء من خارج اليمن، أم من داخله إذا ما انتقل من مدينة إلى أخرى.

فقد قدم إلى (ذمار) أبو زيد المروزي وروى فيها كتاب صحيح البخاري[٤]، فأتاه العلماء من صنعاء والجند وعدن وسائر أنحاء اليمن.

وكان أبو مسلم الكجي أو الكشي - أحد علماء الحديث - يتردد في تنقلاته بين صنعاء ومكة وزبيد وسمع عليه شيوخ كثيرون[٥].

أما علماء أهل اليمن فقد كان لهم تنقلات بين بعض المراكز وعقدوا الحلقات وأصبح لهم تلاميذ وأصحاب.

= عنه الطبري وممن نقل عنه الفقه والحديث قبل ظهور المذاهب في اليمن، انظر: ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٤ وسيأتي الحديث عنه في الفصل الخامس إن شاء الله.

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٧٢ - وابن حجر. التهذيب ج٩ ص٥١٨.

(٢) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص١٣٢ وسيأتي في الفصل الخامس.

(٣) العلوي. السيرة ص ٣٨٦.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨١- الجندي. السلوك ص: ٦٩، ٧٠ وسيأتي في الفصل الخامس.

(٥) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص١٩٨- ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٤، ٦٥.

وعلى رأس هؤلاء أبو قرة موسى بن طارق اللحجي العالم المشهور الذي كان اعتماد أهل اليمن على كتبه في الحديث قبل دخول كتب الحديث المشهورة، هذا العالم كان له رحلات إلى كل من الجند ولحج وعدن وزبيد، ومكة، وكان له في كل واحدة من هذه البلاد رواة وأصحاب[١].

وكان موسى بن عمران بن محمد المعافري يختلف إلى الجند ومخلاف جعفر فأخذ عنه جماعة في تلك الأماكن[٢].

وكان أبو الحسين أحمد بن موسى الطبري يدور في البلاد متنقلاً يقيم الحلقات والمجالس.

فكان من ضمن حلقاته التي أقامها حينما دخل (عدن) في مسجد على الساحل للمناظرة بينه وبين أحد أتباع مذهب الإمامية[٣].

٢ - نظام المجالس:

النظام الآخر من نظامي التعليم في المراحل العليا هو نظام (المجالس)، وهي غالباً ما تعقد في منازل العلماء أو في دور الوجهاء والأمراء خاصة أن بعض محتويات تلك المجالس كالمناظرة والأدب... الخ، كان بعض العلماء لا يحبذها في المساجد[٤]، ولا يمنع أن تكون قد دارت مجالس المناظرات الكلامية والفقهية في المساجد مثل مناظرة الهادي للقاضي أبي سلمة يحيى بن عبد الله بن كليب (ت٣٤١هـ) وسبعين فقيهاً معه[٥]، ومناظرة مَطرّف بن شهاب في مسجد (ذَمَار)[٦]، ومناظرته أيضاً لسليمان بن محمد النقوي[٧].

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٩ - الجندي. السلوك ص ٣٦-٣٧- بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص٢٥٩- ابن حجر التهذيب ج١٠ ص٣٤٩.

(٢) الجندي. السلوك ص٦٨- ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٧٣، ٨٠.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٥٠.

(٤) ابن عبد البر. جامع بيان العلم ج١ ص ١٣٩.

(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٤١.

(٦) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١١).

(٧) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨٥.

وقد فصلنا في الفصل الأول كثيراً من تلك المجالس؛ ولا يمنع أن نعيد الإشارة إليها في هذا الفصل.

فهناك مجالس للفقهاء كانت في صنعاء تعقد غالباً بعد صلاة العشاء[١].

ومجالس للحديث وأكبر مثل على هذا ما كان يحدث في بيت الإمام عبد الرزاق الصنعاني[٢]، وفي قرية (مَدَر) كان مشايخ الزيدية يجتمعون كل ليلة لمدارسة الحديث[٣].

ومجالس للمناظرات الكلامية في كل من (ذمار)[٤]، وصنعاء، وعدن[٥] ويمكن أن نلحق بهذا تلك المجالس التي كانت تعقد للحوار العلمي بين الإمام الهادي إلى الحق وبعض العلماء الوافدين عليه[٦].

ومثل هذا تلك المناظرات التي تمت بين قادة (الإباضية) في حضرموت وبين المهاجر أحمد بن عيسى العلوي[٧].

ومثل المناظرة التي احتدمت بين القاضي سليمان النقوي قاضي صنعاء في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة، وبين مطرف بن شهاب وعلى أثرها تراجع (النقوي) عن مذهب الشافعية وحكم بمذهب الهادي بصنعاء[٨].

ويمكننا أن ندرج ضمن المجالس العلمية مجالس الدعوة والوعظ التي كان يعقدها الإمام الهادي إلى الحق وأبنائه وتلامذته من بعده، فقد كانت مجالس علم نقل

---

(١) ابن رسته. الأعلاق النفيسة ص١١٣.
(٢) ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢٣، ٢٣٠(حاشية).
(٣) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٢٩).
(٤) المصدر نفسه (ق ٣٢، ٣٤).
(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٤١، ٤٩.
(٦) المحلي. الحدائق الوردية ج١ ص١٥، ١٩ - ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٤٥- والعلوي. السيرة ص١٢١.
(٧) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي ج١ ص١٤٥.
(٨) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨٥.

تلاميذ الهادي عنه ورؤيته الاجتهادية في الفقه، وعلم الكلام من خلال تلك المجالس[١].

وكذلك كان الناصر بن الهادي الذي سار على نهج والده فقد أقام مثل تلك المجالس وتأثر به الكثير[٢].

نضيف إلى تلك المجالس مجالس الفتوى والقضاء ومجالس الحكم. فقد كانت فرصة سانحة لكل من يريد أن يتعلم حيث كان القضاة في مرتبة علمية عالية، ومنهم المحدثون الذين روي عنهم أئمة أهل الحديث مثل القاضي أحمد بن يوسف الحذاقي، والقاضي عبد الأعلى بن محمد بن الحسن الأنباوي[٣]، والقاضي سليمان النقوي الذي كان أكثرهم حفظاً ويحفظ ثلاثين ديواناً من دواوين الحديث[٤].

وكان للإمام الهادي إلى الحق مجالس للحكم وفيه تظهر اجتهاداته وكوامن علمه[٥].

ولا ننسى تلك المجالس الخاصة التي كانت تعقد في المنازل عادة للمساجلات الشعرية، ومدارسه الشعر كمثل الذي أقيم في صعدة في منزل أحد أشراف صعدة[٦]، وكانت تقام مثل تلك المجالس في مقر حكم الأمراء كما كان يحصل مثلاً في مجلس الوالي العباسي الملقب بـ(جفتم) حيث كان مهتماً بالعلوم والآداب[٧]، وكما حصل في قصر (كحلان) من إنشاد الشعر من قبل أبي بكر محمد بن الحسن الكلاعي[٨].

---

(١) العلوي. السيرة ص٤١، ١١٣، ١٢١، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠.

(٢) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٤ ص١٣٢، ١٦٧، ١٦٨.

(٣) العلوي. السيرة ص٣٩٦.

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨٥.

(٥) العلوي. السيرة ص٨٢.

(٦) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٤ ص١٨٠ - وإسماعيل بن محمد بن الحسن. سمط اللآل في شعر الآل (ق٣٨/أ) مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (رقم ١٠١ أدب).

(٧) مجهول. تاريخ اليمن (ق١٢٥/ب، ١٧٠/أ).

(٨) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٥٦.

وكانت المنازل أيضاً مكاناً لتلقي علوم متخصصة مثل: الأنساب، والخط المسند، والطب، والكيمياء، ولا شك أن الهمداني كان من أنجب من تلقى تلك العلوم حيث أشار إلى كثير من شيوخه الذين أخذ عنهم الأنساب والشعر[١]، أو أخذ عنهم (الخط المسند الحميري)[٢] حتى أصبح متفرداً في إدراك ومعرفة رموز الخط المسند. وكل من جاء بعده عالة عليه[٣].

طرق ووسائل التدريس:

المعنى الحديث لهذا العنوان في كتب التربية الحديثة تشمل طرقاً عدة يطلقون عليها عدة أسماء، وتعددت أيضاً بتعدد العلوم بحيث أصبح لكل علم أكثر من طريقة.

كما أن الوسائل تعني وسائل الإيضاح اللفظية والحسية من صور وآلات ومجسمات وعدد وأوزان وخرائط ورسوم... الخ[٤].

والحقيقة أن هذا المعنى بهذا الشمول ليس هو المقصود على عمومه في موضوعنا، ولكن المقصود هو تلك الطرق التي أخذ بها طلاب العلم علومهم ومعارفهم من أساتذتهم ومشايخهم في ذلك الزمان.

ومن المتفق عليه أن هذه الطرق لا تنشأ من فراغ، بل تنشأ من أساس الواقع (المعاش) الممارس، فكان واقع المسلمين حينئذ قد درج على طرق أو مسالك لتلقي العلوم، وكانت ميزاتها في كيفية القرآن والسنة، ثم انتقلت إلى بقية العلوم الأخرى بصفة عامة.

---

(١) كان من أبرز شيوخه في الأدب والأنساب أبو نصر الحنبصي ومحمد بن أحمد الأوساني (ت٣٦٠هـ) (انظر: الإكليل ج١ ص٩، ٨٥، ج٢ ص١٩٠، ٣٧٠، ٣٧١، وج٨ ص٢٣، ٥١، ٥٢، و ج١٠ ص٨٨).

(٢) الهمداني. الإكليل ج١٠ ص١٥، ١٦، ١٩، ٢٠.

(٣) عفيفي. نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ص٧٤، ٧٥.

(٤) الناصف. محمد. في التربية والتعليم ص٥٣-٦٨، ط٢، ١٩٨١ الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

ويمكننا إجمال تلك الطرق في أربع طرائق، وهي: السَّماع، والقراءة، والإجازة، والوَجادة.

أولاً: السماع:

هو سماع «لفظ الشيخ سواء كان إملاءً أم تحدُّثاً، وسواء كان من حفظه أم من كتابه، وهذا أرفع الطرق عند الجماهير»(١)، وكان الإمام عبد الرازق إذا روي عمن سمع يقول: (أخبرنا) ولكن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه طلبا منه حينما رحلا إليه أن يقول: (حَدَّثَنا) حتى لا يلتبس بغيره من درجات التحديث(٢).

وإذا كانت هذه الطريقة متبعة في الحديث فهي طريقة أيضاً لسماع أي علم سواء كان من علوم القرآن أم علوم الحديث أم غيرهما(٣)، وسواء كان في اليمن أم غيرها وما دامت اليمن هي محور بحثنا فإن هذه الطريقة كانت تمارس بشتى نواحيها.

ففي (صنعاء وزبيد) كان العلماء يتجمعون حول أبي مسلم الكشّي أو الكجي حيث يسمع عليه كثير من الشيوخ(٤).

وسمع أبو محمد عبد الله بن علي الزرقاني في (ذمار) صحيح البخاري من أبي زيد المروزي(٥).

---

(١) الطيبي. الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ). الخلاصة في أصول الحديث ص١٠٠. تحقيق/ صبحي السامرائي- نشر رئاسة ديوان الأوقاف - مطبعة الإرشاد. بغداد ١٣٩١هـ-١٩٧١م- وابن الصلاح. تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ) مقدمة ابن الصلاح ص٢٤٥- تحقيق الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) - الهيئة المصرية العامة الكتاب ١٩٧٤م - والسيوطي. تدريب الراوي ج٢ ص٨- والسمعاني. أدب الإملاء والاستملاء ص٨.

(٢) ابن الصلاح. مقدمة ص٢٤٥، ٢٤٦- والطيبي. الخلاصة ص١٠١- والسيوطي. تدريب الراوي ص٨ وما بعدها: رتب العلماء درجات كيفية رواية السماع على النحو التالي: سمعت ثم حدثنا ثم أخبرنا ثم أنبأنا ونبأنا.

(٣) السيوطي. المزهر في علوم اللغة ج١ ص١٤٤-١٧٠. تحقيق/ محمد أحمد جاد المولى وآخران ط٣ - دار التراث - القاهرة.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٤.

(٥) الجندي. السلوك ص ٦٩، ٧٠ - وابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨١.

وروي أن مطرف بن شهاب الذي نسبت إليه فرقة (المطرفية) - إحدى فرق الزيدية - كان سند اعتقاده إلى الهادي إلى الحق، وقد أخذه عن طريقين توصلان إلى الهادي[١].

كذلك تلقى الهمداني ما عرفه من الحديث (سماعاً)[٢].

وكان أبو الحسن أحمد بن محمد بن يزيد يعقد في مسجد (بقدوم) بصنعاء يفقه فيه ويسمع فيه الحديث[٣].

وتفقه القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي على يد أبي بكر بن المضرّب في زبيد وأخذ عنه مختصر المزني (ت٢٦٢هـ) في الفقه الشافعي (سماعاً)[٤].

وأخذ مختصر (المزني) - أيضاً - عن الحسين بن جعفر المراغي بروايته عن البرذعي (ت٣١٧هـ) (سماعاً)[٥].

وكان أيوب بن محمد بن كديس يعقد في قرية (ظُبَا) فيأتيه المتعلمون ليسمعوا منه[٦]، وممن أخذ سماعاً (ابن الناقد) الذي كان يشبه برباح بن زيد (ت ١٨٢هـ) فقد عاصر عبيد بن محمد الكِشْوَري وهو ممن نقل عنه الفقه والحديث - قبل ظهور مذهب الشافعي - وروي عنه[٧].

ووجد في مكتبة محمد بن سليمان الهَرْثَمي كتباً تدل على أنه أصاب شيئاً أدركه (سماعاً) عن المرتضى لدين الله محمد بن يحيى الهادي وأبيه وأخيه[٨].

وقد حصل (الترخص) في مسألة (السماع) لكثير من العلوم نتيجة انتشار الكتب

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨٢-٨٥.

(٢) الهمداني. الإكليل ج١ ص١٢٣.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق١٠٨/أ).

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٨٨، والمزني: هو إسماعيل صاحب الشافعي.

(٥) المصدر نفسه ص٨٩، البرذعي: هو أبو سعيد أحمد بن الحسين.

(٦) الجندي. السلوك ص ٧٨.

(٧) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء ص١٩٣- وابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٤.

(٨) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٢٩٣) - ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص١٠٨.

حتى (الحديث). وكان ذلك في القرن الرابع الهجري على وجه الخصوص بحيث صار يجوز للإنسان رواية الحديث من غير لقاء رجاله ومن غير (إجازة) مكتوبة تخوله حق الرواية فحلت دراسة الكتب محل الأسفار ولقاء الرجال[١] وهذا ما سيعرف فيما بعد بطريقة (الوَجَادَة).

وإذا كان قد حصل ذلك الترخص في (سماع) العلوم إلاّ أنه لم يحصل في علم أحكام تجويد القرآن وعلم القراءات، فقد كان لا بد من سماعه مباشرة من الشيوخ[٢]، وسيأتي في الفصل الخامس تفصيل هذا إن شاء الله تعالى.

و(الإملاء) وهو أحد أنواع (السماع) بل هو أرفع أنواعه وذلك إذا «أملى عليك المحدث وكتبتَ أَنْتَ من لفظه فلا يتطرق إليه نوع من الفساد؛ لأنه يعرف ما يملي وأنت تسمع وتفهم ما تكتب»[٣]، وقد سار على هذه الطريقة كثير من علماء الحديث لأنه يعد لديهم أعلى مراتب التعليم، إلاّ أنَّ هذا النوع لم يكن مخصوصاً بأهل الحديث بل مارسه المتكلمون واللغويون في القرن الثالث. ولكن في القرن الرابع ترك اللغويون (الإملاء) واقتصروا على تدريس كتاب يقرأ منه أحد الطلبة والمدرس يشرح، أما الإملاء فقد بقي لدى علماء الحديث بصفة خاصة[٤].

وكان الإمام عبد الرزاق الصنعاني أحد أولئك العلماء الذين استخدموا تلك الطريقة، وكان يملي بنفسه، وأيضاً يستملي بعض تلامذته النجباء، ولا أدل على ذلك من أن يتخذ بكر بن عبد الله بن الشرود البليغ المفوه مستملياً نيابة عنه[٥]،

---

(١) آدم متز. الحضارة الإسلامية ج١ ص٣٠٣، ٣٥٤.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٦٩- والرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٣٠٥-٣٠٩ والجندي. السلوك ص٣٤- ومجهول. تاريخ اليمن (ق٣٣/أ) - وابن عبد البر- جامع بيان العلم ج١ ص٩٦.

(٣) السمعاني.. أدب الإملاء والاستملاء ص١٠.

(٤) آدم. متز. الحضارة الإسلامية ج١ ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٧٣- الإكليل ج١ص٥٣٢- الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص٣٠٧.

(والمستملي) هذا كان بمثابة (المعيد) أو (المدرس) في النظام التعليمي الجامعي الحديث[(١)].

ويبدو أن (الإملاء) لم يكن يمارس طوال أيام الأسبوع بل كان يحدد يوم للإملاء خاصة، وبقية الأيام للقراءة[(٢)]، إلاّ أن الإمام الهادي كان يملي كتابه (الأحكام) على تلامذته في أوقات راحته من المعارك التي كان يقودها بنفسه[(٣)].

ويمكن أن نضيف إلى هذه الطريقة أسلوب (السؤال والجواب) في المجلس فهو نوع من أنواع (السماع) حتى إنَّ الإمام الهادي صار له كتاباً سمي بالمنتخب جمعه أحد معاصريه وهو محمد بن سليمان الكوفي بطريق السؤال والجواب[(٤)]، وقد اتخذ الأمر ذاته أبو الحسين الطبري في سؤال الإمام الهادي وجمع كتاباً أطلق عليه مسائل الطبري وهي عن الهادي[(٥)]، ومثل ذلك ما روي عن المرتضى بن الهادي الذي روي عنه موسى بن هارون العوفي في مسائل عرفت بمسائل العوفي[(٦)].

وروي الهمداني أخبار (النِّضَال) في كتابه المسمى (باليَعْسُوب) عن شريف عالم من علماء همدان وهو معمّر بن أبي معمّر[(٧)]، وحينما ذهب إلى مكة أخذ في سنة ٣٠٧هـ سيرة رسول الله ﷺ لابن إسحاق (ت ١٥١هـ) عن الخضر بن داود أحد رواة السيرة[(٨)]، وكل هذا عن طريق (السَّماع).

---

(١) زيعوْر. علي (الدكتور). الدراسة بالعينة للتربويات. الإدارية والتعليم عند السمعاني ص٤٨، ٥٦ (مجلة الباحث. السنة الثانية. العدد السادس (١٢) ١٩٨٠م) - زيعور. شفيق محمد. المذهب التربوي عند السمعاني. عبد الكريم محمد السمعاني في كتابه أدب الإملاء الاستملاء ص٢٢، وما بعدها - ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. دار اقرأ. بيروت.

(٢) السمعاني. أدب الإملاء والاستملاء ص٢٣.

(٣) زبارة. أئمة اليمن ج١ ص٨- الهادي. يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ) الأحكام في الحلال والحرام (ق ٢/أ) - مخطوط بدار الكتب المصرية (رقم ب ٣٥٥٠٧).

(٤) العلوي. السيرة ص١٥ - ومثله فعل ابنه الناصر (انظر: مسلّم اللحجي. من أخبار الزيدية (ق٣٩/ب). والسيوطي. المزهر ج١ ص١٤٨)

(٥) الهادي. المجموعة الفاخرة ص٤٣٦- ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٤ ص٢١٦.

(٦) مسلّم اللحجي. من أخبار الزيدية (ق ٤٠/ب)

(٧) الهمداني. الإكليل ج١ ص٨٨.

(٨) الهمداني. الدامغة ص ٢٩٥، ٣١٦، ٤٤٣، ٤٦٥.

ثانياً: القراءة (العرض):

وهي أن يقرأ الطالب أو يسمع من غيره وهو يقرأ على شيخه كتابه أو مروياته أو ما يعرفه من مذهبه أو علومه وهو يسمع ثم يقرأه عليه[(١)].

وهي طريقة مُتَّبعة في أوساط المعلمين والمتعلمين؛ وإن لم تكن قد أمدتنا المصادر بمعلومات كاملة عن هذه الطريقة في اليمن إلاّ أن شمولية وعمومية المناهج المُتَّبعة في دار الإسلام في ذلك الوقت تقتضي ممارسة علماء اليمن لذلك النوع من طرق التعليم.

والذي يؤكد هذا ما ورد عن الإمام المرتضى محمد بن يحيى الهادي فقد قال الحسن بن أحمد بن محمد المعروف بالظهري قال «حدثنا محمد بن الفتح بن يوسف قال قرأت هذا الكتاب - يعني كتاب المسترشد للإمام الهادي - على الإمام محمد بن يحيى وقلت: أروي عنك ما قرأت عليك. قال: نعم»[(٢)].

وجاء في ترجمة أبي القاسم سليمان بن محمد النقوي أن الرازي - صاحب كتاب تاريخ مدينة صنعاء- كان يقرأ عليه مروياته[(٣)].

وعلى غرار ما احتج به الإمام مالك على جواز (العرض) بالصك يقرأ على القوم[(٤)] يمكن أن تدخل في (العرض أو القراءة) تلك البلاغات العامة التي كان الإمام الهادي يأمر بنشرها في المجامع العامة من أسواق ومساجد ومجالس وغيرها حيث كان يوضح فيها أهدافه وبرامجه مدعماً بالأدلة والبراهين، وكذلك يبين فيها ما يحل للناس وما يحرم عليهم[(٥)].

---

(١) الحاكم النيسابوري. أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ) معرفة علوم الحديث ص٢٥٩، ٢٦٠ - تصحيح وتحقيق/ السيد معظم حسين - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطيبي. الخلاصة ص١٠٢- وابن الصلاح. مقدمة ص ٢٤٨- والسيوطي. تدريب الراوي ج٢ ص١٢- وربيرا. التربية الإسلامية في الأندلس ص٥٣.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٦٣.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٧٨/ ب).

(٤) ابن خير. محمد بن خير (ت ٥٧٥هـ) ما رواه عن شيوخه ص ١٣ مطبعة قومش - - سبانيا ١٨٩٣م - والصك: الكتاب فارسي مُعَرَّب، والصك الذي يكتب للعهدة (لسان العرب ج٢ ص٢٤٧٥).

(٥) العلوي. السيرة ص٦٩.

ثالثاً: الإجـازة

وهي في اللغة مأخوذة من جواز الماء تقول: استجزته فأجاز لي إذا سقاك ماء وحقيقتها عند المحدثين هي الإذن في الرواية لفظاً وكتابة[١]، وهي ليست خاصة بالمحدثين بل كل طالب علم له أن يستجيز العالم علمه فيجيزه له.. ولذا تستحسن الإجازة إذا كان المجيز عالماً بما يجيزه والمجاز له من أهل العلم[٢].

وينطبق هذا على ما أجاز به الإمام المرتضى محمد بن يحيى الهادي لمحمد بن الفتح في رواية كتاب المسترشد للإمام الهادي[٣]، وقد حدث العباس بن محمد بن إسحاق بن يوسف الحذاقي عن أبيه (إجازة) في شوال سنة ٣٤٦هـ[٤]، وحدث القاضي حسين بن محمد البوسي (إجازة) عن محمد بن أحمد الصنعاني[٥].

وينطبق أيضاً على علماء آخرين حدثوا بطريق الإجازة[٦].

ويبدو أن الإجازة كانت مثل الشهادة المعتمدة - مع الفارق البعيد- في الوقت الحاضر من المدارس والجامعات بحيث لا يقبل قول قائل بشيء إلا إذا ذكر شيخه الذي أخذ عنه وبين طريقة إجازته له بالرواية عنه. فهي إجازة صادرة من الأستاذ لصالح تلميذه[٧].

فكان الفقيه من أهل اليمن لا يأذن لطالب العلم بمرتبة الفتوى إلاّ حينما يثق

---

(١) التهانوي. محمد علي الفاروقي (توفي بعد ١١٥٨هـ). كشاف اصطلاحات الفنون ج١ ص٩٥ تحقيق الدكتور/ لطفي عبد البديع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣.

(٢) الطيبي. الخلاصة ص١٠٦، ١٠٩ - السيوطي. تدريب الراوي ص٢٩- والخطيب البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي ثابت (٤٦٣هـ). الكفاية في علم الرواية ص٣٢٥- المكتبة العلمية- المدينة المنورة.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٦٣.

(٤) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٤١/أ).

(٥) المصدر نفسه (ق ٧٩/أ).

(٦) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٨٩/أ).

(٧) ربيرا. التربية الإسلامية في الأندلس ص ١٤٧.

بعلمه، وجودة حفظه، وحينئذ يسمح له بإطلاق الفتوى في حياته[١].

وتضم الإجازة عدة أشكال من طرق التعليم تصل إلى تسعة أنواع وليس هذا هو مجال تضم تفصيلها[٢]، ولكنني أذكر بعضاً منها:

المكاتبة: بأن يكتب مسموعاته لغائب أو حاضر بخطة أو بإذن يكتبه له[٣].

ولا يشترط أن يصرح بلفظ الإجازة مع العلم أن المكاتبة تكون في أي علم من العلوم[٤]، ومن أمثلة ذلك تلك الرسائل التي كان يرسلها الإمام الهادي إلى علماء أو وجهاء يبين لهم موقفه من قضايا كثيرة في العقيدة أو الفقه والسلوك. . . الخ[٥].

ومثل هذا: المكاتبات التي كانت تتم بين الهمداني وبعض أدباء العراق[٦].

ومنها (المناولة) التي يقول عنها بعض العلماء: المناولة والإجازة عندي كالسماع الصحيح، واستدل عليها بأن رسول الله ﷺ كتب كتاباً إلى كسرى وكتب لأمير السرية كتاباً وقال لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا[٧].

وإذا كان الأمر كذلك فإننا ندخل في هذا بعض (العهود) التي كان يبعثها الهادي لولاته وفيها الكثير من الأحكام وتبين ما يطلب منهم ومن هذا عهده الذي عمله لأهل الكتاب وبين فيه اجتهاداته في أحكام التعامل مع أهل الذمة[٨].

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص١٥٤.

(٢) الأهدل. عبد الرحمن بن سليمان (ت١٢٥٠هـ). النفس اليماني ص٢٥٤- تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء ٩٧٩هـ- وابن الصلاح. مقدمة ص٢٦٢ وما بعدها.

(٣) الطيبي. الخلاصة ص١١٠، ١١٢- ابن الصلاح. مقدمة ص٢٨٧ - السيوطي. تدريب الراوي ج٢ ص٥٥- الأهدل. النفس اليماني ص ٢٥٤.

(٤) الخطيب البغدادي. الكفاية ص٣٣٦- وما بعدها - السيوطي. المزهر ج١ ص١٦٣.

(٥) الهادي. المجموعة الفاخرة ص ٧١، ٤٠١ - العلوي. السيرة ص٣٥، ٤٨.

(٦) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٦٠.

(٧) ابن الصلاح. مقدمة ص٢٧٨- السيوطي. تدريب الراوي ج٢، ص٤٤، ٤٥، الخطيب البغدادي. الكفاية ص٣٢٦.

(٨) العلوي. السيرة ص ٤٤، ٧٢.

ويجب أن ننبه أخيراً إلى أن (الإجازة) من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للقراءة والإفادة فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد، وعلى ذلك السلف الصالح وهو في كل علم وفي الإقراء والإفتاء وخلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً[١].

رابعاً: الوَجَادَة:

وهي مصدر وَجَد يجد، مولّد غير مسموع عن العرب[٢]، ويقصد بها: أن يتبنى الإنسان شيئاً قرأه في كتاب أو تعليق ولم يطلب الإجازة من كاتبه ولم يسمعه منه[٣]. فكل علم لا يتلقى عن شيخ وأخذ من الكتب بدون سماع من صاحبه أو ممن رواه عن صاحبه فهو ما يطلق عليه (الوجادة) أو بعبارة أوضح هي: التحصيل الذاتي عن طريق الكتب[٤].

وهذه الصورة من صور التحصيل العلمي هي أعم وأشمل الطرق؛ لأن كثيراً من الناس لا يستطيع الحصول على الشيوخ ذوي المسلسلات، وإذا وجدوا احتاجوا إلى الرحلة، وما كل متعلم قادر على تكاليف الرحلة.

وقد بلغ الاهتمام بالكتب ذروته في كل من القرنين الثالث والرابع الهجريين، حتى تلك المترجمة عن الفارسية واليونانية، وقد وصل ذلك الاهتمام إلى اليمن أيضاً[٥]، ومع هذا فقد اعتبرت هذه الطريقة أسهل طرق الانتفاع وكان المتحري من العلماء ينسب ما تلقاه وعرفه إلى الكتاب الذي استقى منه[٦].

---

(١) الأهدل. النفس اليماني ص٢٥٥.

(٢) الطيبي. الخلاصة ص١١٣- ابن الصلاح. مقدمة ص٢٩٢، ٢٩٣ - السيوطي. تدريب الراوي ص٦٠، ٦١.

(٣) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص٦٥.

(٤) الشوكاني. محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ). أدب الطلب ص١٠٧ تحقيق/ عبد الله محمد الحبشي. نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. صنعاء ١٩٧٩م.

(٥) حمد الجاسر. مقدمة صفة جزيرة العرب ص١١.

(٦) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٣٠/أ).

ولعلَّ الهمداني يمثل قمة من أخذ بهذه الطريقة حتى أصبح عالماً. يشار إليه بالبنان في مجالات شتى، إلاّ أننا لا نغفل معرفته الجيدة بالرواية في الحديث والأدب. ويلحظ القارئ المتفحص كتبه أنه ينهل من عدة منابع. بارع في كل علم يلج إليه. عالم متعدد النواحي[١]، وسنلحظ هذا في الفصول الأخيرة من خلال جهوده وإسهامه في العلوم المتعددة، إن شاء الله. وقد وجدنا منها لفتات في الصفحات السابقة.

فكل العلوم التي تحلّى بها الهمداني أخذها من عدة طرق أحدها وأعظمها طريقة (الوَجَادَة) أو التحصيل العلمي الذاتي. بالإضافة إلى رحلاته إلى (مكة) وكتاباته لأدباء. وعلماء في العراق[٢].

وقد وصف الشوكاني أهل الديار اليمنية بأن أكثر علومهم تؤخذ عن طريق (الوَجَادَة) لعدم توافر شيوخ الكتب الوافدة على اليمن[٣].

التعليم الإلزامي محو الأمية:

مما سبق أن بسطناه ومما سيأتي بسطه إن شاء الله، يتبين لنا بوضوح أن التعليم لم يكن ينبع من (نظام) أقامته (الحكومات) وتعمل على تطبيقه بل هو (نظام) تعارف عليه العلماء ونفذوه في حياتهم واقتدى بهم من اقتدى، وكانت الأحداث والظروف تدعوهم إلى التجديد، والتغيير في ذلك النظام كلما عنت لهم وجهات نظر أخرى، وفق الملابسات والمتغيرات.

ومن هنا فلم يكن هناك ما يسمى (بالتعليم الإلزامي) لأنه نظام يفرضه نظام الحكم القائم ومثله نظام (محو الأمية).

وعلى الرغم من أن الدعوة الإسلامية متلازمة مع التعليم؛ لأنه «ما لا يتم

---

(١) كراتشكوفسكي. اغناطيوس يوليو انوفتش. تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج١ ص١٧٠، ١٧١- ترجمة/ صلاح الدين عثمان هاشم. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٥٦، ٣٦٠.

(٣) الشوكاني. أدب الطلب ص١٠٧.

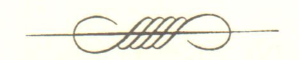
الواجب إلاّ به فهو واجب» وأنه السبيل إلى إدراك ما يدعى إليه[١]. بحيث يكون التعليم إلزامياً شرعاً إلا أنه لم يَبْقَ كما كان عليه في بداية الإسلام.

ومنذ دخول المذهب الزيدي إلى اليمن وقيام دولة لها أسسها عالم من علمائها الأفاضل الحريص على العلم والتعليم فإنه كان له فضل إبراز هذا الجانب من خلال اجتهاداته واختياراته الجديرة بالاحترام والتقدير.

ومن تلك الاجتهادات ما يمكن أن نُسَمِّيه (تعليماً إلزامياً) ولكنه بصورة عكسية. فليس (الطالب) هو المُلْزَم بالتعليم بل (الولاة والعمال) فقد كان إلزامهم بتعليم من لا يعلم على الأقل الحد الأدنى من العلم[٢]، وهذا يشمل الصغير والكبير على حد سواء.

كذلك إلزام من في (السجون) أن يعلِّم المتعلم الجاهل حتى أصبحت سجونه مدارس لمحو الأمية[٣].

وقد استمرت هذه الظاهرة في أوساط المراكز العلمية الزيدية بصفة خاصة وهي ما يطلق عيه (الهِجَر الزيدية) أي القرى أو الأماكن التي يُهَاجر إليها للعلم الذي فيها كما سبق أن أشرنا إليه.



(١) مجاهد توفيق الجندي. (الدكتور). دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية ص٥٨. ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. دار الوفاء للطباعة. القاهرة.

(٢) العلوي. السيرة ص٤٤، ٤٥.

(٣) المصدر نفسه ص٣٨٦، ٣٨٧.

الفصل الثالث

حملة العلم

الطلاب:

- الاختيار والرحلات
- علاقاتهم
- أحوالهم المالية

الأساتذة:

- أنواعهم
- أوضاعهم المالية
- علاقاتهم
- دورهم في قضايا المجتمع
- التأثير المتبادل



تمهيد:

لعلَّ قائلاً يقول: لماذا قدَّم - في بحثه هذا - الحديث عن الطلاب قبل المدرسين أو المتعلمين قبل المعلمين؟

وعلى الرغم من أن هذا التقديم والتأخير ليس من الضروري أن يكون من ورائه قصد أو هدف إلاّ أنه يحضرني في هذا الشأن تعليل قد أقبله لنفسي ولا يسيغه غيري.

وهو أن بني آدم خلقوا لا يعلمون شيئاً؛ فالأصل فيهم الجهل، أو عدم التعلم، ثم قعدوا للتعلم وتعلموا.. فمنذ البداية كانوا طلاباً أو متعلمين ثم تعلموا لذا فلا غضاضة أن قدموا في هذا التقسيم، لأن المعلمين من بني البشر لم يأتوا إلا بعد أن تعلموا.

بالإضافة إلى هذا التفسير فإن الإسلام جعل طلب العلم فريضة؛ فالله سبحانه يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١].

فالعلم يطلب من المهد إلى اللحد، والأصل في الإنسان أن يكون طالب علم طوال حياته؛ فالطالب إذاً هو: كل شخص له رغبة في التعلم بصرف النظر عن سنه والمدة التي يقضيها في الطلب[٢]، ولولا ضرورة التقسيم الفني للتوضيح لكان الجميع (العالم والمتعلم) طلاب علم ولجعلا معاً تحت عنوان واحد هو طلبة العلم.

ومن هنا فإن هذا الفصل سنقصره للحديث عن المتعلم أو الطالب، والمدرس أو الأستاذ، وسينال كل واحد منهما تفصيلاً عن أنواعه ورحلاته، وأحواله المالية، وعلاقاته بمن حوله سواء علاقة الطالب بالأستاذ أم علاقة الأستاذ بالطالب.. أم ببعضهم بعضاً، أم علاقة العلماء بالحكام أم العكس، ودور العلماء أم المدرسين في قضايا المجتمع الإسلامي المعاصرة لهم إلى غير ذلك من جزئيات هذا الفصل.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٧٣.

أولاً: الطــلاب

أنواعهـم:

لا بد من التفريق بين نوعين من الطلاب:

النوع الأول: طلاب (أو صبيان) المرحلة الأولى.

النوع الثاني: طلاب المراحل العليا.

أما النوع الأول: الصبيان: فهؤلاء - كما أشرت في (الفصل الثاني) - كثيراً ما تقوم تربيتهم على يد الأبوين والمعلم في (الكتّاب)، فقد كان هذا التعليم ضرورياً لمعرفة المبادئ الأساسية من: تربية إسلامية وقراءة وكتابة ومبادئ الحساب وحفظ ما يمكن حفظه من القرآن وبعض الآداب والأخلاق الإسلامية وبعض الواجبات التي له أو عليه.

ولم يكن من الحتم واللازم أن يواصل كل طلاب المرحلة الأولى التعليم في المراحل العليا، بل على العكس من ذلك فقد كان أولياء الأمور حريصين على تعليم أولادهم في (مرحلة الصِّبا)(١)، أما فيما بعد ذلك فلم يواصل إلاّ (نخبة) منهم كان استمرارهم يرجع إما لنبوغ ذاتي لدى الصبي ومثابرة دفع ذويه إلى أن يواصلوا تعهده للتعليم، وإما أن ذويه أهل علم يحبون لأولادهم أن يواصلوا ما هم عليه من حمل مسيرة العلم. ولهذا كثيراً ما نجد في المصادر ما يشير إلى بيوت خاصة اشتهرت بالعلم مثل (آل أبي طلق) في (المعقر)(٢)، وآل زرقان في (الصرّدف)(٣)، واليحيويون في (التـعـكـر)(٤)، ....

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١١٣/أ) كان في (كتّاب) واحد وستون صبياً، وكان أهلهم حريصين على مواصلة تعليمهم عند المعلم. ومما لا شك فيه أن هناك أماكن أخرى لتعليم الصبيان في صنعاء، ومن البعيد أن يواصل هؤلاء جميعاً التعليم في المراحل العليا ولو كان الأمر كذلك فإن اليمن سيكون مركزاً علمياً أو هو مدرسة علمية كل رجالاته علماء وهذا ما لم يحدث.

(٢) الجندي. السلوك ص ٧٦.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨١،٨٢.

(٤) الجندي. السلوك ص ٩٩، ١٠٠.

(وآل النقوي بصنعاء)[١].

أشير أخيراً إلى أن هذا النوع من الطلاب محدد بسن مُعَيَّنَة؛ فقد يصل إلى اثنيْ عشر عاماً تقريباً[٢]، بحيث تبدأ مرحلة طلاب المراحل العليا من هذه السن حتى الموت. كما سيأتي.

النوع الثاني: طلاب المراحل العليا: وهم الطلاب الذين يتلقون علوماً في غير (الكتاتيب) ولا يرتبط بسن مُعَيَّنَةٍ ولا بزمن محدد[٣]، لذا يدخل فيهم (الراشدون) من (الصبيان)، (والشباب)، (والشيوخ).

وهذا النوع سيتفرع إلى فرعين:

الفرع الأول: طلبة عارضون.

والثاني: طلبة منتظمون أو دائمون[٤].

أما الفرع الأول: فهو ناشئ من شيوع العلم لجميع طوائف الناس، فلم تكن هناك مدارس خاصة أو مبانٍ مقصورة على التدريس لا يحق لغير المسجلين في تلك المدارس أن يشاركوا فيها، بل كانت الحلقات، والمجالس والمنتديات العلمية تقام في المساجد أو في منازل العلماء المشهورين على مستوى المدينة أو على مستوى الحي، ويحضر تلك المجالس من يشاء من الناس فيتعلم منهم من يتعلم، ومنهم الكثير ممن جاء ليعرف شيئاً يتفقه في دينه من هذا العالم أو ذاك، ومنهم من يأخذ ذلك للغرض نفسه ثم ليكون هو عالماً بدوره فيؤهل نفسه لهذا المنصب.

---

(١) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٨٦، ٢١٧ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ٢٩/ ب، ٣٨/أ، ٧٨/ ب، ٧٩/أ، ٩٩/أ) - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٣ - الجندي. السلوك ص ٣٨ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٥.

(٢) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٧٤ - الزرنوجي. تعليم المتعلم ص ٤٧ وهو لا يحدد وقتاً لبداية أو نهاية التعلم ويكرر قوله وقت التعلم من المهد إلى اللحد.

(٣) والطالب هنا - كما ذكرناه في الفصل الثاني - هو الذي يتجاوز مرحلة الطفولة في (الكتاب) أو (الكتاتيب) لما تتطلبه هذه المرحلة من عزم وتصميم وإرادة من التعلم. (انظر: عبد الأمير شمس الدين. المذهب التربوي عند ابن جماعة ص ٢٧).

(٤) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٧٤.

وقد جاءت الروايات بأن أهل صنعاء كانوا يأتون مجالس الفقهاء بعد صلاة العشاء يسمعون منهم حتى إذا ما دقّ (الناقوس) مؤذناً (حظر) التجول عادوا إلى منازلهم(١).

وكان الإمام الهادي يعقد جلساته العلمية في المسجد فيتعلم منه من أراد ذلك وكان يقصد من وراء ذلك التعليم العام للناس جميعاً.

هذا بالإضافة إلى مجالس الفتوى. ومجالس الحكم وما فيها من أحكام، والخطب في المساجد وفي المناسبات العامة والخاصة(٢).

والفرع الثاني: هم الطلاب والتلاميذ الدائمون أو المنتظمون، وهم الذين تلقوا العلم من مشايخهم وأساتذتهم حتى أصبحوا هم الأساتذة يعلمون جيلاً جديداً من التلاميذ.

وقد نشأ في هذا الفرع صنفان من الطلاب:

صنف كان مؤهلاً منذ البداية بالنجابة: وهذا الفرع - كما قلت سابقاً - كان مؤهلاً منذ البداية بالنجابة الذاتية والحرص على مواصلة تحصيل العلم ويتصدر هؤلاء الهمداني(توفي بين عامي ٣٥٠ و٣٦٠هـ) الذي كان أنموذجاً للتلاميذ المجدين؛ فلا يسمع بعلم إلاّ وأخذ بقسط منه حتى أصبح يشار إليه بالبنان(٣).

ومثل إسحاق بن إبراهيم الدبري (ت ٣٨٧هـ)(٤)، وأحمد بن منصور الرّمادي(٥)، وكثير من تلامذة الهادي إلى الحق.

---

(١) وضع على رأس قصر غمدان المطل على مدينة صنعاء (ناقوس) ويسمى (الكُوْس) فيضرب حتى يسمع أهل البلد؛ فمن وجد قبل صوت الناقوس لم يتعرض له، ومن وجد بعد ذلك حبس وعوقب، وكان هذا في أثناء اضطراب الأمور في صنعاء أواخر القرن الثالث الهجري حينما داهمتها القرامطة (ابن رسته. الأعلاق النفيسة ص ١١٣).

(٢) العلوي. سيرة الهادي ص ٨٢، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٣٣٩.

(٣) لن يخلو فصل تقريباً من فصول هذه الرسالة إلا وسيأتي له ذكر.

(٤) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٤٦٨ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤ - الجندي. السلوك ص ٣٨ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٠/ب).

(٥) ياقوت. معجم البلدان جـ٣ ص ٦٦، وردت بعض رواياته في كتاب أخلاق العلماء للآجري (ت٣٦٠هـ) ص ٧٨، ٨٣ ط الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - دار الكتب العلمية - بيروت.

وكان منهم من طلب العلم كبيراً واتجه نحوه، وظل يتنقل بين الشيوخ ليأخذ ما يراه حقاً مثل (مطرف بن شهاب) الذي نسب إليه الفرقة (المطرفية) فيما بعد[١]، وصاحبه (نهد بن الصَّباح)[٢].

وصنف آخر وهو أبناء الأسر العلمية التي دفعت أبناءها لسلوك هذا الطريق إلى جانب ما يتميزون به من نجابة ورغبة في العلم.

وإذا كنا قد فَرَّغنا هذا الفرع إلى صنفين إلاّ أنهما في حقيقة الأمر قطاع واحد من ناحية الوسيلة التي أخذوا بها والهدف الذي بلغوه.

فالإمام عبد الرزاق الصنعاني كان له تلاميذ مقربون إليه أخذوا عنه العلم حتى أصبح العلم يؤخذ عنهم أمثال: زوج أخته محمد بن داود الصنعاني وابنه أحمد[٣]، وإسحاق الدبري[٤]، ويوسف بن إبراهيم العثري[٥]، وأحمد بن منصور الرمادي[٦]، وبكر بن الشرود الذي كان أحد قراء عبد الرزاق والمستملي له[٧]، والحسن بن عبد الأعلى بن إبراهيم البَوْسِي[٨].

وهؤلاء التلاميذ أو الطلاب أصبحوا بعد عبد الرزاق علماء تهوي إليهم أفئدة طلاب العلم ليتلقوا عنهم.

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٢ - ٨٥.
(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٩ - ١٣).
(٣) ابن أبي حاتم. أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي (ت٣٢٧هـ). الجرح والتعديل جـ٢ ص ٨٢، جـ٣ ص ٤٠٦ ط الأولى ١٣٧١هـ - ١٩٥١م - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد - الدكن - الهند. وصور بالأوفست بدار الأمم للطباعة والنشر - بيروت.
(٤) الجندي. السلوك ص ٣٨ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٠/ب) - الرازي. تاريخ صنعاء ص ١٩٠ وستأتي ترجمته في علم الحديث.
(٥) ياقوت. معجم البلدان جـ٤ ص ٨٥.
(٦) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٥٣/أ) - ياقوت. معجم البلدان جـ٣ ص ٦٦.
(٧) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٥٣٢، ٥٣٣ - صفة جزيرة العرب ص ٨٣.
(٨) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤.

وكان أبو محمد القاسم بن محمد الجمحي القرشي (ت ٤٣٧هـ)، تلميذاً في بداية طلبة للعلم لعبد الله بن علي آل زرقان، وعبد العزيز بن يحيى صاحب (حُرَازَة) في (زبيد)(١).

كما أنه تتلمذ على الحسين بن جعفر المراغي الذي ورد إلى اليمن سنة ٣٨٨هـ وكان معه - ممن تتلمذ على يد المراغي - أبو الفتح بن ملامس (توفي بعد عام ٤٢٠هـ)، والهيثم بن محمد الكلاعي (ولد سنة ٣٦٨هـ)، وأحمد الصعبي(٢) (توفي على رأس أربعمائة)، والصعبي هذا كان له ابن تفقه وتعلم على يد أبيه(٣).

وأخذ أبو الفتح بن ملامس عن محمد بن يحيى بن سراقة المعافري (ت٤١٠هـ)(٤).

وكان لموسى بن عمران المعافري - الذي كان له فضل نشر المذهب الشافعي في الجبال المطلة على الجند - تلاميذن أخذوا عنه في المعافر والجند ومنهم عبد العزيز ربحي (أو يحيى)(٥).

ولا نغفل تلامذة الهادي إلى الحق، ومن تتلمذ على أبنائه من بعده مثل محمد ابن الفتح(٦).

ويكفينا هذا القدر من ضرب الأمثلة على هذا النوع من الطلاب الذين أصبحوا علماء يأخذ عنهم طلاب العلم ويجلسون مجالس العلماء.

---

(١) الجندي. السلوك ص ٧٤، ٧٥ (بالرغم من أن وفاته سنة ٤٣٧هـ إلا أنه تلقى تعليمه قبل سنة ٣٨٨هـ وَحُرَازَة: قرية من قرى المَعَافِر (الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٢٠٩) وقال ياقوت في المعجم جـ٢ ص ٢٣٤: قرية من قرى مخلاف حراز وهذا غير صحيح.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٧٥،٨٣ - ٩٣ - الجندي. السلوك ص ٧٥، ٧٦.

(٣) الجندي. السلوك ص ٨٠.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٩١ - الجندي. السلوك ص ٧١، ٧٥ وعلى الرغم من أن وفاة هؤلاء العلماء كانت في بداية القرن الخامس الهجري إلا أن تلقيهم لعلومهم أو معظم عمرهم قضى في القرن الرابع الهجري.

(٥) الجندي. السلوك ص ٦٨، ٧٤.

(٦) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٣، ١٠٨ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٤٠، ٢٥٧ وجـ٢ ص ٢٣، ٣٨، ١١٧.

الاختيار والرحلات:

ولا بد من الإشارة إلى أن المتعلم أو الطالب كان له الحق في اختيار الأستاذ الذي يتلقى عنه[(١)]، ويمكنه أن يأخذ العلم الواحد من أكثر من أستاذ، وهي ولا شك. ميزة إيجابية تستحق منا - في حياتنا المعاصرة - الانتباه والاهتمام.

والرَّحلات التي اشتهر بها طلاب العلم هي أكبر دليل على حرية الاختيار في طلب العلم على يد من يطمئنون إليه.

وكان طلاب العلم يأتون من القرى البعيدة إلى (الجند) فيجلسون في مسجدها الجامع ويأخذون من علمائه[(٢)].

وأبو بكر الحافظ رحل إلى (مكة) و(مصر) و(بغداد)[(٣)]، وابن سراقة المعافري رحل إلى بغداد ومكة[(٤)]، وابن ملامس استقر بمكة أربع سنوات، تَلَقَّى فيها العلم.

وغير هؤلاء كثير وليس من غرضنا الاستقصاء.

ومن هنا فإن (الرحلة) إذاً سواءً كانت إلى المراكز العلمية داخل اليمن أم إلى المراكز العلمية خارج اليمن كمكة، وبغداد، ومصر، حيث إنهَّا كانت من أكبر وأكثر الأدلة على إعطاء الطالب حق اختيار أستاذه.

ومما يزيد هذا الأمر جلاء أنه لا توجد هناك مدة محددة للتحصيل ينتهي عندها الطالب، كما هو الشأن في التعليم الحالي، بل يظل الطالب في حالة تحصيل حتى لو قعد مقعد العلماء، فما يسمع بعالم - يعرف أكثر منه أو يعرف ما يعرفه ولكن بطريق أو عن طريق آخر - إلاّ رحل إليه وأخذ عنه وتخلى عن الأستاذية وأصبح طالباً مثله مثل غيره من طلبة العلم.

---

(١) الزرنوجي. تعليم المتعلم ص ١٧، ويقول: ينبغي أن يختار الأعلم والأورع والأسن.

(٢) الجندي. السلوك ص ٧٧، ٨١.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٩/ب).

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٦ - الجندي. السلوك ص ٧١.

وكان أبو محمد عبد الله بن علي الزرقاني يمثل هذا خير تمثيل، فبالرغم من أنه عالم، وقد سمع صحيح البخاري في رحلته إلى مكة، إلاّ أنه حينما سمع بمقدم (المروزي) إلى (ذمار) ترك مجلس علمه وسافر إليه ليتتلمذ على يديه[١].

ومثله أبو الحسين الطبري. وكان مطرف بن شهاب وصاحبه نهد بن الصَّبَاح قد طلبا العلم كباراً[٢] وكان الواحد منهم يقيم الأيام وبعضهم السنين مع الأستاذ الذي يتلقى عنه فنهد بن الصباح ظل أربعين يوماً عند مطرف[٣]، وعبد الرزاق الصنعاني جالس معمراً سبع سنين[٤].

ولم يكن (الاختيار) مقصوراً على الطالب في انتقاء أستاذه بل وجدنا من الأساتذة من يتخير وينتقي طلبته انتقاء، ويشترط في الطالب شروطاً سواء كانت شروط حسب ونسب[٥]، أم شروطاً ذاتية تتعلق بالنجابة والفهم والذكاء، وهذه صفة تميز بها كثير من العلماء حيث كانوا ينظرون في الطالب إن كان له زيادة فهم، وقدرة على حل المشكلات وكشف المعضلات اهتموا بتعليمه ودفعوه وشجعوه، وإلاّ فيقتصرون على قدر من الفرائض والسنن، ثم يُوَجَّهُ للاشتغال بوسائل الاكتساب؛ ومع هذا كانوا يصبرون عليه فترة محددة تصل إلى ثلاث سنوات[٦].

علاقات الطلاب:

تتميز علاقة الطلاب فيما بينهم على وجه العموم بالتعاون والتشارك والتآلف، ولم يشذ عن هذا إلاّ من خبث طبعه فأصابته الأَثَرة منذ صغره.

وكانت الظروف المحيطة بالطلاب تساعدهم على تقوية ما بينهم من روابط.

---

(١) الجندي. السلوك ص ٧٩، ٨٠ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧١.

(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١١) - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، (ق ١٢).

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ١٨.

(٥) الجندي. السلوك ص ٨١.

(٦) طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة جـ١ ص ٤٩.

فالأدوات الكتابية شحيحة وخاصة الورق، والكتب نادرة أو غالية فكان لا بد من تبادل تلك الأشياء فيما بينهم.

وكانت الرَّحلات والسفريات تُقوي من تلك الروابط وتزيدها وثوقاً ولذا كان لفظ (الصُحْبة) متداولاً بين أولئك التلاميذ حيث ظل ملازماً لهم حتى صاروا علماء ومعلمين(١).

أما علاقاتهم بأساتذتهم فهي في مرتبة عالية من الاحترام والتقدير، إنها علاقة سامية نظيفة راقية، ولهذا كانت تأتي ثمارها فتخرج العديد من العلماء الفطاحل.

فتلاميذ الإمام الهادي إلى الحق مثلاً كانوا يقفون أمامه في احترام وتقدير وخضوع على الرغم من أنه كان يحرص على إزالة وكسر عوامل وحواجز الرهبة والخوف من نفوسهم(٢).

وكان ابنه محمد المرتضى يجلس بين يديه محمد بن الفتح بن يوسف متذللاً يطلب منه إجازة ما قرأ عليه من كتاب المسترشد للإمام الهادي(٣).

وكان تلاميذ الإمام عبد الرزاق الصنعاني على قدر من الاحترام والتوقير له مما يجعل الإمام نفسه يحترم ويقدر تلاميذه هؤلاء(٤).

وأما الهمداني التلميذ النجيب فقد تجلت فيه هذه الصفة من خلال الصفات الحميدة التي كان يسبغها على شيوخه وأساتذته وهو يحدثنا عنهم من خلال كتبه(٥).

---

(١) كان لأبي قرة موسى بن طارق اللحجي أصحاب في كل من زبيد ولحج ومكة وعدن، ومثله القاسم بن محمد الجمحي وكان في صحبة مع أحمد بن عبد الله الصعبي (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩، ٨٩، ٩٠ - الجندي. السلوك ص ٣٩، ٧٤، ٧٥).

(٢) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٢٩/ب).

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٣ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢٥٧.

(٤) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٤٠ - كان أحمد بن حنبل وهو يتتلمذ على الإمام عبدالرزاق الصنعاني يخاطبه بأرق الألفاظ وبأدب جم.

(٥) انظر: الهمداني. الإكليل جـ١ ص ١١٢، وجـ١٠ ص ٢٣، وجـ٢ ص ١٣٧، وجـ١٠ ص ١٦، ١١١ - صفة جزيرة العرب ص ٤٠١ وصف أحد من تلقى عنهم وهو أحمد بن محمد ابن بني ليف وهم من أبناء الفرس في اليمن قال عنه: إنه رجل فاضل لا يدخل في عصبية.

أحوالهم المالية:

الناحية المالية في الوقت الحاضر - عادة ما - تكون سبباً في استمرار طالب العلم للتحصيل والتقدم العلمي أو سبباً للنكوص والقعود عنه والانصراف إلى مزاولة أعمال يكتسب منها رزقه.

ولكن لم يكن الأمر كذلك في موضوعنا هذا فيسر وسهولة العيش، وعطف الناس ورغبتهم في رعاية المحتاجين، وعناية المسلمين بابن السبيل[١]. وسهولة الانتقال من بلد إلى بلد دون تعقيد ولا قيود، وتيسير سبل المعيشة بأدنى شيء من المؤن. كل هذا - إلى جانب رغبة الطالب النفسية - كان يصل بالطالب إلى مطمحه وطلبه.

ويمكننا - بالرغم من ذلك - أن نقسم المتعلمين من الناحية المالية إلى طوائف:

- **الطائفة الأولى**: الأغنياء: وهؤلاء كانوا غالباً أبناء أسر علمية تمتلك الضياع، أو تعمل في دواوين الدولة أمثال أبناء القضاة وغيرهم.

وهؤلاء كانت حالتهم المالية ميسورة لا يعانون من شظف العيش، وكان همهم منصباً على التحصيل العلمي، ومن هؤلاء أبو الخير أيوب بن محمد بن كديس (ت ٤١٠هـ)[٢]، وآل زرقان[٣]، وابن ملامس[٤]، وآل الحذاقي بصنعاء[٥].

- **الطائفة الثانية**: مستورو الحال: وهؤلاء كانوا يديرون حياتهم المالية وفق الظروف التي تحيط بهم؛ فيشتغلون في مهن وأعمال ثم يمارسون تحصيل العلم دون

---

(١) ابن السبيل الذي يرحل من مكان إلى آخر ما لم يكن في معصية، وسمي ابن السبيل لملازمته للسبيل أي الطريق (ابن منظور. لسان العرب جـ٣ص ١٩٣).

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٩٧ - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٢٧ - الجندي. السلوك ص ٧٨.

(٣) الجندي. السلوك ص ٦٩، ٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٥) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٤١/أ) ومثل هؤلاء: آل النقوي. وآل البوسي في صنعاء، وقد مضت وستأتي إشارات إلى ذلك.

أن تعوقهم أعمالهم عن طلبهم للعلم؛ فالإمام أحمد بن حنبل - مثلاً - أكرى[١] نفسه لأصحاب القوافل من عدن إلى صنعاء مقابل أن يصرفوا عليه حتى يصل إلى الإمام عبد الرزاق ليتلقى عنه العلم ويرفض أن يأخذ من عبد الرزاق الصنعاني مالاً يستعين به على متطلباته[٢].

وكان الهمداني يعمل في تأجير الإبل لنقل الحجاج والتجار من صعدة إلى مكة[٣]، وفي رحلاته هذه يقوم بلقاءات علمية فتَحَصَّلَ على كسب معاشه وكسب علمه معاً.

ومثله المغيرة بن عمرو بن الوليد الذي كان يشتغل بالتجارة[٤].

- **الطائفة الثالثة:** المرابطة للعلم حول أحد العلماء: وغالباً ما يتولى هؤلاء العلماء الإنفاق عليهم:

إما من مالهم الخاص مثل أيوب بن محمد كُدَيس[٥]، ومثل مطرف بن شهاب الذي كان ينفق على نهد بن الصباح[٦]، ومثل عبد الرزاق الصنعاني[٧]، بل إن بعضهم كان يدرس أول الليل ثم يقوم بالعمل ليكسب آخر الليل ليصرفه على طلبته[٨].

---

(١) أكرى يكري أي أجر نفسه وهي من الكروة والكراء أي أجر المستأجر (ابن منظور. لسان العرب، جـ٥ ص ٣٨٦٦).

(٢) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٤٠ - مجهول. كتاب تاريخ عدن المحروس (ق١٤/أ) (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٤٥ تاريخ وتراجم).

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٥٦.

(٤) الجندي. السلوك ص ٦٨ - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٢٥٩.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٧ - الجندي. السلوك ص ٧٨ - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٢٧ - كان الإعلان في مكة في موسم الحج أنه من أراد الورق - أي العلم - والوِرق - أي الفضة - فعليه بابن كُدَيس.

(٦) مسلم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١٢).

(٧) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٤٠ كان يدفع لتلاميذه الدنانير وقد فعل هذا مع أحمد بن حنبل.

(٨) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق١٠٥).

وإمّا من الأوقاف التي كانت توضع تحت أيديهم فعلي بن حرب تسلم دنانير أو (جراب) دراهم فأنفق ذلك على المتعلمين[١]، وكان لبعض المساجد أوقاف من بعض مصارفه الإنفاق على المتعلمين[٢].

كذلك أوقفت أراضي خاصة بالفقهاء ومن يتعلم الفقه[٣].

ومما لا شك فيه أن طلاب العلم في حاجة ماسة إلى الكتب، وقد عرف العلماء شدة احتياج الطلاب للكتب فأوقفوا الكتب وجعلوها في أماكن مأمونة واشترطوا تيسيرها للمحتاج لها[٤].

ثانياً: الأساتذة

كما فعلنا في (الطلبة) وفرقنا بين طالب (الكُتَّاب)، وطالب (المراحل العليا)، علينا أن نفرق هنا أيضاً بين ثلاثة أصناف من الأساتذة:

- **الصنف الأول**: معلم الصبيان في (الكتّاب).
- **الصنف الثاني**: المؤدب لأولاد الخواص.
- **الصنف الثالث**: المدرس أو الأستاذ في المراحل العليا.

أما الصنف الأول: وهو معلم الصّبيان فقد ظلمه الناس ووصف بأوصاف أقل ما يقال فيها إنها ظالمة؛ لأنها إن صدقت في شخص واحد منهم أو أكثر من شخص فلا

---

(١) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٩٧) - الجراب: وعاء معروف يتخذ من جلد الشاة (لسان العرب جـ١ ص ٥٨٣).

(٢) ينطبق هذا على (مسجد السحطين) والمسجد الجامع بصنعاء الذي أوقف عليه أسعد بن أبي يعفر الحوالي أوقافاً كثيرة (انظر: مجهول. تاريخ اليمن (ق ٩٩ - ١٠٧/أ) - الأكوع. الوثائق اليمني ص ٢٥٨).

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١١٦.

(٤) المصدر نفسه ص ١١٥، ١١٦ أوقف عبد الله بن علي الزرقاني كتبه في (ذي أشْرق) حيث كانت هناك مكتبة يرتادها الطلبة والعلماء، وفي (ريدة) خصصت بيت الشيخ محفوظ الزيدي لتضم كتب الزيدية فيأتيها من يريد الإطلاع عليها. (انظر: يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٥٢).

تصدق بأي حال من الأحوال على أجمعهم، فقد قيل عنهم في أمثال العامة «أحمق من معلم كتّاب». وقال بعضهم «لا تستشيروا معلماً» وقالوا أيضاً: «الحمق في المعلمين»[(١)]، وهي مقولات لا يصح أن تقال في كل معلم، وإذا كانوا كذلك فلماذا يسمح العلماء والوجهاء وذوو الرأي أن يذهب أولادهم للتعلم على أيديهم.

وقد قيد الجاحظ هذه الأمثال والأقوال وغيرها وقال: «إذا كان من معلمي كتاتيب القرى من يتصف بتلك الصفات فإن لكل قوم حاشية وسفلة فما هم في ذلك إلا كغيرهم[(٢)] من تفاوت أقدار الناس».

ولكن يبدو أن معلمي الصبيان لتحليهم بالصبر والحلم، أو تكيفهم على ضجيج الصبيان ومتاعبهم مما يفتقده غيرهم من الناس لعلَّ ذلك دفع بعض الخبثاء من نشر مثل تلك الأمثال والمقولات مع عدم استبعاد أن يكون منهم من يتصف بمثل تلك الصفات، وأن تكون ثقافاتهم وعلومهم ضحلة، وأخلاقهم سيئة[(٣)]، وتصرفاتهم فيها من الحمق ما فيها.

كل هذا لا يمنع من أن ننصفهم ونعطيهم حقهم؛ فالمعلم كما يقول الخليفة المأمون: «تجلو عقولنا بأدبه، ويصدأ عقله بجهلنا، ويوقرنا برزانته ونستخفه بطيشنا، ويشحن أذهاننا بفوائده، ويكل ذهنه بعيّنا فنأخذ منه محمودَ خصالِه ويستغرق مذموم خصالنا. فإذا برعنا في الاستفادة برع في البلادة، فنحن الدهر ننزع من آدابه المكتسبة، ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية، فهو طوال عمره يكسبنا عقلاً، ويكسب منا جهلاً»[(٤)].

فهذا الإنصاف - وإن كان فيه ما فيه من لذعة السخرية - إلا أن هذا هو الواقع فالعلماء والأدباء والملوك تربوا في كنف معلمي الصبيان وأخذوا على أيديهم ورضعوا الأخلاق والسلوك من حياتهم فلا ينبغي أن نغمطهم حقهم.

---

(١) الجاحظ. البيان والتبيين ج١، ص ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٠١.

(٣) شلبي. التربية الإسلامية ص ٢٢٠.

(٤) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠٧، ١٠٨ - طبعة دمشق ١٣٤٨هـ.

ونضرب أمثلة من الواقع اليمني فقط مما يبرهن على صدق ما نقوله ولو لم يكن غرضنا مقصوراً على اليمن لأشبعنا الموضوع من الأمثلة المتعددة في بلاد الإسلام كلها.

فكثير من معلمي الصبيان اشتهروا بالفقه ومعرفتهم بالقراءات والنحو والفقه[١].

وكان منهم من يروي الحديث فقد أخذ عن بعضهم عبد الرزاق الصنعاني مثل محمد بن داود بن قيس والمنذر بن النعمان الأفطس اليماني المعلم[٢]، ووصف أحد المعلمين بأنه كان معلماً طاهراً[٣].

وكانت لبعضهم عزة نفس وقوة شخصية حتى ولو أدى الأمر إلى التوقف عن التدريس ما دام ستتعرض شخصيته للإهانة[٤].

ولا ينتقص من قدر المعلمين ما يأخذونه - عادة - من الأجر مقابل تعليمهم للصبيان سواءً أكان عينياً أم نقداً وسواءً أكان أسبوعياً أم شهرياً. ولا يمنع أن يوجد منهم من يعلم بلا أجر وقد كان هذا النوع - الذي يعلم بلا أجر - هو المعروف والمشهور في صدر الإسلام وقد استمر عند بعض المعلمين ليتقرب بذلك إلى الله؛ لأنه يعلم الصبيان القرآن والأخلاق... الخ[٥].

وقد بقي هذا النوع بكثرة في المناطق التي انتشر فيها المذهب الزيدي حيث كان المتطوعون من علماء الزيدية يحرصون على تعليم الناس صغيرهم وكبيرهم خاصة أن

---

(١) الرازي. تاريخ صنعاء ص ٣٠٥، ٣٠٦ - الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) غاية النهاية في طبقات القراء جـ١ ص ٤٤٥ - تحقيق /ج. برجستراسر ط٢- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. دار الكتب العلمية - بيروت. كان من هؤلاء المعلمين محمد بن عمرو بن مقسم المعلم، وعبد الله بن كثير المعلم، وأبو مسعود المقري المعلم.

(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣١، ٤١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٣٥٨، ٥٢٩.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٠٦ /ب).

(٤) مجهول. تاريخ اليمن (ق١١٣/أ) حدث أن مزق الأطفال ثوب معلمهم في مسجد عزيز بصنعاء لم يعرف الفاعل فشعر المعلم بالإهانة فصرف الأطفال ورفض تعليمهم؛ لأنهم غير مؤدبين ولم يتراجع عن قراره إلا بعد أن تدخل أولياء الأمور وعملوا على إرضائه وطلب العفو منه.

(٥) القابسي. المفصلة ص ٢٦٨، ٢٦٩.

مذهبهم كان جديداً على أهل اليمن، ولديهم رغبة في نشره بين الناس فيتوصلون عن هذه الطريق إلى ما يريدون(١).

وأما الصنف الثاني: فالمؤدِّبون: وهؤلاء كانوا معلمي صبيان في بداية أمرهم ثم انتقلوا إلى معلمين للخاصة.

وكان من المتوقع أن يتولّى العالم تأديب وتعليم أبنائه ولكن انشغالهم ألجأهم للبحث من مؤدبين يحملون عنهم مؤنة تأديبهم(٢).

ولم يقتصروا على تعليم القرآن والفقه بل كانوا يجمعون الكثير من العلوم وخاصة الأدب(٣).

فكان على سبيل المثال: الحسن بن أبي طالب الأبناوي معلماً لأبي يعفر إبراهيم الحوالي(٤).

ومما لا جدال فيه أن المؤدبين كانوا يأخذون الأجر على عملهم هذا بل كانت تؤهلهم هذه المكانة وقربهم من أصحاب السلطان أن يكونوا ندماء أولئك الذين علموهم حينما يصبحون ولاة للأمور مثل مؤدب أبي يعفر السابق الذي أصبح نديمه.

ومن الممكن أن يصل إلى أن يتولى بعض الأعمال لمن رباه صغيراً.

فقد كان حاتم معلم الخير شيخاً ومؤدباً ومعلماً للحسين بن القاسم العياني وقد عينه الحسين على (ريدة)(٥).

---

(١) انظر مثلاً. مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق٥٢).

(٢) القابسي. المفصلة ص ٢٦٩.

(٣) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٣٣٥ - كان أحد المؤدبين في عدن يعلم سنة ٣٣٩هـ قصائد ابن دريد (ت ٣٢١هـ). (انظر: السبكي. تاج الدين أبو نصر. عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ). طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص ١٤٥ - ط٢ - دار المعرفة - بيروت).

(٤) الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ٢٥٠.

(٥) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ ص ٩٣ - من المفارقات العجيبة أن(الحسين) عزل(حاتماً) عن (ريدة) ثم قتله ولم توضح المصادر بسبب ذلك.

ولا شك أن المؤدبين كانوا يُختَارون اختياراً وكانوا يزودونهم بالنصائح والتوجيهات.

فعلي بن حرب أتى لابن أخيه بأحد المؤدبين ونصحه بقوله: «إني قد أتيتك بغلام عاقل، فلا ترده إليّ مجنوناً، فلا تفزعه حتى يستشعر الخوف منك فيشرده خوفك. فإنك متى فعلت ذلك لم آمن أن تعلمه فلا يفهم، أو تدعوه فلا يأمن أن تكون تريد به شراً. اغتنم أوقات نشاطه، وإقباله إليك، ولا تتبع حالات ضيقه وفتوره، ولا تغلظ عليه عند زملائه»(١).

أما الصنف الثالث: فهو المدرس للمراحل العليا، وهذا الصنف - غالباً - من يطلق عليه: (العلماء) ومن كان لهم دور ومكانة في المجتمع وتأثير علمي.. ويتفرع هذا الصنف إلى فرعين:

- فرع لم يتفرغ للتدريس بل كان تدريسه عارضاً أو يأتي من كونه في مكان الصدارة من الدولة فبحكم مكانته كان يُعلِّم ما يرى أن الناس في حاجة إليه ونضع في صدارة هذا النوع الإمام الهادي إلى الحق وابنه الناصر فقد كان تعليمهما للناس وهم يخطبون، أو يفتون، أو يحكمون، أو من خلال قراءة كتبهم وإجازتهم لذلك، وقد سبق الإشارة إلى هذا.

ومن هذا الفرع من لم يكن تعليمه عارضاً ولا كان مشغولاً بالحكم، إلا أنه لم يكن لديه حلقات علمية دائمة، ولم يكن مقصوراً على التعليم ومن هؤلاء كثيرون: وعلى رأسهم الهمداني، وكذا معظم شيوخه، الذين أخذ عنهم، فلم يعرف أن لهم مجالس علمية دائمة، أو أنهم تفرغوا للتدريس بل كان يأخذ عنهم بالمراسلة أو بالسؤال والسفر إليهم والأخذ عنهم بصفة فردية(٢).

- أما الفرع الآخر فهو من تفرغ للتدريس بحيث كان له مريدون وأتباع وأصحاب.

---

(١) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلم (ق٩٥).
(٢) انظر مثلاً: الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٧، ٨٥ - وجـ٢ ص ٣، ١٣٧، ٢٠٠، ٣٧٠.

ومن هؤلاء: أبو الحسين الطبري[١]، وابن كُدَيس[٢]، والقاسم الجمحي[٣]، وأبو قُرّة موسى بن طارق اللحجي[٤]، وعبد الله بن علي الزرقاني[٥]، وكان في مسجد (بَقْدوم) بصنعاء أبو الحسن أحمد بن محمد بن يزيد يجلس فيه للحديث بصورة مستمرة[٦].

ومنهم المرتضى بن الهادي حينما اعتزل الحكم وتفرَّغ للتعليم والتدريس فكان يلقي دروسه ومسائله في مسجد (الغَيْل) بصعدة حتى توفي[٧].

وعبد الله بن المختار بن الناصر بن الهادي الذي اشتغل بالعلم وأقرانه اشتغلوا بالرتب والرئاسة[٨]، وأبو سعيد المفضل الجندي[٩]، وحسين المراغي[١٠]، وابن أبي غسان الذي تفرغ لتدريس القراءات[١١]، وغيرهم.. وغيرهم.

أوضاعهم المالية:

أما الأوضاع المالية للعلماء فهي تشبه ما ذكرناه عند الحديث عن أوضاع التلاميذ المالية.

فقد كان هناك الأغنياء الذين لم تكن أموالهم تعينهم على معيشتهم الخاصة فحسب، بل تعدت لتعم الإنفاق على تلاميذ آخرين ومساعدة المحتاجين منهم. كما سبق أن ذكرنا.

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٨.
(٢) الجندي. السلوك ص ٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٥.
(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩.
(٥) الجندي. السلوك ص ٦٩.
(٦) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٠٨/أ).
(٧) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٣، ٧٤ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٣ ص ٤٨، ٨٩ وجـ٤ ص ٢٢٥ - المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٤٢، ٤٦.
(٨) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٣ ص ٧٤، ١٠٨.
(٩) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٠.
(١٠) الجندي. السلوك ص ٧٥ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٣، ٨٤.
(١١) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٥ - الجندي. السلوك ص ٣٤.

وكان منهم من يعمل في أعمال يتكسب منها ولا تشغله تلك الأعمال عن تحصيله العلمي.

فكان بعض هؤلاء يعملون في التجارة وهي تؤهلهم للاختلاط بالناس والأخذ والعطاء مثل المغيرة بن عمرو بن الوليد[١].

والبعض يعمل في (الوراقة) وبيع الكتب وكتابتها وتجليدها وهي مهنة لا يخفى أثرها العلمي على صاحبها[٢].

ومنهم من عمل في تأجير الدواب ومرافقة الركبان في رحلاتهم كما فعل الهمداني الذي كان يؤجر الإبل لنقل المسافرين بين صعدة ومكة[٣].

علاقاتهم:

بما أن بعض العلماء أو الأساتذة يشكلون ثقلاً في المجتمع، وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه فلا بد أن يكون لهم علاقات متشعبة، علاقات مع بعضهم البعض. وعلاقات بالحكام.. وعلاقات بعامة الناس.. ولا بد من تسليط الضوء على تلك الجوانب لأهميتها وضرورتها.

علاقاتهم ببعضهم البعض:

العلاقة والصلة إما أن تكون علاقة مودة وألفة وصحبة.. وإما أن تكون نُفْرة وخصومة. ومما لا شك فيه أن التنافس والحسد يعتريان نفس أي إنسان ولا يستبعد هذا عن العلماء أياً كانت درجتهم.

---

(١) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٢٥٩.

(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٢٩٣) كان محمد بن سليمان الهرثمي ممن أدرك المرتضى وسمع منه، كان يعمل في كتابة المصاحف ونسخ الدفاتر. كما أن الحسن بن محمد بن دانة من أهل صعدة كان وراقاً كاتباً للدفاتر - و(يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٧٤ - وابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ - ص ٣٨).

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٥٦.

وعلاقة النفرة والخصومة بين العلماء الفقهاء والمحدثين تكون قليلة وغالباً ما تنتهي إلى خير. فقد حدث أن تنوقل كلام بين ابن سراقة محمد بن يحيى العامري والحسين بن جعفر المراغي أدى على أثره إلى نفرة بينهما(١).

وحينما عزل إسحاق بن سعيد الأقياني عن قضاء اليمن سنة ٢٠٩هـ ولّى أمير اليمن مكانه محمد بن عبد الرحيم بن شروس (ت ٢٢٨هـ)، إلا أن بكر بن عبد الله بن الشرود أشار عليه بغيره(٢)، مما يوحي بعدم التوافق بين بكر ومحمد بن عبد الرحيم.

كما أنه كان هناك منافرة بين القاضي الحسين بن محمد البوسي والقاضي يحيى ابن كليب النَّقَوِي(٣) وقد يكون للمناصب دور في هذه النفرة.

وهناك خصومة حدثت بين بعض الأدباء وكان سببها التهاجي فيما بينهم، والتعصب، والتفاخر بالأنساب وقد حصلت هذه الخصومة بين الهمداني ومجموعة من الشعراء والأدباء من العدنانيين وأبناء الفرس القاطنين في اليمن وقيل في هذا الشأن قصائد وكانت قصيدة (الدَّامغة) للهمداني نتاجاً لهذه الخصومة، وكذلك قصيدة (أم الدنان) التي نسبت إلى أبي زيد محمد بن الخطاب العدوي وقيل إلى مجموعة من الأدباء من أهل صعدة(٤).

وأما صلات المودة والصحبة فهي كثيرة فأبو قرة موسى بن طارق اللحجي له أصحاب في كل من عدن وزبيد(٥).

وكان بين الحسين المراغي، والقاسم الجمحي وأحمد بن عبد الله الصعبي علاقة صحبة ومودة وترابط(٦).

---

(١) الجندي. السلوك ص ٧٦ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٦ قد يكون سبب هذه النفرة بينهما على الرغم من أنهما على مذهب واحد وهو المذهب الشافعي أن ابن سراقة كان ممن لا يخوض في علم الكلام بينما المراغي كان لا تخلو حياته العلمية من هذا العلم.

(٢) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٥/أ، ب ١٦٧/أ).

(٣) الأكوع. الوثائق اليمنية ص ٢٦٧ - ٢٧٦.

(٤) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٦٧، ١٦٨.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - الجندي. السلوك ص ٣٩.

(٦) الجندي. السلوك ص ٧٥.

وصلة الهمداني بكثير من أقرانه صلة الاحترام المتبادل[١].

بل كانت له صلات مع بعض علماء العراق فكان يراسلهم ويهاديهم[٢].

علاقاتهم بالحكام:

يمكننا أن نقسم العلماء من حيث العلاقة المتبادلة بين العلماء والحكام إلى ثلاثة أصناف:

- **صنف يتميز بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، والمجاهرة بكلمة الحق أمامهم واعتزالهم أو اعتزال مجالسهم إن رأوا منكراً ولم يقدروا على تغييره.

- **والصنف الثاني يتميز بالاندماج مع الحكّام** وتولي المناصب معهم ومحاولة التأثير من خلال مناصبهم في الدولة.

- **والصنف الثالث هم أولئك الذين جروا وراء مصالحهم الدنيوية** وعملوا على تنميتها بغض النظر عما يحملونه من علم وهي صور تمارس في أي وقت ومكان. وهذا الصنف لن نقف عنده.

فأما الصنف الأول: فقد كان متفرغاً للعلم عازفاً عن مشاركة الحكام مجتهداً في تحصيل العلم وتوصيله إلى تلاميذه ضارباً بكل حياة الحكام عرض الحائط منتهزاً الفرص للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان من هؤلاء الإمام عبد الرزاق الصنعاني[٣]. والقاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي أحد علماء الزيدية[٤].

---

(١) الهمداني. الدامغة ص ٤٨٥ يلاحظ أن الهمداني كان يكن احتراماً لمن لا يدخلون في العصبية حتى ولو كانوا من غير القحطانيين الذين ينتسب إليهم الهمداني.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٦٠.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٤/ب) تصدى لأمير اليمن من قبل المأمون وظل ينصحه ويضرب له المثل بالحاكم العادل الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز وقال له: «علم الله صدق نيته فأصلح له رعيته».

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٧٤ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٣ ص٣٥ رفض مبايعة القاسم بن علي العياني لمخالفته للمذهب الهادوي.

وحينما تولى الإمامة الحسين بن القاسم العياني وظهر منه ما لا يليق بكونه إماماً عارضهُ كثير من علماء الزيدية منهم معين بن الحكم صاحب (هِجْرة) معين من (خولان)[١]، وهاني بن محمد[٢]، ومطرِّف بن شهاب[٣] وعارضه بشدة إمام مسجد الهادي بصعدة المحسن بن محمد المختار بن الناصر وحصلت بينهما مكاتبات[٤].

وأما الصنف الثاني: من العلماء فهم من عملوا على الاندماج مع الحكّام وتولوا المناصب ومحاولة الإصلاح من خلال حكمهم فيمكن أن يكون في مقدمة هؤلاء: القضاة. وأصحاب ديوان المظالم، والحسبة، الذين كان لهم دور في معالجة كثير من القضايا. وإصلاح ما يمكن إصلاحه، وتعليم ما يمكن تعليمه، وقد سبقت إشارات إلى كثير منهم[٥].

دور العلماء في قضايا المجتمع:

العلماء أو المدرسون أو الأساتذة جزء من المجتمع بل هم نخبته وزبدته وعصارة فكره فلا غرابة إن كانوا في الصدارة من الأحداث والقضايا التي تشغل المجتمع عامة، ومما لا شك فيه أن دورهم يتراوح بين السلبية تارة والإيجابية تارة أخرى.

ولعلَّ الفتن، وطبيعة بعض النفوس، وتحرج البعض الآخر مخافة الوقوع في المعصية لعلَّ ذلك كله هو الذي يدفع إلى اتخاذ دور سلبي غير مؤثر، وإن كان لبعض المواقف السلبية نتائج إيجابية لم يتوقعها صاحبها ولم يعمل لها حساب.

---

(١) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢٩٨.

(٢) المصدر نفسه جـ٤ ص ٢٥٧.

(٣) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ٨٢).

(٤) أحمد بن سليمان. الحكمة الدرية والدلالة النبوية (ص ١٣٧) - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٧.

(٥) بالإضافة إلى الإشارات السابقة، نضيف أن عبد الله بن محمد السَّعْدِي كان من مستشاري الناصر ابن الهادي وهو من علماء الزيدية (مسلم اللحجي. من أخبار الزيدية «ق١٠»). وكان محمد بن الحسين الكلاعي - وهو من الأدباء البارعين - يعمل كاتباً عند السلطان حسين بن سلامة بزبيد (ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٧٩).

في مواجهة القرامطة:

فحينما دخلت القرامطة صنعاء عملوا على اجتياح الأخضر واليابس وقتل من يعترض على أفعالهم وقد ورد أن المحدث إبراهيم بن برة الذي ما رؤي ضاحكاً لمدة أربع وثلاثين سنة استنكر أفعالهم فما كان منهم إلا أن ضربوه حتى الموت. ثم نهبوا منزله[١]، فقد كان له دور إيجابي في أخريات حياته على الرغم من انزوائه عن الناس كما يبدو من عدم ضحكه طوال هذه المدة.

هذا الموقف دفع عالماً آخر لاتخاذ وسيلة الهرب من صنعاء مخافة هذه النهاية وهو شيخ الهمداني أبو نصر الحُنْبصي الذي هاجر إلى (صعدة) فأحرق القرامطة قصره في (بيت حُنْبص)[٢].

في الجهـاد:

كان الجهاد هو غاية العلماء في صدر الإسلام وكان العالم يشعر في قرارة نفسه أنه لا يكتمل دينه إلا إذا اشترك في الجهاد انطلاقاً من حديث رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[٣].

وقد عادت صفة الجهاد إلى الظهور حينما دخلت الدعوة الزيدية فجددت شباب بعض العلماء وانخرطوا تحت لواء شعار الزيدية يقاتلون الذين يعتبرونهم عصاة أو بغاة أو لديهم اعتقادات هي في نظرهم خروج عن الدين، ولم يكن الجهاد موجهاً ضد الكفار أو لفتح بلدان غير إسلامية، وإنما هو قتال لإخضاع المناطق لسلطان الهادي ولكن تحت شعار الجهاد.

ولهذا نجد معظم العلماء الذين جاهدوا أو قاتلوا في اليمن كانوا من الزيدية

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٣٠/أ).

(٢) نشوان الحميري. ملوك حمير وأقيال اليمن ص ١٦٢، ١٦٣ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٧.

(٣) الحديث رواه مسلم عن أبي هريرة (شرح صحيح مسلم للنووي ج١٣ ص ٥٦. باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو).

القادمين إلى اليمن أو من دانوا بها من أهل اليمن أنفسهم ولا شك أن الإمام الهادي وبنيه كانوا في صدارة العلماء الذين تولوا الجهاد بتلك الصفة، والخلفية التي يعتد بها وقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيله.

ومن علماء اليمن أبو ميمون أحمد بن محمد بن بهلول الصنعاني الذي انضم إلى الهادي وقاتل معه[١]، ومنهم قاضي همدان وفقيهها وعالمها المقصود إليه أحمد بن الضحاك الذي بايع الهادي وشاركه الجهاد ضد العصاة[٢].

ويمكننا أن ندخل في هذا الجانب كل ولاة الهادي الذين كانوا من كبار علماء الزيدية وكانوا يتميزون بالورع والصدق والزهد والإخلاص والفقه.

وعلى رأسهم عبد الله بن الحسين أخو الهادي، ومحمد بن عبيد الله العلوي[٣] الذي كان من كبار علماء الزيدية، ومحمد بن سليمان الكوفي الذي جمع كتاب المنتخب للهادي[٤].

في القضاء وتولية المظالم والحسبة:

يزخر التاريخ في هذه الحقبة بالعديد من القضاة الذين تسلموا مقاليد القضاء، والمظالم، والحسبة. وقد برزوا في مراكزهم وتصدوا لكثير من القضايا التي كانت تؤدي إلى تقديم حياتهم ثمناً لقضيتهم مثل الإمام الحافظ عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري[٥].

وهناك من القضاة من دفعتهم الأحداث لأن يتولوا مقاليد أمور صنعاء كلية أيام

---

(١) العلوي. سيرة الهادي ص ٢٣٧ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٢، ٤٣.
(٢) العلوي. سيرة الهادي ص ١٤٠.
(٣) العلوي. سيرة الهادي ص ٨١، ٢١١ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق٣٣/أ).
(٤) الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٣/أ).
(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٢٧ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٢٣/ب) تولى الإمام عبد الملك الذماري القضاء لإبراهيم الجزار في ذمار وقيل في صنعاء فلما دخل الوالي العباسي قتله سنة ٢٠٦هـ فظل مطروحاً لم يدفن ثلاثة أيام.

الفتن وخلو البلاد من والٍ يتولّى شؤونها كما فعل أبو القاسم عبد الأعلى بن محمد بن عباد البوسي[١].

وقد اشتهرت أسر بالفقه والعلم والقضاء مثل أسرة النَّقَوي ومنهم يحيى بن عبد الله بن كليب (٣٤١هـ)، قاضي صنعاء وإمام الحديث فيها[٢]، وسلمة بن يحيى بن كليب تولى سنة ٣٧٤هـ[٣] والحافظ سليمان بن محمد النَّقَوِي وكان فقيهاً شافعياً ثم تناظر مع مطرف بن شهاب فحكم بمذهب الهادي[٤].

ومثل ذلك أسرة الحذاقي وعلى رأسهم محمد بن يوسف الحذاقي وكان من رجال الحديث في القرن الثالث وقد ولاه القضاء الخليفة العباسي المنتصر بالله[٥].

ومنهم أيضاً أحمد بن محمد الحذاقي الذي تولى القضاء أيام فتنة القرامطة لأسعد الحوالي من سنة ٢٩٣هـ إلى سنة ٢٩٩هـ وولى القضاء أيضاً للهادي إلى الحق وكان يُشَبَّهُ بمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في فقهه[٦].

وكان كثير من القضاة ما يوصفون بأنهم امتحنوا بالقضاء ومن هؤلاء محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني الذي امتحن بقضاء عدن[٧].

والقاضي عبد الوهاب بن أبي عنبة الذي امتحن أيضاً بقضاء عدن[٨] لأن كثيراً من العلماء كانوا يرون القضاء محنة وليس منحة.

---

(١) العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٨.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٣ - الجندي. السلوك ص ٣٨ - الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٨٦ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ٢٩/أ).

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٩٩/أ).

(٤) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٢١٧ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ٣٨ /أ، ٧٨/ب، ٧٩/أ) - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٥.

(٥) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٧٠/ب) - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤.

(٦) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٤٦٧ - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٥٣ - العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٢ - مجهول. تاريخ اليمن (٣٩٥/ب، ٤١/أ، ١٢٥/ب، ١٢٩/أ).

(٧) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٢ - الجندي. السلوك ص ٣٥.

(٨) الجندي. السلوك ص ٦٨ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤ - وبامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٢٩ - الشوجي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت٨٩٣هـ) طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ص ٧٧ - المطبعة اليمنية مصر ١٣٢١هـ.

وهناك قضاة كان لهم ثقل في الدولة الإسلامية بصفة عامة، فقد وصف المأمون - الخليفة العباسي - إسحاق بن سعيد الأقياني - الذي ولي على قضاء اليمن - بقوله: مات إسحاق بن الأقياني ولم يكن لنا في الدنيا قاضٍ مثله[(١)]، وكان ممن تولى قضاء المظالم محمد بن عبد الرحيم بن شروس (ت ٢٢٨هـ)[(٢)].

وكان للقضاة دور في الاهتمام بمشاكل الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالقاضي مطرف بن مازن عمل على حل الكثير من الإشكالات التي كانت تقع بين القبائل في منطقة (ضُلَع) حيث كانوا يتنازعون على المياه ومسي مزارعهم فعمل برنامجاً محدداً ظل معمولاً به حتى منتصف القرن الرابع حينما قام القاضي يحيى بن عبد الله بن كليب بتعديله وبيان نصيب كل قوم من الماء[(٣)].

وكان القاضي أبو القاسم عبد الأعلى بن محمد البَوْسي حينما وُلِّيَ القضاء ثم إمرة صنعاء يحرص على مراقبة الناس والتشديد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٤)].

وتولى القاضي يحيى بن عبد الله بن كليب إزالة النقوش التي كانت في محراب مسجد صنعاء، ونهى عن ذلك[(٥)].

وقام القاضي محمد بن سليمان النقوي ببناء مصلّى العيدين بصنعاء سنة ٣٨٨هـ، كما أنه أصلح (مسجد فروة بن مُسِيْك) بصنعاء أيضاً[(٦)].

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٥/أ، ب ١٦٧/ أ).

(٢) المصدر نفسه (ق ١٦٧/أ).

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص٨٣، ٨٤ - تعليقات الأكوع. مجهول. تاريخ اليمن (ق٥٠/أ).

(٤) العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٨.

(٥) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٨٦ - وقد عمل على بناء محراب المسجد بالجبس دون نقوش وفسر هذا بأنه لا يجوز تزيين المساجد؛ لأنه يشغل المصلي بالنظر إليه - انظر: الحجري. مساجد صنعاء ص ٣٣.

(٦) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٢١٧، ٢١٨، ٤٩٣ - الحجري. مساجد صنعاء ص ٨٩.

وحينما دخل يزيد بن جرير القسري والياً على اليمن من قبل المأمون كان يحمل عصبية ضد ما هو غير قحطاني فصب أذاه على العدنانيين وأبناء فارس الذين استقروا في اليمن فقام له بكر بن عبد الله بن الشرود بالتصدي له واستطاع رفع الأذى عن الناس[١].

في إمامة المساجد:

وكانت المساجد تَكْتَظُّ بعلماء أفاضل قاموا بالإمامة والأذان فيها، وكان يتم تعيين أئمة المساجد الجامعة كجامع صنعاء من قبل المتولين على الأمر.

فالمحدث إبراهيم بن خالد كان مشهوراً بمؤذن صنعاء حيث ظل سبعين سنة يؤذن في جامع صنعاء[٢].

وكان محمد بن خالد الجندي مؤذن مسجد الجند وهو أحد المحدثين وتتلمذ الشافعي على يديه[٣].

وقام بإمامة مسجد صنعاء علماء أجلاء وهم القطراني، والبعداني، والنقوي[٤]، وقد ذكرناهما في الفصل الأول.

في الدعـوة:

كان لدخول الدعوة الزيدية إلى اليمن شأن في ظهور حركة علمية وانتشار التعليم.

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٥/أ) كان القسري يجبر كل من تزوج امرأة من اليمن على تطليقها وكان بكر بن الشرود - وهو من الأبناء - متزوجاً يمنية فطالبه القسري بتطليقها فقصد بكراً على أن يقول: إنه لم يتزوجها إلا لِقلَّة مهرها وإن قومه لا يزوجون إلا بالمهر الغالي وكان يرمي بهذا إظهار لاحتقار من يفعل هذا فأدرك يزيد القسري ذلك فامتنع عن عصبيته وكف أذاه عن الناس.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٦ - ويعرف بالقرشي الصنعاني المؤذن وهو ممن روى عنه رباح بن يزيد والثوري ومعمر وغيرهم وروى عنه أحمد وابن المديني وجماعة (انظر: ابن حجر التهذيب جـ١ ص ١١٧).

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤ - الرازي. آداب الشافعي ومناقبه ص ١٩١. وتعليق المحقق الشيخ عبد الغني عبد الخالق - ياقوت. معجم البلدان جـ٢ ص ١٦٩.

(٤) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٩ - ٣١٣.

ولذلك زخرت اليمن بعلماء هاجروا إلى اليمن وقاموا بالدعوة إلى الزيدية وتعليم الناس، ومن جملة هؤلاء محمد بن سليمان الكوفي ورجال معه وقد تولوا الدعوة للإمام الهادي قبل دخوله اليمن(١).

ومحمد بن جعفر الطائي خرج إلى الهادي ودعا وعلّم وواصل قتاله بين يدي الهادي(٢)، وسنفرد لموضوع الهجرة فقرة خاصة فيما بعد إن شاء الله.

وكان لبعض العلماء دور في تسهيل مهمة الدعوة الزيدية وانتشارها، ولبسط نفوذ الأئمة على المناطق ومن ذلك أن القاضي الحسن بن أحمد العنسي طلب من القاسم بن علي العياني أن يدخل بلاد (عنس) لأنها خالية من أي سلطان(٣).

وهكذا نرى أن العلماء شاركوا في كل ما يهم الناس والمجتمع من قضايا وأحداث ولم يبتعدوا عنها.. وقد ضربنا أمثلة على ذلك فيما مضى، ولم نحرص على الاستقصاء حتى لا يطول البحث ونخرج عن القصد.

التأثير المتبادل:

لقد قام الإسلام بفضيلة توحيد المسلمين في العقيدة والأخلاق، والسلوك، والعواطف، والثقافة، واللغة، والإخاء، والمودة، والتكافل هذه الصفات التي أوجدها الإسلام وغرست في النفوس لم تخل منها بقعة من بقاع بلاد الإسلام.

فمصدر المعرفة واحد، واللغة التي يتفاهمون بها واحدة، والهدف واحد.

ومن هنا كانت تلك الرحلات الكثيرة التي قام بها علماء المسلمين في شتى مراكز الدولة الإسلامية يعلمون، ويتعلمون، ويتولون مناصب تارة، في المغرب، وتارة بالمشرق، وتارة في مكة، وتارة في قرطبة، لا يمنعهم من ذلك مانع ما دام يحمل دين الإسلام والولاء لدين الله.

---

(١) العلوي. سيرة الهادي ص ٦٥.

(٢) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٦٦.

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص ٤.

وكان العلم وسيلة ارتسمت في حياة المسلمين يبتغون من ورائها وجه الله تعبر عنها تلك الكلمة التي قالها أحمد بن حنبل حينما تجشم المصاعب للوصول إلى عدن ليأخذ عن أحد علمائها، فوجده قد مات فقال لابن أخيه: «في سبيل الله تلك الدريهمات التي بذلناها للوصول إلى ابن أخيك»!![١].

ومن هنا فقد اقتحموا الصعاب، واجتازوا العقبات، وطلبوا المعالي فوصلوا إلى ما كانوا يصبون إليه، وفتح الله عليهم حتى كانوا هم الوسيلة لحفظ دين الله، وتنقية أحاديث رسول الله ﷺ من كل دخيل.

ولم يكن العلم محصوراً في مكان دون آخر، أو عند شخص بعينه وكما قلت آنفاً كان العالم منهم إذا ما سمع برجل يعلم شيئاً من حديث رسول الله ﷺ أو يروي حديثاً من طريق لا يعرفها ذلك العالم شَدَّ رحاله وتوجَّه صوبه وقعد مقعد التلاميذ يتلقَّى منه ذلك العلم الذي لا يعرفه.

لهذا كله كان علماء المسلمين وحدة واحدة ولحمة متماسكة كل واحد يكمل الآخر سواءً كان في الأندلس أم في اليمن أم في فارس وخراسان.

هذه الوحدة والتلاحم جعلهم يحرصون على الرحلات مشرِّقين ومغرِّبين طالبين العلم من أفواه العلماء وتبادلوا المعارف والعلوم فكانت تلك الرحلات جزءاً مهماً في طريق تحصيل العلم لا يعدون من لم يرحل عالماً وخاصة عند علماء الحديث[٢].

ومن هنا لا بد من التوقف عند الرحلات المتبادلة التي أدت إلى تأثير متبادل بين علماء اليمن وغيرهم.

فمن العلماء غير اليمنيين من كان يرتحل لتوصيل العلم إلى مستحقه فكان العالم منهم يمر في البلدان ويعقد الحلقات الدراسية ويملي ما عنده أو بعض ما عنده على من حضره، ثم يواصل رحلته وقد رأينا هذا في اليمن كثيراً[٣].

---

(١) الشرجي. طبقات الخواص ص ٥٠ حتى أنه لم يجد مالاً يصرفه على نفسه فأكرى نفسه في إحدى القوافل.

(٢) منير الدين. تاريخ التعليم عند المسلمين ص ٦٥، ٦٦.

(٣) هناك أمثلة للتذكير بها: فابن الأصبغ البصري نزل صنعاء وكان يحدث في مسجد في درب =

وكان من البداهة أن يرتحلوا ويتنقلوا بين البلدان ليلتقطوا درر العلم من هنا وهناك، ولا يمنع أن يلقوا درساً هنا.. أو يحدثوا بحديث هناك.

ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل الذي جاء اليمن ليأخذ من علمائها، ولم يجد مانعاً من أن يوجِّه الإمام عبد الرزاق إلى بعض ما يراه صواباً في طريقة رواية الحديث وقد تلقى الإمام عبد الرزاق ذلك بالرضا والقبول(١).

وأقام أبو كريب محمد بن العلاء الكوفي المحدث (ت ٢٤٧هـ)، في صنعاء فأخذ من علمائها وأدار بعض الحوارات العلمية مع بعض علماء اليمن مثل عبد الوهاب بن همام الصنعاني(٢).

ولم تكن الرحلات مقصورة على علماء الحديث فقط، أو لتلقي الحديث بل كانت تشمل كل العلوم، فمثلاً دخل صنعاء اللغوي يوسف بن يحيى بن يوسف (ت٢٨٨هـ) وتعلم على يديه يمنيون(٣).

= الفرس بصنعاء (مجهول. تاريخ اليمن (ق٧٧/ ب»وأبو زيد المروزي دخل ذمار وروى صحيح البخاري وتلقاه عنه كثير من أهل اليمن ومثل ذلك فعل أبو مسلم الكَشِّي الذي تنقل بين صنعاء وزبيد ومكة وسمع منه كثير من العلماء (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤،٦٥،٨١ - الجندي. السلوك ص ٦٩).

(١) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٣٢، ١٤٢ - الشرجي. طبقات الخواص ص ٥٠- الجندي. السلوك ص ٣٣، ٣٥ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٦ - ابن حجر. تهذيب التهذيب جـ١ ص ١١٧.

(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٤ - ابن حجر. التقريب جـ٢، ص ١٩٧ - ومثل هؤلاء يحيى ابن معين (ت ٢٣٣هـ) (الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٤٢٨) وإسحاق بن راهويه (ت٢٣٨هـ) (الجماعي. تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٢٣، ٢٣٠) - والإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) الذي دخل ذمار (ياقوت. معجم البلدان جـ٣ ص ٧).

(٣) السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جـ٢ ص ٢٦٣ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ط الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م عيسى الحلبي، القاهرة - ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص ٢٠٠ - انظر: المطوع. يوسف أحمد (الدكتور). نحاة القيروان ص ٣٢. حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت الحولية السادسة - الرسالة الخامسة والعشرون ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

كذلك نزل أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ذمار وكان له فضل جمع ديوان الهمداني، وعرَّبه وأعربه[(١)].

وشهد اليمن رحلات علماء التاريخ والجغرافيا ومكثوا فيه مدة من الزمن.

فالمقدسي (ت ٣٨٠هـ) ظل في اليمن سنة كاملة قضى معظمها في عدن[(٢)] ونقل إلينا معلومات لو لم تكن لرحلته فائدة إلا تلك لكفتنا.

ومثله فعل المسعودي الَّذِي جَالَ في كثير من المدن الساحلية اليمنية كعدن وزبيد، ودخل صنعاء وزودنا بمعلومات قيمة عنها[(٣)].

وآوى إلى اليمن أدباء فروا من الفتن التي كانت تجتاح المناطق القريبة من دار الخلافة العباسية فاستقر الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الصرار من بني دارم من بني تميم في صعدة هارباً من البصرة حينما خرج منها صاحب الزنج[(٤)].

أما علماء الزيدية فقد تميزوا بالرحلة إلى اليمن للأخذ والعطاء في مجالات شتى؛ فهم يرحلون إلى اليمن لرواية الحديث بسند أهل البيت الذين استقروا في اليمن، ويتبادلون المعتقدات المعتزلية التي كانت منتشرة فيهم، ويتبادلون علم الفقه في الفروع والأصول.

فقد جاء إلى اليمن علي بن العباس الحسني (ت ٣٤٠هـ) الذي اشتهر بروايته لعلها لجماعات أهل البيت[(٥)].

---

(١) صفة جزيرة العرب - المقدمة ص ٢٥ - انظر: القفطي. أبناء الرواة جـ١ ص ٢٨٤ - السيوطي البغية جـ١ ص ٤٩٨ وهذا الديوان - للأسف - هو في عداد المفقودين حتى الآن.

(٢) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ١٠٠.

(٣) المسعودي. مروج الذهب جـ٢ ص ٢٢٣، ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٦٧، ١٦٨.

(٥) الجنداري. الجامع الوجيز (ق٢٩/ب، ٣٧) كان أحد قضاة الداعي الزيدي محمد بن زيد بطبرستان وصحب الناصر الأطروش ثم رافق الهادي وسمع منه ولما سئل عن رأيه فيهما قال: الهادي فقيه آل محمد، والناصر عالم آل محمد.

وكان أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني (ت ٣٥٢هـ) قد رحل إلى اليمن وسمع من يحيى بن أحمد بن الهادي إلى الحق (ت ٣٦٦هـ) مصنفات الهادي[١].

إلا أن كثيراً من الزيدية كانوا يأتون اليمن للهجرة إليه والاستقرار فيه باعتباره مقراً للدولة الزيدية؛ فهم يأتون لينضووا تحت لواء الدولة الزيدية ويجاهدون معها ويعلمون الناس مذهبهم ومن هؤلاء كثير ويكفي أن نشير إلى بعض منهم.

ففي طليعتهم محمد بن سليمان الكوفي[٢]، وجعفر الطائي الذي هاجر إلى الهادي إلى الحق واستقر هناك ونسب إليه أسرة آل الطائي[٣].

وقبل هذا وذاك فقد كانت هجرة الإمام الهادي إلى الحق وبنيه وأبناء عمه، وأتباعه هو من قبيل الهجرة للاستقرار للدعوة إلى ما يرونه حقاً والجهاد على ذلك.

وكان لهجرة الهادي نفسه إلى اليمن أثر كبير في استقرار وانتشار وغرس المذهب الزيدي في اليمن ولعلَّ هذا كان من أكبر العوامل التي أدت إلى بقائه حتى الآن وسيأتي تفصيل هذا في فصل لاحق إن شاء الله.

وفي مقابل هجرة علماء الزيدية هناك هجرة علماء الشافعية إلى اليمن سواءً ممن كانوا من أصل هاشمي مثل المهاجر أحمد بن عيسى الذي قدم عام ٣١٩هـ.

أم كان من غير الهاشميين مثل الحسين بن جعفر المراغي الذي أدخل إلى اليمن مختصر المزني وكتب شافعية أخرى[٤].

---

(١) الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٨/أ، ٣٩/ب) كان يطلق عليه حافظ المذهب الهادوي. وله مؤلفات كثيرة. ومن الذين رحلوا إلى اليمن أيضاً أحمد بن رميح النخعي المروزي وأقام بصعدة، وأبو بكر بن يعقوب أحد علماء أهل الري، وأبو الحسن الهمداني المعروف بالحروري وكان هدفهما الالتقاء بالإمام الهادي (يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٩، ٤٥- المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ١٥، ١٩).

(٢) العلوي. سيرة الهادي ص ٦٥ سيأتي ذكره في الفقه الزيدي.

(٣) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ١٨٣، جـ٤ ص ١٦٦، ١٦٨.

(٤) الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي جـ١ ص ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩ - استقر في تريم بحضرموت وكان له دور في تحويل الناس من مذهب الخوارج إلى المذهب الشافعي.

والعلم - كما رأينا - أخذ وعطاء وإذا كان أولئك العلماء قد دخلوا اليمن وتقبلوا بين الأخذ تارة والعطاء تارة أخرى، فإن أهل اليمن أنفسهم كان لهم باع في الرحلة والتجوال في ربوع المجتمع الإسلامي، متنقلين بين المراكز العلمية المختلفة يرتشفون من أزهار العلم المبثوثة في حدائقهم العلمية الغَنَّاء ثم يعودون إلى اليمن ليعلموا قومهم ما فقهوه وما اكتسبوه. فالإمام عبد الرزاق رحل إلى مكة والشام(١).

وأبو قرة موسى بن طارق اللحجي الذي كان كثير التردد على مكة(٢). ومكرم ابن إسماعيل بن الزبير المقري قرأ على محمد بن عمر البصري(٣).

وارتحل محمد بن يحيى بن سراقة العامري المعافري إلى كل من العراق ومكة وسمع فيهما الحديث والفقه(٤).

وذهب أبو محمد عبد الله بن علي الزرقاني إلى مكة سنة ٣٥٣هـ وسمع عن بعض علمائها(٥).

ورحل إلى مكة أيضاً القاسم بن محمد الجمحي وكسب إلى صفة عالماً استطاع أن يأخذه معه وهو الحسين بن جعفر المراغي(٦).

وظلت - كما يبدو - مكة مركزاً علمياً مهماً بالنسبة لأهل اليمن فقد رحل إليها الهمداني واكتسب فيها ومنها الكثير وسمع على يد الخضر، وأخذ عنه السيرة لابن إسحاق (ت ١٥١هـ). باعتباره أحد رواتها(٧).

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٣، ٨٤ - الجندي. السلوك ص ٧٥.

(٢) الجندي. السلوك ص ٣٠ - محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني دراسة وتحقيق ص ١٤ (رسالة لم تنشر مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩.

(٤) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٧.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٦ - الجندي. السلوك ص ٧١.

(٦) الجندي. السلوك ص ٦٩، ٧٠، منهم عالم شافعي يعرف بالأسيوطي - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨، ٨٩.

(٧) الهمداني. الدامغة ص ٢٩٥، ٣١٦، ٤٤٣، ٤٦٥.

وأخذ محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ) عن أبي سعيد الجندي بمكة[١]. وقد وردت روايات عن أثر علماء اليمن في علماء الأندلس وأخذهم الحديث والفقه عن علماء أهل اليمن ولعلَّ هذا الاتصال الثقافي العلمي تم في مكة أو برحلة علماء الأندلس إلى اليمن.

ومن هؤلاء العلماء اليمنيين الذين كان لهم أثر في علماء الأندلس ربيع بن سليمان، وقاضي عدن شيبان بن عبد الله، أخذ عنه في نيِّف وأربعين وثلاثمائة من الهجرة، وعبد الوهاب بن عنبة، وصامت بن معاذ الجندي[٢].

كما أن رجال الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي رووا عن القاضي الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٣٢٠هـ) ولعلَّ هذا الأخذ كان بمكة لكثرة مكثه فيها[٣].

ولم يكن تأثير أهل اليمن في غيرهم في الحديث فقط، بل كان التأثير في الفقه وأصول الفقه، وخاصة في المذهب الزيدي.

فقد تولى أحدهم نقل مذهب الهادي إلى العراق ونشره هناك[٤].

وبعد فإننا نعيد ما قلناه في بداية عنوان هذا الموضوع.

من أن الإسلام جمع هذه العقول في بوتقة واحدة، ورسم لها هدفاً واحداً وإن اختلفت الوسائل أو تشعبت عنه أهداف جزئية، إلا أن أهم ما فيه هو وحدة الهدف الأكبر، ألا وهو أخذ العلم للوصول به إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.



---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٠.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٣، ٧٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٧٢.

(٤) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٣٤٥. الذي تولى هذا هو يحيى بن الحسين بن المرتضى ابن الهادي إلى الحق بعد أن سمع كتب الهادي من عمه أحمد.

الفصل الرابع

الفرق والمذاهب

- الفرق والمذاهب الفكرية الفقهية
- الفرق والمذاهب الفكرية والتربوية
- الفرق والمذاهب الفقهية

تمهيد:

الاختلاف طبيعة بشرية مغروسة في كيان الإنسان، عَبَّرَ عنه القرآن الكريم في أكثر من موضع وكذلك السنة النبوية الشريفة.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١).

ولهذا جعل الله سبحانه للمسلم (قواعد) تحكمه لا يخرج عنها مهما تحرك يميناً أو يساراً؛ فهو مربوط مشدود إلى تلك القواعد حتى إذا حصل الاختلاف رَجَعَ المسلمون إلى الله ورسوله ليكون الفصل بينهم فيما هم فيه يختلفون.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٢).

ولكن عوامل الاختلاف الكامنة في النفس والطبيعة البشرية.. والعوامل المثيرة لها سواء من نشوء أوضاع جديدة.. أم حدوث قضايا لم يعرفها المجتمع.. أم دخول أقوام ليس لهم من الدين إلا الاسم، أم الاحتكاك بالأمم المجاورة وتصوراتها الحضارية والفكرية وتسرب الأفكار والمعتقدات..

كل ذلك أنشأ اختلافات كثيرة بدأت سطحية ثم استمر تعميقها بأيد كانت حريصة على تعميق الاختلاف في الجسم الإسلامي الكبير.

فكانت الضربة الفكرية التي تؤدي إلى الفرقة والتمزيق هي الوسيلة لمصاولة الإسلام الهادي الحنيف.. وتشاء إرادة الله أن يتحقق بعض ما أرادوه لحكمة يريدها الله، قد يكن منها امتحان هذه الأمة واختبارها..

ولو تتبعنا (محاور) الاختلاف في شتى المجالات، تلك المحاور التي كان لها

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٠.

أثرها في وسط المجتمع الإسلامي فإنها - كما أحسب - لا تخرج عن أربعة محاور:

أ - **محور الاختلاف حول ذات الله وصفاته وأسمائه**.. الخ: وعلى أثر ذلك نشأت فرق وطوائف خاضت في مجالات غيبية خارج نطاق الإمكانات البشرية فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكفروا بالله جهاراً. وذلك عند كلامهم في ربهم»(١).

وقال محمد ابن الحنفية: «لا تهلك هذه الأمة حتى تتكلم في ربها».

وقال جعفر بن محمد: «إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا».

وكان سفيان الثوري يقول: «عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله»(٢).

ب - **محور الاختلاف في الإمامة**.. أو ما يمكن أن نسميه بنظرية الحكم. وقد نشأ هذا المحور من عدم وصية رسول الله ﷺ فيمن يخلفه وقد ترك ذلك لخير الأمة وصالحها، ولكن - للأسف - كان الهوى البشري، وتربص أعداء الإسلام لهدم المجتمع المسلم كان لهما دور في استغلال ذلك وتحويره حتى أدى إلى ما أدى من انحرافات بل وخروج عن الإسلام بالشطط الذي وصلوا إليه.. وكان لهذا المحور فرقة وطوائفه الكثيرة وعلى رأسهم الشيعة.

وقد أشار أحد العلماء إلى هذين المحورين بقوله: كان أساس « اختلاف المختلفين من الأنام في معرفة المعبود والإمام»(٣).

جـ - **محور التشريع**: حينما كان العلماء يمثلون كثرة في وسط المجتمع المسلم لم يكن هناك ما سمي بعد ذلك بالمذاهب أو التمذهب. بل كان الناس يرجعون إلى

---

(١) المتقي. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت٩٧٥هـ). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال في حديث رقم ١١٨٧جـ١ ص ٢٣٧. نشر مكتبة التراث الإسلامية. حلب.

(٢) السيوطي. جلال الدين (ت ٩١١هـ) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ص ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٥٨ - تعليق: علي سامي النشار. دار الكتب العلمية. بيروت.

(٣) نشوان الحميري. الحور العين ص ١٣٦.

العلماء فيأخذون عنهم مسندين آراءهم إلى حكم الله وحكم رسول الله ﷺ، أما بعد أنْ قَلَّ العلماء وأصبح المجتمع يشير إلى العالم الفلاني.. والفقيه الفلاني، ثم بعد أن ظهرت أحداث وأشياء وقضايا تصدى لها أولئك العلماء القلائل بالتحليل والدراسة والإفتاء، وأصبحت تلك القضايا يفتي فيها عالم واحد فاقتضت الضرورة الالتزام بمذهب واحد نظراً لصعوبة وجود علماء مجتهدين في كل وقت. ومن هنا نشأت المذاهب الفقهية على أساس قواعد أصولية استنبطت منها أحكام وآراء وحصل اختلاف حول ترجيح هذا القول أو ذاك المستنبط من تلك القواعد الأصولية[١].

د - **محور السلوك (التصوف)**: لقد تغيَّر مفهوم (الزهد) في حياة بعض الناس من كونه حالة إيجابية تقتضي ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، - ولا يتم هذا إلاَّ بالعمل، وهو أمر مطلوب من كل مسلم لإعمار الأرض - أجل لقد تغير هذا المفهوم إلى مفهوم بُغضِ الدنيا والإعراض عنها[٢]، وهي حالة سلبية أدت إلى أن تتخذ تلك الجماعات لنفسها طريقاً مجافياً لمنهج الإسلام ما عدا تلك الجماعات التي اتَّخذت لنفسها أماكن للمرابطة على (ثغور) الإِسلام لتمد المجاهدين بالمال والرجال[٣].

والذي يعنينا هنا أن هذه الحالة من السلوك أنتجت اختلافاً في الرأي حول هذا النهج فظهر من يطلق عليهم أهل الشريعة وأهل الحقيقة، وقامت على ذلك فرق وجماعات صوفية مختلفة وإن لم تكن قد ظهرت في القرن الثالث الهجري بنفس الوضوح الذي ظهر في القرنين التاليين.

وفي هذا الفصل - ونحن نتحدث عن الفرق والمذاهب في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين - ليس في وسعنا أن نسير على هذا التقسيم الذي أشرنا إليه، ولكن يمكننا أن ندمج الفرق والمذاهب ثم نقسمها - جملة - إلى مجموعات:

---

(١) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ٧.

(٢) الجرجاني: التعريفات ص ١١٥ (دار الكتب العلمية - بيروت).

(٣) انظر بحث: البحرية الإسلامية في القرن الثالث الهجري لأحمد محمد الدسوقي المنوفي، ص٢٣٦ - رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- **المجموعة الأولى**: وتضم كل (فرقة) أصبح لها (مذهب) أو كل (مذهب) أصبح له (فرقة) حيث إنَّ هناك (فِرَقاً) لها جانب فكري فلسفي. . . وجانب تشريعي فقهي، ولا بد من الحديث عنها من الناحيتين. الفكرية والمذهبية.

- **المجموعة الثانية**: وهي مخصوصة بالفرق التي ليس لها مذهب فقهي في هذه الحقبة بالذات أو لم تشتهر بمذهب فقهي معين.

- **المجموعة الثالثة**: وهي المذاهب التي لم تتميز بفكر فلسفي مخصوص، ولم تمثل فرقة فكرية بل اقتصرت على الجانب الفقهي البحت مثل المذهب المالكي والحنفي والشافعي. . . الخ.

المجموعة الأولى: الفرق والمذاهب الفكرية الفقهية؟

الفرقة الأولى - الزيدية:

لكي نصل إلى الحديث عن (الزيدية) ثم (الإمامية) يتحتم علينا أن نلم إلمامة سريعة بالفرقة (الشيعية) بصفة عامة، فالشيعة هم أولئك الذين شايعوا علياً رضي الله عنه وبنيه وقالوا: إن علياً هو الإمام بعد رسول الله ﷺ، واعتقدوا أن (الإمامة) لا تخرج عنه وعن أولاده[١]، وبعبارة أخرى كما عرَّفهم أحد علماء الزيدية: «فالشيعة هم: من اعتقد فضل أهل البيت، وأخذ الدين عنهم بالأدلة، وأوجب على سائر الخلق متابعتهم»[٢].

وكان أصل فكر الشيعة يقوم على مبدأ (الإمامة) باعتبارها ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بحيث يتعين الإمام بتعيين الأمة له وإنما ذهبت (الشيعة) إلى اعتبار الإمامة ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً رضي الله عنه هو الذي عيَّنه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها أو يؤولونها[٣].

---

(١) الجرجاني. التعريفات ص ١٢٩.
(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص٥.
(٣) ابن خلدون. المقدمة ص ٣٤٨.

وليس من الضروري أن نتتبع تاريخ ونشأة الشيعة فهذا البحث ليس مجاله إلا أننا نلقي ضوءاً سريعاً على تلك النشأة وذلك التطور.

فالتشيع بدأ حباً لأهل البيت عامة بما فيهم زوجات الرسول ﷺ[1]، إلا أنه كان لفظاً يطلق عند السلف والخلف على أشياع علي بن أبي طالب وبنيه[2]، إلا أن هذا التصور الخاص بدأ يتسع ويتخذ أشكالاً غير طبيعية.

فأصبح عليّ هو (الوصي) بعد رسول الله ﷺ ، وأنه صاحب الحقّ بالخلافة والإمامة، وقد انتقلت هذه الوصية إلى أبنائه من بعده.

ودخل (الغلو) إليهم فوصل ببعضهم إلى إطلاق صفات الألوهية على الإمام عليّ وعلى من بعده من الأئمة، أو صفات النبوة من عصمة وغيرها.

ومن ناحية أخرى بدأت (الشيعة) بالقول بأحقية وأفضلية الإمام عليّ للإمامة بعد رسول الله ﷺ ، إلا أن الأمة والخلفاء قبله كانوا على حق وأن الأفضل كان تقديم الإمام عليّ رضي الله عنه على غيره.

ثم تطور هذا المفهوم ليأخذ شكل تخطئة الخلفاء والأمة لصرف الإمامة عن عليّ.

وجاءت مرحلة أخرى وهو تكفير الأمة والخلفاء الثلاثة الذين سبقوه. رضي الله عنهم؛ لأنهم نازعوا الحق أهله وحرموهم منه.

ثم تفرقت (الشيعة) حسب هذه التطورات وهذه المفاهيم وأصبحت فرقاً وأحزاباً، ولا يلزمنا - هنا - ذكر فرقها إلا ما يخص بحثنا وسنلحق بالبحث - إن شاء الله - مشجراً لجميع الفرق.

---

(١) المقريزي. تقي الدين. أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ). فضل آل بيت (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم) ص ٣٢ - تحقيق د/ محمد أحمد عاشور. دار الاعتصام. القاهرة.

(٢) العمري. يوسف علي يوسف. مذكرة عن الحركات الفكرية في العصر الأموي ص ٣ (مطبوع على الآلة الكاتبة).

وقد افترقت الشيعة إلى ثلاثة أصناف[١]:

- **الصنف الأول**: (الغالية) وسمو بذلك لغلوهم في عليّ وهم فرقٌ عدة منها: الخطَّابية نسبة إلى أبي الخطاب بن أبي زينب (ت ١٤٣هـ).

- **والصنف الثاني**: (الإمامية) وهم الرافضة.. ولهم فِرقٌ عِدَّة أيضاً، ومنهم الإسماعيلية والقرامطة، والاثنا عشرية، وسيرد تفصيل عنها إن شاء الله.

- **والصنف الثالث**: (الزيدية).

الزيدية قبل القرن الثالث الهجري:

تنسب الزيدية إلى زيد بن علي بن الحسين الذي كان من أهل البيت وعلمائهم وأطلق على من عداهم (رافضة) لرفضهم زيد بن علي، فقد سألوه عن أبي بكر وعمر فترحم عليهم، فرفضه قوم فقال لهم: رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة (زيدياً) لانتسابهم إليه[٢].

وبعد استشهاد الإمام زيد افترقت الزيدية إلى فرق أخرى كل منها تدعي أن الحق في جانبها، ولم تكن لهذا مذاهب كلامية متكاملة وإنما ما نقل من آرائها وأفكارها نظرات متفرقة في بعض مسائل أصول الدين والإمامة[٣].

ومن تلك الفرق التي نشأت قبل القرن الثالث الهجري هي:

١ - الصالحية:

وتنسب إلى الحسن بن صالح بن حي (١٠٠ - ١٦٨هـ) وكانت تقول بأن الإمامة

---

(١) الأشعري. مقالات الإسلاميين جـ١ ص ٦٥ - ١٥٠.

(٢) ابن تيمية. أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية جـ١ ص ٨ - الطبعة الأولى - ١٣٢١هـ. المطبعة الأميرية. القاهرة.

(٣) عارف. أحمد عبد الله. أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة ص ٢١ (رسالة ماجستير - قسم الفلسفة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) الأشعري. مقالات الإسلاميين جـ١ ص١٤٦ - ١٥٠ - الشهرستاني. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ). الملل والنحل جـ١ ص ٢١١ - ٢١٨ - ط٢ - ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. دار المعرفة. بيروت.

(شورى) وأنه يجوز تقدم المفضول على الفاضل، ولا يكفرون أبا بكر وعمر، ويتوقفون في عثمان[١]، وقد يطلق على هذه الفرقة (البترية) نسبة إلى (كثير النواء) الملقب (بالأبتر)[٢].

٢ - الجريرية، أو (السليمانية):

وينسبون إلى سليمان بن جرير الرقي، وقد ظهر في عهد الخليفة العباسي المنصور (١٣٧ - ١٥٨هـ)[٣].

وقالت هذه الفرقة بأن الإمامة شورى تصح بالعقد والاختيار كقول المعتزلة وأهل السنة، وأنها في جميع (قريش)، وتصح الإمامة بالمفضول، وتقول بإمامة الشيخين مع أولوية علي، إلا أنها تكفر عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم[٤].

ولا داعي لتفصيل آرائهم حول التوحيد والعدل فهذا ليس مجالها[٥].

إلا أن أهل السنة يكفرون سليمان بن جرير لتكفيره عثمان بن عفان رضي الله عنه[٦].

ويقول أحد رجال الزيدية: إن مذهبا الصالحية والجريرية هو الذي كان عليه

---

(١) إدريس. عيون الأخبار جـ٤ ص ٢٣٦، ٢٣٧ - يحيى بن الحسين طبقات الزيدية ص٦ - الأشعري. مقالات جـ١ ص ٢٣، ٢٤.

(٢) صبحي. أحمد محمود (الدكتور). الزيدية ص ١٠١. منشأة المعارف. الإسكندرية ١٩٨٠م.

(٣) عارف. أصول الاتفاق ص ٢٦، ٢٧.

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٢٩ - انظر البغدادي. عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ). الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ٢٣. ط٥ -. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الأشعري. مقالات الإسلاميين جـ١ ص١٤٢ - الشهرستاني. الملل والنحل جـ١ ص٢١٤ - إدريس. عيون الأخبار جـ٤ ص٢٣٦.

(٥) انظر في هذا: الأشعري. مقالات الإسلاميين جـ١ ص ١٤٦، ١٤٧ - عارف. أصول الاتفاق من ٢٨، ٢٩. ففي صفات الله يقتربون من كلام الأشعرية في إثبات صفات المعاني وهي الصفات الزائدة عن الذات. وفي العدل يتفقون مع المعتزلة من استحالة نسبة خلق الشر إليه.

(٦) البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٢٣، ٢٤.

مذهب زيد بن علي(١)، ولكن هذا الخلط بين الفرقتين ونسبة ما عليهما إلى الإمام زيد فيه شيء من المجازفة فلم يثبت عن الإمام زيد أنه خطَّأ الأمة أو كفَّر عثمان أو أحداً من الصحابة كما تقول الجريرية، ولكن الصالحية هي الأقرب إلى نفس الإمام زيد بل كان الحسن بن صالح بن حي مقبولاً لدى أهل السنة ودخل حديثه في صحيح مسلم(٢).

٣ - الجارودية:

نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الكوفي الهمداني وقيل الثقفي الأعمى (المتوفى بين عامي ١٥٠ - ١٦٠هـ).

وقيل عنه: «مبتدع ضال، كذبه ابن معين، وقال ابن حيان يضع»(٣). وكان يضع الأحاديث في الفضائل والمثالب(٤).

وهو الذي أثبت (النص) بالإمامة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالوصف الذي لا يوجد إلا فيه دون (التسمية) بحيث أصبحت كالنص عليه باسمه وكفروا الصحابة الذين نصبوا الخلفاء دون علي(٥).

ولكن هذه الأفكار لم تكن لتعرف للعلماء من أهل البيت مثل جعفر الصادق بن محمد بن علي الباقر (ت ١٤٨هـ) ولهذا أطلق على الجارود لقب (السّرحوب) والسرحوب هو شيطان أعمى يسكن البحر(٦).

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦.
(٢) الأشعري. مقالات الإسلاميين جا ص ٢٤ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٢٤ - صبحي. أحمد محمود (الدكتور). الزيدية ص ١٠١ منشأة المعارف. الإسكندرية -. ١٩٨٠م.
(٣) الأشعري. مقالات الإسلاميين جا ص١٤٠، ١٤١ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٢ ص ١٠٦.
(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٢٥.
(٥) البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٢٢ - الشهرستاني. الملل والنحل جا ص ٢١٢ - إدريس. عيون الأخبار ج٤ ص ٢٣٥.
(٦) الشهرستاني. الملل والنحل جا ص ٢١٣.

وهو بهذا يخالف رأي الإمام زيد بن علي بل قيل إنه رافضي، وأنه لا ينسب للزيدية إلاّ لقوله بإمامة زيد فقط[١].

الزيدية في اليمن من بداية القرن الثالث الهجري:

لمَّا كانت الزيدية في اليمن في بداية القرن الثالث غير منتشرة وغير مستقرة ولم يكن لها وجود حقيقي إلا بعد أن دخل الإمام الهادي إلى صعدة عام ٢٨٤هـ فإنه لم يعرف عن الزيدية كمذهب وفرقة منذ بداية القرن الثالث إلا أننا نستطيع أن نجزم بوجود ولاء للزيدية باعتبارهم أتقى أهل البيت الذين لهم في قلوب أهل اليمن مكانة واعتزاز. فلا يبعد أن يكون لهذا الجانب دور في تأسيس وتعميق الأفكار الزيدية فيما بعد.

وقد سبق أن ذكرنا في التمهيد أن إمام الزيدية محمد بن إبراهيم طباطبا الخارج في الكوفة سنة ١٩٩هـ. كلّف إبراهيم بن موسى بن جعفر المعروف في اليمن (بالجزار) لينشر دعوة الزيدية هناك..[٢].

وفي الغالب أن أية دعوة لن تتوجه إلى بقعة من الأرض إلا لوجود مؤشرات لقبول هذه الدعوة، وقد ثبت أن كثيراً من قبائل اليمن ناصرت إبراهيم الجزار وَلاَءً لأهل البيت، وظل هذا الولاء بعد القضاء على حركة إبراهيم الجزار، وظلت أعين أئمة الزيدية تتوجه باستمرار إلى اليمن كلما فكرت في الظهور والخروج لا لشيء إلا لوجود أرضية صالحة لقبول الدعوة من ناحية الولاء النفسي.

ومن هنا اختار الإمام الهادي اليمن ليكون مسرحاً يقيم عليه دولة الإسلام التي يـراهـا[٣]...................................

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٢٦ وقد نسبت إليه أفكار الحلول والتناسخ وأن العلم لا يؤخذ إلا عنهم؛ لأنه يزرع في صدورهم. وقد تفرعت إلى عدة فرق تتصف بالغلو (انظر: عارف. أصول الاتفاق ص ٢١ - ٢٤).

(٢) الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ١٣١ - الطبري. التاريخ جـ٨ ص ٥٢٨، ٥٣٦ - ابن خلدون. التاريخ جـ ٥ ص ٥١٤ - ٥١٨.

(٣) لقد فصل هذا الأمر في بحث مستقل قدمه عبد الفتاح شائف نعمان باسم الإمام الهادي والياً ومجاهداً وفقيهاً ص ١٠٥ - ١١٦ لنيل درجة الماجستير في كلية الشريعة والقانون. جامعة الأزهر. القاهرة. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

فأرسل الدعاة وكاتب القبائل التي توالي آل البيت وخاصة في صعدة[١].

معتقدات الهادي في بعض القضايا:

ومن هنا يمكن أن نجعل دخول الإمام الهادي إلى اليمن هو مرحلة جديدة بالنسبة للفرقة الزيدية على وجه العموم.

فقد تربى هو نفسه على الأفكار الاعتزالية؛ فكان شيخه أبو القاسم البلخي المعتزلي (ت ٣١٩هـ) وعليه أخذ أصول الدين وعلم الكلام وتابعه في أقواله في الغالب[٢].

وظل الإمام الهادي ينشر ويوسع من أفكاره هذه المستمدة من بعض معتقدات المعتزلة وظل ينافح عنها حتى أصبحت له مذهباً كلامياً خاصاً غلب على الزيدية بحيث لم يبق لمذهب زيد بن علي الأول في الأصول والفروع متابع منهم أصلاً.

وكان الهادي يعتقد بأن رسول الله ﷺ نص بالوصية لعلي بن أبي طالب وأنه الوصي بعده، وأن وصيته ثبتت بالاستحقاق والعلم والدليل من حيث إنه أفضل أهل دهره بعد النبي ﷺ وهو بهذا يعتبر أن لكل نبي وصياً، فكما كان لموسى وصي، ولعيسى وصي، يكون لمحمد بن عبد الله وصي، وأنه ليس من الضروري أن يكون بالوراثة - وأن الذي يدل على هذه الوصاية هو علمهم بغامض علم الأنبياء والإطلاع على خفي أسرار الرسل وإحاطتهم بما خص الله به أنبياءه[٣].

وكذلك الأئمة من بعده لا تثبت إمامتهم إلا بالاستحقاق والعلم والدليل فالاستحقاق والعلم هما من شروط الإمامة ومنها: الورع والزهد والدعاء إلى الله وتجريد السيوف... ومنابذة الظالمين، وإقامة الحدود.. والشجاعة... الخ.

---

(١) العلوي. السيرة ص ٣٥ - ٣٨، ٦٥، ٨٠ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ١٢٩ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٠/أ).

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٦ وهو بهذا يخالف أيضاً مذهب جده القاسم بن إبراهيم الرسي (ت ٢٤٦هـ). وللمزيد عن العلاقة بين الزيدية والمعتزلة (يراجع: عارف. أصول الاتفاق ص ٤٩ - ٦٠).

(٣) صبحي. الزيدية ص ١٦٢ - عبدالفتاح شائف. الإمام الهادي ص ١٧٢.

وأما الدليل فهو ظهور معجزات لأهل دهرهم التي تظهر من خلال تأويله وحكمته في تعليمه للناس وصبره وحلمه وتأنيه مع الناس . . . الخ[١].

وقد حرص الإمام الهادي في كتابه الأحكام[٢] أن يبين أهمية الإمامة وجعلها من أصول الدين التي لا يتم الإيمان إلا بها . وأورد نصوصاً كثيرة تدل عليها ليس هذا هو مجال سردها أو بحثها إلا أن عرضها بهذه الصورة يدل على أنها كانت تشغل حيزاً كبيراً من تفكيره .

ولم يرد نص محدد عن الإمام الهادي وموقفه من الخلفاء الثلاثة والصحابة على وجه العموم إلا أن أسلوب كلامه السابق وما أورده في كتاب الأحكام . . . ثم ما جاء في كتابه : المجموعة الفاخرة بعد أن أورد نصوصاً وأوّلها حسب رأيه ، وفي آخر كلامه يهجم على من يقول بغير قوله وهو أن علياً قد اختاره الله بعد محمد (لقوله سبحانه . . ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾)[٣].

ولأن الرسول ﷺ يقول : «علي مني بمنزلة هارون من موسى»[٤].

---

(١) الهادي . المجموعة الفاخرة ص ٤٨ ، ٤٩ . وإن كان لا بد من تعليق :
فإن ما يعتقده الإمام الهادي حول الإمام علي بن أبي طالب هو دخيل على الفكر الزيدي تسرب من المعتقدات الإمامية وإن لم تكن هي نفسها إلا أنها ثغرة في فكر الإمام الهادي مفتقرة إلى دراسة وتمحيص .

(٢) الهادي . الأحكام (ق ٣/ب) .

(٣) الآية في سورة هود رقم ١٧ وتكملتها : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ليس مقصود الآية ما أراده الهادي بل المقصود ويتلوه شاهد من عند الله ليؤيده ويشهد له وهو إما جبريل وإما القرآن . خاصة وأنه يقول «ومن قبله كتاب موسى» (انظر : ابن قتيبة . أبو محمد . عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) . تأويل مشكل القرآن ص٣٩٤ ، ٣٩٥ - تحقيق / السيد أحمد صقر . ط٢ . ١٩٣٣/١٩٧٣م . دار التراث - القاهرة) .

(٤) هذا النص جاء هكذا في المجموعة الفاخرة ص ٥٢ - إلا أن النص المثبت في كتب السيرة أن علياً رضي الله عنه كره غزوة تبوك أن يتخلف مع النساء والأطفال بعد إرجاف المنافقين فقال رسول الله ﷺ : «كذبوا إنما خلفتك لما تركت ورائي . فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (انظر : ابن تيمية . منهاج السنة جـ٢ ص ١٧٦) .

بعد هذا لا يوضح رأيه من المخالفين إلا أنه يختم كلامه بقوله « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»[١].

مما يوحي بأنه يكفر من لا يقول بذلك، إلا أنه ورد أن رأي جمهور الزيدية في الصحابة هو القول بمقالة زيد بن علي من الترضية عليهم والولاء لهم[٢]. ولا أظن أن يخرج عن هذا الرأي. والذي يؤيد هذا ما روي من أن قوماً بصنعاء سبوا أبا بكر وعمر في عهد الهادي فأمر بجلدهم؛ لأن رسول الله ﷺ لعن من سب الصحابة[٣].

ويتضح هذا أيضاً مما تراه الزيدية في قتله عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث يرون أنهم كانوا على الباطل[٤].

وبيَّن الهادي أيضاً موقفه من الصحابة على العموم في رسالته الجوابية لأهل صنعاء التي بيَّن فيها معتقداته كلها[٥]، وليس من مهمة هذا البحث أن تُستقصى آراء الإمام الهادي الكلامية.

ويكفي أن نشير إلى الجوانب المهمة منها. ومن هذه الآراء رأيه في الفرق الأخرى التي كانت موجودة في اليمن في هذه الحقبة.

فقد كان له رأي في المجبرة (أو الجبرية) والمشبهة[٦]، فهو يعتقد أن من كان منهم ملتزماً (بالجبر) عاملاً به شارحاً صدره فهو كافر باعتماده على ما روي من إجماع أهل البيت على كفر المجبرة والمشبهة الذين يلتزمون التشبيه والجبر ويعتقدونه[٧]،

---

(١) المجموعة الفاخرة ص ٥٢.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٧.

(٤) الكرماني. حميد الدين أحمد بن عبد الله (توفي بعد سنة ٤٠٨هـ). الرسالة الكافية في الرد على الهاروني الحسيني الزيدي ص ٤٥٩ (مخطوط لدى الأستاذ / عبد الله محمد الحبشي بصنعاء. وقد تحصلت على صورة منه).

(٥) الهادي. المجموعة الفاخرة ص ٧٥.

(٦) سيأتي شرح مدلولهما إن شاء الله.

(٧) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٧٥، ٧٦.

ويرى أن الدار إذا غلب عليها الجبر والتشبيه فهي دار كفر[١]، وهو الرأي الذي تقوله المعتزلة في تحول الدار الإسلام إلى الكفر[٢].

ومن هنا نستطيع أن نفسر ذلك القتال المرير الذي كان بين الهادي وقبائل اليمن فهو والزيدية يعتقدون بأن غالب أهل اليمن (مجبرة)[٣] حسب الاعتقاد المعتزلي[٤].

فرق الزيدية في اليمن:

وظل العلماء بعد الهادي وأولاده - من الزيدية - يسيرون على نهجهم وهم فرقة واحدة إلى أواخر القرن الرابع حيث ظهرت ثلاث فرق:

المطرفية - والمخترعة - والحسينية.

أولاً: المُطَرَّفِيَّة:

نسبة إلى مُطَرَّف بن شهاب العبادي الشهابي الذي ظهر سنة ٣٨٨هـ، وقد تلقى علمه عن علي بن حرب (رَيْدة)، ودرس كتب الأئمة الزيدية حتى أصبح رأس المطرَّفية[٥].

---

(١) المرتضى. أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ). باب ذكر المعتزلة في كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ص ٥٧ تصحيح / توما أرنلد. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد. الدكن. ١٣١٦هـ وصورتها دار صادر. بيروت.

(٢) الأشعري. مقالات ص ١٥٤.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٤١، ٨٥ - وأحمد بن سليمان. الحكمة الدرية (ق١٤٧).

(٤) الرازي. فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت ٦٠٦هـ). اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٠٣. تعتقد المعتزلة أن كل من يقول بأن الله خلق كل شيء حتى أفعال العباد هم من (المجبرة) بينما أهل السنة لا يطلقون هذا اللفظ إلا على فرق معينة كالجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ).

(٥) ابن الوزير. أحمد بن عبد الله (ت ٩٨٥هـ). تاريخ بني الوزير (ق٨٨/ ب). (مخطوط بالمكتبة الغربية بجامع صنعاء رقم ٤١ تاريخ وتراجم) - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٢٧٦. وتقوم فلسفتهم أساساً على الأصول الأربعة (بالماء والهواء والنار والثرى) وأن بقية الأشياء لم تخترع بل بالقابلية والطبيعة وهذه من معتقدات الجاحظ في المعتزلة.

وعلى الرغم من أن (المطرفيَّة) ظلت تابعة للهادي في مذهبهم في الفروع والإمامة إلا أنهم خالفوا الهادي في العقيدة، أو أنهم استخلصوها من فهم سقيم لما جاء عند الهادي[١].

ومع هذا فهم لا يعترفون بهذه المخالفة بل يعتبرون أنفسهم الزيدية اليحيوية[٢] وينكرون ما نسب إليهم ما عدا الأصول الأربعة[٣]، إلا أنها أفكار فلسفية غريبة عن الإسلام[٤]، مع تأثرها ببعض الآراء الإسماعيلية[٥].

وكان مقر طائفة المطرفية قرية (سَنَاع) حيث بني (مُطرَّف) مسجداً وجعله مكاناً لتجمع طائفته[٦]، ويمكننا أن نعتبر كتاب تاريخ مسلم اللحجي كله ترجمة لرجال (المطرَّفية) ودفاعاً عن آرائهم.

ثانياً: المخترعة:

أما (المخترعة) فكان على رأسها علي بن شهر وكان بموضع يقال له: (بيت أكلب) من نواحي جبال عيال يزيد شمال صنعاء[٧].

وسُمُّوا (مخترعة) لقولهم باختراع الله الأعراض والأجسام[٨]، وظل الخلاف متمادياً بين المخترعة والمطرفية فترة من الزمن ويصفهم مسلم اللحجي[٩] المطرفي بأنهم أهل العدل والتوحيد، وأنهم يسبون أبا بكر وعمر.

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٨١، ١٠٨.

(٢) مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ١٥٧) - ومسلم اللحجي هذا هو من المطرفية - واليحيوية نسبة إلى الهادي يحيى بن الحسين.

(٣) ابن الوزير. تاريخ بني الوزير (ق ٧٩/أ).

(٤) عارف. أصول الاتفاق ص ٣٠ - ٤٢.

(٥) الواسعي. تاريخ اليمن ص ١٦١ تلقى مطرف بن شهاب بعض علمه عن أحد دعاة الإسماعيلية ويسمى الحسين بن عامر بن طاهر.

(٦) مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ٥٢) - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٨٠ - أحمد بن سليمان. الحكمة الدرية (ق ١٣٤).

(٧) الأكوع. اليمن الخضراء مهد الحضارة ص ١١٢.

(٨) ابن الوزير. تاريخ بني الوزير (ق ٧٨/ب، ٧٩/ب) ويقرب تصورهم من تصور المعمرية أتباع معمر بن عباد السلمي (ت ٢٢٠هـ) انظر: عارف. أصول الاتفاق ص ٣٢.

(٩) مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ٦، ٢٣٩، ٢٩٠).

وكان من زعماء المخترعة القاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي ممن عاصر الإمام القاسم بن علي العياني. وقد تخلف عن إمامته منكراً عليه مخالفته للإمام الهادي في مسائل الفروع[١].

ثالثاً: الحسينية:

وهي التي تنسب إلى الحسين بن القاسم العياني (ت ٤٠٤هـ)، الذي تولى الإمامة بعد أبيه وكان لهم اعتقادات قريبة من الإمامية[٢] بل كانت لأتباعه اعتقادات فاسدة حيث كانوا يعتبرونه أفضل من رسول الله ﷺ.

وقد وقف كل من المطرفية والمخترعة ضد هذه الفرقة[٣]، فمطرف بن شهاب بعد أن بايع الحسين بن القاسم تراجع عن بيعته وكفر عما قام به معه[٤]، وكذلك الغطريف كما سبق عارض القاسم العياني ثم عارض ابنه الحسين أكثر من أبيه[٥]، وحرص مسلم اللحجي على تبيين مقولات الحسينية والتهجم عليها في أكثر من موضع[٦].

وإذا كان هذا في الجانب الكلامي فإن الجانب الفقهي للزيدية ظهر مترافقاً مع ظهور المذاهب السنية[٧] وكان يعد الإمام الهادي في الفروع - مستقلاً باجتهاده - فخالف زيد بن علي في مذهبه ولم يتقيد بأقواله التي تضمنها مجموعة الإمام زيد.

وظل مذهب الهادي يظهر من خلال آرائه الفقهية التي كانت تنفذ في المناطق الزيدية التي كان له سيطرة عليها، وتشمل اليمن الأخضر - كما كان يسمى - الذي

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٧٤.

(٢) المقبلي. صالح بن مهدي (١١٠٨هـ). العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ص ٨. ط الأولى. القاهرة. ١٣٢٨ - الخزرجي. العسجد المسبوك ص ٥١، ٥٢.

(٣) الوزير. تاريخ بني الوزير (ق٧٩/ أ).

(٤) الوزير. تاريخ بني الوزير (ق ٨٨/ب).

(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٤.

(٦) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٧٤.

(٧) مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق٣٩/ ٢٠٩، ٢٥٧ - ٢٦٧، ٣٥٣).

يمتد من (مكة) إلى (رداع)[١]، وكان يسير مع سير المذهب الكلامي، إلا أنه لم يكن هو المذهب الذي يحكم به في القضايا وفي صنعاء بالذات إلا في أواخر القرن الرابع - كما سيأتي الحديث عن المذهب الحنفي إن شاء الله - ومع هذا ظل مذهب الهادي الفقهي موحداً حتى ظهر مذهب الناصر الأطروش فحصل الاختلاف بينهما[٢] وسيأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله.

الفرقة الثانية: الإمامية:

أصبحت الشيعة فرقتين كبيرتين: فرقة الزيدية - وقد تحدثنا عنها وفرقها سابقاً- وهذه فرقة الإمامية، وهي التي نشأت بعد وفاة جعفر الصادق (ت١٤٨هـ) الذي كان له من الأولاد، موسى وإسحاق وعبد الله وعلي وإسماعيل. وكانت الشيعة تعتقد بإمامة جعفر الصادق ثم اختلفوا بعد وفاته وتفرقوا إلى فرق كل فرقة نسبت الإمامة إلى واحد من أبنائه[٣]. وكان الشيء الوحيد الذي يجمعهم هو القول بأن الإمامة بالنص وأما سائر الأفكار والتصورات حول الألوهية والعقل والنفس والوحي والملائكة والبعث والقيامة والجنة والنار فإن الإسماعيلية تشذ عن بقية الفرق الإمامية، وتنتهج لنفسها منهجاً آخر حيث تقوم بتأويل كل ذلك بتأويلات تحوم حول الإمام[٤].

وكانت أكبر الفرق الإمامية هي الاثنا عشرية والإسماعيلية.

فأما الاثنا عشرية فهم أولئك الذين أسندوا الإمامة إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق (ت ٨٣هـ) وجعلوا آخر إمام فيهم هو الإمام الثاني عشر عندهم محمد بن الحسن العسكري (ت٢٦٠هـ) ويعتبر لديهم هو المهدي المنتظر[٥].

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦.

(٢) المصدر نفسه (ص٥٩).

(٣) إدريس. عيون الأخبار جـ٤ ص ٢٣٧ - مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ٢٨٤).

(٤) الشهرستاني. الملل والنحل جـ١ ص ٢٢٣ وجـ٢ ص ٣ - ١٥ -الأشعري. مقالات جـ١ ص١٠٠ - ١٠٥.

(٥) مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ١٤٣).

ولما كانت هذه الفرقة ليس لها وجود فعلي في اليمن إلا بعض الأفراد أو التجمعات في (عدن) و (مَسْور)، وقد اندمجوا في فرقة الإسماعيلية لظهورها وتمكنها في البلاد[(١)]، فإننا سنصرف الحديث عنها لنتفرغ للإسماعيلية التي كان لها دور كبير ومؤثر في اليمن.

الإمامية الإسماعيلية:

وكما هو واضح فإن هذا الاسم هو نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (ت١٤٥هـ)، الذي عده شيعته إماماً انتقلت إليه الإمامة من أبيه على الرغم من وفاته قبل أبيه، وبعد وفاته استقرت الإمامة عند ابنه محمد بن إسماعيل وهو الإمام السابع[(٢)].

إلا أن الإسماعيلية أنفسهم لا يعترفون بموت إسماعيل في عهد أبيه بل يدعون أن أباه أسند إليه الإمامة ثم أعلن موته (تقية) خشية عليه من الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ، وأنه لم يمت إلا بعد وفاة أبيه بخمس سنوات، وبهذا اعتبر إسماعيل هو أول إمام (مستور) في ترتيبهم لأئمتهم[(٣)].

وأياً كان الأمر فإن الشيعة الإمامية بعد جعفر الصادق اتخذت أشكالاً عدة وتصورات مختلفة للعمل لتحقيق أغراضهم.

فالإسماعيلية اتخذت العمل السري الجاد الذي ضَرَبَ حول تحركاته سِريَةً مطلقة مما جعل المؤرخين يخبطون خَبْطَ عشواء لتفسير الظواهر والأحداث والأشخاص وسبب هذا كله هو سرية الحركة[(٤)].

---

(١) العمري. الحركات الفكرية ص ٧.

(٢) الحمادي. كشف أسرار الباطنية ص ٢١، ٢٥.

(٣) ابن خلدون. المقدمة جـ١ ص ٣٥٦- العُمرَي. الحركات الفكرية ص ٧.

(٤) مصطفى غالب. تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ١٢٨، ١٢٩ - مجهول. دستور المنجمين ص ١٦٧ (النص المنتزع منه المثبت في ملاحق كتاب القرامطة لدخويه).

(٥) طه الولي. القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام ص ٤٥، ٤٦، ط. الأولى ١٩٨١م. دار العلم للملايين. بيروت.

إلا أنه في الآونة الأخيرة ظهرت بعض كتب الإسماعيلية السرية مما يلقي بعض الأضواء على تلك الحركة.

وليس من مجال هذا البحث أن نتعرض - بالتفصيل - للحركة الإسماعيلية عقيدة وحركة سرية.. وعلنية، ولكننا سنتوقف عند بعض أساسياتها التي تجعلنا نفسر بعض الظواهر التي حدثت في تاريخها.

تعريفات الأسماء:

أول ما نبحثه بادئ ذي بدء هو توضيح العلاقة بين كلٍ من الأسماء التالية: الإسماعيلية، القرامطة، الباطنية، وهل هي مسميات لمنظمة واحدة أم هي أسماء لفرق ثلاث؟

فالإسماعيلية: كما قلنا تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق.

أما اسم القرامطة فقد حصل اختلاف حول منشأه وسبب نشوئه وإلى من نسب، ويمكن حصر تلك الاختلافات في ثلاثة مفهومات لهذا اللفظ (القرامطة):

المفهوم الأول: النسبة إلى (حمدان قرمط). فالقرامطة لفظ مأخوذ من القرمطة، وهي دقة الكتابة، ومقاربة الخطو[١]، ولما كان (حمدان قرمط) أحد لدعاة الكبار لأئمة الإسماعيلية ملقباً (بقرمط) - لأنه كان يقارب خطراته[٢] وكان له تأثير على أتباعه - فقد نسبت إليه فرقة (القرامطة).

ويقال إنه لم يلقب بذلك إلا لأنه كان أحمر العينين وهي معنى (كرميته) باللغة النبطية[٣]، ثم حرفت هذه الكلمة لتصبح (قرمط)[٤]. وهناك رأي آخر يقول: إنه لم

---

(١) الزاوي. الطاهر أحمد. ترتيب القاموس المحيط (للفيروزأبادي) جـ٣ ص٦٠٥. ط٢. عيسى الحلبي. القاهرة.

(٢) عارف. تامر. القرامطة: أصلهم - نشأتهم- تاريخهم - حروبهم ص ٧٦،٧٧. دار مكتبة الحياة. بيروت.

(٣) النبطية: اللغة النبطية نسبة إلى قوم يقال لهم الأنباط وهم قوم ينزلون سواد العراق (لسان العرب. جـ٦ ص ٢٣٢٦).

(٤) الطبري. التاريخ جـ١٠ ص ٢٤.

يلقب بقرمط إلا لأنه من قرية (قرمط) إحدى قرى (واسط)[١].

المفهوم الثاني: النسبة إلى قبيلة. فالحركة الإسماعيلية حينما ظهرت في الشام كان أبرز زعمائهم الملقب بصاحب الخال وبصاحب الجمل. وكان من قيس من بني قرمطي بن جعفر بن قيس بن غيلان[٢] والذي يؤيد هذا اللقب أن لفظ القرامطة لم يظهر إلا بعد سنة ٢٩٠هـ وقد أطلق أول ما أطلق على أحد قاداتهم الملقب بصاحب الخال أو صاحب الشامة الذي خرج من الشام سنة ٢٩٠هـ[٣].

المفهوم الثالث: النسبة إلى مذهب خاص حيث يرى بعض العلماء له نسبة إلى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الإسلام[٤].

ومن هنا فقد ذهب بعض الباحثين المُحْدثين إلى أن كلمة (قرمطة) هي كلمة آرامية تعني (العلم السري)[٥]، أي علم الباطن... ومن هنا نصل إلى الاسم الثالث وهو (الباطنية) الذين يقولون إن لكل ظاهر باطناً وبهذا فكأن القرامطة هم باطنية... وهم أيضاً إسماعيلية حيث كان من المعروف أن زعماء القرامطة كانوا من دعاة الدعوة الإسماعيلية[٦]، وهذه اشتهرت بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره،[٧] وبهذا يكون معنى القرامطة هو الباطنية الذي هو من أبرز صفات الإسماعيلية[٨].

---

(١) التهانوي. كشاف مصطلحات الفنون جـ٤ ص٤ - وواسط هنا هي مدينة تقع بين بغداد والبصرة وقد بناها الحجاج الثقفي (البكري. معجم ما استعجم جـ٢ ص ١٣٦٣).

(٢) المقريزي. المقفي الكبير (ص ٤٠٧) (ضمن كتاب / أخبار القرامطة).

(٣) ابن العديم. بغية الطلب ص ٢٧٨(ضمن كتاب أخبار القرامطة) قتل صاحب الخال سنة ٢٩٣هـ.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٧٧.

(٥) زكار. أخبار القرامطة ص ٤٥ من المقدمة.

(٦) إدريس. عيون الأخبار جـ٥ ص ٩٠.

(٧) التهانوي. كشاف جـ٤ ص٤ - وقالوا إن لأهل الظاهر العذاب والنقمة، ولأهل الباطن الثواب والرحمة. (انظر: الحامدي. إبراهيم بن الحسين. كتاب كنز الولد ص ٢١٩. تحقيق/ مصطفى غالب. دار الأندلس. بيروت. ١٩٧٩م).

(٨) انظر: الديلمي. محمد بن الحسن (توفي بعد سنة ٧٠٧هـ). بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص٢١-٢٥ (جزء من كتاب قواعد آل محمد. استخرجه وصححه/ رشروطمان. نشر/ إدارة ترجمان السنة. لاهور - باكستان).

الباطنية في كتب الإسماعيلية والقرامطة:

وبالعودة إلى دراسة كتب الإسماعيلية وكتب القرامطة فإننا سنجد التأويل، والقول بالباطن ظاهرة بارزة في كل كتبهم، ومن أشهر تلك الكتب الإسماعيلية التي قامت على التأويل كتاب تأويل الدعائم لقاضي قضاة الدولة الفاطمية في أيام المعز الفاطمي (ت ٣٦٥هـ)، وهو القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ)[١]، وفيه يذكر النص وتفسيره الظاهري ثم يذكر التأويل الباطني للنص باعتباره هو الأصل. وهذا ظاهر أيضاً في الكتب الإسماعيلية الأخرى التي ظهرت حتى الآن[٢].

ثم نلاحظ هذا النهج نفسه في كتاب لأحد دعاة القرامطة وهو: عبدان، فهو يذكر في أكثر من موطن في كتابه لفظ (الباطن).. ولفظ (الباطني)، و(الباطنيين)[٣].

فهذا وذاك يدل دلالة واضحة على أن أساس كل من الإسماعيلية والقرامطة هو الباطنية - أي الاعتماد على التأويل الباطني للنصوص بالإضافة إلى (الباطنية) أو السرية في الحركة والعمل - مع الأخذ في الاعتبار أن الباطنية كمذهب شرعة اليونانيون القدماء وحصروا أسراره بالمطلعين[٤].

شبهة الخلاف بين الإسماعيلية والقرامطة:

أما الخلاف الذي حصل بين الفريقين فهو خلاف في بداية الأمر كان يقوم على أساس من التكتيك أو التقية، أو التغطية على أئمة الإسماعيلية[٥]. ولكن فيما بعد قد يكون السبب هو استعجال زعماء القرامطة لإظهار معتقداتهم كلها السرية منها والعلنية. وقد يكون منها تلك الإباحية التي نسبت إليهم، وهي إن صدقت الروايات

---

(١) القاضي. النعمان. تأويل الدعائم (ثلاثة أجزاء). تحقيق/ محمد حسن الأعظمي. دار المعارف بمصر.

(٢) ديوان داعي الدعاة ص ٦ من مقدمة المحقق.

(٣) عبدان (الداعي القرمطي). كتاب شجرة اليقين ص ١٩، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٥٠، ٨٩... الخ. تحقيق/عارف تامر - ط الأولى - ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

(٤) عبد الله النجار. مذهب الدروز والتوحيد ص ٢٨. دار المعارف. بمصر سنة ١٩٦٥م. ينسب هذا المذهب إلى أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس (طه الولي. القرامطة. ص١٢٢).

(٥) عارف تامر. القرامطة ص ١١١.

فقد كانت جزءاً من معتقداتهم غير المعلنة، ومن الثابت أن العمل فرع عن عقيدة - بمعنى أن العقيدة تفرز الأعمال - ومن هنا نستطيع تفسير ما قام به علي بن الفضل في اليمن من إباحية وتحليل المحرمات[١]، فهو لم يخرج عن المعتقدات الإسماعيلية ولكنه كشفها وعمل بها ولم يؤخرها كما فعل صاحبه منصور اليمن بأوامر من الإمام الإسماعيلي (الفاطمي) في المغرب[٢]، ويكفي أن نشير إلى أن ابن النديم قرأ كتاباً من كتب الإسماعيلية - وهو لا يفرق بين الإسماعيلية والقرامطة - فرأى فيه إباحة المحظورات ووضع الشرائع[٣].

ولعل ما قامت به القرامطة من انتزاع الحجر الأسود سنة ٣١٧هـ، هو تنفيذ لنبوءة ومعتقد باطني يعتقده كل من القرامطة والإسماعيلية الفاطميين، إلا أن هؤلاء - كما يبدو - لم يكونوا - بعد أن توصلوا إلى الحكم - متحمسين لتنفيذ نبوءاتهم التي كانوا يعتقدونها[٤].

وقد لاحظ هذا أحد الباحثين مما جعله يرجحّ أن التعاليم الفاطمية ابتدأت بشيء من الغلو ثم عادت إلى الاعتدال بعد أن تم لهم الأمر في مصر[٥].

والذي يؤكد أن هذه المعتقدات كانت هي السائدة عند الدعاة الإسماعيليين في اليمن، أن كثيراً من التأويلات التي توجد في كتب الإسماعيلية منسوبة إلى أحد دعاتهم الكبار الذي عاش ونشأ وتعلم في اليمن وهو جعفر بن منصور اليمن الذي تربى على يد والده[٦]. بل جاءت بعض التصورات الإسماعيلية الباطنية عند منصور اليمن

---

(١) العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٤ - زكار. أخبار القرامطة ص ٣٣ من المقدمة وص٩٧، ٢٣٠ وانظر: للمؤلف. تاريخ اليمن في الإسلام.

(٢) الحامدي. كنز الولد ص ٢٠ - المقدمة.

(٣) الفهرست ص ٢٦٨ - انظر: مسلم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق٤٣).

(٤) دي خويه. القرامطة ص ١٧٨، ١٧٩ - ابن النديم. الفهرست ص ٢٦٧ - كانت نبوءاتهم تقوم أساساً على التنجيم ولذلك يتوقعون بدء العصر الجديد وعصر الديانة الحقيقية في عام ٣١٦هـ.

(٥) محمد كامل حسين. ديوان داعي الدعاة ص ٦، ١٢٤.

(٦) انظر: كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن. نشر / المستشرق الألماني ستروثمان على نفقة جمعية الدراسات الإسلامية بالهند - محمد كامل حسين. ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ص٦، ٧، ١٣٤ وما بعدها. عاش جعفر بن منصور اليمن في القرن الرابع الهجري.

نفسه[١]، مما يدل على رسوخ تلك الأفكار عند دعاتهم وأنه إذا وقف الإسماعيليون ضد زعماء القرامطة وسفَّهوهم فإن ذلك يرجع إلى كونهم كشفوا المستور فقط، أو يمكن اعتباره اختلافاً في التطبيق لتلك المعتقدات، وهذا هو السبب الأساسي للاختلاف بين الإسماعيلية والقرامطة.

ولا نغفل الطبيعة البشرية التي تسعى إلى التفرد بالمكاسب التي جاءت نتيجة لما بذل من جهد، فزعماء القرامطة هم من دعاة الإسماعيلية، ومن العسير التخلي عن المكاسب التي حققوها وتسليمها إلى زعماء لم يكن لهم أي جهد في تحقيقها ما لم يكن هناك تضحية وتجرد عن الذات تماماً. فهذان السببان هما اللذان يقفان وراء اختلاف الإسماعيلية والقرامطة.

معتقداتهم:

مما سبق يتبين أن اللجوء إلى كتب الإسماعيلية والقرامطة لاستخراج معتقداتهم في شتى مناحي الفكر في ذلك الوقت هو ضرب من الغوص فيما لا يعنينا كثيراً في هذا البحث، ولكن المطلوب هو الإشارة إلى النزر اليسير منها للتعريف المجمل بهذه الفرقة:

أ - فغالب تصوراتهم وأفكارهم مستقاة من الفلسفات اليونانية مع إدخال بعض اللمسات الإسلامية المحرفة عليها[٢].

ب - إن المتصفح للمصطلحات والألقاب وترتيب القضايا المبثوثة في كتب الإسماعيلية[٣]، والقرامطة[٤]، ....

---

(١) الحامدي. كنز الولد ص ١٩٩.

(٢) عارف تامر. القرامطة ص ٨٠. انظر: طه الولي. القرامطة ص ١١٣ - ١١٧.

(٣) مثل كتاب: كنز الولد للحامدي. وأربع رسائل إسماعيلية. تحقيق/ عارف تامر. ط٢. ١٩٧٨م مكتبة الحياة. بيروت. وكتاب الذخيرة في الحقيقة للداعي الفاطمي اليماني علي بن الوليد (ت ٦١٢هـ) تحقيق / محمد حسن الأعظمي. دار الثقافة. بيروت. ١٩٧١م.

(٤) مثل كتاب شجرة اليقين للداعي القرمطي عبدان.

بل ورسائل إخوان الصفا[١] يجد التشابه الواضح بين غالب محتويات تلك الكتب جميعها. مما يدل على خروجها من عقل أو عقول موحدة التفكير والهدف والوسائل.

جـ - لم يقتصروا في موضوع الإمامة على ذرية علي بن أبي طالب، بل سلسلوا الإمامة من بداية الخليقة في سبعة أدوار حتى (قيام القائم) الذي يعتبرونه أفضل من محمد ﷺ[٢].

وقد عدوا محمد بن إسماعيل متمم الشريعة وموفيها حقوقها وحدودها وأنه السابع من الرسل[٣]. فأعطوا الإمامة مركزاً سامياً مقدساً[٤]، وكل إمام عندهم معصوم[٥] تسلم الإمامة بالتسلسل منذ بداية الخليقة.

د - أما تصوراتهم عن التوحيد وذات الله وصفاته فهم يجردون الله سبحانه وتعالى من أي صفة وإسم ويثبتون له فقط إيجاد العقل الأول، وكل المخلوقات بعد ذلك وجدت بالانبعاث اللاحق من السابق وهكذا، وكان العقل هو الواسطة بين الله سبحانه وبين عباده[٦].

ومعرفة الله لا تتم إلا بمعرفة حدوده وعددهم تسعة وتسعون حداً ويزعمون أنها المشار إليها في حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: أخوان الصفا - جامعة الجامعة ص ١٠ - ٥٩. تحقيق / عارف تامر. دار مكتبة الحياة. بيروت. لقد ثبت من خلال الكتب الإسماعيلية أن هذه الرسائل من تأليف علماء الإسماعيلية.

(٢) عارف تامر. الإمامة في الإسلام ص ١٤١، ١٤٢ وما بعدها. دار الكاتب العربي. بيروت. ومكتبة النهضة. بغداد - ومصطفى غالب. أعلام الإسماعيلية ص ٤١ - ٤٧ - جدول رقم (١). دار اليقظة العربية. بيروت ١٩٦٤م - الحامدي. كنز الولد ص ٢٥٣.

(٣) الحامدي. كنز الولد ص ٢١١ - الحامدي. كنز الولد ص ٢٥٣.

(٤) مصطفى غالب. تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ٤١.

(٥) الحامدي. كنز الولد ص ٦.

(٦) انظر: شهاب الدين أبو فراس (ت٩٤٧هـ). مطالع الشموس في معرفة النفوس ص ١٧ (ضمن أربع رسائل إسماعيلية).

«إن لله تسعة وتسعين إسماً - مائة إلا واحداً - من أحصاها دخل الجنة»[١].

وهذه الحدود روحانية وجسمانية وعلوية وسفلية من حكماء وأئمة وأنبياء وأوصياء وخلفاء وملائكة.. وأدوار اخترعوها.. الخ[٢].

هـ - ولهم تصورات عما يحدث بعد الموت بما يشبه التناسخ والحلول فأرواح الأولياء والمؤمنين تصعد في الهواء إلى الأفلاك كالقمر، والزهرة... الخ، بينما تهبط نفوس العصاة في زحل والمريخ... الخ.

أما المخالفون العاصون للأئمة، الخارجون عن ولاية الإمام فإنه يسقط إلى الحضيض ويسكن بيوتاً مظلمة نحسة إما امرأة جاهلة أو رجل جاهل... فإذا مات هذا سكن بعده بيتاً هو أظلم منه.. وهكذا حتى يصل إلى أن يحل في شيء من المأكولات والمشروبات الخسيسة.. وأصناف من المعادن الخبيثة.. أو في نباتات نجسة... الخ[٣].

و - وكل إسم أو صفة أو نص في القرآن أو السنة أو من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو أئمتهم فإن له تأويلاً باطنياً لا يمت إلى التفسير الظاهري بصلة. وهم حريصون على إخفاء تفسيراتهم الباطنية، ويحذرون من إفشائها ويطلبون ممن يقرأ كتبهم أن يقسم أيماناً مغلظة بأن لا يفشي ما قرأه[٤].

---

(١) رواه البخاري. (انظر: ابن حجر. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٣ ص ٣٧٧. ترتيب /محمد فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية. القاهرة سنة ١٣٨٠هـ.

(٢) انظر: عبدان. شجرة اليقين ص٨٩، ١١٤ وابن الوليد. الذخيرة ص ٧٥ - الحامدي. كنز الولد ص ٢٠٥

(٣) ابن الوليد. الذخيرة ص ١٢٥ - ١٤٩ - الحامدي. كنز الولد ص ٣٠٩ - وانظر عن التناسخ: أحمد عطية الله. القاموس الإسلامي جـ١ ص ٤٩٩ فهو مذهب عقائدي قديم يقول بانتقال الأرواح من حالة إلى حالة وانتقال الأجسام من نوع إلى نوع وهو من المعتقدات الشائعة بين الهنود البرهمية وبين الفرس المزدكية وبين بعض فلاسفة الإغريق، وتأثرت به بعض الفرق الإسلامية.

(٤) المصدر نفسه. ص٢١ - شهاب الدين. أبو فراس. مطلع الشموس في معرفة النفوس ص ٣٤. =

أماكن وجودهم في اليمن:

لقد سبق أن تحدثنا عن الإسماعيلية أو (القرامطة) في التمهيد وأنهم دخلوا اليمن عن طريق دعاتهم في النصف الثاني من القرن الثالث، وأنه لم ينته العقد الثاني من القرن الرابع إلا وقد انفرط عقدهم ولم تعد لهم دولة وتحولوا من الظهور إلى الخفاء وبدأوا بدور (السِّتر) يراسلون الإمام الإسماعيلي (الفاطمي فيما بعد) في المغرب ويربون الدعاة بسرية مطلقة حتى العقد الرابع من القرن الخامس وبالتحديد سنة ٤٣٩هـ استطاعوا تكوين دولة في اليمن أطلق عليها الدولة الصليحية (بقيت من سنة ٤٣٩هـ إلى سنة ٥٣٢هـ)(١)، وكانت قواعد تمركزهم في (مَسْوَر) ونَجْران(٢).

التصدي لهم فكرياً:

بينا في التمهيد مَنْ تصدى للإسماعيلية والقرامطة سياسياً وعسكرياً ولا بد هنا من توضيح من تصدى لهم فكرياً حيث إنَّ هذا جزءاً من الإثراء العلمي في الحياة العلمية.

فنظراً لاستقرار المذهب الإسماعيلي (القرمطي - الباطني- وهذا اللفظ هو الأشهر في اليمن) في المناطق الشمالية لليمن بحيث إنَّهم يزاحمون المذهب والفكر الزيدي في تلك المناطق. فقد كان من البديهي أن يتولى علماء الزيدية الرد عليهم وتفنيد آرائهم وأفكارهم.

وفي مقدمة هؤلاء العلماء أئمة الزيدية وعلى رأسهم الإمام الهادي الذي ألف كتباً في هذا الشأن منها:

١ - بوار القرامطة.

= (ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية) وقد اعتبر الربا محرماً وأولوه بأنه إفشاء الباطن. (انظر: الطيبي. شمس الدين بن أحمد بن يعقوب. الدستور - ودعوة المؤمنين للحضور ص ٧١ (ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية - عنان. محمد عبد الله. الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص ٢٥٧ ط٣. مكتبة الخانجي).

(١) انظر: الهمداني، الصليحيون ص ١٨، وما بعدها.

(٢) الديلمي. بيان مذهب الباطنية وبطلانه (ص/ن، ح)، من المقدمة.

٢ - الرد على الإمامية[(١)].

وقد أشار أبو علامة إلى أن هذه الكتب وغيرها معروفة وموجودة إلا أننا الآن لا نجد لهما أثراً فيما عرف من فهارس المكتبات حتى الآن[(٢)].

وجاء بعده أبناؤه فكتب محمد المرتضى كتابين: جواب ابن الفضل القرمطي، والرد على القرامطة أتباع علي بن الفضل وهما كسابقيه لا يوجدا فيما نعرف من مكتبات[(٣)].

ولم يرد في ترجمة أحمد الناصر بن الهادي أنه تصدى لهم فكرياً، إلا أننا لا نستبعد ذلك خاصة إذا عرفنا أن عبد الله بن عمر الهمداني صاحب الناصر وكاتب سيرته يكشف كثيراً من معتقداتهم، وقيلت أشعار في أكثر من مجلس من مجالس الناصر فيها الكثير من المصطلحات الباطنية مما يوحي بظهور بعض كتبهم ومحاولة الرد عليهم[(٤)].

ولقد ظلت الزيدية - غالباً - هي المترصدة للباطنية فكتبت فيها الكتب والرسائل والرد عليهم من خلال أفكارهم ومعتقداتهم التي بثوها في كتبهم[(٥)].

---

(١) أبو علامة. عز الدين محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين (ت ١٠٤٤هـ). التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية (ق٥٣/ أ) (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٥٧ تاريخ).

(٢) انظر: الحبشي. حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ص ٢٦، ٣٠. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار القرآن الكريم. بيروت.

(٣) زبارة. أئمة اليمن ص ٥٢ - الحبشي. حكام اليمن ص ٤٨.

(٤) مسلم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٣) - تاريخ مسلم اللحجي (ق١٥٩، ٢٢٦، ٢٦٨) -ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج ٣ ص ٤٣، ٤٤.

(٥) من الكتب اليمنية التي تخصصت في الرد على الباطنية: كشف أسرار الباطنية لابن أبي القبائل الحمادي - الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار لحميد المحلي (ت٦٥٣هـ) - والإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ). تحقيق/ فيصل بديرعون. منشأة المعارف الإسكندرية. ومكشاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار - ليحيى بن حمزة أيضاً - تحقيق/ الدكتور محمد السيد الجليد. الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣. الدار اليمنية للنشر والتوزيع. السعودية.

فقههم:

لقد وضعنا فرقة الإسماعيلية أو الباطنية تحت طائفة الفرق التي لها فكر عقائدي، ومذهب فقهي.

وقد بني هذا الرأي على معتقداتهم، فهم يعتقدون أن العلم لا يستمد إلا من أئمتهم ولا يؤخذ فقههم إلا من الأئمة المعصومين خاصة أن فقههم قائم على التأويل الباطني الذي لا يعلمه إلا الأئمة وكبار دعاتهم... الخ كما يزعمون(١).

وهم غالباً ما يستقون فقههم الاجتهادي من جعفر الصادق(٢)، وهذا ملحوظ في ثنايا كتبهم التي ظهرت حتى الآن.

ويمكن أن نعتبر من أبرز فقهائهم منصور اليمن، وابنه جعفر. الذي كان أحد ثلاثة فقهاء في الدولة الفاطمية(٣).

الفرقة الثالثة: الخوارج:

معنى الخوارج بصفة عامة هو كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، إلا أن هذا المصطلح أطلق على الطائفة التي خرجت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه(٤).

وتسمى بالشكاكية لأنهم قالوا لعلي: شككت في أمرك.

وتسمى أيضاً (بالحرورية) لأنهم نزلوا أرضاً يقال لها حروراء - قرب الكوفة - كذلك يسمون (بالشراة) لأنهم قالوا: اشترينا أنفسنا من الله تعالى(٥).

---

(١) مصطفى غالب. تاريخ الدعوة الإسلامية ص ٤٢.

(٢) أبو زهرة. محمد (الشيخ). تاريخ المذاهب الإسلامية ج٢ ص٥٤. دار الفكر العربي. القاهرة.

(٣) محمد كامل حسين. ديوان المؤيد داعي الدعاة ص ٧٢٦ - الفقهيان الآخران: القاضي النعمان ابن محمد (ت٣٦٠هـ) والمؤيد داعي الدعاة(ت ٤٨٠) - وانظر: طه الولي. القرامطة ص ١٨٢-١٩١.

(٤) الشهرستاني. الملل والنحل ج١ ص١٥٥.

(٥) السكسكي. عباس بن منصور (ت ٦٨٣هـ). البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٩.=

أيضاً يعرفون (بالمحكمة) لأنهم رفضوا مبدأ التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله[١].

وهم ينقسمون إلى عشرين فرقة[٢].

ويتفقون على التكفير بالذنب، وتكفير عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٣].

الإباضيـة:

والذي يعنينا من تلك الفرق (الإباضية) وهي التي كان لها وجود في اليمن دون غيرها.

وهم أصحاب - أو أتباع - عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام عبد الملك بن مروان[٤].

وهم يعدون معتدلين بالنسبة لغيرهم، بل هم أقرب فرق الخوارج إلى الجماعة الإسلامية[٥]، فهم يقولون بأن مخاليفهم كفار كفر نعمة غير مشركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال. وأن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم.

وقالوا في مرتكبي الكبائر إنهم موحدون لا مؤمنون.. ومع هذا فهم يعتقدون أن غنيمة أموالهم من السلاح والخيل فقط حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم

= تحقيق/ خليل أحمد إبراهيم أحمد. ط الأولى. ١٤٠٠هـ/ - ١٩٨٠م. دار التراث العربي. القاهرة وانظر: العمري. الحركات الفكرية ص ٤.

(١) الرازي. اعتقاد فرق المسلمين ص ٥٢.

(٢) البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٥٤.

(٣) الرازي. اعتقاد فرق المسلمين ص ٥١ - البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٥٥.

(٤) الشهرستاني. الملل والنحل جـ١ ص١٨٠، ١٨١ - الرازي. اعتقاد فرق المسلمين ص ١٤ وقد وهم الشهرستاني بخروج عبد الله بن إباض في عهد مروان بن محمد وهذا غير صحيح (انظر: الزركلي. الأعلام ٤/ ١٨٤).

(٥) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ - ص ٥٤.

إلا بعد إعلانهم بالقتال وإقامة الحجة عليهم(١).

وقد افترقت الإباضية إلى أربع فرق(٢) أيضاً، ولا يعلم ما إذا كانت هذه الفرق قد بقيت في اليمن أم لا؟ لعدم ورود ذلك في المصادر التي بين أيدينا.

الإباضية في اليمن:

مما يجب التنبيه إليه أن الخوارج بعد أن قاتلهم علي بن أبي طالب يوم النهروان(٣)، لم يفلت منها غير تسعة رجال سار منهم رجلان إلى اليمن. ومن أتباعهما إباضية اليمن(٤)، حيث كان استقرارهم في (حضرموت) ومغرب صنعاء في (شبام) ونواحيها(٥)، حتى (حَجَّه) و(الشَّرف) وكانوا كلهم على رأي الإباضية(٦).

أما في حضرموت فكانوا في مدينة (دَوْعَن) وفي قبيلة (الصَّدِف) كما أنهم استقروا في جزيرة سُقْطرى(٧)، وكان منهم طائفة في غرب..........

---

(١) الشهرستاني. الملل والنحل جـ١ ص١٨١ - السكسكي. البرهان ص ٩، ١٠ - البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٨٢، ٨٣ - نشوان الحميري. الحور العين ص١٧٣.

(٢) البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٨٣، والفرق: هي الحفصية والحارثية واليزيدية، وفرقة أخرى عرفها البغدادي بأنهم: أصحاب طاعة لا يراد الله بها.

(٣) النهروان: موقع واسع بين بغداد وواسط ووقعت فيه المعركة المشهورة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والخوارج (ياقوت. معجم البلدان جـ٥ ص٣٢٤).

(٤) البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٦١.

(٥) السكسكي. البرهان ص ٩.

(٦) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق٤٠/أ، ٤٥/ب) سبق التعريف بحضرموت ومغرب صنعاء وشبام - أما حجة: فهي مدينة في جبل حجة تقع شمال غرب اليمن (ياقوت. معجم البلدان جـ٢ ص٢٢٥) - وأما الشَّرف: فهو قلعة حصينة في (حجة) مطلة على تهامة (ياقوت. معجم البلدان جـ٣ ص ٣٣٦).

(٧) الهمداني. جزيرة العرب ص٧٠، ١٧٥، ١٧٦، جزيرة سقطرى: جزيرة كبيرة في بحر العرب جنوب مدينة عدن (ياقوت. معجم البلدان جـ٣ ص٢٢٧) أمّا الصَّدِف: - ككتف - بطن من قبيلة كِندة والصَّدِف هو: مالك بن مرتع الكِندي (الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ١٣ - ١٦ - وصفة جزيرة العرب ص ١٦٩، ٢٧٧ - ياقوت. معجم البلدان جـ٢ ص٤٧٢، وجـ٣ ص٣٩٧، وجـ٤ ص١٦١). أما دوعن: فهي في وادي دوعن وهي الآن عاصمة مقاطعة كبيرة (الأكوع. اليمن الخضراء ص ١٢٨).

همدان[١] وبنو شَاوِر[٢].

وقد اشتهروا في اليمن بألقاب غير ما هي معروفة عنهم في غير اليمن: فيطلق عليهم (المصرّرة) حيث كانوا يربطون صرّة من الثياب حول مجرى البول تحرزاً من أي رطوبة تحدث لهم وهي صورة من التحرز المبالغ فيه.

كما يطلق عليهم (البَيَّاضة) نسبة إلى سكانهم في مخاليف البياض[٣] التي تقع في مغرب صنعاء.

دورهم السياسي والفكري:

كان للإباضية دور سياسي في حضرموت خاصة، واليمن عامة منذ القرن الثاني الهجري وبالتحديد سنة ١٢٩هـ حينما ظهر رجل منهم يسمى عبد الله بن يحيى الكندي، ويعرف بطالب الحق، وقد استطاع أن يسيطر على حضرموت وصنعاء ثم اتجه نحو الحجاز، وسيطر عليه، إلا أن مروان بن محمد ما لبث أن قضى عليه وثورته حيث قتل إثر معركة بينه وبين جيش بني أمية في الطريق بين مكة وصنعاء[٤].

ولم تكن لهم بعد ذلك قوة تذكر سوى دورهم العلمي والفكري ويتضح هذا من بعض المواقف والمناظرات التي كانت تتم بين بعض زعمائهم وبين الناصر بن الهادي وبعض علماء الزيدية[٥].

وقد ألف الناصر كتاباً للرّد على الإباضية[٦].

---

(١) نشوان الحميري. الحور العين ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم اللحجي (ق ٢٦٩).

(٣) المصدر نفسه (ق ٢٠٢،٢٠٦) - وابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ٢٧٨.

(٤) السيابي. سالم بن حمود بن شامس. الحقيقة المجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز ص٤٣ نشر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان. ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م - الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي جـ١ ص١٢٧ - ١٣٩.

(٥) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق٤/ب، ٤٤/ب) - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٣ ص ٤٢.

(٦) المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٤٦ - مسلم اللحجي. من أخبار الزيدية (ق٤٠/أ، ٤٤/ب، ٤٥/ب) - الإصطخري. مسالك الممالك ص ٢٥.

بالإضافة إلى المواجهات الفكرية التي قامت بين المهاجر أحمد بن عيسى العلوي وبين الخوارج بحضرموت حتى أدى إلى إقناع الكثير منهم وتخليهم عن مذهب الخوارج[١]. ومع هذا فلا ينبغي أن نغفل تجمعهم فيما بعد في كتلة واحدة لها قيادة خاصة حيث كان لهم إمام في منطقة حضرموت[٢]، وزعماء في مغرب صنعاء يحيطون بهم ويدفعون إليهم بزكاتهم[٣]، ولذلك رفضوا دعوة الناصر بن الهادي ومزقوا كتاب دعوته فقاتلهم حتى دان بعضهم له[٤].

الإباضية في كتبهم:

ولا بد - إنصافاً لهم - أن نورد آراءهم حول القضايا التي نسبت إليهم. وعلى الرغم أن هذه الكتب التي رجعنا إليها حديثة إلا أنها تعبر إلى حد ما عن وجهات نظرهم، فهم مثلاً ينكرون صلتهم بالخوارج كلية بل هم في نظرهم مشركون ويقولون عن أنفسهم وعن إمامهم عبد الله بن إباض: بأنه زعيم ديني لم يزل داعياً إلى الله جاداً مجداً مرشداً ولا يحابي الظلمة.. ومن هنا فلم يكن إماماً له مذهب خاص ولا مسألة واحدة في الدين[٥].

وهم يعظمون أبا بكر وعمر ويسكتون عن عثمان وعلي وغيرهما، وأن أمرهم موكول إلى الله.

أما معاوية فهم يقدحون فيه هو وعمرو بن العاص[٦].

فقههم:

وقد يقال إنه ليس لهم فقه مذهبي خاص بهم بالرغم من بعض المسائل الفقهية

---

(١) الشاطري. أدوار التاريخ الحضرمي جـ١ ص ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ١٧٥.

(٣) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ١٩٤).

(٤) المصدر نفسه. من أخبار الزيدية (ق ٤٥/ ب).

(٥) السيابي. سالم بن حمود بن شامس. أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج ص ٢٠، ٣٢. تحقيق / سيدة إسماعيل كاشف. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٩٧٩م.

(٦) السيابي. أصدق المناهج ص ٦٣ - ٦٤.

المنسوبة إليهم، وهم يعترفون أيضاً أنه ليس لهم مذهب خاص يتقيدون به، ويعتبرون أنفسهم رجال تقييد لا تقليد، وأهل اعتماد على الحق لا على الخلق، فلا يتقيدون إلا بالله ورسوله فقط(١).

إلا أن هذا يدل على أن اجتهاداتهم الخاصة غير مرتبطة بمذهب بعينه. وقد أشار أبو زهرة إلى (الفِرَق) التي لها مذاهب فقهية وعد منها (الإباضية) أتباع عبد الله بن إباض، وله فقه مدون، وللإباضية جهود في تحرير مذهبهم(٢).

وقد أشار ابن المجاور(٣) إلى أنهم يتمذهبون بمذهب أحمد بن حنبل، ولكن من خلال كتبهم السابقة لا يقولون بذلك، ولعلَّهم يوافقونه في بعض مسائله، أو أنهم يتمذهبون بالمذهب الفكري الذي عرف عن الحنابلة فيما بعد القرن الرابع الهجري.

المجموعة الثانية: الفرق الفكرية التربوية

أولاً: المعتزلة والجهمية:

يطلق لفظ المعتزلة على من التف حول واصل بن عطاء (ت١٣١هـ)(٤) زعيمهم حيث كان في حلقة الحسن البصري فأفتى بأمر يخالف رأي الحسن(٥) فاعتزل مجلسه وعقد حلقة يفتي بما يراه صواباً.

والمعتزلة يرضون بهذا الاسم ويحتجون له بقوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١.

(٢) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية ج٢ ص ٥٤.

(٣) تاريخ المستبصر ص ٢٧٩، ٢٨٠.

(٤) واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين وتنسب إليه طائفة تسمى (الواصلية) وله تصانيف(الزركلي. الأعلام ج٩ ص ١٣١).

(٥) سئل الحسن البصري عن مرتكب الكبيرة، وقبل أن يجيب الحسن البصري أجاب واصل بن عطاء قائلاً: أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن: اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزلة. (الشهرستاني. الملل والنحل ج١ ص ٦٠).

﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾[١]، وبأقوال متعددة..

ويسمون أنفسهم (العدلية) لقولهم بعدل الله وحكمته.

ويطلقون على أنفسهم (الموحدة) لقولهم قديم مع الله[٢].

وقد حدد المرتضى[٣] ما أجمعت عليه المعتزلة في الألوهية والنبوة والإيمان والكفر والمنزلة بين المنزلتين، وأفعال العباد، وتولى الصحابة والبراءة من معاوية وعمرو بن العاص ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتفترق المعتزلة إلى ثلاثة عشرة فرقة[٤]، وقيل سبع عشر فرقة[٥]، وعند بعضهم ثماني عشرة فرقة[٦]، وأوصلها بعضهم إلى عشرين فرقة[٧].

ولا تعنينا فرقهم ولكن كل ما يعنينا هنا ما إذا كان لفرقة المعتزلة أثر في اليمن أم لا؟

فقد ثبت أن واصل بن عطاء أرسل دعاته إلى كثير من الأمصار فأرسل إلى اليمن رجلاً من أصحابه يقال له: القاسم بن الصعدي[٨]، لينشر ما يدعو إليه ويبدو أنه حقق ما كان يصبو إليه.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤٨.

(٢) يوردون مثلاً حديثاً ينسبونه إلى النبي ﷺ: «من اعتزل من الشر سقط في الخير» ويرون عن سفيان الثوري عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة (المرتضى. المعتزلة ص٢، ٣) وقد أخذت منه التعريفات والأقوال والأحاديث السابقة وانظر: (الرازي. اعتقاد فرق المسلمين ص ٢٣ - ٢٩ - السكسكي. البرهان ص ٢٦، ٢٧).

(٣) المرتضى. المعتزلة ص ٦.

(٤) المرتضى. المعتزلة ص ٢.

(٥) الرازي. اعتقاد فرق المسلمين ص ٣٠.

(٦) السكسكي. البرهان ص ٢٧.

(٧) البغدادي. الفرق بين الفرق ص ٩٣.

(٨) هكذا جاءت عند نشوان الحميري. في رسالة الحور العين ص ٢٠٨، ولكنه ورد عند المرتضى. المعتزلة ص ٢٥: (السعدي) بالسين.

فقد دار حوار بين الإمام عبد الرزاق الصنعاني وبين أحد المعتزلة ويسمى إبراهيم بن يحيى اعترف فيه عبد الرزاق بأن المعتزلة في اليمن كثير[١].

ولأن مذهب الاعتزال كان فيه ميل إلى موالاة الشيعة فقد مال إليه كثير من (أبناء فارس) الذين كانوا في اليمن لميلهم إلى التشيع إلا أن بني أمية قتلوا منهم الكثير باعتبارهم من الشيعة فآثروا الرجوع عن الاعتزال[٢]، ومع هذا فقد أفادنا المقدسي[٣]، وهو يرصد المذاهب والفرق في كل مصر نزله فيقول: «إن شيعة صعدة هم معتزلة».

وقد أدرجتُ (الجهمية) مع (المعتزلة) لأن هناك توافقاً بين المذهبين في مسألة نفي الصفات والقدر[٤]، كما أن لقب (الجهمية) غلب على (المعتزلة) منذ عهد المأمون وأخذت (المعتزلة) عن (الجهمية) ولذلك أطلق أئمة الحديث لفظ (الجهمية) على (المعتزلة)[٥].

والجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ)[٦]، وقد دخلت مقالة (الجهمية) إلى صنعاء بين سنتي ١٥٣ أو ١٥٩هـ على يد رجل يسمى (ضرار) ثم تولى نشرها محمد بن مكشوح الصنعاني[٧].

ولا تمدنا المصادر بمعلومات عن أثر هذا الانتشار.

---

(١) السيوطي. صون المنطق والكلام ص ٥٣.
(٢) نشوان الحميري. الحور العين ص ٢١١، ٢١٢.
(٣) أحسن التقاسيم ص ٩٦.
(٤) السكسكي. البرهان ص ٢٦ - الرازي. اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ص ١٠٣.
(٥) جمال الدين القاسمي. الدمشقي. تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ١٠، ٥٩. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
(٦) المصدر نفسه ص ١٢ - ١٩. جهم: هو من أهل خراسان وقد قام مع الحارس بن سريج ضد بني أمية داعياً إلى الكتاب والسنة والشورى حتى قبل سنة ١٢٨هـ وكان يعتمد في فكره على تأويل آيات الصفات كلها والجنوح إلى التنزيه البحت.
(٧) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٩٣ - مجهول. تاريخ اليمن (ق١٥٠/ ب).

أما المعتزلة فإننا نستطيع أن نقول إنها استقرت في اليمن منذ أن دخلت الزيدية إليه، فالإمام الهادي إلى الحق هو رأس الزيدية في اليمن وهو أيضاً حامل علم المعتزلة فقد تتلمذ على يد أبي القاسم البلخي (ت ٣١٩هـ) وعليه أخذ الأصول وعلم الكلام وتابعه في غالب قوله[١]. ومع هذا نجد الهادي يعترض ويشنع على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون بأن الإمامة جائزة في الناس كلهم[٢].

ولعلَّ هذا الجانب - جانب الإمامة- هو الجانب البارز الذي فيه الاختلاف بين المعتزلة والزيدية، وقد ورد أن مذهب المعتزلة دخل اليمن في آخر القرن الرابع في زمن القاسم بن علي العياني، بل قيل إن كتب المعتزلة لم تدخل اليمن قبل سنة ٥٥٤هـ على يد جعفر بن عبد السلام (ت ٥٧٣هـ)[٣]. وهذا أمر مبالغ فيه وغير دقيق؛ لأن الهادي كان معتزلي الأصول بتقرير صاحب الروايات السابقة نفسه، ولا شك أن الهادي سيجادل خصومه بما يعتقده من أصول، وقد ظهر هذا من جداله لقضاة صنعاء حينما سألوه عن العاصي والمعصية[٤]. وهذا يؤكد على أن شيعة اليمن معتزلة كما سبق ذكره.

ولكن من المحتمل أنه بعد أن انقطع الرجال الذين كانوا حاملين للفكر الاعتزالي مثل الهادي وأولاده اتجهت الأنظار للأخذ من شيوخ المعتزلة ومصادرهم في العراق، فكان هذا في زمن القاسم العياني ثم جاءت كتبهم فيما بعد. والذي يدل على تأثير المعتزلة الفعلي أواخر القرن الرابع أنه على أساس أفكار المعتزلة افترقت الزيدية في اليمن إلى مخترعة ومطرفية وهم يعتمدون على أفكار من المعتزلة وفرقها[٥].

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٦ - المرتضى. المعتزلة ص ٥١، ٥٢.

(٢) الهادي. المجموعة الفاخرة ص ٧٩.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٧٤، ١٣٠ - وغاية الأماني جـ١ ص٣١٨.

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٧٤، ١٣٠ - وغاية الأماني جـ١ ص ٤١.

(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٧٤، ٧٦، ٨٥ - انظر: عارف. أصول الاتفاق ص٨٥ - ٦٠ وكانت المطرفية تتبع فرقة الكعبية التي تنسب إلى أبي القاسم البلخي الكعبي الذي كان شيخاً للهادي.

ثانيا: أهل السنة:

وهي التي تمثل جمهور جماعة المسلمين وقد عدها أصحابها الفرقة الناجية إلا أن خصومها أطلقوا عليها أوصافاً بقصد الانتقاص منها.

وقد ظهرت بعض هذه الأوصاف في اليمن فهم يطلقون عليهم (مجبّرة) لقولهم: إن أفعال العباد بقضاء الله وقدره وإرادته وخلقه، كما أنهم أطلقوا عليهم: (مشبّهة) لقولهم: بإثبات الصفات لله عز وجل من العلم والقدرة والحياة وغير ذلك من صفات المعاني[(١)].

وتقول مصادر الزيدية: «إنه حينما دخل الهادي إلى اليمن» كان أهلها جميعاً من أهل الجبر؛ لأن دولة بني أمية كانوا جبرية، ولم تغير دولة بني العباس ذلك حتى جاء الهادي فغيرهم[(٢)].

بل وأطلقوا على من يرى رأي أحمد بن حنبل بأنهم جبرية ومشبهة[(٣)].

وألف الهادي كتباً وكذلك أبناؤه للرد على الجبرية والمشبهة[(٤)]، وتولى أتباعهم من بعدهم مناظرتهم والرّد عليهم مثل الطبري الذي ناظر رجلاً حسينياً كان يقول بالبجر[(٥)]، مما يدل على أن جماعة أهل السنة تصدت لها الزيدية بفكرها المعتزلي، كما هو الحال بالنسبة للصراع الفكري الذي كان يدور بين أهل السنة والمعتزلة في بقية الأمصار.

ونخلص من هذا أنه لم يأت آخر القرن الرابع إلا واليمن موزع فكرياً بين الزيدية بشعبيتها: المخترعة والمطرفية في الشمال - وأساس أفكارهم مستمدة من المعتزلة -

---

(١) السكسكي. البرهان ص ٦١.

(٢) أحمد بن سليمان. الحكمة الدرية (ق ١٤٧) - أحمد بن محمد الشرفي. عقائد أهل اليمن في عهد بني أمية (ق١/أ)، (مخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء. مجاميع ٨).

(٣) مسلم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٣٣٩).

(٤) المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٤٦ - مسلم اللحجي. من أخبار الزيدية (ق٣٩/ب).

(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٥٠.

وأهل السنة في الجنوب على رأيين: رأي الأشاعرة ورأي الحنبلية[١].

أما مذهب الباطنية (الإسماعيلية) الكامن في شمال غرب صنعاء، فهو في حكم المعدوم لسريته وكتمانه ومثله مذهب (الخوارج) المفرقين بين حضرموت ومغرب صنعاء الذي تناقص بحكم التصدي له من قبل الزيدية في مغرب صنعاء والشافعية السُنِّية في حضرموت.

ثالثاً: الصوفية:

التعريف بالاسم: (الصوفي، والتصوف، والصوفية). اختلف في الأصل الذي اشتق منه هذا الاسم وتعددت وجهات النظر، ولا أحسب أنني في حاجة إلى سرد كلما قيل في هذا الشأن، ويكفي أن أثبت المعنى الذي حصل حوله شبه اتفاق عند كثير من الباحثين.

فالتصوف مشتق من (الصُّوف) وهو علامة على الزهد وترك الدنيا[٢]، وأن هذا هو الأظهر في الاشتقاق[٣].

إلا أن أهل التصوف ينكرون هذا الاشتقاق ويسندونه إلى (الصفاء) وكل عالم منهم يعرفه بحسب قدرته على تصريف الألفاظ والمعاني، وبهذا تعددت معانيه عندهم[٤].

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ١١٣ - وإذا كان يحيى بن الحسين قد ذكر أن المذهب الأشعري لم يدخل اليمن إلا مع الدولة الأيوبية في القرن السادس الهجري إلا أن هذا التعميم الجازم قد لا يكون صحيحاً، خاصة إذا عرفنا أن مذهب الأشعري - الشافعي - كان قد ظهر في الربع الأول من القرن الرابع فما الذي يمنعه من الوصول إلى اليمن حتى القرن السادس خاصة وأن المعركة مشبوبة بين المعتزلة وأهل السنة في بقاع كثيرة في هذا الوقت، مع الأخذ في الاعتبار أن أصول المذهب الشافعي وفروعه كانت تصل إلى اليمن أولاً بأول وما دام الأشعري أحد علماء الشافعية فلا أرى أن هناك مانعاً من أن تنتقل كتبه وأفكاره مع كتب المذهب الفقهي.

(٢) التهانوي. كشاف جـ٤ ص٢٤٨ - فروخ. عمر (الدكتور). التصوف في الإسلام ص ٢٤. دار الكاتب العربي. بيروت (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) - لويس ماسينون. الإسلام والتصوف ص ١٤. (بالاشتراك مع مصطفى عبد الرزاق). دار الشعب. القاهرة. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٣) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٦٣.

(٤) نيكلسون. في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٢٨ - ترجمة وتعليق / أبو العلاء عفيفي نشر=

أدوار (التصوف) حتى نهاية القرن الرابع الهجري:

الدور الأول: في القرنين الأول والثاني الهجريين. ويلخص (القشيري) أحد علماء التصوف هذا الدور بأن: التصوف لم يظهر إلا في القرن الثاني وما بعده. فالمسلمون بعد رسول الله ﷺ لم يظهر فيهم هذا الاسم ولم يطلق عليهم سوى صحبة رسول الله ﷺ فقيل لهم الصحابة ثم من صحب الصحابة سموا بالتابعين، ثم اختلف الناس وتباينت مراتبهم فقيل لخواص الناس الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدعة وتفرقت الأمة وادعى كل فريق أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة[١]، وقد حاول الشعراني في طبقاته أن يجعل كبار الصحابة ضن الصوفية الأوائل[٢]، وهو تكلف يخرج عما اعتمده القشيري.

ومن هنا فإن كلمة (التصوف) هذه لم تظهر إلا في أواخر النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة[٣].

وكل ما كان في القرنين الأول والثاني هو الزهد النابع من الإسلام نفسه[٤]،

= لجنة التأليف والترجمة والنشر. وقد ذكر لهم ثمانية وسبعين تعريفاً. وجاء في كتاب اصطلاحات الصوفية لكمال الدين عبد الرزاق القاشاني تعريفاً مختصراً وهو: التخلق بالأخلاق الإلهية - ص ١٥٦ (تحقيق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر - الهيئة المصرية العامة للكتاب)، والكلاباذي. أبو بكر محمد (ت٣٨٠ هـ). التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٨ - ٣٥ - ط ١٩٨٠م - مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

(١) القشيري. أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري. الرسالة القشيرية ص ٨٢٧. طبعة مصر ١٣٣٠هـ.

(٢) الشعراني. عبدالوهاب. لواقح الأنوار في طبقات الأخبار المعروف بالطبقات الكبرى جـ١ ص١١ وما بعدها (مصر ١٢٨٦هـ) وانظر: فروخ. التصوف في الإسلام ص ٥٩.

(٣) ماسينوس. الإسلام والتصوف ص ١٥ يقال: إن أول من نعت به جابر بن حيان (ت٢٠٠هـ) إلا أن أول ما سمي بالصوفي هو أبو هاشم الصوفي (ت ١٥٠هـ) (انظر: حاجي خليفة. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ١ ص ٤١٤ . دار العلوم الحديثة. بيروت).

(٤) نيكلسون. في التصوف الإسلامي ص٣. حرص الكثير من المستشرقين أن يجعلوا الزهد في الإسلام مستمداً من المسيحية (انظر: نيكلسون. في التصوف الإسلامي ص ٣، ٤٢ - فروخ. التصوف في الإسلام ص ٣٠ - ٣٢).

والزهد لغة: ترك الميل إلى الشيء - **وفي الاصطلاح:** ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة(١). وهذا أمر معروف في حياة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء وفضلاء لأن هذا يدل على طراز عيش لأعلى مذهب أو معتقد معين(٢)، وأما التصوف فهو أمر مستحدث(٣) ومن نشأ الدور الثاني.

الدور الثاني: هو دور حاول أصحابه أن يتشبهوا بالسابقين في الزهد والتقشف ولكن في إيغال وإغراق ويمتد من مطلع القرن الثالث إلى أواسط القرن الرابع للهجرة، إلا أنه تسرب إليه عدد من العناصر الفكرية الأجنبية - الهندية - على وجه الخصوص(٤).

وكان لفظ (التصوف) قد ذاع وانتشر في هذا الدور، ويرجع إلى أن كبار الصوفية - الذين برزوا في هذه الحقبة - قاموا بدور وضع أسس التصوف وشرحها(٥).

ويلاحظ أن التصوف حينما دخلته مصطلحات وأفكار غريبة أصبح في النصف الثاني من القرن الثالث يُعلَّم سراً في بيوت خاصة أو في السراديب، ولكن لم ينته النصف الثاني من القرن الرابع إلا والتصوف يُعلَّم علانية(٦).

وقد أحست الخلافة العباسية في هذا الدور أن للصوفية دوراً سياسياً(٧)، مما يوحي بأن الصوفية ما هي إلا ستار لدعوة سياسية؛ لأن هذه تتناقض مع الصوفية

---

(١) الجرجاني. التعريفات ص ١١٥.

(٢) البارون كارادفو. الغزالي ص ١٥٩. ترجمة عادل زعيتر. عيسى الحلبي. القاهرة ١٩٥٩م.

(٣) ابن خلدون. المقدمة ص ٨٦٣.

(٤) فروخ. التصوف في الإسلام ص ٦٣ - ٦٧.

(٥) وكان من هؤلاء أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني (ت ٢١٥هـ)، وبشر بن الحارث المعروف بالحافي (ت ٢٢٧هـ) وأبو القاسم بن محمد الجنيد (ت ٢٩٧هـ) وكان دور هذا أنه صاغ المعاني الصوفية وشرحها كتابة (انظر: الشعراني. الطبقات ج١ ص٨٠ - السبكي. طبقات الشافعية الكبرى ج٢، ص٢٨ - ٣٧ - نيكلسون. في التصوف ص ٢٠).

(٦) نيكلسون. في التصوف ص ٢٠

(٧) فروخ. التصوف ص ٦٥.

ولذلك إذا أخذنا بوجهة نظر ابن خلدون بتأثر الصوفية بالإسماعيلية[١]، فإننا نوجه النظر إلى أن الإسماعيلية في هذه الحقبة كانت تبني كيانها وتنوع أساليبها فلا يستبعد أبداً أن يكون للإسماعيلية دور في إيجاد نظام خاص للدخول من خلاله إلى أوساط أهل السنة. وليس أدل على هذا من إدِّعاء كل من الإسماعيلية والمتصوفة أن رسائل إخوان الصفا تعبر عن وجهات نظرهم[٢]، وقد أشار أحد الباحثين[٣] إلى العلاقة المتلازمة بين الصوفية والإسماعيلية، ولم يظهر الدور السياسي للصوفية بصورة بارزة إلا في الدور الثالث.

الدور الثالث: الذي يشمل القرن الرابع وكان في طليعته الحلاج (ت٣٠٩هـ)[٤]، الذي قتله المقتدر (ت ٣٢٠هـ) لا لأنه كان صوفياً ملحداً فحسب، ولكن لأنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد. متجاسراً على السلطان، يروم انقلاب الدول[٥]، وهذا النهج يتوافق مع أسلوب الإسماعيلية كما سبق أن ذكرنا.

وفي أواسط هذا الدور بدأ التأليف الصوفي يتبلور. وبدأ رجال الصوفية. يحاولون إيجاد نظم خاصة بهم وطرق خاصة بعبادتهم[٦].

ومن ملاحظة ما أنجزته الصوفية في الدور الثاني والثالث اللذين يمثلان القرنين الثالث والرابع فإننا نجد أنهم قد وضعوا نظاماً كاملاً في التصوف في ناحيتيه النظرية والعملية[٧].

---

(١) ابن خلدون. المقدمة ص ٨٧٥ - ٨٧٦.

(٢) فروخ. عمر (الدكتور). إخوان الصفا ص ١٦١ ط٣. ١٤٠١هـ. ١٩٨١م. دار الكتاب العربي. بيروت.

(٣) عارف تامر. أربع رسائل إسماعيلية ص ٧٨.

(٤) فروخ. التصوف ص ٦٧. الحلاج: هو الحسين بن منصور الحلاج، نشأ بواسط العراق وانتقل إلى البصرة، وحج ودخل بغداد. . . وهو فيلسوف يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد وتارة في زمرة الملحدين، وظهر أمره سنة ٢٩٩هـ وظل يتنقل وينشر طريقته سراً وقد أمر به الخليفة المقتدر العباسي فسجن وعذب ثم قتل (الزركلي. الأعلام جـ٢ ص ٢٨٥).

(٥) ابن النديم. الفهرست ص ٢٦٩ - ٢٧١ - كارادفو. الغزالي ص ١٧٥، ١٧٦.

(٦) فروخ. التصوف ص ٧١.

(٧) نيكلسون. في التصوف ص ٢١.

مصادر التصوف في القرنين الثالث والرابع:

أشرنا آنفاً إلى نفي ما ذكره بعض المستشرقين الذين ينسبون الزهد - وهو من خصوصيات الإسلام - إلى التأثير المسيحي في المسلمين من خلال الدور الأول الذي يمثل القرنين الأول والثاني الهجريين، ومن هنا فإن مصادر الزهد هو الإسلام نفسه ولم يكن هناك تصوف بالمعنى المعروف في العصور المتأخرة.

أما في الدور الثاني والثالث اللذين يمثلان القرنين الثالث والرابع فمصادر التصوف الغريبة واضحة فيه، وليس مجال هذا البحث التوسع والاستقصاء إلا أنني أحيل على كتاب التصوف في الإسلام لعمر فروخ[١] حيث درس هذا الجانب دراسة مستفيضة وذكر المصادر التي أثرت بصورة جزئية أو كلية في التصوف وتسربت إليه شيئاً فشيئاً في أزمنة متطاولة سواءً كانت مصادر مسيحية، أم يونانية، أم يهودية، أم هندية، أم صينية.

وأحب أن أشير هنا إلى أننا لا نغفل تأثير الجانب الشيعي الإسماعيلي في التصوف فابن خلدون يجزم باختلاط عقائد الفريقين وتشابههما وعمل مقارنات بين مصطلحات الإسماعيلية ومصطلحات التصوف[٢]، مع الأخذ في الاعتبار أن القرنين الثالث والرابع للهجرة هو الزمن الذي نشأت فيه كل من الإسماعيلية والصوفية فلا غرابة في تشابهها أو توافق منبتها.

أماكن النشأة والانتشار:

لقد ذكرنا أن أول من لقب بالصوفي هو: أبو هاشم الصوفي (ت ١٥٠هـ) وكان

(١) ص ٢٩ - ٤٨ - وانظر كارادفو. الغزالي ص ١٥٧، ١٧٥ - ماسينون. الإسلام والتصوف ص ٢٢ - نيكلسون. في التصوف ص ١٣، ١٤.
(٢) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٧٥، ٨٧٦ - وانظر: مصطفى عبد الرزاق. الإسلام والتصوف ص ٤٤ (بالاشتراك مع ماسينون).

مقره في (الرَّمْلَة) من بلاد الشام[١]، ويقال إن لفظة (صوفي) ظهرت في بلاد (ما بين النهرين)[٢].

إلا أن كلمة (الصوفية) لم تظهر إلا عام ١٩٩هـ، وكانت تدل على مذهب من مذاهب التصوف يكاد يكون شيعياً نشأ في الكوفة، وفي هذه الأثناء كانت كلمة (صوفي) مقصورة على (الكوفة) وبعد هذا بخمسين عاماً أصبح هذا المصطلح يطلق على جميع الصوفية بالعراق، حيث أصبحت (بغداد) عام ٢٥٠هـ مركزاً للحركة الصوفية[٣].

ولا ينبغي أن ننكر أن (الشام) و(مصر) كانتا مركزين هامين من مراكز التصوف في القرنين الثالث والرابع لصلاتهم بالفلسفة اليونانية والبحوث اللاهوتية المسيحية[٤]. إلا أن إقليم (خراسان) كان من أخصب تلك المراكز لكونه أكثر المناطق تفريخاً للبدع[٥] التي ظهرت في المجتمع الإسلامي.

ويظهر من هذا أن (الحجاز) و(اليمن) لم يظهر فيهما هذا النوع من التصوف وقد أشار لهذا ابن تيمية[٦].

اليمن والتصوف:

العبارة السابقة تقرر بأن التصوف كما هو في الدور الثاني والثالث لم يكن معروفاً في اليمن، وهذا ما تأكد لي من خلال دراستي لتاريخ اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين التي لا أزعم أنها استقصائية.

---

(١) كارادفو. الغزالي ص ١٦٠.

(٢) نيكلسون. تراث الإسلام ص ٣٠٦ (جمع وإشراف سير توماس آرنولد. عربه جرجس فتح الله - دار الطليعة. بيروت. ط٣. سنة ١٩٧٨م).

(٣) ماسنيون، الإسلام والتصوف ص ١٥ - ١٧ - نيكلسون. في التصوف ص ٦٨ - ابن تيمية. رسالة سماع الصوفية ص ٦٧٢ عن كتاب الجامع الفريد. (طبع بدون تاريخ ولا مكان للنشر وأوقف).

(٤) نيكلسون. في التصوف ص ١٤.

(٥) كارادفو. الغزالي ص ١٦٣.

(٦) رسالة سماع الصوفية ص ٦٧٢ (ضمن الجامع الفريد).

ونستأنس لهذا الرأي بما ذكره المؤرخ الثقة في تاريخ اليمن وهو: عبد الله بن محمد الحبشي الذي ألف كتاباً عن الصوفية والفقهاء في اليمن[١]، فقد بدأ يتحدث عن الصوفية من القرن الخامس الهجري، أما ما سبقه من قرون فقد أشار إلى شخصيتين من الصحابة وثلاث شخصيات من التابعين، ثم أحال إلى تاريخ صنعاء للرازي الذي ذكر جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثاني والثالث، ثم بدأ يتحدث عن القرن الخامس ولم يشر إلى القرن الرابع بشيء.

ولهذه الاعتبارات نرى أن الزهد والتقشف والتبتل الذي هو سمات من الإسلام هو الغالب على علماء وفضلاء أهل اليمن في القرون الأربعة الأولى من الهجرة، أما الصوفية كمعتقد ومذهب أو مذاهب فلم يكن قد انتشر بعد في اليمن على الرغم من وجود الإسماعيلية التي ذكرنا أن لها علاقة بالتصوف. ولكن يبدو أن عدم ظهور التصوف مبكراً في اليمن يرجع إلى عدة عوامل أهمها:

١ - إن اليمن كان في هذه الحقبة مشغولاً بالفتن والحروب.

٢ - إن الإسماعيلية في اليمن اعتمدت على التشيع مباشرة مع إظهار الزهد والتقشف ثم الحركة والاستعداد العسكري فلم تكن تحتاج إذن لإخفاء دعوتها تحت ستار التصوف.

٣ - ابتعاد اليمن عن مركز النشأة والتأثير.

ولهذا فإن حديثنا عن التصوف في اليمن سيقتصر على دوره الأول وهو الزهد والتقشف الذي لم يكن مقصوراً - في اليمن - على القرنين الأول والثاني فقط، بل امتد حتى شمل القرنين الثالث والرابع أيضاً.

وعلى الرغم من هذا الذي توصلنا إليه إلا أننا من خلال بعض المظاهر سنلاحظ في اليمن بعضاً من التأثيرات التي ترجع إلى الدور الثاني من غلو وإيغال في الزهد.

وما دمنا نفتقر إلى معلومات تفصيلية من ناحية، وإلى وضوح وتمايز بالنسبة

---

(١) انظر. الصوفية والفقهاء ص ١٠ - ١٢ مكتبة الجيل الجديد. صنعاء. ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

لأدوار التصوف من ناحية أخرى، فإننا سنقتصر في الحديث على مظاهر التصوف في هذه الحقبة سواءً في الأماكن والمناسبات، أم الشخصيات، ولا توجد صور فكرية أو تصورية فيما بين أيدينا من مصادر.

أما الأماكن: فقد ذكر الهمداني بعض الأماكن التي تزار للبركة ويحيك الناس حولها بعض الأساطير منها مسجد جبل صُنعان في رأس جبل ألهان، ومسجد في رأس جبل تخلي(١). ومثل مسجد (نقم)(٢).

ومن تلك الأماكن مسجد قرية (الصردف) المشهود له بالبركة(٣) بالإضافة إلى مسجد الجند الذي بناه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حيث كان يزوره الناس للتبرك به(٤).

أما المناسبات: فأبرزها مناسبة جمعة رجب وهي أول جمعة من شهر رجب - لأنها توافق جمعة أقامها معاذ بن جبل في اليمن في مسجد الجند - وقد حيكت حول زيارة مسجد الجند في جمعة رجب أخبار وأحاديث لا يصح منها شيء حتى صار موسمها كمواسم الحج منسكاً للعامة يذبحون فيه وينحرون وظلت هذه المناسبة ذات أثر عميق في النفوس وما زالت كذلك - كما يقول الجندي - حتى الآن(٥). وهي مستمرة حتى يومنا هذا.

ومما يدل على انتشار هذه المناسبة في الحقبة التي نتحدث عنها أنه ذكر أن علي ابن الفضل دخل الجند في موسمها أول خميس من رجب(٦).

أما الشخصيات الصوفية: التي ترتبط بالتصوف اسماً ومعتقداً وسلوكاً، فيجب أن يتقرر أولاً أن: الزهد والتقشف وترك ملذات الدنيا صفات كان يتحلى بها الكثير من

---

(١) الهمداني. صفة الجزيرة العرب ص ١٤٤، ٣٤٥.
(٢) الحجري. مساجد صنعاء ص ١٤٠.
(٣) الجندي. السلوك ص ٦٩.
(٤) عمارة اليمني. تاريخ اليمن ص ٧٣.
(٥) عمارة اليمني. تاريخ اليمن ص ٧٣، ٧٤ - وتعليقات المحقق عليها.
(٦) الجندي. السلوك ص ٦٤.

علماء اليمن وفقهائها في الحقبة التي نتحدث عنها، ولسنا مضطرين إلى ذكر كل أولئك العلماء، ولكننا سنذكر بعضاً ممن جاء في تراجمهم أن لهم كرامات فقط، فمنهم بعض أئمة جامع صنعاء مثل القطراني (ت٣٢٩هـ)، والبعداني (ت٣٤٨هـ)، والنقوي (ت ٣٦٧هـ)، وكانوا من أفاضل أهل زمانهم، وأكثرهم تلاوة للقرآن والصلاة وفعل الخيرات، وذكر لهم صاحب تاريخ مدينة صنعاء بعض المواقف الورعة التي توحي بأن لهم كرامات[١].

ومنهم علي بن زياد الكناني (ت ٢٣٥هـ) وهو صاحب أبي قرة المحدث المشهور وكان عالماً مشهوراً صاحب كرامات شهيرة، وذكر له حكايات تدل على ذلك[٢].

ووصف محمد بن سليمان الهرثمي - من قبيلة (وادعة) - بأنه من عباد الله الصالحين وأهل ولايته[٣].

كذلك أسندت كرامات إلى الحافظ جعفر بن عبد الرحيم اليمني (ت ٤٠٠هـ) من ناحية (الجند)[٤] مما يدل على كثرة تبتله وزهده.

وإذا كانت هذه الشخصيات تتصف بالزهد والتبتل والورع، إلا أن أحداً منهم لم يتصف بالصوفي أو التصوف أو أنه كان يردد كلمات أو عبارات أو بعض المظاهر التي تطلق على المتصوفة.

ولكن في أواخر القرن الرابع الهجري كان في صنعاء رجل يسمى محمد بن أحمد بن علي السيرافي (ت ٣٨٩هـ) عرف بالصوفي، وكان يسكن مسجد السحطين في (صنعاء) حتى اشتهر بمسجد الصوفي، لأنه سكن فيه سبعين سنة، وكان الأمير

---

(١) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣١٠، ٣١٢.

(٢) الجندي. السلوك ص ٣٩ - الشرجي. طبقات الخواص. ص ٩١ - ٩٢.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ١٠٨.

(٤) الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٤٣/ب) وهو غير جعفر بن عبد الرحيم المخائي الذي ذكره الشرجي في طبقات الخواص ص ٤٦.

خطاب الحوالي يبعث بالبخور والعنبر لتطييب هذا المسجد[١].

وهذه أول مرة في حدود علمي يطلق على رجل من أهل اليمن لفظة (صوفي)، وكما علمت ظهرت في أواخر القرن الرابع، ولعلَّ هذا مقدمة لما جاء بعد ذلك في القرن الخامس وما بعده من انتصار للتصوف في ربوع اليمن.

المجموعة الثالثة: المذاهب الفقهية

حالة المذاهب الفقهية في دار الإسلام في القرنين الثالث والرابع:

تميز القرن الأول وصدر من القرن الثاني الهجري بعدم الالتزام بمذهب واحد من الناس بل لم يكن هذا معهوداً في هذه الحقبة[٢]، فكان لا يفرق بين القارئ والمحدث والفقيه[٣]، وقد تكونت مدارس فقهية في عهد التابعين لم تكن تَرْقَى إلى أن تكون مذاهب فقهية، وهذه الحقبة تشمل عصر الرسول (وعصر الخلفاء الراشدين، ثم عصر صغار الصحابة ومن لحقهم من التابعين)[٤].

وقد حدث في هذه الفترة أن تفرق الصحابة في الأمصار وأتباعهم وكثرت روايات الحديث فأدى إلى اختلافات في الرأي والاجتهاد[٥]، إلا أنها لم تصل إلى أن تكون مذاهب مدونة، ولكن باندماج عصر التابعين وعصر تلاميذهم أنتج ما يمكن أن نطلق عليه عصر نشوء المذاهب[٦].

ولم تكن هذه النشأة قد نبتت فجأة، بل نلمسها في خلال قرن أو أكثر؛ فهي تبدأ

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق١٠٤، ب ن ١٠٥/ب) - الحجري. مساجد صنعاء ص ١٤٠.

(٢) كرد: محمد كرد علي. الإسلام والحضارة العربية جـ٢ ص٦. ط٣. ١٩٦٨م. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

(٣) الخضري. محمد بك (الشيخ). تاريخ التشريع الإسلامي ص ١٢٣. ط٩. ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. دار الكتب العلمية. بيروت.

(٤) المصدر نفسه ص ٦ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه ص ١٠٢، ١٠٣.

(٦) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤١.

من قبل منتصف القرن الثاني الهجري وتستمر حتى ما بعد منتصف القرن الثالث، بل تصل إلى نهايته، وإن الدارس الخبير لنشأة المذاهب في هذا الزمن يلحظ التدرج الذي يواكب نشوء المذاهب مرحلة مرحلة.

فإذا كنا قد لاحظنا في عصر الصحابة والتابعين نشوء اختلافات في الرأي والاجتهادات التي تحوم حول النصوص وفهمهم لها أو لمدلولاتها فإننا نلاحظ في هذه المرحلة، وقد توسعت الدولة الإسلامية ودخلها الكثير من الأجناس والأمم والأفكار، أنه كان لزاماً على العلماء الذين يعيشون في عاصمة الدولة (بغداد) أو حولها (الكوفة - والبصرة)، أن يتجشموا لحل المشاكل الناشئة عن التوسع والاختلاط والتطور الاجتهادات المناسبة، ولأن النصوص التفصيلية لم تكن تلبي كل ما يَجِدُّ من مشاكل، فقد استلزم الأمر إعمال الرأي والعقل لحلِّها على ألا تخرج عن المبادئ العامة للتشريع الإسلامي ومن هنا نشأت في العراق ما عرف فيما بعد بمدرسة أهل الرأي، ويمثلها الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ).

وعلى العكس من ذلك كان في الشام الأوزاعي (ت ١٥٧هـ)[١] وفي مكة سفيان الثوري (ت ١٦١هـ)، وكلاهما يعتمدان على النصوص[٢]... إلا أن الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) الذي استقى علمه في المدينة كان أكثر اعتماداً على النصوص، بل واعتمد على أهل المدينة في استدلالاته[٣]. إلا أنه لم تكن هناك قواعد واضحة معلومة تعتمد عليها كلتا المدرستين[٤].

---

(١) سزكين. فؤاد. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٣٠. ترجمة / د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل. الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٧م. ابن خلدون. المقدمة ص ٧٩٨ - شاخت. يوسف. أصول الفقه ص ٧٤ - ٨٤. ترجمة إبراهيم خورشيد ود. عبد الحميد يونس وحسن عثمان. سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية. دار الكتاب اللبناني. بيروت. ١٩٨١م. الخضري. تاريخ التشريع الإسلامي ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٢٢٣ - سفيان الثوري هو الحافظ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري نسبة إلى ثور. أبو قبيلة في مصر. أمير المؤمنين في الحديث (الزركلي. الأعلام جـ٣ ص ١٥٨).

(٣) الخضري. تاريخ التشريع ص ١٤٠، ١٤١.

(٤) المصدر نفسه ص ١١٠.

وبموت الإمام مالك كان نجم الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) يتألق ليعمل على إقامة مذهب وسط بين مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك[١]، وكان واضح الاعتماد على (السنة) نلمح هذا من خلال كتابه الذي ألَّفه في الأصول التي اعتمد عليها وهو كتاب (الرسالة) حيث تولى هو وضع القواعد والأحكام للاستفادة من الأدلة[٢].

وتبرز (السنة) بعد الشافعي بصورة أوضح باهتمام الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) بالجمع والتدوين لها، فتوجهت الأنظار إلى الحديث لتمحيصه وغربلته فظهرت كتب (السنة) الستة[٣]، في خلال بقية القرن الثالث الهجري، كما سيأتي توضيح هذا في فصل قادم إن شاء الله[٤].

ولظهور الكتب المعتمدة للحديث اتجهت الجهود إليها وبدأ الانحسار يصيب الاتجاه المعتمد على الرأي، فظهر المذهب الحنبلي المنسوب إلى أحمد بن حنبل، ولم تأت إمامته في الفقه إلا من وراء إمامته في الحديث[٥]، لأن كل اعتماده على الكتاب والسنة.

ونشأ المذهب الظاهري القائم على ظاهر النصوص، وتزعمه داود بن علي الأصفهاني (ت ٢٧٠هـ)[٦]، وقد لقي له رواجاً في إيران؛ لأن السلطان عضد الدولة

---

(١) سنركين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٣٠.

(٢) ابن خلدون. المقدمة ص ٨١٦.

(٣) كتب السنة الستة وتسمى كتب الصحاح وهي صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ)، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ) وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ) وسنن النسائي (ت٣٠٣هـ) وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ).

(٤) سيأتي هذا في الفصل الخامس.

(٥) سزكين. تاريخ التراث جـ٢ ص ٣٠ - أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٣٢٨ - آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٣٨٨.

(٦) داود بن علي بن خلف الأصفهاني، الملقب بالظاهري. أحد المجتهدين تنسب إليه الطائفة الظاهرية، ولد بالكوفة وسكن بغداد وانتهت إليه رياسة العلم فيها وتوفي بها. (الزركلي. الأعلام جـ٣ ص ٨).

البويهي(ت٣٧٢هـ)[١] تمذهب به، إلا أنه لم يلق رواجاً أكثر من ذلك[٢].

وقد رافق ظهور المذاهب السنية ظهور مذاهب الشيعة - سواءً الشيعة الزيدية- أم الشيعة الإسماعيلية[٣] كما مر ذكره.

وبعد عصر النشأة - نشأة المذاهب - نخلص إلى القول: إن القرنين الثاني والثالث الهجريين قد اتصفا بكثرة المجتهدين وكثرة المذاهب، وتعدد المدارس، بينما القرن الرابع الهجري كان يمثل مرحلة جديدة بدأت بالتخلي عن الاجتهاد والأخذ بالترجيح، وانتهت إلى التقليد الذي بدأ يتغلغل إلى الفقه في القرن الرابع الهجري[٤].

ومع هذا فلم يكن أهل القرن الرابع مجتمعين على التقليد الخالص، ويظهر ذلك من أنه كان لا يتولى القضاء والإفتاء إلا مجتهد[٥] إلا أن السمة البارزة في القرن الرابع هي الانحصار في مذاهب معينة[٦]، ذات أسس وقواعد محددة.

ونختم هذا الاستعراض الموجز إلى أن المذاهب الصغيرة لم يكن لها حظ الانتشار والاستمرار، ويرجع هذا عادة إما لعدم وجود تلاميذ نجباء يتولون نشرها، وإما لتشدد بعضها حيث لم يكن لديها عوامل الاستقرار في نفوس جمهور الأمة.

أما المذاهب التي بقيت وذاع صيتها وانتشرت فهي المذاهب الأربعة...

---

(١) عضد الدولة البويهي ويسمى فنّاخسرو بن الحسن (ركن الدولة) ابن بويه الديلمي، أحد المتغلبين على الدولة العباسية بالعراق، وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وكان شيعياً وهو الذي أقام المشهد بالنجف ومأتم عاشوراء (ابن خلكان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ). وفيات الأعيان جـ٤ ص٥٠ - ٥٥ - تحقيق/ د. إحسان عباس. دار الثقافة - بيروت).

(٢) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٣٤٦- المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٤٣٩. آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١. ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) الخضري. تاريخ التشريع ص ٢٤٨.

(٤) حاجي خليفة. كشف الظنون جـ٢ ص ١٢٨٢ - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص٨٠.

(٥) كرد علي. الإسلام والحضارة العربية جـ٢ ص ٦.

(٦) أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ١٧٤. ط٨. ١٩٧٤م. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

فقد استقر المذهب الحنفي في العراق وكان مستحوذاً على القضاء والإفتاء، أما المذهب المالكي فقد تأرجحت أحواله في الحجاز واستقر في المغرب والأندلس.

وظهر المذهب الشافعي في العراق ثم انتقل إلى مصر والشام وكان له الغلبة على المذهب المالكي في مصر ثم حاز إمامة الحرمين الشريفين مكة والمدينة.

وكان المذهب الحنبلي أقلها انتشاراً، فقد بقي في بغداد بصفة خاصة ثم وصل في القرن الرابع إلى الشام(١).

اليمن والمذاهب الفقهية:

ولم يخل اليمن من التأثر بتلك المذاهب التي مرت الإشارة إليها كغيرها من مناطق بلاد الإسلام.

فبالإضافة إلى وجود علماء من اليمن كانوا مجتهدين وتلقى عنهم بعض أهل اليمن فقههم بالقبول والرضا(٢)، إلا أن المذاهب التي انتشرت في بلاد الإسلام كان لها مكان في اليمن أيضاً.

فبالنسبة **للمذهب الحنفي** من الثابت أنه منذ عهد المهدي العباسي (ت١٦٩هـ) وهارون الرشيد (ت ١٩٣هـ)، اختص القضاء بفقه العراق أي صار المذهب الحنفي مذهب الدولة(٣). حيث تولى كثير من فقهاء الحنفية القضاء في دولة الخلافة، وكان على رأسهم أبو يوسف (ت ١٨٢هـ) الذي كان أول من أطلق عليه قاضي القضاة(٤)

---

(١) انظر: عن انتشار المذاهب: ابن خلدون. المقدمة ص ٨٠٣ - ٨٠٥ - المقدسي. أحسن التقاسيم ص ١٢٧، ١٣٦- السبكي. طبقات الشافعية جـ١ ص ١٧٤ - سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٣٠ - أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ - ص١٧٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٧٥، ٣٤٤، آدام متز الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٣٩١ - ٣٩٤.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩، وسنشبع هذا الموضوع في الفصل القادم إن شاء الله عندما نتحدث عن حركة علم الفقه وتطوره.

(٣) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٨١.

(٤) ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٦ ص ٣٧٨ - ٣٩٠ - القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، يصل نسبة إلى الأنصار من أهل الكوفة، وهو صاحب أبي حنيفة، وكان فقيهاً عالماً حافظاً، =

فأصبح بعد ذلك لا يتولى القضاء إلا حنفي المذهب.

وبما أن اليمن كان تابعاً للخلافة العباسية، والقضاة يوليهم قاضي القضاة في بغداد فقد تولى اليمن قضاة أحناف[١]، ولهذا انتشر المذهب الحنفي في صنعاء وما حولها بل في معظم اليمن، فكان حينما قدم الإمام الهادي (سنة ٢٨٤هـ) - هو المذهب الغالب - وبجواره مذهب مالك[٢]، واستمر الأمر حتى أواخر القرن الرابع الهجري حيث كان المذهب الحنفي متغلباً على (صنعاء وصعدة)، وكانت الجوامع بأيدي أتباعه[٣]، أما (زبيد) التي كانت تابعة للسلطة العباسية مدة أطول من صنعاء - كما سبق أن أوضحناه في التمهيد - فقد ظل الفقه الحنفي مسيطراً فيها فترة طويلة[٤].

ومما ساعد على انتشار المذهب الحنفي تشيع أهل صنعاء وصعدة، وهناك تقارب بين مذهب أبي حنيفة وبين الزيدية، لأن أبا حنيفة كثيراً ما يرجع إلى أقوال الإمام علي رضي الله عنه[٥].

ومن هنا نجد أن المذهب الحنفي كان منتشراً حكومة وشعباً لأن طبقة القضاة الذين يتولون السلطة القضائية، لا بد أن يكونوا على المذهب الحنفي غالباً، ولم يتغلب عليه - أواخر القرن الرابع وما بعده - إلا المذهب الزيدي.

أما المذهب المالكي فقد تتلمذ بعض أهل اليمن على يد الإمام مالك أو تلاميذه. فكان (بكر بن الشرود) أحد علماء صنعاء تلميذاً للإمام مالك[٦]، ومثله علي

= وخالف أبا حنيفة في مواضع كثيرة، تولى القضاء ببغداد لثلاثة من الخلفاء المهدي والهادي والرشيد.

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤ - تلقى القاضي محمد بن يوسف الحذاقي الفقه الحنفي عن طريق محمد بن الحسن الحنفي صاحب أبي حنيفة.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٩.

(٣) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٦.

(٤) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ٨٨.

(٥) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ١٢٧.

(٦) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ٢١٨.

ابن محمد بن ذي همدان، وكان ممن أدرك الإمام مالك بن أنس وأخذ عنه وعمل على نشر مذهبه في اليمن[١] ودخل كتابه (الموطأ) اليمن وأصبح متداولاً بل نافس المذهب الحنفي[٢].

وبالنسبة **للمذهب الشافعي** فقد أثرت الرَّحلات العلمية في وصول المذهب إلى اليمن[٣]، ويبدو أن المذهب الشافعي دخل اليمن في القرن الثالث[٤]، إلا أن انتشاره لم يتم إلا في القرن الرابع، وكان بداية انتشاره في المناطق الجبلية حول (الجَنَد والمَعَافِر)[٥] ليحل في هذه المناطق محل مذهب ابن المنذر (ت ٣١٩هـ) ومذهب سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)[٦] وهما من المذاهب الصغيرة المنقرضة.

ولم ينته القرن الرابع إلا وقد تكونت مدرسة خاصة للمذهب الشافعي في قرية (سَهْفَنَة) وتم انتشار المذهب الشافعي واستحواذه على غيره من المذاهب الصغيرة[٧].

وفي الوقت الذي كان المذهب الشافعي يوسع انتشاره في المناطق الجنوبية

---

(١) الجندي. السلوك ص ٦٩.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤، ٧٩.

(٣) سبق أن تحدثنا عن رحلة بعض علماء اليمن مثل محمد بن سراقة العامري الذي تلقى المذهب الشافعي على أبي حامد الإسفراييني (ت ٤٠٦هـ). (الجندي. السلوك ص ٧١ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٦) ومثل عبد الله بن علي الزرقاني (الجندي. السلوك ص ٦٩، ٧٠)، وسيأتي الحديث عن هذا فيما بعد إن شاء الله.

(٤) يحيى بن الحسين. غاية الأماني جـ١ ص ٢٠٣ - الجندي. السلوك ص ٤٠.

(٥) الجندي. السلوك ص ٦٨ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق٤٦/ب).

(٦) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٦ - وابن المنذر هو محمد بن إبراهيم فقيه مجتهد كان شيخ الحرم المكي ومن هنا جاء تأثيره على أهل اليمن (الزركلي. الأعلام جـ٦ ص ١٨٤) - وأما سفيان ابن عيينة (ت ١٩٨هـ) الذي كان محدث الحرم المكي وأخذ عن أكثر من ثمانين رجلاً من التابعين وتلقى عن الشافعي وكان معاصراً لمالك بن أنس حتى قال عنها الإمام الشافعي: لولا سفيان ومالك لذهب علم الحجاز (ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٢ ص ٣٩١ - الزركلي. الإعلام جـ٣ ص١٥٩).

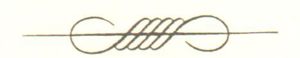
(٧) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨، ٨٩.

والغربية من اليمن بواسطة العلماء المتفرغين لا بسلطات حاكمة كان المذهب الحنفي قد بدأ بالتراجع من - الشمال - من صنعاء وصعدة ليحل محله المذهب الزيدي رويداً رويداً لأن السلطة كانت في صالحه.

أما المذهب المالكي فقد تراجع، فلم يعد له ذكر إلا في بعض تهامة[(١)]، بعد أن كان هو والمذهب الحنفي كفرسي رهان، ولعلَّ هذا يرجع لعدم توفر علماء المذهب المالكي في مكة والمدينة، ومن ثم في اليمن، بل أصبحت الشافعية هي الغالبة أيضاً على منبري مكة والمدينة[(٢)]، وهذا يؤثر بلا شك في انتشار المذهب الشافعي في اليمن.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن المذهب الحنبلي لم يكن له أثر في اليمن إلا من الناحية الفكرية في آخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين، لأن كتب الإمام أحمد في علم الكلام هي التي اشتهرت أكثر من آرائه الفقهية في هذه الحقبة في اليمن.

وقد سبق أن أشرنا إلى هذا عند الحديث عن أهل السنة.



(١) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٦.

(٢) السبكي. طبقات الشافعية جـ١ ص ١٧٤.

الفصل الخامس

العلوم الشرعية

- علوم القرآن
- علوم الحديث
- علم الفقه وأصوله

تمهيد:

العلوم الشرعية أول مجموعة من مجموعات العلوم التي كانت تقوم عليها الحياة العلمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين في جميع الأمصار الإسلامية.

ويعنى بالعلوم الشرعية: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه وأصوله.

وقد جعلت هذه العلوم في مجموعة واحدة لأنها تشكل الأساس للحياة العلمية والإسلامية، ولأنها كانت الدافع والمحرك الحقيقي للمسلمين للتوجه نحو الأخذ بأسباب العلم، حتى وصلوا إلى مرحلة النبوغ والنضج العلمي في شتَّى المجالات العلمية.

وبإيجاز - أرجو ألا يكون مخلاً - حاولت وضع خطوط عريضة لحركة العلوم منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع في الحضارة الإسلامية على وجه العموم لكي تؤدي هذه الخطوط إلى فهم ما قام به اليمن من مشاركة في هذا المضمار، بالمقارنة إلى حجم الجهود العلمية المبذولة في الأمصار الإسلامية الأخرى.

أولاً: علوم القرآن

حركة علوم القرآن حتى نهاية القرن الرابع الهجري:

القرآن كتاب الله، وكلامه المنزل على رسوله ﷺ فأبلغه إلى صحابته فنقلوه منه مشافهة ولكن بطرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها(١).

ولما كان هذا القرآن هو عمود ومنهج حياة المسلمين كان من البديهي أن يلتفوا حوله: قراءة وحفظاً، وحرصاً على تناقله وروايته بالحرف، والشكل، وضبط مخارج الحروف، وإتقان حذر في كل حرف من حروفه.

ولهذا حينما كثر استشهاد القراء في سبيل الله في عهد أبي بكر الصديق رضي الله

---

(١) ابن خلدون - المقدمة ج٢ ص ٧٨٢.

عنه تم جمع القرآن الكريم[١].

وبقيت صدور الرجال هي الحافظة لكتاب الله تتناقله الألسن بالرواية الدقيقة الوثيقة إلى أن حدثت في المجتمع الإسلامي عوامل وأسباب جعلت الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه يجتهد وينصح للأمة للاجتماع على مصحف واحد.

ولعل أهم هذه العوامل:

١ - أن الصحابة - رضي الله عنهم - تلقوا القرآن بطرق مختلفة في بعض ألفاظه وحروفه وانتشروا في الأمصار فتعددت القراءات.

٢ - أن الصحابة قد قلوا بتقادم الزمن واستشهادهم في مواطن الجهاد.

٣ - أن تلاميذ الصحابة كانوا قد كثروا وانتشروا في الأمصار فتباينت قراءاتهم.

٤ - أن توسع رقعة دار الإسلام ودخول كثير من الأجناس في الإسلام أدى إلى ضعف اللغة في أوساط الناس.

لذلك كله فقد حصل اختلاف في القراءات وجدل وتذبذب[٢] مما أدى إلى ظهور حاجة ملحة للقيام بعمل ريادي وهو جمع القرآن في مصحف موحد وإلزام الأمة به مع مراعاة أوجه الطرق والحروف التي رواها الثقات عن رسول الله ﷺ، وقد كان هذا العمل من مفاخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[٣]. وأجمع الناس على ذلك[٤].

---

(١) أبو عمرو الداني - عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ) - المقنع في رسم مصاحف الأمصار ص ١٣، ١٥ - تحقيق / محمد الصادق قمحاوي.. مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ومعه كتاب النقط للمؤلف نفسه. لقد جمع القرآن في مصحف واحد وأودعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) مكي بن أبي طالب(ت ٤٣٧هـ) - الإبانة عن معاني القراءات ص٣٦، ٣٧، ٤٨، ٧٨ - تحقيق/ محيي الدين رمضان - ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - دار المأمون للتراث - بيروت - ودمشق.

(٣) الداني - المقنع ص ١٤، ١٦ - مكي بن أبي طالب. الإبانة ص ٥٠.

(٤) ابن أبي داود الحافظ. أبو بكر عبد الله بن أبي داود وسليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦هـ) - كتاب المصاحف ص ١١، ١٣، ١٨ - تصحيح الدكتور/ آثر جفري - ط الأولى - ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م. المطبعة الرحمانية - مصر.

وكانت المصاحف التي كتبت في عهد عثمان - سواء أكانت أربعة مصاحف أم خمسة أم سبعة - قد كتبت على لغة واحدة وحرف واحد ولكنها كانت خالية من النقط والضبط[١].

وقد مكن هذا لأهل كل مصر أن يقرؤوا الخط على قراءتهم التي كانوا عليها[٢] بما لا يخالف صورة الخط في المصحف العثماني(نسبة إلى عثمان بن عفان).

وهكذا ظل الصحابة والتابعون من بعدهم يتناقلون اللفظ القرآني حسب القراءات التي ثبتت عن رسول الله ﷺ ويحتملها الرسم العثماني[٣] للمصحف مع موافقتها لوجه من أوجه اللغة العربية[٤].

وقد ظهرت دراسات علمية لنص القرآن في وقت مبكر فوضعت رموز تدل على الحركات في النصف الثاني من القرن الأول[٥]، وفي الفترة ذاتها أضيفت النقط إلى رسم المصحف وقسم القرآن إلى أجزاء[٦].

❀ ❀

---

(١) مكي بن أبي طالب. الإبانة ص ٢٤،٤٨،٤٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤،٤٨،٤٩،٥١،٥٢.

(٣) الرسم العثماني: هو رسم خط المصحف من الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل والوصل (طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ٣٧٢ - صبحي الصالح (الدكتور). مباحث في علوم القرآن ص ١٩ ط١٣، ١٩٨١م، دار العلم للملايين، بيروت).

(٤) ابن مجاهد. أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ) كتاب السبعة في القراءات - ص١٩ - تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف ط٢. دار المعارف. القاهرة - مكي الإبانة ص ٣٩ - وقد يطلق على القراءات مصطلح (الحروف) فيقال: قرأت الحروف على فلان. وقراءة كل إمام تسمى حرفاً (انظر: الداني. المقنع ص ٢٨ - مكي أبو طالب. الإبانة ص ٢٧-٣٠).

(٥) أبو عمر الداني. كتاب النقط ص ١٢٩ - وسزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص ٨ كان أول من قام بهذا أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ).

(٦) ابن أبي داود. كتاب المصاحف ص ١١٧، ١١٩ - سزكين تاريخ التراث العربي جـ١ ص ٨ فقد نسب إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة (ت ٦٩هـ) أنه هو الذي أمر بإعجام المصحف كذلك نسبة تقسيم القرآن إلى أجزاء إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي الكوفة (ت ٩٥هـ).

ومنذ الصدر الأول تفرَّغ قوم في كل مصر من الأمصار لتلاوة القرآن. وضبطه والعناية به، وقد تمثل هذا في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة حيث تكونت عدة مدارس للقراءات حول بعض التابعين من المدينة ومكة والكوفة والبصرة[(١)].

وحتى أواخر القرن الثالث الهجري لم يكن علماء القراءات قد اتفقوا على أئمة بأعيانهم يحملون عنهم وحدهم القرآن[(٢)] ولم تتحدد القراءات السبع إلاّ في القرن الرابع الهجري حينما تولى أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) جمع القراءات السبع وميزها عن غيرها[(٣)].

وعلى الرغم مما وجه إليه من انتقاد لأنه أهمل قراءات متواترة[(٤)] إلاّ أنه اجتهد للأمة واستخلص تلك القراءات الوثيقة، وتبعه جمهور العلماء والقرّاء في الأمة فحملوا عنه قراءات هؤلاء السبعة، وأجمع العلماء على أنها متواترة عن الرسول ﷺ[(٥)]، ويلاحظ تواكب العلوم جميعاً في الظهور والنشأة، والتدوين والتقعيد والتأصيل والاستقرار، وسنلاحظ هذا حينما نتحدث عن بقية العلوم إن شاء الله.

ففي القرنين الثالث والرابع الهجريين استقرت معظم العلوم، ومنها استقرار

---

(١) سزكين. تاريخ التراث العربي ص ١ ص٥٩.

(٢) ابن مجاهد كتاب السبعة ص ١٤.

(٣) ابن الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص ٢٧ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص ١٧ والسبعة القراء هم: حمزة الكوفي (ت ١٥٦هـ)، أبو عمرو بن العلاء البصري (ت١٥٤هـ)، عاصم الكوفي (ت١٢٧هـ)، عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨هـ)، عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ)، علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩هـ)، ونافع المدني (ت١٦٩هـ)، (انظر: تراجمهم حسب ترتيبهم في: ابن الجزري. غاية النهاية في طبقات القراء جـ١ ص ٢٦١، ٢٨٨، ٣٤٦، ٤٢٣، ٤٤٣، ٥٣٥، وجـ٢ ص ٣٣٠).

(٤) ابن الجزري. منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص ٢٧، ٢٨.

(٥) ابن مجاهد. كتاب السبعة ص ٢٢، ٢٣ المقدمة للمحقق.

القراءات السبع، وقد أضيفت إليها قراءات ثلاث فأصبحت هي القراءات الثابتة المتفق عليها وما عداهن اعتبرت قراءات شاذة[(١)].

❁ ❁

أما من ناحية التفسير فقد كان هو العلم الذي صاحب نزول القرآن فتولى رسول الله ﷺ تفسير بعض الآيات التي تحتاج إلى تفسير أو الذي سئل عنها ثم تبعه الصحابة ثم التابعين ثم أتباع التابعين، وكان علم التفسير يعد من أول ما دوّن في عصر التدوين[(٢)].

وعلى الرغم من عدم توفر تلك الكتب المبكرة في التأليف، إلا أن كثيراً من مادتها ثبتت في تفاسير متأخرة مثل تفسير الطبري، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني.

وكان أول أصناف التفسير نشأة هو التفسير بالمأثور الذي ظل ينتقل في صدور الرجال موازياً للحديث بل كان جزءاً من الحديث كما سيأتي، ثم ظهر التفسير بالرأي[(٣)].

وقد توسع التفسير فشمل كل علوم القرآن حتى إنّ علم القراءة كان جزءاً من علم التفسير ولم يفصل عنه إلا لأهميته كما فصل علم الفرائض عن الفقه[(٤)].

---

(١) آدم متز. الحضارة الإسلامية جا ص ٤٦ - سزكين. تاريخ التراث العربي جا ص٣٠ - فقد كان ابن مهران النيسابوري (ت ٣٨١هـ) آخر من ألف في القرن الرابع الهجري في القراءات العشر حيث ألف كتاب: الغاية في القراءات العشر (وانظر: طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة ج٢ ص٢٦ - ٤٣) وأول من ألف أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت ١٣٠هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت ٢٠٥هـ) (انظر تراجمهم بالترتيب في ابن الجزري. غاية النهاية جا ص ٢٧٢، وج٢ ص ٣٨٢، ٣٨٦).

(٢) صبحي الصالح. علوم القرآن ص١٢١ - سزكين. تاريخ التراث العربي جا ص٣٧ - ٤٢.

(٣) الخولي. أمين. التفسير نشأته - تطوره - تدرجه ص ٣٤ - ط الأولى ١٩٨٢م كتب دائرة المعارف الإسلامية. ترجمة إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان - دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة. بيروت.

(٤) حاجي خليفة. كشف الظنون جا ص ٤٢٧.

ثم بدأت تظهر دراسات مستقلة لأجزاء مختلفة من القرآن مثل: أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن، ومعاني القرآن، ولغات القرآن، وتفسير آيات الأحكام، ومتشابه القرآن... الخ[١].

وفي الوقت الذي كان الاهتمام بتدوين الحديث في القرن الثالث في الذروة فإن علماء الحديث أفردوا باباً خاصاً للتفسير في كتب الحديث يوردون ما صح عندهم من روايات لتفسير بعض آيات القرآن الكريم[٢].

ومن حسن الموافقات أن التفسير الموسوعي وهذا التفسير بالمأثور قد ارتبط بعاملين جليلين توفي كل واحد منهما على رأس قرن، وهما عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ). والطبري، وقد ألف كل منهما تفسيراً يعتمد فيه على ما ورد عن رسول الله ﷺ وعلى أقوال الصحابة والتابعين[٣]، إلا أن تفسير الطبري كان أكثر شمولاً؛ لأنه ضم إليه أهم كتب التفسير المؤلفة قبله[٤]، وكان تفسير الطبري شاملاً للقرآن كله بينما تفسير عبد الرزاق يقتصر على الآيات التي دعت الحاجة إلى تفسيرها[٥]، وسنتحدث عنه فيما بعد إن شاء الله.

ومن الملاحظ في القرنين الثالث والرابع الهجريين أن معظم الفرق قد حرصت

---

(١) ابن النديم. الفهرست ص ٥١ وما بعدها. سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص٦١-٨٣. حاجي خليفة. كشف الظنون جـ١ ص ٤٣١.

(٢) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٤ ص٧. جولد تسهير اجتنتس. مذاهب التفسير الإسلامي ص ٨٢ - ترجمة الدمنهوري عبد الحليم النجار - ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م - دار اقرأ - بيروت. أمين الخولي. التفسير ص ١٨.

(٣) حاجي خليفة. كشف الظنون جـ١ ص ٤٣٠ - يكثر ذكر الإمام عبد الرزاق في معظم الفصول وسيأتي ذكره في علم الحديث، أكثر من أي فصل آخر إن شاء الله، أما الطبري فهو: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) رأس المفسرين على الإطلاق. وأحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. إمام في التاريخ وصاحب مذهب خاص به بعد أن كان شافعي المذهب (انظر السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ). طبقات المفسرين ص ٩٥-٩٧. تحقيق / علي محمد عمر. ط الأولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. مكتبة وهبة القاهرة).

(٤) سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص ٦٠.

(٥) محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني. جـ١ ص ٨٤.

على إيجاد تفسير للقرآن الكريم يضمنونه آراءهم وأفكارهم وكان على رأس هؤلاء المعتزلة، وكان لأهل السنة دور في هذا المضمار. فقد وضع الأشعري تفسيراً للرد على المعتزلة(١)، وهذا النوع من التفسير يدخل ضمن التفسير بالرأي ومثله تفسير الصوفية وتفاسير الباطنية كالإسماعيلية. وكل من هذين النوعين يعتمد على الشطحات غير المقبولة لا مأثوراً ولا لغوياً ولا عقلياً(٢).

ولما كانت القراءات العشر قد استقرت في القرن الرابع الهجري وكانت الدراسات العلمية لأجزاء من القرآن الكريم قد تعددت وتنوعت وظهرت تفاسير بالمأثور وبالرأي، فقد ظهر في هذا القرن أيضاً مصطلح (علوم القرآن) وكان أول كتاب - حسب ما ظهر من المصادر - يجمع علوم القرآن هو كتاب الحاوي في علوم القرآن لمحمد بن خلف بن المَرْزُبَان (ت ٣٠٩هـ) ثم تبعته كتب تحمل المصطلح نفسه(٣).

حركة علوم القرآن في اليمن:

تفيد بعض الروايات أن عثمان بن عفان- رضي الله عنه -حينما أمر بكتابة المصاحف كتب أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن: فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك الرابعة عنده.

وقد قيل إنه جعل سبع نسخ، ووجه من ذلك أيضاً نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين. وقال الداني(٤)، والأول أصح وعليه الأئمة.

---

(١) آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٣٦٤. وسزكين. تاريخ التراث العربي جـ ص٦٠ - جولد تسهير. مذاهب التفسير ص ١٣٥ - أمين الخولي. التفسير ص ٣٩. وذلك مثل تفسير أبي علي الجبائي المعتزلي (ت ٣٠٣هـ). وقد رد عليه الأشعري (انظر: طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ - ص ٥٨٠ - ٥٨٣. الزركلي. الاعلام جـ٧ ص ١٣٦).

(٢) انظر: صبحي الصالح. علوم القرآن ص ٢٩١. وما بعدها - جولد تسهير. مذاهب التفسير الإسلامي ص ٧٣، ١٢١.

(٣) صبحي الصالح. علوم القرآن ص ١٢١ - وابن المرْزبان هو محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام المُحَوّلي. مؤرخ، مترجم، عالم بالأدب وعمل على الترجمة من الفارسية إلى العربية وله تصانيف كثيرة منها: الحاوي في علوم القرآن (الزركلي. الاعلام جـ٦ ص ٣٤٨).

(٤) الإبانة ص ٤٩، ٦٦.

وبالرغم من الشك في قبول الرواية الثانية إلا أنه لا ينبغي إهمالها، فمكة مصر بل قبلة الأمصار، والبحرين مصر كبير، وكذلك اليمن. فمن المنطقي أن لا يتركها خليفة المسلمين دون أن يرسل إليها مصاحف يعتمد عليها أهلها.

بالإضافة إلى هذا فإن الإمام مكي بن أبي طالب[(١)] قال: « فلما نسخوا المصحف كتبوه في سبع نسخ وقيل في خمس. ورواة الأول أكثر « أي رواة القائلين بالسبع أكثر، وهذا الذي تطمئن إليه النفس مع العلم، أن أهل اليمن كانوا- قبل جمع المصاحف - يقرأون بقراءة أبي موسى الأشعري[(٢)].

فاليمن باعتباره جزءاً من دار الإسلام يتلاحم مع بقية الأمصار في هذه الدار ويتبادل مع غيره المعارف والثقافات كان لا بدّ أن يتأثر بما حوله من أحداث.

فقد تعددت القراءات - كما ذكرت آنفاً - ودخل القرن الثالث الهجري ولم يتفق العلماء على قراءات معينة معتمدة لا يتعدونها. وهذا الموقف هو بعينه الذي كان سائداً في اليمن.

فلم يكن علماء اليمن على قراءة واحدة بل كان منهم من يقرأ بقراءة أبي عمرو ابن العلاء[(٣)]، ومنهم من التزم قراءة نافع المدني مثل أبي قرة موسى بن طارق اللحجي الذي كان أحد رواة طرق قراءة نافع التي جمعها ابن مجاهد في كتابه السبعة[(٤)]، وكذلك بكر بن الشرود (توفي بعد ٢٢٠هـ) أخذ قراءة نافع عن عيسى بن وردان الحذاء (ت ١٦٠هـ) الذي كان من أقدم أصحاب نافع وأخذ قراء كثيرون عن بكر بقراءة نافع منهم محمد بن عمر السمسار[(٥)].

---

(١) ابن أبي داود. المصاحف ص ٣٥.

(٢) مثل: مكرم بن إسماعيل بن الزبير الأبناوي أحد أئمة صنعاء في القراءة وقد قرأ على محمد بن عمر البصري بقراءة أبي عمرو بن العلاء (الرازي، تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٧).

(٣) المقنع ص ١٩.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - ابن الجزري. غاية النهاية جـ٢ ص ٣١٩ - ابن مجاهد. كتاب السبعة ص٦١، ٦٤ وكان أبو سعيد المفضل الجندي تلميذ أبي قرة ممن تلقى ابن مجاهد قراءة نافع.

(٥) انظر: الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٦ - ابن الجزري. غاية النهاية جـ١ ص ٦١٦.

ومنهم من أخذ بقراءة حمزة كابن أبي غسان (١٥٥ - ٢٣٨هـ) الذي كان ملتزماً بقراءة حمزة، ويقرأ أيضاً بقراءة عاصم[(١)].

ومنهم من برع بقراءة الكسائي مثل أبي العكار بن إسماعيل بن الزبير الأنباوي أحد القراء في القرن الثالث الهجري، وقد أجاد أيضاً قراءة أبي عمرو بن العلاء[(٢)].

ومنهم من كان يقرأ بقراءة عبد الله بن كثير المكي. كسليمان بن داود[(٣)].

وعرفت قراءة عاصم في اليمن، ولعلها دخلت حينما دخل اليمن أبو كريب بن الساد بن كريب الكوفي (ت ٢٤٧هـ)[(٤)]، لأنه كان تلميذاً لأبي بكر بن سالم بن عياش (ت ١٩٣هـ) أحد تلاميذ عاصم وراوي قراءته[(٥)].

وكانت هناك قراءات أخرى غير القراءات المشهورة[(٦)].

ويمكن أن نجعل تفسير عبد الرزاق الصنعاني برهاناً ساطعاً على عدم الالتزام

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق٣٣/أ) - الجندي. السلوك ص ٣٤ والرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٥، ٣٠٩ - وقد أخذ قراءة حمزة عن خلاد بن خالد (ت ٢٢٠هـ) انظر: ابن الجزري غاية النهاية جـ١ ص ٢٧٤.

(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٧ تلقى القراءة عن محمد بن عمر الرومي أحد رواة قراءة الكسائي - (انظر: ابن الجزري - غاية النهاية جـ٢ ص ٢١٨).

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٣ - الجندي. السلوك ص ٣٠ - ولسان الميزان جـ٣ ص ٨٩ - أخذ القراءة عن شيخه القاسم بن عبد الواحد المكي الذي كان يروي القراءة عن عبد الله بن كثير (انظر: ابن الجزري - غاية النهاية جـ٢ ص ١٩).

(٤) المصدر نفسه ص٤ أو ابن حجر. تقريب التقريب جـ٢ ص ١٩٧ - ابن مجاهد، كتاب السبعة ص٧٠

(٥) ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٢ ص ٣٥٣.

(٦) كان بكر بن الشرود قد تلقى القراءات عن عيسى بن وردان الحذاء (ت ١٦٠هـ) فأخذ عنه قراءة شيبة بن نصاح أحد قراء التابعين (ت ١٣٠ هـ) وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي (ت١٣٠هـ) أحد القراء العشرة، (الجزري. غاية النهاية جـ٢ ص ٣٨٢)، وأخذ عن بكر القراءات بكر بن محمد بن عمر بن أبي مسلم السمسار من علماء القراءات في القرن الثالث الهجري (الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٦، ٣٠٧ - ابن حجر. التقريب جـ١ ص ٦١٦ - ابن الجزري. غاية النهاية جـ١ ص ٣١٩، ٦١٦، جـ ٢ ص ٣٨٢).

بقراءة واحدة في اليمن قبل ابن مجاهد، فقد جمع عبد الرزاق في تفسيره معظم القراءات المتوافرة حتى الشاذة ولم يوجهها أو يرجح واحدة على أخرى، وهو منهج كان يلتزمه العلماء في عصره[١].

لهذا وجد في اليمن قراء لم يعرف عنهم اختيار قراءة معينة. وهذا قد يدل على أنهم من ذوي الاختيارات الخاصة في القراءات، أو يقرأون بقراءات عدة ولا يلتزمون قراءة محددة مثل أبي الغيث الطائي الذي كان مختصاً بعلم القراءة[٢]. والسلام بن يزيد الصنعاني وكان إماماً في القراءة في زمانه رحل إليه عبد الله بن كثير البغدادي ليأخذ عنه القراءة. وتلاه أبو مسعود المقري الذي كان إمام أهل صنعاء في القراءة وكان موجوداً في النصف الأخير من القرن الرابع[٣].

ومنهم ميمون المقري أحد قراء صنعاء[٤]، وكان أبو نجران كثير بن كثير بن عمر آخر الأئمة الذين تؤخذ عنهم القراءة بصنعاء بالنسبة للقرن الرابع وأوائل القرن الخامس[٥].

وكان الهمداني - باعتباره أحد علماء اللغة، الذين هم أئمة القراءات - يجيد علم القراءات[٦].

لقد أمدنا المقدسي بمعلومات نادرة عن انتشار القراءات في اليمن في النصف الثاني من القرن الرابع فصرح بأن قراءة عاصم (ت ١٢٧هـ) هي المنتشرة باليمن، وأن قراءة أبي عمرو بن العلاء مستعملة في جميع إقليم بلاد العرب ومنه اليمن[٧].

---

(١) محمود محمد عبده. تفسير عبد الرزاق جـ١ ص ١٣٥.
(٢) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢.
(٣) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٥، ٣٠٦.
(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٩ وقد دارت بينه وبين أبي الحسين الطبري مساجلات حول القراءات.
(٥) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٧ وكان قد تلقى القراءات عن ابن مقسم محمد بن الحسن بن يعقوب الذي كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات وله اختيار في القراءة وقد توفي عام ٣٥٤هـ(ابن الجزري - غاية النهاية جـ٢ ص ١٢٤).
(٦) الهمداني. المقالة العاشرة ص ١٢٩.
(٧) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٥، ٩٧.

ولدينا ما يؤكد أن قراءة (أبي عمرو) هي الأكثر انتشاراً في اليمن، فقد كان يطلب من المعلمين والمؤدبين أن يعلموا بقراءة أبي عمرو لأنها أشهر القراءات في البدو والحضر[١]، ولعل دخول أبي عمرو إلى اليمن[٢] كان له دور في الانتشار.

ومع هذا فقد كانت قراءة (نافع) موجودة في اليمن أيضاً لأن أبا سعيد المفضل الجندي كان يرويها عن علي بن زياد اللحجي عن أبي قرة عن نافع حتى أصبح أحد رواتها المعتمدين عند ابن مجاهد أول جامع للقراءات السبع[٣]، بالإضافة إلى وجود قراءة (قالون المدني)[٤] (ت ١٢٠هـ)، عن نافع المدني[٥]، وخاصة أن الزيدية كانوا يعتمدون قراءة نافع وهي قراءة أهل المدينة، ولم يأخذوا بقراءة الإمام زيد بن علي (ت ١٢٢هـ) الذي كان له قراءة خاصة به[٦].

التفسير:

أما الشق الآخر الذي كان يتصدر علوم القرآن وهو علم التفسير فللأسف فإن المصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا بمعلومات كافية عن هذا العلم خلال القرنين الثالث والرابع ما عدا شذرات عن نوعين من التفسير وُجِدَا في أوقات متباعدة ولظروف النشأة المتميزة وهما: التفسير بالمأثور، والتفسير المذهبي.

أما النوع الأول فهو التفسير بالمأثور فلم يتصدر له سوى الإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ) الذي كان يعد حلقة من حلقات تطور التفسير ودلالة على

---

(١) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٤٦، ٤٧.

(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٠٣ - مجهول. تاريخ اليمن (ق٥١/ب، ٥٢/أ) - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٨٧.

(٣) ابن مجاهد. كتاب السبعة في القراءات ص ٩٧.

(٤) قالون هو عيسى بن مينا بن وردان كان ربيب نافع وقد لقبه بقالون لجودة قراءته؛ لأن قالون بالرومية تعني (جيد). وقد أخذ القراءة عَرَضاً عن نافع وقراءة أبي جعفر وعرض على عيسى بن وردان، وروى عنه علماء كثيرون. توفي عام ١٢٠هـ. (ابن الجزري) غاية النهاية جـ١ ص٦١٥.

(٥) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٢١٩).

(٦) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله (ت ٩١٤هـ). الفصول اللؤلؤية في أصول فقه العترة النبوية ص ٦٩ - (مخطوطة في دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٥٠٠ ب).

المنهج الذي كان متبعاً آنذاك[١]، وهو الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن أو بالمأثور إمّا عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابته عليهم رضوان الله، أو عن التابعين.

ولم يكن تفسير عبد الرزاق لكل سور المصحف بل كان كغيره من تفاسير عصره يقتصر على تفسير الآيات التي دعت الحاجة إلى تفسيرها معتمداً على نقل المأثور في بيان المعاني وإسناد كل قول إلى قائله دون نقد للروايات أو ترجيح بينها مكثراً الرواية عن قتادة بن دعامة الدوسي (٦٠ - ١١٧هـ) بواسطة شيخة معمر بن راشد (ت ١٥٣هـ)[٢]، متجنباً التفسير بالرأي مع وضوح الميل الشخصي لصورة معينة من التفسير للآية. يظهر هذا من خلال إيراده للأقوال المأثورة التي توافق ما يرتاح إليه ويضرب صفحاً عن غيرها من الأقوال[٣].

وكان عبد الرزاق بعمله هذا يمثل الطبقة الثالثة من المفسرين التي تلت طبقة الصحابة والتابعين ليأتي بعد ذلك أبو جعفر الطبري[٤].

وقد عدّ ابن تيمية الإمام عبد الرزاق من كبار أهل العلم الذين كتبوا في التفسير بالمأثور الذين لهم لسان صدق وتفاسيرهم متضمنة للمنقولات التي يعتمد عليها في التفسير[٥].

وحينما كتب أبو جعفر الطبري تفسيره الشهير جمع فيه جل التفاسير التي قد سبقته ومن ضمنها تفسير عبد الرزاق الذي دمج أكثره في تفسير الطبري[٦].

---

(١) محمود محمد عبده. تفسير عبدالرزاق ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٨٤، ١٠١، ١٠٢ - وضعت رسالة علمية للحصول على الماجستير من كلية الآداب - جامعة القاهرة: قدمها عبد الله أبو السعود بدر بعنوان: تفسير قتادة رضي الله عنه (عالم الكتب - القاهرة)، وكان اعتماده في استقصاء هذا التفسير من مصدرين: تفسير الطبري - ومصنف عبد الرزاق، ولم يرجع إلى تفسيره ولو رجع إليه لوفئ الدراسة حقها.

(٣) محمود محمد عبده. تفسير عبد الرزاق ص ٧٣، ١٠١.

(٤) طاش كبرى زاده ج٢ ص ٧٤، ٧٨ - وحاجي خليفة. كشف الظنون ج١ ص ٤٣٠. كان سفيان ابن عينية (ت ١٩٨هت)، ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ) من رجال طبقة عبد الرزاق.

(٥) ابن تيمية. منهاج السنة ص ٤، ٤٨.

(٦) محمود محمد عبده. تفسير عبد الرزاق ص ٤٩.

أما النوع الثاني وهو تفاسير الفرق الإسلامية المختلفة، فيرجع إلى التفسير بالرأي غير أنه يدخل في النوع المذموم[(١)] - غالباً - منه لأن أصحابها لم يؤلفها إلا لتأييد آرائهم وأهوائهم ومن ذلك تفاسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية[(٢)].

ولا يوجد في هذه الفترة تفسير صوفي في اليمن. أما التفسير الباطني فهو مرتبط بالباطنية لأن زمن بقاء الإسماعيلية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع كان محفوفاً بالمعارك والصراع مع الأطراف المتقاتلة، بالإضافة إلى سرية تعاليمهم، فإنه لذلك لم يظهر تفسير خاص بهم في اليمن ولكن ظهر بعد ذلك تفسير لجعفر بن منصور اليمن وإن لم يظهر إلا بعد هروبه إلى مقر الدولة الفاطمية في المغرب ومصر ومع هذا فقد كان يروي عن والده بعض تأويلاته وهو لا يفسر القرآن مرتباً ولكنه يذكر الآية فيؤولها، ثم يأتي بأخرى لا صلة بينها وبين الأولى وهي تأويلات فيها من الغلو ما لم يوجد عند غيره، ويسمى كتابه «كتاب الكشف»[(٣)] ولا يستبعد أن يكون هذا الكتاب قد دخل اليمن فيما بعد.

أما المعتزلة فقد سبق أن بينّا العلاقة بينها وبين الزيدية، وخاصة الإمام الهادي، وبما أنه قد ثبت أنه فسر من سورة (المنافقون) إلى سورة (النبأ) مكملاً ما كان قد بدأه جده القاسم وعمه محمد[(٤)] إلا أننا لا نستطيع أن نجزم أنه كان ينهج نهج المعتزلة

---

(١) التفسير بالرأي نوعان: نوع: متفق على جوازه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية لأن مبناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمنع استنباطها منه، واستخراجها لمن له أهلية لذلك.
والنوع الثاني: هو المذموم المنهي عنه كتفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، والتفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً له، أو أن يقال إنّ مراد الله كذا على القطع من غير دليل، أو التفسير بالاستحسان والهوى. (انظر: طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة ج٢ص ٩٥، ٩٦).

(٢) صبحي الصالح. علوم القرآن ص ٢٩٤.

(٣) محمد كامل حسين. ديوان داعي الدعاة ص ٦، ٧ وقد طبع كتاب الكشف المستشرق الألماني مستر وتمان على نفقة جمعية الدراسات الإسلامية بالهند وفي كتاب القرامطة لطه الولي ص ١٨٣ نسبة لمنصور اليمن نفسه.

(٤) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي ج٣ ص ٣٢٨ - الحبشي. مصادر الفكر العربي الإسلامي في=

بحذافيره لأن الفرصة لم تسنح للاطلاع عليه، ولأن الهادي لم يكن معتزلياً في كل أصوله، حيث ثبت أنه كان يخالفهم في بعض القضايا[١].

ولكن نستطيع أن نقرر ونحن على اطمئنان أن تفسير الهادي ومن جاء بعده من تفاسير زيدية هو ضمن تفاسير الفرق الإسلامية وهو تفسير بالرأي. وفي الغالب أنه لم يكن - في مجمله - من التفسير بالرأي المذموم. لأن فرقة الزيدية هي أقرب الفرق إلى أهل السنة.

ومع هذا فتفاسير الزيدية تنتصر لرأيها على الفرق الأخرى من خلال فهمهم لنصوص القرآن الكريم وإن كنا لم نطلع على تفسير الهادي لنعرف منه ما إذا كان ينهج هذا النهج أم لا إلا أنه ورد أن الناصر بن الهادي سأله أحد أصحابه عن مسائل كثيرة في تفسير آي من غريب القرآن وغوامض معانيه كانت (الإباضية) قد أثارتها فأجاب بتفسير المطلوب ودوّن في كتاب وأصبح معروفاً لدى الزيدية وكان من جليل كتب علم التفسير عندهم[٢]، ومن هذا يتبين أنه انتصر لرأيه من خلال تفسير الآيات القرآنية.

وقد أشارت المصادر التي ترجمت للهادي وبنيه إلى وجود تفاسير لهم مثل: كتاب الشرح والبيان في تفسير القرآن للمرتضى محمد بن الهادي[٣]، وهو في حكم المفقود لأن فهارس المكتبات - المعروفة المدونة - لا تدل عليه.

ولمتأخري الزيدية في القرن الرابع تفاسير أيضاً، فقد ألف الحسين بن القاسم العياني (ت ٤٠٤هـ) تفسير الغريب من كتاب الله[٤]، وهو بهذا الاسم يشارك في نوع

= اليمن ص ٥٠٩ ومن هذا التفسير يوجد مخطوط في مكتبة الأمير وزيانا برقم ٣٣٤هـ- وذكر له تفسيراً نقله عنه عبد الله بن محمد بن إبراهيم الشرفي (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) في كتابه «المصابيح الصادعة الأنوار» الموجود في جامع صنعاء رقم ٥١٨، ٥١٩ - تفسير.

(١) كقضية الإمامة مثلاً. . . وكالأسلوب الذي كان ينتهجه في جدله ومناظراته حيث إنه لم يتخذ الأسلوب الفلسفي بل كان يختار أسلوب القرآن غالباً.

(٢) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق٤١/ب) وابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٣ ص٤٢.

(٣) الحبشي. مصادر الفكر العربي ص ٥١٩.

(٤) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٣ ص ٣٣٢ توجد منه الكراسة الثالثة في برلين - رقم ١٠٢٣٨ وهي في مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٨٣ - أصول دين. وتوجد منه نسخة في مكتبة الجامع خ ١٠٥٩ في ٢٠٢ ورقة برقم ٢٦٤ تفسير - ونسخة برلين برقم ١٠٣٧١، وثالثة في مكتبة شهير على باشا بتركيا (الحبشي. مصادر الفكر ص ٥٢٧).

من الدراسات الجزئية التي ظهرت حول القرآن الكريم والتي تمثل طوراً من أطوار التفسير[١].

وتشير المصادر التي ترجمت للناصر بن الهادي إلى أنه ألف كتاباً عرف بكتاب علوم القرآن[٢] وهو أيضاً في عداد المفقودين.

وقد تصدى أخو الهادي عبد الله بن الحسين بن القاسم (توفي في حدود ٣٠٠هـ) لإبراز علم من علوم القرآن وهو علم الناسخ والمنسوخ[٣] فألف فيه كتاباً صار هو معتمد علماء الزيدية[٤] وحسبك هذا العلم دليلاً على ضيق المسافة بين الزيدية وبين جمهور أهل السنة، فقد وافقوهم في جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعاً[٥].

وإذا كان كتاب عبد الله بن الحسين هو المعتمد عند الزيدية، فإن كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر الصفار (ت ٣٣٨ هـ) هو الذي كان متبادلاً في اليمن عند أهل السنة بقية القرن الرابع وما بعده[٦].

ومن هذا البيان يظهر لنا طول باع الزيدية في علوم القرآن لا لشيء إلا لأنهم يحملون مذهباً جديداً في أرض لا تدين به فهم يسعون بشتى الوسائل لإبراز مذهبهم وانتصاره على غيره من المذاهب.

---

(١) حاجي خليفة. كشف الظنون جـ١ ص ٤٣١.

(٢) الحبشي. مصادر الفكر ص ٥٢٣.

(٣) النسخ في اللغة: الرفع والإزالة؛ في الإصطلاح الشَّرْعِي: رفع الحكم بدليل شرعي (الجرجاني. التعريفات ص ٢٤٠ - صبحي الصالح. علوم القرآن ص ٢٦١).

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٠ - والجنداري الجامع الوجيز (ق ٣٣/أ) وابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ٥٣ - بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٤ ص ١٤- سزكين تاريخ التراث العربي جـ١ ص ٧١ - الحبشي. مصادر الفكر العربي ص ١٥ - ومنه نسخ مخطوطة في مكتبات عالمية منها مكتبة الجامع بصنعاء رقم ١٩٩ تفسير.

(٥) صارم الدين. الفصول اللؤلؤية ص ١٩٧، شرف الدين أحمد حسين - تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ص ١٨٦ - ط ٣ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠هـ (دون ذكر مكان النشر ولا الناشر).

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١٧٤ - أبو جعفر الصفار يعرف بالنحاس، وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل الراوي المصري - مفسر، أديب، مولده ووفاته بمصر زار العراق وله مصنفات عدة منها ناسخ القرآن ومنسوخه، وقد طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ (الزركلي. الأعلام - جـ١ ص ١٩٩).

ثانياً: علوم الحديث

حركة علوم الحديث حتى نهاية القرن الرابع الهجري:

الحديث في اللغة هو ضد القديم لأنه يحدث شيئاً فشيئاً ويستعمل في قليل الكلام وكثيره.

أما الحديث في اصطلاح علماء الحديث فهو خبر ينسب إلى الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً أو سكوتاً عند أمر يعاينه(١).

وأما علم الحديث فهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ﷺ من حيت معرفة أحوال رواتها ضبطاً وعدالة ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً وغير ذلك(٢)، وقد عرف فيما بعد بمصطلح الحديث لأنه يُعْنَى بالرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها، من ضبط وتحرير للألفاظ(٣).

وقد رُتِّبَت الأحاديث بحسب صحتها في أربع طبقات:

الأول: محصورة في صحيحي البخاري ومسلم والموطّأ.

الثانية: تضم جامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي ومسند أحمد وعلى هاتين الطبقتين كان الاعتماد.

الثالثة: كتب يكثر فيها أنواع الضعيف كمسند ابن أبي شيبة، ومصَنَّف عبد الرزاق الصنعاني، وكتب البيهقي. ولا يأخذ من هذه الطبقة إلا المتمرس بالحديث.

الرابعة: مصنفات جمعت في عصور متأخرة فلا يعتمد عليها البتة(٤).

من هذا التحديد سيمضي البحث في الدراسة منذ البداية حتى نهاية القرن الرابع

---

(١) الطيبي. الخلاصة في أصول الحديث ص ٩، مقدمة المحقق وص ٣٠.
(٢) السيوطي. تدريب الراوي ص ٥، ٦.
(٣) الطيبي. الخلاصة ص ٩.
(٤) صبحي الصالح. علوم الحديث ص ١١٥ - ١١٧.

الهجري لنعرف من خلال هذه الدراسة الحالة التي وصل إليها على مستوى الحضارة الإسلامية عامة ثم نغادر الكرة مرة أخرى لندرس علم الحديث في اليمن على وجه التخصيص حيث يكون التفصيل والتوضيح للدور الذي قام به علماء اليمن في هذا الجانب.

تدوين الحديث:

منذ الوهلة الأولى تحدد لدى المسلمين مصدر تلقيهم لمعارفهم وثقافتهم وتصوراتهم وأفكارهم وأحكامهم وتشريعاتهم. وكان هذا المصدر هو رسول الله ﷺ فهو المعين الوحيد الذي يستقي منه المسلمون ما يصلح حياتهم في الدنيا وفي الآخرة.

وهذا الذي يتلقونه لا يعدو أحد اثنين: إما كلام تلقاه رسول الله ﷺ عن رب العزة فهو خطابه لخلقه وكتابه المنزل على عبده محمد ﷺ وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أو هو: الترجمة الحقيقية لما جاء في كتاب الله وشرحه، وهذا هو الحديث النبوي سواء أكان قولاً أم فعلاً أم تقريراً.

وكانت المدينة المنورة مركزاً لعلم الحديث - باعتبارها دار الهجرة ومقر الرسول ﷺ - كانوا يلتقطون كل ما يسمعونه منه أو يفعله أو يقرّ أحداً منهم على فعل أو قول.

فكانت صدورهم هي الواعية لكل ما حفظوه عن رسول الله ﷺ ولم تكن الصحائف هي وسيلة حفظهم للحديث على الرغم من وجود الكتابة والكتّاب، حيث كانوا يكتبون القرآن ويحفظونه في الصدور والسطور[١] وكان سبب عدم حفظهم للحديث في الصحائف هو توجيه الرسول ﷺ فقد نهى عن ذلك في بداية أمر الوحي ليكون نوعاً من أنواع التربية وهو الاقتصار على التلقي من كتاب الله والاستمداد منه

---

(١) صبحي الصالح. علوم الحديث ص ١٨.

وعدم اختلاطه بما يقوله رسول الله ﷺ لتتحدد المعالم ومصادر الأخذ والتلقي(١).

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني. ومن كتب عني غير القرآن فليمحه. وحدثوا عني ولا حرج. ومن كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

ولم يبق هذا الأمر على عمومه فقد أذن رسول الله ﷺ إذناً خاصاً لبعض صحابته أن يكتبوا عنه لعلمه بدقة ضبطهم، واطمئنانه إلى أنهم لن يخلطوا بين القرآن والحديث، كإذنه لعبد الله بن عمرو بن العاص مثلاً(٣).

ولكن ما لبث هذا الإذن الخاص أن أصبح إذناً عاماً حيث روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «قيدوا العلم بالكتاب»(٤).

وعلى الرغم من اختلاف الصحابة أيضاً في تقييد الحديث في الصحائف أو التحرج من تقييده إلا أن العبرة بما انتهى إليه الحال من الإجماع على إباحته والتوسع فيه(٥)، وإذا كان هذا في عهد الصحابة فقد بقي الأمر كذلك على عهد التابعين وهم تلاميذ الصحابة حيث ظلوا متأثرين بأساتذتهم من الصحابة الذين كانوا يمثلون مدارس بحسب تفرقهم في البلدان، فكان منهم من يتمتع ويتحرج عن الكتابة مثل: أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وكان منهم من يكتب ولا يتحرج من أن يأمر بالكتابة مثل الخلفاء الراشدين. وعبد الله بن عباس وغيرهم. فكان التابعون يختلفون باختلاف أساتذتهم من الصحابة(٦).

---

(١) الخطيب. أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) تقييد العلم ص ٤٩، ٩٣ - تحقيق/ يوسف العش ط٢، ١٩٧٤م، دار إحياء السنة النبوية. القاهرة.

(٢) رواه مسلم في الصحيح جـ٨ ص ٢٢٩ (بشرح الإمام النووي).

(٣) ابن قتيبة. تأويل مختلف الحديث ص ١٩٣ - مكتبة المتنبي القاهرة - الخطيب. تقييد العلم ص ٦٨ - البلقيني. محاسن الاصطلاح. حاشية على مقدمة ابن الصلاح ص ٢٩٨.

(٤) الخطيب. تقييد العلم ص ٧٠ - ابن عبد البر. جامع بيان العلم جـ١ ص ١٧٣، ابن الصلاح - مقدمة ابن الصلاح ص ٢٩٦. رواه الطبراني والحاكم.

(٥) ابن الصلاح. مقدمة ابن الصلاح ص ٣٠٢.

(٦) انظر: كتاب تقييد العلم للخطي بالبغدادي ص ٣٦ - ٤٨، ٨٧.

وأياً كان الأمر فإن العبرة كما قال ابن الصلاح بما انتهى إليه وهو: الاجتماع على الإباحة.

ولأن الصحابة تفرقوا في البلدان وتكونت حولهم مدارس متنوعة نشأت الرِّحلة والتنقل في الأمصار لطلب الحديث[١].

وقد ثبت أن الحديث دوِّن في عصر مبكر ويظهر هذا من الصحيفة الصادقة التي كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن الصحيفة الصحيحة التي كتبها أبو هريرة وتعرف بصحيفة (همام بن منبه) لتلقيها عنه[٢]، وإذا كان المشهور أن عمر بن عبد العزيز أمر بتدوين الحديث على رأس المائة الثانية[٣]، فهو فلم يكن بداية للتدوين ولكنه بمثابة الترويج لهذا التدوين وتجميع ما دوِّن في صحائف متفرقة لحفظ الحديث بعد أن صار القرآن محفوظاً ولا يخشى عليه الاختلاط بغيره.

وكان حرص التابعين على تدوين الحديث منبعثاً من الخوف عليه من الضياع هذه ناحية، ومن ناحية أخرى حفظاً له من عبث الكذابين والوضاعين الذين كانوا لا يتوانون عن وضع الأحاديث لتأييد (الفرق) التي نشأت أو معارضتها[٤].

ولا بدّ من التنبيه على أن تدوين الحديث كان من أول العلوم تدويناً ومنه انبثق كثير من العلوم كالتفسير الذي كان فرعاً من علم الحديث، والتاريخ، والسير.. الخ[٥].

وهكذا لم ينته عصر التابعين إلا وقد وضع الحديث في مصنفات مرتبة بحسب الموضوعات ولكنها لم تكن خالصة لحديث رسول الله ﷺ، بل كانت غالباً ممزوجة بفتاوى الصحابة والتابعين، كما هو واضح من كتاب موطأ الإمام مالك[٦].

---

(١) صبحي الصالح. علوم الحديث ص ٥٠ - ٧٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢، ٥٣. وهذا يخالف ما توصل إليه الشيخ الخضري في تاريخ التشريع ص ١٣٤ من أن تدوين السنة ابتدأ في أوائل القرن الثاني.

(٣) الخطيب. تقييد العلم ص ١٠٥، ١٠٦.

(٤) الخضري. تاريخ التشريع ص ١٠٦ - القنوجي. أبجد العلوم جـ١ ص ٢٢٩.

(٥) بروكلمان. تاريخ الأديب العربي جـ٤ ص ٧ - وانظر: السيوطي. الاتقان في علوم القرآن جـ٢ص٢١٠.

(٦) صبحي الصالح. علوم الحديث ص ٤٨ - سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص ١٢٩.

ولم يقف هذا النوع من التصنيف عند عهد التابعين، بل امتد إلى عهد اتباع التابعين؛ لأننا لا نستطيع أن نضع خطاً فاصلاً لمراحل التدوين بل سنجد التداخل واضحاً جداً.

ومن هذا التداخل والاختلاط في المراحل وجدت كتب (المصنفات)[١]، وهو نوع من التدوين المميز بين الحديث (المرفوع) و(الموقوف) والفتاوى جنباً إلى جنب مع التصنيف المميز المعروف (بالمسانيد)[٢]، وكتب (الجوامع)[٣]، وكتب (السنن)[٤].

وسيتضح هذا التداخل أيضاً حينما نتحدث عن تطور تدوين الحديث في اليمن إن شاء الله.

وعلى الرغم من هذا التداخل إلا أن السمة الظاهرة في بداية القرن الثالث هي التَّميُّز بمرحلة (المسانيد) باعتبارها مرحلة تمهيدية أسلمت إلى مرحلة أخرى كانت أبعد المراحل أثراً، وهي مرحلة تدوين السنة الصحيحة حيث دونت الكتب الستة الصحيحة التي سبق التعريف بها.

وكانت نهاية هذه المرحلة هي نهاية القرن الثالث الهجري، لأن النسائي توفي عام (٣٠٣هـ)[٥]، وهو آخر الستة وفاة.

---

(١) المصنف: في اصطلاح المحدثين هو الكتاب المرتب على الأبواب الفقهية والمشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، أي فيه الأحاديث والأقوال والفتاوى (الطحان. أصول التخريج ص ١٣٤).

(٢) المسانيد: جمع مسند وهي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفها على مسانيد أسماء الصحابة، أي أنهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حده (الطحان. أصول التخرج ص ٤٠).

(٣) الجوامع: جمع جامع، وهي كتب الحديث التي تشتمل على جميع أبواب الحديث التي اصطلحوا على أنها ثمانية. أبواب في العقائد والأحكام والآداب. . . الخ (صبحي الصالح. علوم الحديث ص ١٢٢- الطحان. أصول التخرج ص ١١٠).

(٤) السنن: هي الكتب التي تشتمل على الأحاديث المرفوعة إلا نادراً لأن الأحاديث الموقوفة والمقطوعة لا تسمى في اصطلاحهم سنناً (الطحان. أصول التخرج ص ١٣٤).

(٥) السيوطي. تدريب الراوي جـ١ ص ٤.

أما القرن الرابع الهجري فلم يبقَ فيه لمستزيد في تصنيف الحديث ولذلك اقتصر الإنتاج فيه على التهذيب والشرح والجمع بين (الصحاح) ووضع المستدركات و(المستخرجات)، أو ضبط أسماء رجال كتب الصحاح أو معالجة التصحيفات في الحديث. وهكذا[١].

ولأن القرن الرابع كان مرحلة نضج العلوم، فقد أفرز علم مصطلح الحديث في هذا القرن بعد أن كان مفرقاً لأن بعض العلماء كان يشير إلى جزئيات منه في خلال القرن الثالث[٢]، وكان أول أنواع علم مصطلح الحديث ظهوراً هو علم الجرح والتعديل حيث ظهر في أواخر عهد التابعين[٣].

حركة علوم الحديث في اليمن:

استهل القرن الثالث الهجري واليمن قبلة ومهوى أفئدة من العلماء يرشفون من صدور العلماء اليمنيين وكتبهم ما حوت من علم الحديث وكما أشرنا آنفاً فإن تباعد الصحابة في البلدان، ونشوء المدارس المتفرقة من التابعين فيها كان ينطبق هذا على اليمن أيضاً.

---

(١) متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٣٥٧ - صبحي الصالح. علوم الحديث ص ٤٨ - طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ٩، السيوطي. تدريب الراوي جـ١ ص٤ - والمستدركات: جمع مُستَدْرك: وهو كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاته على شرطه مثل المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، (الطحان. أصول التخرج ص ١١٦)، أما المستخرجات: فهو جمع مُستَخرَج وهو عند المحدثين: أن يأتي المصنف المستخرج إلى كتاب من كتب الحديث فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب (السيوطي. تدريب الراوي جـ١ ص ١١٢) - والتصحيف هو الخطأ في الصحيفة (ابن منظور. لسان العرب جـ٤ ص ٢٤٠٥)، وقد عنى حفاظ الحديث عناية بالغة لمعرفة المصحف من الحديث متناً وإسناداً ويعتبر تصحيفاً لأنه مأخوذ عن الصحف ولم ينقل بالمشافهة والسماع (صبحي الصالح. علوم الحديث ص ٢٥٤).

(٢) السيوطي. تدريب الراوي جـ١ ص ٥، ٥٢ كان أول من مصنف في هذا العلم هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاّد الرّامهرمزي المتوفى عام (٣٦٠هـ) حيث ألف كتاب: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص ٣١٣).

(٣) صبحي الصالح. علوم الحديث ص ٤٨، ٧١ يقول سفيان الثوري (ت ١٦١هـ): «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ» أي تاريخ الرواة وتاريخ الروايات.

ومن هنا كانت لأهل اليمن روايات جيدة وطرق صحيحة بالرغم من أنها قليلة[١]، وكانت أصح أسانيدهم الصحيفة الصحيحة التي رواها عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة، كما أن أوهى أسانيدهم ما جاء عن حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس[٢].

وكان أول القرن الثالث - امتداداً لأواخر القرن الثاني - من أكثر الأوقات رحلة إلى اليمن للأخذ عن علمائها.

وقد تقرر سابقاً أنه لم تكن توجد خطوط فاصلة بين مراحل تطور تدوين الحديث إلا أننا نستطيع - بالنسبة لحركة علم الحديث في اليمن - التمييز بين مراحل ثلاث: المرحلة الذهبية لعلم الحديث في اليمن في دراستنا عن القرنين الثالث والرابع الهجري، ومرحلة تلاميذ وأتباع المرحلة الذهبية - وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الخمول في الحديث والانشغال بالفقه.

المرحلة الأولى:

وهي المرحلة الذهبية وتنحصر في النصف الأول من القرن الثالث لكونه امتداداً لأواخر القرن الثاني حيث ظهر في هذا الوقت معظم أنواع التدوين في علم الحديث.

فعلى الرغم من انتشار أحد أنواع تدوين الحديث في مستهل القرن الثالث في جميع الأمصار وهو نوع (المصنفات) الذي يشمل الحديث وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، وكان للإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)[٣] قصب السبق في هذا المضمار، حيث ألف كتاب (المصنف) ووضعه في أحد عشر مجلداً[٤]. فعلى الرغم من انتشار هذا النوع من تدوين الحديث إلا أنه زاحمه نوع آخر من أنواع تدوين

---

(١) السيوطي. تدريب الراوي ص ٨٥، ٨٦ - وصبحي الصالح. علوم الحديث ص ١٥٣، ١٥٤.

(٢) البلقيني. محاسن الاصطلاح ص ٨٧، ٨٨ (بهامش مقدمة ابن الصلاح).

(٣) عبد الرزاق الصنعاني: هو الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني، من حفاظ الحديث الثقات كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث (انظر: الزركلي الأعلام جـ٤ ص ١٢٦) وله ذكر في أكثر فصول الرسالة.

(٤) يشتمل كتاب المصنف على (٢١٠٣٣) حديثاً مرتبة على أبواب الفقه، وفي آخر الكتاب احتوى=

الحديث وهو (السنن) وكان أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي (ت ٢٠٣هـ)[١] مشهوراً بكتابة المنسوب إليه وهو (سنن أبي قرة) حيث كان أهل اليمن لا يعتمدون قبل دخول كتب الحديث إلى اليمن على سنن أبي قرة وقد يسمى الجامع في السنن[٢]، وقد رأى ابن حجر العسقلاني[٣]، سنن أبي قرة ووصفه بأنه مرتب على الأبواب.

وكان الإمام عبد الرزاق الصنعاني قد شارك في هذا الجانب أيضاً فكما كان له المصنف فقد كان له كتاب (السنن) مرتباً على حسب أبواب الفقه، وإلى جواره كتاب(الجامع الكبير)[٤]، وهو غير (المصنف)[٥]، وكان كثير الرواية عن معمر بن راشد (ت ١٥٤هـ) فهو تلميذه النجيب الذي أخذ عنه علمه[٦].

= على أبواب الآداب والأخلاق. وقد طبع بتحقيق/ الشيخ عبد الرحمن الأعظمي. منشورات المجلس العلمي. - مطبعة المكتب الإسلامي. بيروت ١٣٩٠هـ ١٣٩٢هـ (الحبشي. مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ص ٣٩) - وانظر: محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق ص ٥٢ - وانظر: عبد الله أبو السعود بدر - تفسير قتادة ص ٥٤.

(١) موسى بن طارق اليماني. أبو قرة الزبيدي، روى عن أيمن وموسى بن عقبة وابن جريج وغيرهم وروى عنه أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما. وكان قاضياً بزبيد، ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان ممن جمع وصنف وتفقه وذاكر. ولا يقول في حديثه: حدثنا إنما يقول: ذكر فلان وسبب هذا أن كتبه أصابتها علة فتورع أن يصرح بالأخبار وهو من علماء القراءات.. وله ذكر في كثير من فصول هذه الرسالة (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - الجندي. السلوك ص ٣٦، ٣٧ - الجزري. غاية النهاية ج٢، ص ٣١٩ - ابن حجر. التهذيب ج١٠ ص ٣٣٩).

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤، ١١١ الجندي. السلوك ص ٣٧ - وكان اعتماد أهل اليمن على سنن أبي قرة وسنن معمر بن راشد.

(٣) تهذيب التهذيب ج١٠ ص ٣٤٩.

(٤) إسماعيل باشا البغدادي. هدية العارفين أسماء المؤلفين ج١ ص ٥٦٦ - طبعة وكالة المعارف - استانبول - ١٩٨١م أعادت طبعه دار العلوم الحديثة - بيروت. بروكلمان. تاريخ الأدب العربي ج٤ ص ١١. سزكين. تاريخ التراث العربي ج١ ص ١٤٤. محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق، ص ٥٢، ٥٣.

(٥) الطحان. أصول التخرج ص ١١٠.

(٦) محمد رأفت سعيد. معمر بن راشد الصنعاني ص ٧٦ - ٧٩ - ط الأولى ١٩٨٣م. عالم الكتب. الرياض.

يتشابك هذا النوع من التصنيف مع نوع (المسانيد) فهناك مسند الحافظ محمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ)(١) الذي تلقى عنه كثير من أئمة الحديث كالإمام مسلم والترمذي وابن ماجه والدارقطني وأخذ هو عن عبد الرزاق وسفيان بن عيينة. . . الخ(٢).

وكان مسنده هذا أحد المسانيد العشرة التي جمع أطرافها أبو العباس أحمد بن محمد البوصيري (ت ٨٤٠هـ)، ويبدو أنه لم يكن مرتباً حسب أسماء الصحابة لأن المحدثين قد يطلقون المسند على كتاب مرتب على الأبواب أو الحروف(٣)، ويدل على هذا أن ما وجد من كتاب (المسند) هو كتاب الإيمان(٤)، مما يوحي بأنه مرتب حسب الأبواب.

وهناك مسند للحافظ عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، (ت ٢٠٦هـ) الذي

---

(١) ابن أبي عمر. أبو عبد الله الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني. قاضي عدن. روى عن كثير من العلماء منهم سفيان بن عيينة ووكيع، وروى عنه أئمة الحديث منهم: البخاري ومسلم والترمذي، وروى عنه ٢١٦ حديثاً. وقد توفي عام ٢٤٣هـ حسب رواية البخاري. ولكنه في آخر أيامه استقر بمكة وتوفي هناك.
(ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٢ - الجندي. السلوك ص ٣٥ - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٧١- ابن حجر. التهذيب جـ٩ ص ٥١٨ - ٥٢٠ - وابن العماد. شذرات الذهب جـ٢ ص١٠٤). وجاء في مصادر أخرى أنه توفي عام ٣٢٠هـ، ولا أظن هذا صحيحاً لأن رواية البخاري تؤكد وفاته عام ٢٤٣هـ (بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٢٣٠- الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٥/أ) - النجم عمر بن فهد. أتحاف الورى بأخبار أم القرى جـ٢ ص ٢٢٤. تحقيق / فهيم محمد شلتوت ط الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. نشر جامعة أم القرى. مكة المكرمة).

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٢. ابن العماد. شذرات الذهب جـ٢ ص ١٠٤. ولم يشر صاحب هداية العارفين جـ٢، ص ١٣ إلى أنه عدني بينما الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ٧١ وهو أعرف بأهل بلده ينسبه إلى عدن - وبامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٢٣٠. وابن حجر تهذيب التهذيب جـ١٠ ص ٥١٨.

(٣) الطحان. أصول التخريج ص ٤٠، ٤٩.

(٤) يوجد في المكتبة الظاهرية بسوريا مجموع رقم ١٠٤ خط القرن الخامس الهجري (الحبشي. مصادر الفكر ص ٤٠. سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص ١٦٥.

روى عنه أحمد بن حنبل ويُرْوَى أنه كان يحفظ ألف ألف حديث (مليون حديث)[١] إلا أننا لا نعلم عن مصير مسنده هذا شيئاً.

وهذا هو العصر الذهبي للتأليف في اليمن فلم يظهر بعد ذلك من ألف كتاباً في الحديث وقد اقتصر دور علماء الحديث - بعد ذلك - في اليمن على الرواية فظهر منهم رواة في الحديث وليس لهم مؤلفات، وقد تكون هذه ظاهرة عامة عن أصحاب الحديث سواءً أكان في اليمن أم في غيرها.

وتتميز هذه المرحلة بسمات كثيرة، منها:

السمة الأولى:

إن علماءها شاركوا في إبداء آرائهم حول جوانب من علم مصطلح الحديث في هذا الوقت، فالإمام عبد الرزاق مثلاً كان له وقفات وإشارات إلى بعض فنون مصطلح الحديث، وقد دونها في كتابه المصنف[٢]. وله طريقة في التحديث كان يصر عليها وهي نوع من فن مصطلح الحديث[٣].

السمة الثانية:

كثرة الرحلة إلى علماء من أهل اليمن وقد تحدثنا عن الرحلة في فصل سابق.

---

(١) الجندي. السلوك ص٣٦ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية. ص٢٧ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٣ ص ٣٤ - الجنداري الجامع الوجيز (ق ٢٣/ ب) - مجهول. تاريخ عدن (ق ١٤/ أ) - الحبشي. مصادر الفكر ص ٣٨ - ابن حجر. تهذيب التهذيب ج٦ ص ٤٠٠، ٤٠١- ابن الأثير. عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ). اللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص ٤٤٤ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٠/أ، ١٦٦/أ). كان عبد الملك الذماري ممن وصف بالحافظ وسكن ذمار وولي قضاءها قبل قضاء صنعاء وهو الأصح وحينما دخل إبراهيم الجزار العلوي اليمن عام ٢٠٠هـ انضم إليه ولما جاء حمدويه بن علي بن ماهان الوالي العباسي من قبل المأمون قتله عام ٢٠٦هـ.

(٢) محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق ص ٥٢ - وحول جهود عبد الرزاق في علم الحديث رواية ودراية كانت رسالة الدكتوراه المقدمة من الدكتور إسماعيل الدفتار من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر.

(٣) ابن الصلاح. المقدمة ص ٢٤٦ - ومثله أبو قرة موسى بن طارق اللحجي الذي كان يتورع من قول: حدثنا ويقول: ذكر فلان (ابن حجر. التهذيب ج١٠، ص ٣٤٩). ج٦/ ٨١.

السمة الثالثة:

إن كثيراً من علماء الحديث من أهل اليمن كانوا ضمن رجال كتب الصحاح فيما بعد وعلى سبيل المثال محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني دخل في صحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وسنن النسائي[١] والحافظ أبو عبد الله بن جعفر المعقري يروي عنه مسلم[٢]، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني (ت ٢٤٥هـ) روى عنه الترمذي ومسلم والنسائي وابن ماجه[٣]، ويزيد بن أبي حكيم العدني (ت٢٢٠هـ) دخل حديثه في صحيح البخاري معلقاً وعند الترمذي والنسائي وابن ماجه[٤]، ومحرز بن سلمة العدني (ت ٢٣٤هـ) دخل حديثه في سنن ابن ماجه[٥] وعبد الملك بن عبد الرحمن بن هشام الذماري (٢٠٦ هـ) حديثه في سنن أبي داود والنسائي[٦].

هذا بالإضافة إلى وجود العديد من الرواة الذين ذكروا في كتب رجال وطبقات علم الحديث. ولم يقتصر رواية الحديث على الرجال فقط بل تعداه إلى النساء فقد أشارت المصادر إلى أخت الإمام عبد الرزاق الصنعاني الذي كان يروي عنها[٧] مما يدل على شيوع هذا الأمر بينهن.

المرحلة الثانية:

مرحلة التلاميذ والأتباع وهي مرحلة متميزة بكثرة الرواة الذين ليس لهم - حسب ما عندنا من مصادر - مؤلفات أو كثرة في الرواية أو مدارس في الحديث وهي

---

(١) ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ٢١٨.
(٢) ابن حجر. أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) لسان الميزان.
(٣) ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ١٧٥، ١٨٢.
(٤) المصدر نفسه جـ٢ ص ٣٦٣.
(٥) ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ٢٣١.
(٦) ابن حجر. تهذيب التهذيب جـ٦ ص ٤٠٠، ٤٠١ - والتقريب جـ١ ص ٥٢٠.
(٧) ابن أبي حاتم. أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ) الجرح والتعديل جـ٣ ص ٤٠٦.

امتداد للمرحلة السابقة أو أكثر من آثارها، فقد كان معظم الرواة في هذه المرحلة يروون الأحاديث غالباً عن علماء المرحلة السابقة أمثال عبد الرزاق الصنعاني الذي كان له مجموعة من التلاميذ رووا عنه كتبه، وكان جُلُّ تلامذته شيوخاً لأصحاب الصحيح والسنن[١].

ومنهم أحمد بن منصور الرمادي (ت ٢٦٥هـ)[٢]، وكان إسحاق بن إبراهيم الدبري[٣] (ت ٢٨٧هـ) آخر من سمع من عبد الرزاق وقد أصبح رواية كتب عبد الرزاق ولا يكاد يروي إلا عن عبد الرزاق[٤].

وحينما ارتحل الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ)[٥] إلى صنعاء سمع من أصحاب عبد الرزاق وعلى رأسهم الدبري وإبراهيم بن برة[٦]، والحسين بن عبد الأعلى

---

(١) محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق - ص ٤٦.

(٢) ابن حجر. التقريب جـ١ ص ٢٦ - والمدني علي بن عبد الله (ت ٢٣٤هـ). علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤ - تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي - ط الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار الوعي. حلب - كان الرمادي (١٨٢ - ٢٦٥هـ) من كبار رجال الحديث وممن رحل إلى خارج اليمن فسافر إلى الشام وحدث في مدينة صور وحكي عنه أنه إذا اشتكى شيئاً قال: هاتوا أصحاب الحديث فإذا حضروا عنده قال: «اقرؤوا عليَّ الحديث». (انظر: الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) شرف أصحاب الحديث ص ٢٥، ٨٧ - تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي - نشر كلية الإلهيات. جامعة أنقرة - وأعادت طبعة دار إحياء السنة النبوية).

(٣) إبراهيم الدبري: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري - نسبة إلى قرية دبر - من أعيان الحديث وراوي كتب عبد الرزاق أخذ عنه الطبراني وهو ممن نقل عنه الفقه والحديث قبل ظهول مذهب الشافعي، وهو الذي أشهر علم عبد الرزاق، (الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ١٩٠، ٤٦٨- وابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤ - والجندي. السلوك ص ٣٨ - والجنداري. الجامع الوجيز (ق ٣٠/ب) - وابن الأثير. اللباب - جـ١ - ص ٤٠٩ - مكتبة حسام الدين القدسي. القاهرة ١٣٨٦هـ - وابن خير. فهرست ما رواه عن شيوخه ص ١٢٧ - ١٣١).

(٤) السيوطي. تدريب الراوي جـ٢ ص ٣٧٨.

(٥) الطبراني. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم. من كبار المحدثين رحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة وتوفي بأصبهان له ثلاثة معاجم في الحديث وكتب أخرى (الزركلي. الأعلام جـ٣ ص ١٨١).

(٦) ابن برة. إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عمر. مولى عثمان بن عفان - مشهور=

الصنعاني[١] وغيرهم[٢]. وليس هذا مجال الاستقصاء، وقد أشرنا إلى تلاميذ عبد الرزاق فيما سبق.

وكان أبو قرة موسى بن طارق اللحجي من أعيان المرحلة الذهبية فخلف تلاميذ تلقوا علمه وكتبه وتلقاها عنهم العلماء من بعده ومنهم أبو حمة محمد بن يوسف الزبيدي صاحب أبي قرة، وقد تلقفه أبو سعيد المفصل بن محمد الجندي (٣٣٧هـ) وأخذ عنه علم أبي قرة وخاصة جامعة المعروف الذي وصل إلى العلماء أمثال محمد ابن الحسين الآجري[٣] (ت ٣٦٠هـ) والمغيرة بن عمرو بن الوليد العدني[٤] وغيرهم[٥].

= بإبراهيم بن برة - كان موجوداً في آخر القرن الثالث الهجري وقتل على يد القرامطة وهو ممن نقل عنه الفقه والحديث والحديث قبل ظهور مذهب الشافعي (مجهول. تاريخ اليمن (ق ٣٠/أ)، ١٦٩/ب) - وابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤، ٦٥ - والزبيدي. السيد محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ). تاريخ العروس جـ٣ ص ٣٩ - نشر دار ليبيا للنشر والتوزيع. بنغازي. طبع على مطابع دار صادر. بيروت. ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، وله ذكر في تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص ٩٠، ٢٦٥، ٣٨٣، ٣٩٠).

(١) الحسين بن عبد الأعلى البوْسي - نسبة إلى قرية بيت بوس - بالقرب من صنعاء ممن نقل عنه الفقه والحديث قبل ظهور مذهب الشافعي كان يروي عن عبد الرزاق - وروى عنه الطبراني وغيره (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤ - وعند الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٧٨ - لقبه بالحذاقي واسمه حسين. وكذا عند السيوطي. تدريب الراوي جـ٢ ص ٣٧ اسمه حسين).

(٢) السيوطي. تدريب الراوي جـ٢ ص ٣٧٨ - وعند ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤.

(٣) الآجري: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري. فقيه شافعي محدث نسبته إلى آجر من قرى بغداد ولد فيها وحدث بها قبل سنة ٣٣٠هـ- ثم انتقل إلى مكة وفيها توفي. عام ٣٦٠هـ وله تصانيف كثيرة (ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٤ ص ٢٩٢ - والزركلي. الأعلام جـ٦ ص ٣٢٨)

(٤) المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني كان من العلماء الذين أخذ عنه علماء الأندلس في القرن الرابع الهجري ولعله حينما كان في مكة، وقد أخذ بها أيضاً أبو قرة عن أبي سعيد المفضل الجندي سنة ٣٦٥هـ (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤ - الجندي. السلوك ص ٦٨ - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ١ ص ٥٩).

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩، ٧٠ - الجندي. السلوك ص ٣٩ - ابن مجاهد. كتاب السبعة ص٦١ - ابن حجر. لسان الميزان جـ٢ص٨١ - ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٤ ص٢٩٢.

وكان لأبي قرة تلاميذ أُخَرْ منهم ابنه طارق، وعلي بن زياد[١]، وغيرهم. هذا بالإضافة إلى غير اليمنيين الذين تلقوا من عبد الرزاق أو من أبي قرة أمثال أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، وإسحاق بن راهويه[٢] - (ت ٢٣٨هـ).

هذا وقد وجد في هذه المرحلة من كان يجمع له بعضاً من الأحاديث المروية عن أحد علماء المرحلة السابقة ويعتبره من مقتنياته الحديثية[٣].

وأُكَرِر أنه ليس في وسع هذا البحث الاستقصاء لكل طبقة التلاميذ الذين تلقوا عن علماء المرحلة الذهبية ولكني أريد الاستدلال من وراء هذه الأمثلة على أن هذه المرحلة هي مرحلة الرواية وتوصل علم علماء المرحلة السابقة إلى كتب السنة بأجمعها سواءً ما عرف بعضها بالصحاح أم غيرها.

ويجب أن أنبه إلى ظاهرة أن كثيراً من العلماء في هذه المرحلة آثر الهجرة من اليمن والاستقرار في أمصار أخرى، وخاصة في مكة مثل ابن أبي عمر العدني[٤]، ومحرز بن سلمة العدني[٥] (ت ٢٣٤هـ)، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني (ت ٢٤٥هـ)[٦].

---

(١) علي بن زياد الكناني كان لا يعرف حتى يقال: علي بن زياد صاحب أبي قرة - ولد عام ١٦٠هـ بقرية (الهذابي) من قرى مخلاف لحج ويطلق عليه الفقيه الزيادي. وقد ينسب إلى قوم يقال لهم الأقروظ، وقد توفي عام (٢٣٥هـ)، (الجندي. السلوك ص ٣٩ - الشرجي. طبقات الخواص ص٩١، ٩٢).

(٢) والإمام أحمد بن حنبل معروف، أما إسحاق بن راهويه فهو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه أئمة الحديث كالبخاري ومسلم (الزركلي. الأعلام جـ١ ص ٢٨٤). ابن الجزري. غاية النهاية جـ٢ ص٣١٩.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٣٠/أ) مثل كتاب محمد بن يعفر أمير الدولة الحوالية وقد تنسك آخر عمره.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص٧٢.

(٥) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٩٢ وصف محرز بأنه صدوق ونسب إلى مكة لأنه سكنها آخر أيامه (ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ٢٣١).

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٣ - روى الترمذي عن محمد بن عبد الأعلى وارتحل إلى البصرة ونسب إليها، ولعله توفي بها ووصفه رجال الجرح والتعديل بأنه فقيه (ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ١٨٢).

أما المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة الخمول في الحديث والانشغال بالفرعيات من الفقه المذهبي وهي سمة العصر على وجه العموم، فكتب الصحاح والسنن قد وضعت وأصبحت أساساً يرجع إليها المسلمون على اختلاف مشاربهم، ولم يعد هناك أي مجال لمستزيد؛ ولهذا قام العلماء في هذه المرحلة بدور المستخرجات والمستدركات والشروح وعمل طبقات الرجال. . . إلى غير ذلك من الملحقات، وكان القرن الرابع الهجري على وجه العموم هو زمن هذه المرحلة كما نوهنا إليه آنفاً.

ولم يكن لعلماء اليمن في هذه المرحلة أي دور إلا التلقي عن كتب السنة ونقلها إلى اليمن أو تلقيها عن علماء جاؤوا إلى اليمن.

فالهمداني مثلاً يروي أحاديث عن أبي داود الطيالسي(١)، وعبد الله بن علي من آل زرقان جمع الكثير من الحديث في مكة المكرمة، ولما قدم أبو زيد المروزي إلى ذمار أسرع إليه وتلقى عنه صحيح البخاري(٢)، ولم يعرف عنه أنه صنف كتاباً.

وبالرغم من هذا الخمول الذي أصاب اليمن نتيجة الفتن وهجرة كثير من علمائهم، فإن بعض العلماء كانوا يقصدون اليمن للأخذ عما بقي من علمائها، فقد ورد أن علماء الأندلس أخذوا الفقه والحديث عن مجموعة من علماء عدن وصنعاء

---

(١) الهمداني. الدامغة ص ٤٣٧ - وقد ترجم الأكوع في الحاشية لأبي داود الطيالسي وعده صاحب السنن وهو ليس كذلك لأن الطيالسي هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (١٣٣ - ٢٠٣هـ) بينما أبو داود صاحب السنن هو سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) - ولأبي داود الطيالسي كتاب المسند. طبع سنة ١٣٢١هـ في حيدر آباد (انظر: سزكين. تاريخ التراث العربي جـ١ ص١٤٢، ٢٣٣).

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨١، ٨٢ - الجندي. السلوك ص ٦٩، ٧٠ - المروزي: هو أبو زيد محمد بن عبد الله بن محمد الفاشاني - وهو أجل من روى صحيح البخاري. (توفي سنة ٣٧١هـ). (انظر الشيرازي. طبقات الفقهاء ص ٩٤، ١١٥ - السبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص ١٠٨ - الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد جـ١ ص ٤١٣ - ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ٩٦).

والجند وزبيد منهم قاضي عدن شيبان بن عبد الله في نيف وأربعين وثلاثمائة، وقاضي صنعاء يحيى بن عبد الله بن كليب (ت٣٤١هـ)، وصامت بن معاذ الجندي، وقاضي زبيد موسى بن محمد الكشي وغيرهم(١).

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن ويبقى بدون إجابة: هل كان لهؤلاء وغيرهم كتب انعدمت كغيرها من كتب التراث أم كانوا يعدون رواة للحديث فقط؟

لعل الأيام تخرج ما كنز من التراث وتقوم الدراسات الجادة لتجيب على هذا السؤال إن شاء الله.

ثالثاً: علم الفقه وأصوله

حركة علم الفقه وأصوله حتى نهاية القرن الرابع الهجري:

علم الفقه هو علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية للعمل بها على الوجه المشروع(٢).

وقد رأينا في الفصل السابق كيف نشأت المذاهب الفقهية ونزيد الأمر توضيحاً في هذا الموضوع من خلال عرض المراحل التي مرّ بها الفقه حتى أول القرن الخامس الهجري فقد مرّ بمراحل سبع نوجزها فيما يلي(٣):

الأولى: مرحلة التلقي عن الله ورسوله ﷺ، وهذه مرحلة عصر النبوة.

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٣، ٧٤ - ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص ٣٨٤ وجـ٢ ص ٦، ٢٥- الجندي السلوك ص٣٨- بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص٩٨. وبالنسبة للكشي ورد اسمه عند ابن الفرضي محمد بن موسى الكشي وهو من علماء القرن الثالث الهجري.

(٢) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٩٤ - ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٧٩٨.

(٣) انظر في هذا الموضوع: الخضري. تاريخ التشريع الإسلامي ص ٥ وما بعدها - وأبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٨ - ٤٨ - عبد الكريم زيدان. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ١٠٦ - ١٥٤. دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية - مصطفى أحمد الزرقا. الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد. الجزء الأول. المدخل الفقهي العام جـ١، ص ١٤٦ - ٢٠١ ط٩. ١٩٦٧م/ ١٩٦٨م. مطابع الألف باء. الأديب. دمشق.

الثانية: مرحلة الاغتراف من ينبوع النبوة وهي مرحلة الصحابة التي تميزت باليسر والعمق.

الثالثة: مرحلة التابعين أو تلاميذ الصحابة، وكانوا لشدة ارتباطهم بأساتذتهم ولعدم تعقد الحياة وتشعبها كانوا ينهجون نهج أساتذتهم، إلا أن الملاحظ أنه حصل اختلاف في الاجتهادات حسب تغير الزمان والمكان، فقد تفرق الصحابة في البلدان وتتلمذ على أيديهم علماء، وافترقت آراؤهم حول المسائل حسب تنوع البيئات، إلا أنه - بالرغم من ذلك - كان اختلاف محدود لا بعدو وفروع المسائل التي ليس فيها نص ثابت.

الرابعة: مرحلة تلاميذ التابعين، وهؤلاء كانوا أكثر حماساً لأساتذتهم، وأكثر التصاقاً بهم وكانت الحياة قد تشعبت، والدولة قد توسعت، وجَدَّتْ أمور سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الفكري والثقافي، أو على المستوى الحضاري بصفة عامة، كل هذا أوجد مدارس متنوعة في الاجتهادات الفقهية وكلها تعتمد على ما ثبت لديها من الأدلة.

وشيئاً فشيئاً برز في هذه المرحلة رجال أفذاذ حملوا على عاتقهم أمانة الإفتاء والتصدي لمشاكل المجتمع. يبحثون لها الحلول ويلبون حاجة الحكومة والشعب من تلك الأحكام والاجتهادات.

وقد نشأت في هذه المرحلة مدرستان:

١ - مدرسة أهل الرأي وهم في العراق.

٢ - مدرسة أهل الحديث وهم في المدينة أو الحجاز احتدم الخلاف بين المدرستين، ومنهما تكوَّن المذهب الحنفي في العراق.. والمذهب المالكي في المدينة.

الخامسة: وتبدأ هذه المرحلة بالإمام الشافعي وهي مرحلة الاعتماد على الحديث ونشوء مذاهب متعددة.

فالقرن الثالث يشمل هذه المرحلة بصورة أوضح فهو قرن الاجتهاد، والتدوين:

تدوين الفقه، وتدوين الحديث، وتدوين الأصول، ونشوء المذاهب الفكرية والفقهية.

وهو عصر الصراع بين الفكر الإسلامي والأفكار التي دخلت المجتمع الإسلامي: من الهند والفرس واليونان، وقد أنشأ هذا الصراع جدلاً غير محدود الأثر في كل مجالات المعرفة في ذلك الوقت، وقد أثر هذا الجدل في علم الفقه أيضاً وبرز هذا في القرن الرابع على وجه الخصوص.

السادسة: مرحلة تخريج وتفريع وتأصيل المذاهب. فالحديث قد أرسيت قواعده في القرن الثالث ودوِّنت كتبه. فاتجه فقهاء المذاهب إلى كتب الحديث لتأصيل ما جاء من أقوال واجتهادات لأئمتهم مع بعض الاختيارات والاجتهادات والمخالفة لأئمة المذاهب. وقد شملت هذه المرحلة بقية القرن الثالث وجزءاً كبيراً من القرن الرابع. فلم تكن هذه المرحلة مرحلة تقليد محض ولا تعصب خالص. وإن كانا قد وجدا فيها.

السابعة: مرحلة التقليد، وإذا كان في المرحلة السابقة قد وجد التقليد والتعصيب إلا أن هذه المرحلة - وتبدأ من أواخر القرن الرابع - قد توسع فيها التعصب ومن ثم التقليد، ولم يعد هناك من يخرج ويفرع كتب المذاهب بل دخلت مرحلة الشروح، فقد اعتبرت كتب السابقين أصولاً لا يصح الخروج عنها ومن يجيء بعدهم يقوم بالشرح والتوضيح لا أقل ولا أكثر.

حركة علم الفقه في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين:

بهذه المراحل وبهذا التدرج مرّ الفقه الإسلامي منذ البداية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ولا يعنينا ما كان في القرنين الأول، والثاني الهجريين ونبدأ السير مع الفقه في اليمن منذ بداية القرن الثالث الهجري الذي يدخل ضمن المرحلة الخامسة وهي مرحلة نشوء المذاهب الفقهية المتعددة والاعتماد فيها على الحديث بصورة أوضح.

اليمن والاجتهاد:

على الرغم من أن أهل اليمن في صدر الإسلام وما بعده إلى وقت ظهور

تصانيف الشافعية والزيدية، كانوا يأخذون فقههم عن فقهاء مكة والمدينة[١] حسب ما لديهم من مذاهب، إلا أن لعلماء اليمن دوراً في الإبداع أو الاجتهاد الحر مما جعل غير أهل اليمن يقصدونهم لتلقي الفقه والحديث عنهم، وهذا مما يوحي باختلاط العِلْمِيْنِ ولم يكونا قد تمايزا بعد. بل حتى بعد التمايز ظل الاجتهاد يلازم المحدث في اليمن إلى أواخر القرن الرابع ولعله من الملاحظ في هذه الحقبة أن مؤرخاً مثل الهمداني عاش في القرن الرابع كان يصف بعض العلماء بالفقه مطلقاً غير مقيد بمذهب خاص[٢] مما يوحي بأنهم وصلوا حد الاجتهاد وأن اليمن كان يزخر بمثل هذا النوع من الفقهاء، بل وقد وصف علماء صنعاء بأنهم يشتهرون بإجادة علم (الشروط)[٣] دون غيرهم ولا يكون لفقيه من أهل الأمصار شرط إلا ولهم أبلغ منه وأعذب لفظاً وأوقع معنى وأقرب اختصاراً[٤].

ومما يؤكد هذا ما أشار إليه ابن سمرة[٥] من أن الفقه أخذ قبل ظهور مذهب الإمام الشافعي عن طائفة من علماء صنعاء.

ونظرة واحدة إلى كتاب طبقات فقهاء اليمن[٦]، نجد القسم الذي خصص للفقهاء في القرن الثالث، وحتى قبيل منتصف القرن الرابع الهجري يحتوي على مجموعة من العلماء الذين تلقى عنهم أهل اليمن وغيرهم وكانوا يجمعون بين الحديث والفقه واشتهروا بذلك، ولم يشر المؤلف إلى أن أحداً من هؤلاء كان على مذهب

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٥٥.

(٢) الهمداني. الإكليل جـ١٠ ص ٣٩.

(٣) علم الشروط والسجلات: هو علم يبحث فيه عن كيفية سوق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في الرقاع والدفاتر ليحتج بها عند الحاجة إليها (طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ٢٧٢ وجـ٢ ص ٦٠٠) والشروط هي الوثائق وسجلات المعاملات وورق الأجائر (الأكوع. تعليق/على صفة جزيرة العرب ص ٨٣).

(٤) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٣.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤، كان من هؤلاء العلماء: إسحاق بن إبراهيم الدبري، وقد سبق التعريف به، وعبيد بن محمد الكشوري وسيأتي التعريف به في علم التاريخ إن شاء الله.

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - ٧٤ - الجندي. السلوك ص ٣٨ - ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس جـ١. ص٣٨٤ وجـ٢ ص ٦، ٢٥.

معين؛ فرجال الحديث كانوا يعدون في درجة الاجتهاد بكل المقاييس لأن الفقه لا يؤخذ إلا من الحديث الذي قد خبره عالم الحديث إلا أنه قد لا يصل رجل الحديث إلى أن يكون صاحب مذهب فقهي. فالإمام عبد الرزاق الصنعاني - كما سبق أن قلناه في علم الحديث - كان يمثل مرحلة تداخل علم الحديث وعلم الفقه بل وتداخل قول رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، في كتاب واحد مثل كتاب الموطأ للإمام مالك، وقد رحل إلى الإمام عبد الرزاق طلاب العلم فكما أنهم تلقوا عنه الحديث، فقد تلقوا عنه فقهه وفهمه للنصوص التي يرويها بل عرف بأنه فقيه صنعاء[(١)].

وأبو سعيد المفضل الجندي (ت ٣٣٧هـ) مثلاً كان حافظاً محدثاً قاضياً لعدن ومع هذا لم يعرف عنه أنه يتبع مذهباً بعينه[(٢)]، مما يدل على أنه كان مجتهداً مطلقاً وإن كان ممن روى كتاب مختصر أبي مصعب في مذهب مالك[(٣)]، إلا أنه ليس من الضروري أن يكون على المذهب المالكي.

ويجب أن نتوقف في هذه المرحلة - مرحلة الاجتهاد - عند عالم فذ من علماء اليمن ألا وهو:

أبو قرة موسى بن طارق اللحجي - أو الزبيدي أو الجندي[(٤)]:

لم تبين لنا المصادر أين كان مولده ولا نشأته، إلا أننا عرفنا أنه تلقى علومه على يد كبار علماء عصره في الحديث والفقه. فقد أخذ عن أبي حنيفة ومعنى هذا أنه رحل

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٨. في معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة سجل عبد الباقي رسام ناجي رسالة ماجستير بعنوان عبد الرزاق الصنعاني، حياته، وفقهه.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٠- الجندي. السلوك ص ٣٩، ٤٠. وقد استدرك الجندي وقال في ص ٦٨: توفي سنة ٣٣٨هـ - الفاسي. تاريخ مكة جـ٧ ص ٢٦٦ وفيه توفي سنة ٣٠٨ هـ.

(٣) ابن عطية. أبو محمد. عبد الحق بن عطية المحابي الأندلسي (ت ٥٤١هـ) تقريباً. فهرس ابن عطية ص ١٣٢. تحقيق/ محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي. الطبعة الثانية ١٩٨٣م. دار ألف الإسلامي. بيروت.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - الجندي. السلوك. ص ٣٦، ٣٧ - بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ٢٥٦.

إلى العراق، وكان له سماع معروف في الفقه عن الإمام مالك في المدينة[١] وأخذ عن معمر بن راشد البصري (ت ١٥٣هـ).

وكان في صنعاء وسمع من سفيان الثوري (ت ١٦١هـ)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) الذي قدم اليمن مرتين، عام ١٥٠هـ وعام ١٦٠هـ[٢]، وابن جريج (ت ١٥٥هـ)، وموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) وغير هؤلاء كثير.

وعرض القرآن على إمام قراء المدينة نافع بن عبد الرحمن المدني (ت١٦٩هـ) تقريباً وتلقى حروف القرآن والقراءات على إبراهيم بن أبي عبلة[٣] (ت١٥٣هـ) تقريباً.

وكما تلقى هو عن أفذاذ علماء عصره فقد تلقى عنه أفذاذ العلماء من بعده، فقد رحل إليه أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) وتلقى العلم على يده، وتلقى عنه أيضاً إسحاق ابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)[٤] بالإضافة إلى علماء اليمن الذين تربوا على يديه[٥]، ولهذا وصف بالحافظ، والفقيه، وبالفضل والشهرة[٦]، ووصفه رجال الجرح والتعديل بأن محله الصدق وبالقاضي الثقة، وأثنى عليه أحمد بن حنبل خيراً[٧].

وأدخله رجال الحديث في كتبهم مثل البخاري في التاريخ الكبير[٨]، وما ذلك إلا لماكنته العلمية.

ومن هذه المكانة وضع كتابه (الجامع) أو (السنن) الذي كان معتمداً عند أهل

---

(١) ابن فرحون. برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩هـ). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص ٣٤٢. دار الكتب العلمية. بيروت.

(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣١٦.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - ابن الجزري. غاية النهاية ج٢ ص ٣١٩.

(٤) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن ج٢ ص ٢٥٩.

(٥) ابن الجزري. غاية النهاية ج٢ ص ٣١٩.

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩.

(٧) ابن الجزري. غاية النهاية ج٢ ص ٣١٩ - ابن حجر. التقريب ج٢ ص ٢٨٤ - ابن فرحون. الديباج المذهب ص ٣٤٢.

(٨) ج ص

اليمن ولا يعرفون الحديث إلا من هذا الكتاب[١]، ورأينا من يتلقاه ويعلمه في أواخر القرن الرابع - كما سبق أن تكلمنا عنه في علم الحديث - وقد وصف بأنه روى عن مالك ما لا يحصى من حديث ومسائل، وروى عنه الموطأ[٢].

وكان بكل تأكيد قد بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق الذي أهّلَه لأن يضع كتباً في الفقه تميزت بأنها مستمدة من فقه أبي حنيفة، وفقه مالك والثوري وابن عيينة بالإضافة إلى اجتهاداته الخاصة[٣]، ولعله جمع اجتهاداته هذه واختياراته في كتابيه (الكبير والمبسوط)[٤].

ودوره هذا قريب الشبه بدور الإمام الشافعي الذي جمع بين مدرستي الرأي والحديث، إلا أن ما قيل عن (الأوزاعي) وغياب فقهه هو ما يقال عن (أبي قرة) فقد قيل إن (الأوزاعي) لم يكن لديه التلاميذ الذين يحملون أمانة النشر والتوضيح، بالإضافة إلى بعد مكان نشوء هذا العالم فلم يكن في مركز مطروق ترتاده الرحلات ذهاباً وإياباً[٥]، أي أن العوامل المكانية كان لها دورها في خمول مثل هؤلاء العلماء.

ولهذا لم يعرف عن (أبي قرة) أنه رحل إلى العراق أو مصر في حال اكتماله العلمي، بل ظل يتنقل بين المراكز العلمية في اليمن: عدن والجند ولحج وصنعاء وزبيد، ثم مكة باعتبارها قبلة المسلمين ليعود إلى اليمن مرة أخرى حتى وافاه الأجل في مدينة زبيد سنة ٢٠٣هـ[٦].

حركة الفقه المذهبي في اليمن:

عرفنا في الفصل الرابع أن اليمن كان - إلى جانب الفقهاء المجتهدين - ينتشر

---

(١) الجندي. السلوك ص ٣٧.
(٢) ابن فرحون. الديباج المذهب ص ٣٤٢.
(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩.
(٤) ابن فرحون. الديباج المذهب ص ٣٤٢.
(٥) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ١٤٤.
(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩ - الجندي. السلوك ص ٣٧.

فيه المذاهب الفقهية سواءً كانت من المذاهب الصغيرة كمذهب ابن المنذر، ومذهب سفيان بن عيينة، أو كانت مذاهب كبيرة كالحنفية والمالكية ثم الشافعية، والزيدية.

وعلى الرغم من أن المقدسي في النصف الثاني من القرن الرابع يقرر وجود أتباع لمذهبي ابن المنذر وابن عيينة في منطقة الجبال من المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية من اليمن(١). إلا أنه لم يدلنا أحد لا المقدسي، ولا غيره - حسب علمي - على عالم من علماء هذين المذهبين أو كتاباً من كتبهما مما يدل على أنهما لم ينتجا شيئاً يذكر في هذا السبيل، ويبدو أن المذاهب الكبيرة كانت تكتسحها ومن ثم لم يصادفا متنفساً للانتشار والبقاء. ولم يشر المقدسي ولا غيره - كما أعلم - إلى وجود للمذهب الحنبلي، ومن هنا فلن نتحدث عنه لأن وجوده تمثل في جانبه الفكري، وقد أشرنا إلى هذا في الفصل السابق، وإن لم يكن المقدسي قد أشار إلى وجود المذهب الشافعي في اليمن، إلا أن مصادر أخرى أمدتنا بمعلومات طيِّبة عنه.

١ - فقه المذهب الحنفي:

أما المذهب الحنفي - أقدم المذاهب الكبيرة(٢) - فقد دخل اليمن عن طريقين: طريق فردي تكفل بحمله بعض علماء اليمن مثل أبي قرة موسى بن طارق اللحجي(٣)، ومثل أبي سعيد الجندي الذي تلقى فقه أبي حنيفة عن القاضي محمد بن يوسف الحذاقي الصنعاني(٤).

والطريق الآخر وهو أكبرهما تأثيراً هو طريق القضاء، لأنه منذ خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، كاد أن يكون القضاء بيد قضاة أحناف فكان القاضي أبو يوسف (ت ١٩٢هـ) وهو حنفي المذهب قد تقلد أول منصب قاضي القضاة وكان لا يولي القضاء إلى من أشار به وقد انتشر المذهب الحنفي غالباً بهذه الوسيلة(٥).

---

(١) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٦.

(٢) تيمور. أحمد تيمور باشا. نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ص ٨. ط٢. ١٣٥١هـ. السلفية. القاهرة.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٤.

(٥) تيمور. نظرة تاريخية ص ٩ - ١٣.

ففي عهد أبي يوسف كان على اليمن القاضي مُطرِّف بن مازن(ت١٩١هـ)(١) ولم يعرف عنه مذهب معين إلا أنه كان محدثاً وفقيهاً، تلقى عنه الإمام الشافعي حينما كان في اليمن(٢)، ويرجح لدي أنه لم يكن حنفياً، لأن المصادر لم تشر إلى ذلك، ولأن قاضياً آخر تولى بعده قضاء اليمن سنة ١٩٨هـ وهو: إسحاق بن سعيد الأقياني وبقي حتى عام ٢٠٩هـ، ولم يعرف عنه هو الآخر أنه يتمذهب بمذهب خاص إلا أن المأمون حينما توفي الأقياني رثاه بقوله: «لم يكن لدينا في الدنيا قاضٍ مثله(٣)» فهل يعني هذا أنه على المذهب الحنفي الذي أصبح مذهب القضاء في بغداد؟ ليس هناك ما يلزم بموافقة هذا التفسير.

وقد جاء بعد الأقياني القاضي محمد بن عبد الرحيم بن شروس (ت٢٢٨هـ) وهو يعد من أصحاب الإمام مالك(٤)، وهذا يؤيد أن القضاة في هذا الزمن المتقدم لم يكونوا جميعاً أحنافاً ولم تحرص الدولة أو دار القضاء في بغداد أن تعين جميع القضاة من الحنفية في جميع الأمصار.

إلا أنه من الثابت أن القاضي محمد بن يوسف الحذاقي(٥) (من علماء القرن

---

(١) مطرف بن مازن. أبو أيوب، الكناني وقيل: القيسي بالولاء، الصنعاني ولي القضاء بصنعاء في خلافة المهدي العباسي، حدث عن ابن جريج وجماعة وروى عنه الشافعي وآخرون. وكان من القضاة الذين يأخذون اليمني على المصحف واستحسن هذا الإمام الشافعي، وهو من الخطباء البارزين وقد توفي عام ١٩١هـ [ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٥ ص ٢٠٩ - ٢١١ - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٣، ٨٤ - ابن سعد. الطبقات جـ٥ ص ٥٤٨ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١٣٨ - الجندي. السلوك ص ٤٦ - مجهول. تاريخ اليمن (ق ٥٠/أ)].

(٢) ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٥ ص ٢١٠، ٢١١.

(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٥، ١٦٧/أ) عزل إسحاق الأقياني عن القضاء عام ٢٠٩هـ.

(٤) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٧/أ) - الرازي. تاريخ صنعاء ص ٣١٣ - ابن أبي حاتم. الجرح والتعديل جـ٨ ص ٨.

(٥) محمد بن يوسف الحذاقي قاضي صنعاء ومن علمائه وممن أخذ عنه الفقه والحديث قبل ظهور مذهب الإمام الشافعي من أهل صنعاء، وقد روى عن عبد الرزاق وروى عنه عبيد بن محمد الكشوري السمعاني. أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ). الأنساب جـ٤ ص ٩٨ - تصحيح / عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. ط الأولى. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد. الدكن. الهند ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م - ابن الأثير. اللباب جـ١=

الثالث الهجري) أرسل إليه المنتصر بالله بن المتوكل (ت ٢٤٨هـ) - حينما كان ولياً للعهد لأبيه المتوكل (ت ٢٤٧هـ) - كتاباً طويلاً ولاه فيه قضاء اليمن[(١)]، وكان عالماً بالفقه الحنفي وعلى وجه الخصوص بكتب محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ) صاحب الإمام أبي حنيفة[(٢)]، وقد تولى نشره والترويج لكتبه[(٣)]، وكان القاضي أحمد بن محمد بن إسحاق الحذاقي (ت٢٨٧ هـ)[(٤)]، يُشبَّه بمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه حنفي المذهب وكان هذا قاضياً للإمام الهادي[(٥)] فيما بعد.

وإلى جانب القضاء وتركز السلطة القضائية في أيدي قضاة أحناف فإن ما رواه المقدسي[(٦)] من أن المساجد الجامعة في كل من صنعاء وصعدة كانت بأيدي الأحناف يمثل عاملاً مهماً في انتشار المذهب الحنفي.

ونستطيع أن نطلق على المرحلة التي وجد فيها محمد بن يوسف الحذاقي وأحمد بن محمد بن إسحاق الحذاقي مرحلة تخرج وتفريع وتأصيل المذاهب حيث توليا هذه المهمة في اليمن بالنسبة للمذهب الحنفي.

= ص ٢٨٦ - وابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤ - مجهولة تاريخ اليمن(ق١٧٥/ ب) - الأكوع. الوثائق السياسية ص٢٣٠).

(١) مجهول. تاريخ اليمن(ق١٧٠/ ب) - الأكوع. وثائق اليمن السياسية ص٢٣٠-٢٣٤ وهذا الكتاب المرسل للقاضي الحذاقي من أروع الكتب لأنه اشتمل على الكثير من القواعد القضائية، وآداب القضاء.

(٢) محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبد الله إمام بالفقه والأصول، نشأ بالكوفة، ولاه الرشيد القضاء بالرقة، ومات بالري. وله كتب كثيرة في الفقه والأصول. (الزركلي. الأعلام جـ٦ ص٣٠٩).

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤.

(٤) الحذاقي. أحمد بن محمد بن إسحاق بن يوسف الحذاقي تولى قضاء صنعاء أيام الفتنة لأسعد بن أبي يعفر الحوالي من سنة ٢٩٣- ٢٩٩هـ لما كان قد تولى القضاء للهادي أيضاً في صنعاء (الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٤٦٧ - والهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٥٣ - والعلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٢، ٣٩٣ - ومجهول. تاريخ اليمن (ق٣٩/ ب).

(٥) مجهول. تاريخ اليمن (ق٤١/أ، ١٢٥/ب) - العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٢، ٣٩٣.

(٦) أحسن التقاسيم ص ٩٦.

فلما جاءت مرحلة التعصب والتقليد كان المذهب الحنفي قد تظافرت حوله عدة عوامل جعلته يتراجع ليتسلم مكانه المذهب الزيدي.

وحينما أصبح سلطان القضاء بأيدي الزيدية في المدن الجبلية عامة وصعدة خاصة، فيما بعد لم يكن هناك تنافر بين الحنفية والزيدية. لأنه كان من ضمن عوامل انتشار المذهب الحنفي في اليمن وهو كثرة اعتماد أبي حنيفة على أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ولكن دخول الزيدية إلى اليمن أدى إلى انحسار المذهب الحنفي، لأن الزيدية تقوم أساساً على مذهب أهل البيت ولم يعد لمذهب الحنفية بريقه السابق فتسلم المذهب الزيدي مقاليد الأمور وانسحب المذهب الحنفي، ليكون مقره الأخير مدينة زبيد في أواخر القرن الرابع وما بعده(١).

وحينما دخل مرحلة التقليد والتعصب الذي نشأ بين المذاهب منذ أواخر القرن الرابع الهجري وكان مسرحه أساساً في بلاد العراق(٢)، مرّ المذهب الحنفي بالمرحلة ذاتها مما أدى إلى انحساره عن اليمن، وزبيد على وجه الخصوص، لأنه حصل تبادل إعدام كتب كل من المذهب الشافعي والمذهب الحنفي(٣)، ولكون المذهب الشافعي هو الأقوى انتشاراً فقد بقي في الميدان، وأفل نجم المذهب الحنفي.

٢ - فقه المذهب المالكي:

كان للعلماء الذين تلقوا على يد الإمام مالك الأثر الكبير في انتشار المذهب المالكي في اليمن.

فإذا كان أبو قرة قد ألَّف كتباً اختار فيها بعضاً من مذهب مالك(٤)، فإن هذا ساعد ولا شك على انتشار المذهب المالكي.

---

(١) ابن المجاور. تاريخ المستبصر ص ٨٨.

(٢) الخضري. تاريخ التشريع الإسلامي ص ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥١ - شرف الدين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ص ١٣٣ - أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٨١.

(٣) الجندي. السلوك ص ٨٥.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٩.

بالإضافة إلى ذلك فقد كان هناك علماء ساعدوا على هذا الانتشار منهم بكر بن الشرود، وكان ضمن المتأثرين بمذهب مالك[١]، وكان من أولئك الرجال - الذين تلقوا عن الإمام مالك - من أصبحوا من رجال الحديث مثل محرز بن سلمة العدني ثم المكي (ت ٢٣٤هـ)[٢]، ويزيد بن أبي الحكيم العدني ثم المكي (توفي بعد ٢٢٠هـ)[٣].

إلا أن الذي اشتهر بأنه نشر المذهب المالكي هو علي بن محمد بن أحمد من ذي همدان وكان ممن أدرك الإمام مالكاً وأخذ عنه وانتشر على يده مذهبه في اليمن، وكان بيت علي بن محمد بيت فقهاء في مخلاف وصاب[٤]، ولا يبعد أن يكونوا على مذهب مالك.

ومن الثابت أن الوالي العباسي على اليمن إسحاق بن العباسي عام ٢٠٩هـ كان قد اختار رجلاً على القضاء والمظالم وصف بأنه «صاحب مالك» وهو: محمد بن عبد الرحيم بن شروس (ت ٢٢٨هـ)[٥].

ولقد ظل الفقه المالكي في القرن الثالث، وفي جزء كبير من القرن الرابع منافساً قوياً للمذهب الحنفي في اليمن[٦].

وظلت كتب المالكية تدرس وتتداول بين المتعلمين وخاصة الكتب المروية عن الإمام مالك وكتاب أحد تلاميذه وهو أبو مصعب (ت ٢٤٢هـ)[٧] وكان أكبر راوٍ

---

(١) الذهبي. الميزان جـ١ ص ٢٤٦.

(٢) بامخرمة. تاريخ ثغر عدن جـ٢ ص ١٩٢ - ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ٢٣١ روى عن مالك وروى عنه ابن ماجه والدارقطني وأبو يعلى ووثقه ابن حبان.

(٣) المصدر نفسه. جـ٢ ص ٢٣٩ - ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ٣٦٣، وروى عن مالك ومقاتل بن سليمان وسفيان الثوري، وروى عنه ابن راهويه ووصف باستقامة الحديث والصدق.

(٤) الجندي. السلوك ص ٣٩.

(٥) مجهول. تاريخ اليمن (ق١٦٧/أ) - الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٣١٣.

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٩.

(٧) المصدر نفسه. ص ٧٤، أبو مصعب هو قاضي المدينة وفقيهها أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث - يصل نسبه إلى عبد الرحمن بن عوف روى عن مالك وغيره، وروى عنه البخاري ومسلم وغيرهما توفي سنة ٢٤٢هـ (ابن فرحون. الديباج المذهب ص ٣٠).

لمختصر أبي مصعب في اليمن هو أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي[١]، ولم تمدنا المصادر التي تحت أيدينا بما بذل من جهود لنشر المذهب في اليمن أو حركة التأليف فيه، بل تمدنا بأن المذهب في أواخر القرن الرابع على حد قول المقدسي[٢]: أصبح في مكان محصور في منطقة من اليمن لم يحددها ولكنه يشير إلى «أنك لو تدبرت مكة وتهامة (أي جعلتهما خلفك) فإن العمل هناك على مذهب مالك» وهذا يعني منطقة وصاب التي منها علي بن محمد من ذي همدان التي أشرنا إليها آنفاً.

أما السبب الذي أدى إلى هذا الانحسار فقد يرجع لعدة عوامل منها:

١ - إن المذهب المالكي لم يحظ بسلطة قضائية تؤهله للنشر والبقاء.

٢ - ومنها أنه لم يتيسر له تلاميذ نجباء في اليمن يتولون المنافحة عنه.

٣ - ومنها - وهذا هو الأهم - أن موقف المذهب في الحجاز - مركزه الأصلي- كان متأرجحاً غير مستقر مما أدى إلى انسحاب علمائه إلى المغرب ومصر ليستقر هناك[٣]، وهذا الموقف لا شك أثر على المناطق المجاورة، وعلى رأسها اليمن.

٣ - فقه المذهب الشافعي:

كاد أن ينتهي القرن الثالث الهجري - إن لم يكن قد انتهى - والمذهب الشافعي لم يجد طريقة للدخول إلى اليمن حيث صرَّح ابن سمرة[٤] - وهو أحد فقهاء الشافعية

---

(١) ابن عطية. فهرس ابن عطية ص ١٣٢ - وإن كنا لا نستطيع أن نحكم أنه كان مالكياً.

(٢) أحسن التقاسيم ص ٩٦.

(٣) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص٢٢٣ - تيمور. نظرة تاريخية ص ١٩ ويقول: خمل مذهب مالك في المدينة حتى عام ٧٩٣هـ مع الأخذ في الاعتبار أنه ازدهر في غرب بلاد الإسلام منذ حياة صاحبه حتى إنَّ مصر كما يقال استفردت بالمذهب المالكي في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري (انظر: أبو سعدة. محمد جبر (الدكتور). الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في القرنين الأول والثاني للهجرة. رسالة دكتوراه. كلية اللغة العربية. القاهرة).

(٤) طبقات فقهاء اليمن ص٧٩، ٨٠ - أول ما ظهر المذهب الشافعي بمصر ثم بالعراق ودخل خراسان والشام واليمن وما وراء النهر والحجاز... الخ فيما بعد (تيمور. نظرة تاريخية ص٢٨، ٢٩).

في القرن السادس الهجري - أن الإمام الهادي إلى الحق دخل اليمن وليس للشافعية فيه شهرة - لا كتب ولا شيوخ ولا مذهب - وكانت الغلبة للحنفية والمالكية. ثم الزيدية بعد ذلك على صعدة حتى صنعاء، وإن كان قد أشار الجندي[١] إلى ظهور المذهب الشافعي في اليمن في القرن الثالث إلا أنه عاد وقرر أن دخوله اليمن كان في القرن الرابع مما يوحي باضطرابه هو نفسه، وقد رجح مؤرخ زيدي ظهور الشافعية في القرن الرابع[٢].

وأياً كان الأمر فإنه من الصعوبة أن نجزم بأن قرناً كاملاً يمرّ على المذهب الشافعي منذ وفاة صاحبه ولم يكن له أثر في اليمن مهما كانت العوامل التي تحول دون وصوله أو انتشاره فيه، ولكن الذي تطمئن إليه النفس أنه لا يستبعد أن يكون قد وجد في اليمن أفراد من الشافعية في القرن الثالث كانوا مغمورين، أو أن انعدام المصادر هو الذي جعلهم لدينا مغمورين.

فإنه لا يعقل ألا يسافر أحد من الشافعية إلى اليمن أو لا يلتقي أحد من أهل اليمن الجائلين هنا وهناك بأحد من الشافعية: ومما يؤيد هذا الرأي أن عالماً من الشافعية كان يجمع بين التجارة والفقه رحل إلى اليمن قاصداً الالتقاء بالهادي وقد نزل صعدة وحقق ما أراده من رحلته[٣]. وإن لم تفدنا هذه الرواية بوجود دور له في نشر المذهب الشافعي إلا أن هذا دليل على ظهور المذهب الشافعي في القرن الثالث في اليمن. أما انتشاره فيه فلم يكن إلا في القرن الرابع الهجري على وجه التأكيد. ويرجع هذا بصفة خاصة إلى أن المذهب الشافعي أصبح له مكان في مكة والمدينة مَرْكَزِي التأثير على اليمن كما سبق أن ذكرنا.

أما كتب الشافعية التي كان أهل اليمن يتفقهون بها فهي: كتاب مختصر

---

(١) الجندي. السلوك ص ٤٠، ٦٨.

(٢) يحيى بن الحسين. غاية الأماني جـ١ ص ٢٠٣.

(٣) المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ١٩ - والرجل يسمى أبو الحسن الهمذاني المعروف بالحروري.

المزني[١] وبعض شروحه، والإفصاح لأبي علي الطبري (ت ٣٥٠هـ)[٢] والرسالة للإمام الشافعي، وكتاب الشريعة للآجري[٣] (ت ٣٦٠هـ)[٤].

وقد مر المذهب الشافعي في اليمن في هذه الحقبة في أطوار ثلاثة - بعد طور الظهور الذي كان في القرن الثالث-:

الطور الأول: طور البذر: وبرز فيه عالمان قاما بالمهمة الموكولة إليهما خير قيام. وعلى الرغم من دورهما الضخم إلا أن المصادر التي ظهرت وهي بين أيدينا لم توفِّ حقهما من الترجمة.

فأما أولهما: فهو أبو عمران موسى بن عمران بن محمد الحداسي ثم السكسكي وأصله من المعافر ووصف بالحافظ[٥]، ولعله تلقى علمه في مكة لأنه روى عن عبد الله بن الجارود النيسابوري كتابه المنتقى من السنن وهو أحد شيوخ مكة وسكانها[٦]، وممن جالس الشافعي وعد في أصحابه[٧].

وقد وضع أبو عمران لهذه المكانة - في أعلى مرتبة من طبقات الشافعية في

---

(١) المزني. إسماعيل بن يحيى إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني. ولد سنة ١٧٥هـ، حدث عن الشافعي وهو صاحبه وناصر مذهبه، وألف الكثير من كتبه في مذهب الشافعي، ووضع كتاب المختصر الذي اعتمدت عليه الشافعية، وكان زاهداً مجتهداً توفي عام ٢٦٤هـ. (الشيرازي. طبقات الفقهاء ص٩٧ - السبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ١ ص٢٣٨ - ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ٢٠).

(٢) أبو علي الطبري. الحسن بن القاسم (ت ٣٥٠هـ) من مصنفي أصحاب الشافعي في الفقه والأصول ودرس ببغداد. (الشيرازي. طبقات الفقهاء ص ١١٥ - السبكي طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص٢١٧).

(٣) الآجري. سبقت ترجمته ص ٢٦٠.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١٠١، ١١١، ١١٨.

(٥) الجندي. السلوك ص ٦٨، ٧٩.

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٧٣.

(٧) الشيرازي. طبقات الفقهاء ص ١٠٠ - والسبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ١ ص ٢٧٤ - وابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ٢٩.

اليمن[1] لأنه تنقل بين الجند والمناطق الجبلية من حولها ونشر المذهب الشافعي فيها فوضع البذرة التي تلقاها تلامذته من بعده.

وكان من تلامذته ابنه إبراهيم الذي أصبح أحد علماء الشافعية، ومن علماء الطور الثالث، وعبد العزيز بن الربحي، وسنتحدث عنه في الطور الثاني.

وأما ثانيهما: فهو عبد الله بن علي من آل زرقان - حي من مراد - وكان يسكن في أماكن متفرقة من القرى المحيطة بالجند لأنه كان يمتلك فيها بعض الأراضي[2]، إلا أن مقره كان في (ذي أشرق) قرية في مخلاف جعفر (إب حالياً).

وتلقى العلم في (الجند) ولا يستبعد أن يكون قد أخذ عن (أبي عمران) أو سمع به على الأقل ثم ارتحل إلى مكة سنة ٣٥٣هـ[3]، فسمع عن أبي علي الحسن بن الخضر الأسيوطي المصري[4] عن أبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١هـ)[5] عن المزني (ت ٢٦٤هـ)، ولعله سمع كل كتب المزني وخاصة مختصره الذي صار عمدة كتب الشافعية، وقد تناولوه بالشرح والتوضيح والاختصار.

وتلقى عبد الله الزرقاني أيضاً علمه عن علماء آخرين في مكة حتى تمكن في الفقه والحديث[6]، ولم يكن ليتوانى عن تلقي العلم حتى بعد أن صار عالماً منظوراً إليه، فقد سمع بقدوم أبي زيد المروزي (ت ٣٧١هـ)[7] إلى ذمار فأسرع إليه وسمع على يديه.

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٠. - الجندي. السلوك ص ٧٩.

(٢) الجندي. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٢. السلوك ص٦٩، ٧٠.

(٣) ابن سمرة. السلوك ص ٦٩، ٧٠.

(٤) الأسيوطي. لم أجد له ترجمة - فيما أمكنني الحصول عليه من المصادر سوى ما ذكر هنا (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨١ - الجندي. السلوك ص ٧٩، ٨٠).

(٥) الطحاوي. أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي أبو جعفر. (٢٣٩-٣٢١هـ) فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفياً. وهو ابن أخت المزني وله تصانيف كثيرة، وكان من خاصة أحمد بن طولون توفي بالقاهرة (الزركلي. الأعلام جـ١ ص ١٩٧).

(٦) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٢.

(٧) سبقت ترجمة المروزي ص ٢٦٢.

وقد أهلته مكانته العلمية لأن يكون من الأئمة المعدودين في اليمن في عصره، ومن المتقدمين في نشر المذهب الشافعي[(١)]، وإذا كانت المصادر لم تبين الدور الذي قام به في نشر المذهب إلى أننا نلمس أثره في تلامذته الذين أثروا المذهب ونشروه وأقاموا له المدارس المستقلة، وكان في مقدمة هؤلاء التلاميذ القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي الذي سيأتي في الطور الثالث إن شاء الله.

وهكذا نرى أن الطور الأول كان يعتمد على وجود بعض العلماء الذين تولوا وضع البذرة في تربة الفكر اليمني ثم انتقلوا إلى رحمة الله ليتركوا لمن جاء بعدهم قطف ثمرة عملهم. ولم يظهر في هذا الطور إنتاج فقهي.

الطور الثاني: طور النشر: وقد قام هذا الطور على أكتاف فقهاء تربعوا على عرش المذهب الشافعي في اليمن وأوجدوا مدارس مذهبية، ومؤلفات فقهية صار اعتماد أهل اليمن عليها ومهدوا الطريق لكي يخلفهم فقهاء الطور الثالث في أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس. وسنضرب المثل هنا بثلاثة من العلماء الفقهاء الذين برزوا في هذا الطور:

الأول: محمد بن يحيى بن سراقة العامري نسباً المعافري بلداً[(٢)]، (ت٤١٠هـ) وإذا كان بلده المعافر (الحُجَرِيَّة الآن) فإنه يغلب على الظن أن ميلاده كان بها وكذلك نشأته وتلقيه العلم على يد علماء المعافر. ولا شك أن منهم أبا عمران الذي كان أحد قادة الطور الأول من (المَعَافر) ولأن (الجَنَد) في ذلك الوقت كان مركزاً علمياً يتقاطر عليه طلاب العلم، فلا يستبعد أن يكون ابن سراقة قد وردها ونهل من علمائها خاصة أنه كان طموح النفس يتطلع إلى الأحسن وإلى المكانة العليا، ولهذا لم يكتف بما أخذه من علم في موطنه بل دعته نفسه إلى الرحلة والتنقل بين مراكز العلم في بلاد الإسلام فقد رحل إلى مكة[(٣)]، ثم إلى العراق، فتفقه بالبصرة على يد الفرضي أبي

---

(١) الجندي. السلوك ص ٧٠.

(٢) الجندي. السلوك ص ٧١ - ورد في طبقات السبكي جـ٣ ص ٨٦، أنه بصري ولعله نسب إلى البصرة لسكناه وتفقهه فيها.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٤.

الحسين بن اللبان البصري (ت٤٠٢هـ)[١] وعلى يد الشيخ أبي حامد الإسفراييني[٢] (ت ٤٠٦هـ)، وأقام بآمد مدة[٣]، ولم يقتصر على الفقه بل دخل في الحديث حتى أصبحت له عناية كبيرة به، ورحل إلى الموصل[٤]، وتلقى كثيراً من مصنفات الحديث، وكان يلازم الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)[٥]، ودخل فارس، وأصبهان، ودينور، والأهواز[٦]. وفي كل من هذه البلدان كان يتلقى الحديث[٧]، حتى أصبح يلقب بالحافظ[٨]، وبالفقيه الفرضي المحدث[٩]، وكان يعد من كبار الشافعية ومتقدميهم[١٠].

---

(١) ابن اللبان. أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين البصري الفرضي المعروف بابن اللبان كان إماماً في الفقه والفرائض وقسمة التركات. (ت ٤٠٢هـ) (ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٤- الشيرازي. طبقات الفقهاء ص ١٢٠ - السبكي. طبقات الشافعية جـ٣ ص ٦٤ - ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ١١٩ - ابن العماد. شذرات الذهب جـ٣ ص ١٦٤ و١٦٥).

(٢) الإسفراييني أبو حامد. أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الفقيه شيخ العراق وإمام الشافعية وانتهت إليه رياسة المذهب - كان يتحلق حوله ثلاثمائة متفقه - ولد عام ٣٤٤ وتوفي عام ٤٠٦هـ (الشيرازي. طبقات الفقهاء ص ١٢٣ - السبكي. طبقات الشافعية جـ٣ ق ٢٤ - ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ١٢٧ - ابن العماد. شذرات الذهب جـ٣ ص ١٧٨ - ابن خلكان. وفيان الأعيان جـ١ ص ٧٢).

(٣) آمد: بلد معروف في الثغور في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم (لسان العرب. جـ١ ص ١٢٥).

(٤) الموصل: مدينة عظيمة مشهورة؛ فهي باب العراق ومفتاح خراسان وقيل سميت الموصل لأنها وصلت بين دجلة والفرات. (ياقوت. معجم البلدان جـ٥ ص ٢٢٣).

(٥) الدارقطني: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني. الشافعي، إمام عصره في الحديث ولد بدار القطن - من أحياء بغداد - ورحل إلى مصر، وعاد إلى بغداد فتوفي بها وله كتب في علم الحديث (الزركلي. الأعلام جـ٥ ص ١٣٠).

(٦) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها من نواحي فارس وهي بالموضع المعروف الآن بشهرستان (ياقوت. معجم البلدان جـ١ ص ٢٠٦). الدِّيَنَور: مدينة من أعمال الجبل في فارس (ياقوت. معجم البلدان جـ٢ ص ٥٤٥). الأهواز: اسم عربي سمي به في الإسلام وكان في أيام الفرس خوزستان وهي منطقة بين البصرة وفارس (ياقوت. معجم البلدان جـ١ ص ٢٨٤).

(٧) السبكي. طبقات الشافعية جـ٣ ص ٨٦، ٨٧ - ابن هداية الله طبقات الشافعية ص ١٣٠، ١٣١.

(٨) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٤.

(٩) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. جـ٣. ص ٨٦.

(١٠) ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ١٣١.

ثم عاد بعد رحلته العلمية الطويلة إلى اليمن واستقر بالمعافر في البلد الذي ولد فيه فكون مدرسة تلقى فيها على يديه كثير من المتفقهين الذين كان لهم دور فيما بعد مثل ابن ملامس[١] الذي سيأتي في الطور الثالث وظل في تلك المدرسة حتى توفي عام ٤١٠ هـ[٢].

وعلى الرغم من أن وفاته كانت في مطلع القرن الخامس مما يوحي بأنه كان ضمن الطور الثالث للفقه الشافعي في اليمن، إلا أنه كما يبدو لي لم يمثل الطور الثالث الذي يتميز - كما سيأتي - بالتقليد ولم يتصف بهذا ابن سراقة فقد حصلت منافرة بينه وبين المراغي[٣] - الذي يمثل الطور الثالث -.

ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن ابن سراقة - لأخذه بالحديث - كان له اجتهاداته الخاصة.

وصرح السبكي وابن هداية الله[٤] بما يدل على أن ابن سراقة كان مجتهداً له اختياراته فقهية وإن كان في أصوله وقواعده على المذهب الشافعي وهذه مرحلة غير المرحلة التي ستأتي في الطور الثالث.

وقد أسهم ابن سراقة في حركة التدوين الفقهي في اليمن بأن وضع كتباً منهجية في الفرائض كان اعتماد أهل اليمن عليها أمداً طويلاً.

ومن كتبه الفقهية:

١ - كتاب الأعداد، وقد وقف عليه ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، ونقل عنه.

٢ - أدب الشاهد وما يثبت به الحق على الجاحد.

٣ - أدب القضاء[٥].

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٦، ٩١ - الجندي. السلوك ص ٧١.

(٢) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. جـ٣. ص ٨٧.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٦.

(٤) ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ١٣١ - والسبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص٨٧.

(٥) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص ٨٧.

٤ - التفاحة في مقدمات المساحة، رسالة في ورقة واحدة رآها الزركلي في مجموع بالفاتيكان (A.1020)[(١)].

٥ - كتاب كفاية المبتدئ في الفرائض وكان أهل اليمن يتفقهون به في علم الفرائض وبمصنفات ابن اللبان[(٢)].

٦ - ما لا يسع المكلف جهله[(٣)].

٧ - شرح فرائض المختصر[(٤)] ولعله شرح الفرائض الموجودة في كتاب مختصر المزني.

٨ - التلقين في الفروع.

٩ - شرح مختصر المزني[(٥)].

الثاني: أبو بكر بن المضرّب - الساكن مدينة زبيد. . . وقصده القاسم الجمحي وتلقى عنه فقه الإمام الشافعي المروي عن طريق المزني (ت ٢٦٤هـ) والربيع بن سليمان المؤذن المرادي (ت ٢٧٠هـ)[(٦)]. وأخذ على يديه مختصر المزني وبعض شروحه[(٧)].

وعلى الرغم من أن الجندي يقرر أن ابن المضرّب كان فقيهاً كبيراً في مدينة زبيد إلا أنه لم يمدنا بمعلومات كافية عنه لا لشيء إلا لأنه هو الآخر يجهل أحواله، ولكن

---

(١) الزركلي. الأعلام جـ٨ ص ٥.

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١٠٦ - الجندي. السلوك ص ٨١.

(٣) الجندي. السلوك ص٧١ وفي كشف الظنون جـ٢ ص١٥٧٥، ما لا يسع المكلف جهلة من العبادات.

(٤) ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص ٢٤٦.

(٥) إسماعيل باشا. هداية العارفين جـ٢ ص ٦٠.

(٦) الجندي. السلوك ص٧٢ - الربيع بن سليمان المرادي بالولاء، المصري، أبو محمد. صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون (الزركلي. الأعلام جـ٣ ص٣٩).

(٧) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨.

قصد القاسم الجمحي له إلى زبيد للأخذ عنه يدل على شهرته وتمكنه في فقه المذهب الشافعي.

الثالث: عبد العزيز بن الربحي من قرية حرازة قرية من قرى المَعَافِر (الحُجَرِيَّة) وقد نشأ في المعافر وترعرع ثم أخذ الفقه عن أبي عمران موسى بن عمران في مسقط رأسه[١]، ويبدو أنه لم يكتف بذلك بل تنقل في مراكز علمية في اليمن ينتهل العلم من مواردها المتفرقة، ولم تدلنا المصادر التي بين أيدينا عن خروجه خارج اليمن.

وكان له استقرار في زَبِيْد حتى عدّ من علمائها فرحل إليه القاسم الجُمَحِي وأخذ عنه كتاب المنتقى لابن الجارود في سنة ٣٩٠هـ[٢] الذي كان أحد الرواة عن الشافعي[٣].

ومن خلال هؤلاء العلماء الثلاثة نلمح الإعداد والتهيئة للطور الثالث الذي يشمل العقد الأخير من القرن الرابع.

الطور الثالث: طور تمكن المذاهب من ناحية والتقليد والتعصب لها من ناحية أخرى، ويكاد يبدأ من النصف الأخير من القرن الرابع، وسنركز عليه في هذه الدراسة، إن شاء الله.

ويتميز هذا الطور بعدة ظواهر منها:

الظاهرة الأولى: أن المذهب الشافعي لم يعد مقصوراً على الجند وعدن وزبيد، بل امتد حتى شمل صنعاء[٤]، ولم يقتصر على انتشاره في أوساط علماء يعيشون في معزل عن السلطة القضائية، بل لقد تسلم أحد الشافعية قضاء صنعاء وهو: سليمان بن

---

(١) المصدر السابق ص ٨٠، ٨١.

(٢) الجندي. السلوك ص ٧٤.

(٣) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ١ ص ٢٧٤. وابن الجارود هو الحافظ أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المحدث المجاور بمكة المتوفى سنة ٣٠٧هـ صنف المنتقى في الأحكام (إسماعيل باشا. هدية العارفين جـ١ ص ٤٤٤).

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨.

محمد النقوي الذي كان قاضياً على صنعاء في الربع الأخير من القرن الرابع[١].

وكذلك كان في حضرموت قاضٍ شافعي إلى جوار القاضي الحنفي[٢].

الظاهرة الثانية: ظهور عالم من علماء الشافعية امتاز بالنجابة والحماس للمذهب وهو القاسم بن محمد الجمحي الذي عاش شطراً من حياته في القرن الرابع. وإن كان الشطر الآخر الذي عاشه في القرن الخامس الهجري أكثرهما نماء، وأغزرهما علماً وحركة وتكريساً ونشراً للمذاهب، إلا أن الشطر الأول من حياته كان مكتظاً بالحياة العلمية التي عاشها القاسم منذ صباه لأن تفقهه وتعلمه كان بوسط القرن الرابع[٣].

فقد ولد في (سهفنة) وتلقى علمه في بداية أمره عن عبد الله بن علي الزرقاني[٤] - السابق الذكر - ثم انتقل إلى زبيد فأخذ عن ابن المُضَرِّب مختصر المزني وبعض شروحه[٥] وعن عبد العزيز بن ربحي صاحب حُرازة[٦].

ولا شك أنه كان ثمرة جهود العلماء الذين سبقوه وساعدته نجابته ومواهبه الخاصة فحينما صار يدرس في قرية (سهفنة) اشتهر ذكره، وعلا قدره، وقصده طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن من صنعاء وعدن والجند ولحج وغيرها[٧].

وقد ورد عن ابن سمرة أنه كان للقاسم رحلة إلى مكة سنة ٣٨٨هـ، وأشار محقق الكتاب في الهامش رقم (٤) أنه جاء في إحدى المخطوطات التي اعتمد عليها أن

---

(١) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٢١٧، ٤٩٣ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص٨٥ - وفيها كان من قضاء الشافعية وحصلت بينه وبين مطرف بن شهاب مناظرة عن المعتقدات حيث كان القاضي جبرياً ومطرف زيدياً. معتزلياً فرجع القاضي عن مذهبه ولعله المذهب الفكري لا الفقهي، وكان له إصلاحات عدة في مساجد صنعاء ومنها مسجد فروة بن مسيك الذي تم إصلاحه عام ٣٨٨هـ. (الحجري. مساجد صنعاء - ٨٩).

(٢) باحنان. جواهر تاريخ الأحقاف جـ٢ ص ٩٩.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨.

(٤) الجندي. السلوك ص ٧٤.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨.

(٦) الجندي. السلوك ص ٧٤.

(٧) المصدر نفسه ص ٧٤. وانظر: ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٨.

رحلته هذه كانت سنة ٣٦٦هـ ولكنه خَطَّأَ هذا التاريخ واعتمد على أنه سنة ٣٨٨هـ[١]، ووجدتني أميل إلى أن رحلته كانت سنة ٣٦٦هـ أو أنها تكررت في التاريخين خاصة أنه - غالباً - لن يكتفي بالوصول في تفقهه إلى زبيد فقط ويعود لتصبح له تلك الشهرة كلها وهو الرجل العصامي المتطلع إلى جميع المعارف والعلوم.

ولعله في رحلته هذه التي أرجح أن تكون عام ٣٦٦هـ قد أخذ سنن أبي داود وسنن المزني، وسنن الربيع، وجمع بين الفقه والحديث، وعلم الكلام، وأصول الفقه وعلم القراءات، ومعاني القرآن عن الحسن بن أحمد بن محمد المقري النيسابوري[٢].

وأخذ موطأ الإمام مالك عن الفقيه أبي بكر أحمد بن إبراهيم المروزي[٣]. ولعل هذا العلم هو الذي تلقاه في رحلته التي تمت عام ٣٦٦هـ وهي التي أهلته لأن يجلس للدرس فيتحلق حوله طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن.

أما قبل هذه الرحلة فلم يكن مؤهلاً لتلك المكانة، ولعل رحلته الثانية إلى مكة وهي التي كانت للحج كما صرح بذلك الجندي[٤]، بينما ابن سمرة لم يقل إلا أنه كان له رحلة إلى مكة ولعلها رحلة للتعلم، وقد رافقه في سفره أحمد بن عبد الله الصعبي (توفي على رأس أربعمائة من الهجرة) وكان فقيهاً وصاحباً للقاسم الدجمحي فالتقيا بالحسين بن جعفر بن محمد المراغي الذي استجاب لرغبتهما فخرج معهما إلى اليمن حيث انضم إلى مدرسة سهفنة[٥] التي كانت قد أسست على يد القاسم، وكان المراغي من فقهاء العراق وبها تفقه[٦]، وسكن مكة وأخذ العلم، فسمع من محمد بن مظفر بن

---

(١) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٩.

(٢) النيسابوري. الحسن بن أحمد بن محمد بن الليث الشيرازي المتوفى سنة ٤٠٥هـ كان فقيهاً متصرفاً في معرفة القراءات حافظاً للحديث رحالاً (ابن الجزري. غاية النهاية جـ١ ص ٢٠٧).

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٩.

(٤) السلوك ص ٧٥.

(٥) المصدر نفسه ص ٧٥ - ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٩.

(٦) إسماعيل باشا. هدية العارفين جـ٦ ص ٣٠٦ - وقد نسبه إلى المذهب الحنفي وهنا يحتمل أمرين إما أنه خطأ وقع فيه المؤلف. وإما أنه كان حنفياً ثم تركه إلى مذهب الشافعي.

موسى الحافظ (ت ٣٧٩هـ)[١] المذهب الشافعي بالرواية المتسلسلة إلى المزني ثم الشافعي[٢]، وتضلع في أصول الفقه فألف فيه كتاباً سماه التكليف إلى جانب تضلعه بعلم الكلام[٣].

وقد استوعب المذهب الشافعي فكان متمكناً من كتب الشافعي وكتب صاحبيه المزني والربيع وألف كتاباً في الفقه سماه (ما لا يسع المكلف جهله من علم الصلاة)[٤]، وقد أهله هذا العلم لأن يطمع القاسم الجمحي بالعرض عليه بالسفر معه إلى اليمن لنشر وتقوية المذهب الشافعي وبذل له ما يحتاجه فوافق وبمجرد وصوله إلى اليمن استقر في (سهفنة) وسمع المتفقهون منه مختصر المزني وسننه وسنن الربيع وما ألفه من كتب.

وقد أدى استقراره في اليمن إلى أن يشتري الأراضي الكثيرة إلا أنه توفي في أرض من أراضيه[٥].

أما وفاته فالحبشي[٦] قال: توفي سنة ٣١٤هـ، وفي موضع آخر من كتابه قال: توفي سنة ٣٢٤هـ، وقد يكون الخطأ مطبعياً بين الرقمين - إلا أنهما غير صحيحين لأن القاسم التقى بالمراغي بمكة عام ٣٨٨هـ فكيف تكون وفاته في أول القرن الرابع إلا إذا كان المقصود سنة ٤١٤هـ أو ٤٢٤ هـ، فهو أمر مقبول. غير أن إسماعيل باشا[٧] قال: توفي بعد سنة ٣٨٩هـ.

ولعله قد حقق الهدف الذي جاء من أجله إلى اليمن فقد زود مدرسة (سهفنة) بدم جديد زادها قوة وتوسعاً وانتشاراً.

---

(١) الحافظ محمد بن مظفر بن موسى (ت ٣٧٩هـ).

(٢) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٣.

(٣) الجندي. السلوك ص ٧٥، ٧٦.

(٤) حاجي خليفة. كشف الظنون جـ٢ ص ١٥٧٥.

(٥) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٣ - الجندي. السلوك ص ٧٥ و٧٦.

(٦) مصادر الفكر العربي الإسلامي ص ٩٤، ١٧٠.

(٧) هدية العارفين جـ١ ص ٣٠٦ وقد تكون هذه البعدية آخر القرن الرابع أو في مطلع القرن الخامس الهجري.

الظاهرة الثالثة: من الملاحظ في الطورين الأول والثاني قلة العلماء الذين كانوا يتحملون مهمة تعليم ونشر المذهب الشافعي فإن هذا لم يعد موجوداً في الطور الثالث فقد كثر الفقهاء، وتعدد مراكزهم وقويت مدارسهم في الجند وسهفنة وزبيد وصنعاء وعدن وغيرها من المراكز فقد تلقى في مدرسة سهفنة على يد القاسم والمراغي فقهاء كثيرون كونوا طبقة كاملة من فقهاء الشافعية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس امتد أثرها قروناً طويلة[(١)].

هذا بالإضافة إلى ما أنتجته مدرسة المعافر (الحجرية) التي كانت مقراً لموسى ابن عمران المعافري، وما خلفته جهود عبد الله بن علي الزرقاني بقرية (ذي أشرق) من مخلاف (إب حالياً).

فهذا كله كون جيلاً من الفقهاء الذين أخذوا على عاتقهم تعميق وتأصيل المذهب الشافعي في اليمن.

ولا تغفل الحركة الفقهية التي كانت تدور في حضرموت منذ أن دخلها المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ٣١٨هـ. وعلى الرغم من أنه خاض صراعاً مريراً للبقاء ضد الإباضية التي كانت صاحبة السيادة على حضرموت، وعلى الرغم من أنه علوي يميل إلى التشيع ونزل بين الشيعة في حضرموت إلا أن عقيدته سنية وبشخصيته القوية استطاع أن يجمع كلاً من الشيعة والسنة وكون منهما جبهة واحدة ضد الإباضية[(٢)].

وبالرغم من ذلك كله فقد كان شافعي المذهب وحاز فضل السبق في نشر المذهب الشافعي في حضرموت ولكن الأجل وافاه سنة ٣٤٥هـ فخلفه ابنه عبد الله في زعامة المذهب حتى توفي عام ٣٨٣هـ ثم تبعهما الأبناء والأحفاد[(٣)]، وليس معنى هذا

---

(١) انظر مثلاً: ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٩١ – ٩٣.

(٢) الشلي. المشرع الروي. جا ص ٢٤٢،٢٤٦،٢٤٨،٢٩٤ باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي ص ٥٨، ٥٩ – وانظر: محمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح. الإمام المهاجر أحمد بن عيسى. دار الشروق. جدة.

(٣) الشلي. المشرع الروي جا ص ٧٦، ٢٤٨.

أن المهاجر هو أول من قدم بمذهب الشافعي إلى حضرموت فقد كان موجوداً ولكنه تولى نشره[١] فروي أن قرية (الهجرين) التي نزلها المهاجر كان بها المذهب الشافعي والمذهب الحنفي بل فيها قاضيان حنفي وشافعي ومفتيان حنفي وشافعي[٢].

كل هذه المدارس التي تكونت في هذه الحقبة عملت على تزويد المذهب الشافعي بمنابع تمده بالنماء والانتشار.

الظاهرة الرابعة: وهي من خصائص القرن الرابع وما بعده[٣]، وهي ظاهرة التقليد والتعصب وقلة الاجتهاد أو انعدامه ونضوب معين التأليف والدوران في فلك الشروح والتلخيصات والتعصب لها والتعامل معها معاملة التقديس.

فالإمام القاسم الجمحي لم يعرف عنه أنه ألف كتاباً على الرغم من الاعتراف في كتب طبقات فقهاء اليمن بإمامته في الفقه الشافعي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لم يزد على شرح كتب من سبقه شرحاً في حلقات دراسية.

وقام أحد علماء مدرسة سهفنة وهو الفقيه أبو الفتوح يحيى بن عيسى بن ملامس بتأليف كتاب شرح فيه مختصر المزني، ولم يشرحه باجتهاد من عنده ولكنه لخص ذلك من كتب القاضي أبي علي بن أبي هريرة (ت ٣٤٥هـ) وكتب أبي إسحاق المروزي (ت ٣٤٠هـ)[٤] وكتب علي الطبري (ت ٣٥٠هـ)، وعلى الرغم من شهرة هذا الشرح في اليمن[٥] إلا أنه شرح يقوم على قواعد التقليد.

---

(١) باوزير. صفحات من التاريخ الحضرمي ص ٦٤.

(٢) باحنان. جواهر تاريخ الأحقاف جـ٢ ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص ٤٨، ٥١.

(٤) سبقت ترجمة الطبري أما ابن أبي هريرة فهو القاضي أبو علي البغدادي درس ببغداد (الشيرازي. طبقات الفقهاء. ص ١١٢ - السبكي. طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص ٢٠٦ - المروزي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد. انتشر الفقه عنه وخرج من بغداد إلى مصر ومات بها (الشيرازي. طبقات الفقهاء ص ١١٢).

(٥) إذا كان قد توفي بعد عام ٤١٠هـ إلا أنه ألف كتابه شرح مختصر المزني في نهاية القرن الرابع الهجري لأنه التقى بالشيخ أبي حامد الإسفراييني (ت ٤٠٤هـ) بمكة في بعض المواسم في الوقت الذي كان ابن ملامس يؤلف كتابه. وقد أشار الجنداري في الجامع الوجيز (ق٤٦/ب) أن وفاته=

وقد أوجز السخاوي حينما وصف اليمن بقوله: «بل هي - أي بلاد اليمن - في كل عصر في ازدياد من العلم ولما ظهر الشافعي واشتهر به رجعوا إلى تقليده»[١].

ويتضح أثر التعصب للتقليد المذهبي من إدراك دلالة المنافرة التي حصلت بين المراغي وابن سراقة، وإن لم تشر المصادر إلى سبب تلك المنافرة إلا بعبارة غامضة وهي: «لكلام نقل بينهما»[٢]. فما هو هذا الكلام؟!! لا تعطينا المصادر التي بين أيدينا إجابة ولكننا نتلمس الإجابة من خلال المقارنة بين حياة المراغي وحياة ابن سراقة.. فهذا اشتهر بالحديث أكثر من اشتهاره بالفقه ولا شك أن هذا سيدفعه إلى التلقي من الحديث دون الاعتماد على الأقوال. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لن يكون لعلم الكلام في حياته مساحة يعتد بها، بينما نجد اهتمام المراغي بأصول الفقه، وبعلم الكلام وبفقه الشافعية، ومختصر المزني، ويزداد الأمر وضوحاً بأن كلاً منهما ألف كتاباً اتفق اسمه عند كليهما.

فابن سراقة ألف كتاباً أسماه: ما لا يسع المكلف جهله في العبادات، بينما المراغي ألف كتاباً أسماه: ما لا يسع المكلف جهله من علم الصلاة، وأكاد أجزم أن المنافرة التي حصلت بينهما كانت ناشئة من اختلافهما حول ما ورد في كتابيهما، لاختلافهما في المنطلق الذي ينطلق منه كل منهما، فابن سراقة يعول على الحديث ومن ثم الاجتهاد، بينما المراغي يدور حول كتب الشافعي مع أن كلاً منهما يمثل المذهب الشافعي.

وإذا كان هذا يدور في مدرسة الجند موطن العلماء فما كان يدور في حضرموت فهو أكثر تعصباً وتقليداً، لأن الصراع الذي كان ناشباً بين زعماء مذهب الشافعية والإباضية يؤهل للتعصب واستفحاله.

= كانت سنة ٤٢١هـ إلا أنه ذكره باسم أحمد بن أبي الفتوح والصحيح ما ذكره ابن سمرة. في طبقات فقهاء اليمن ص ٩١، ٩٢ - أما الجندي. السلوك ص ٧٥ فقد غلط في اسمه فقال علي بن عيسى ولعل الغلط من الناسخ لأنه ينقل عن ابن سمرة.

(١) السخاوي. (ت ٩٠٢هـ). الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ص ١٤٠. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٢) الجندي. السلوك ص ٧٦.

ومما لا شك فيه أن المناظرات التي كانت تقام في بلاد ما بين النهرين بين المذهب الحنفي والمذهب الشافعي[١]، وهي أساساً تؤدي إلى التعصب والتقليد فإنها ستؤثر على الواقع اليمني الذي شهد المحاورة بين المذهبين الشافعي والحنفي ولعل تراجع القاضي محمد بن سليمان النقوي عن الشافعية إلى الزيدية[٢] هو أحد مظاهر المناظرات التي كانت تتم بين المذاهب.

ويتضح هذا من التنافس الواضح بين الشافعية والحنفية في بلاد حضرموت أواخر القرن الرابع الهجري وكان كل مذهب يريد إثبات وجوده فإذا ما تصدر أحد الشافعية للفتوى كان إلى جواره مُفْتٍ حنفي. ومثل ذلك القضاء[٣]، وهذا أحد مظاهر التعصب والتقليد.

٤ - فقه المذهب الزيدي:

إذا كنا قد بسطنا الحديث عن الفقه السني فيما مضى من هذا الفصل فإننا -في صدد الحديث عن الفقه الزيدي في اليمن - لا بدّ أن نعرض بإيجاز ظروف نشأة هذا الفقه.

الفقه الزيدي حتى ظهور الإمام الهادي:

فقبل استقرار المذاهب كان سلف أهل البيت - كمثلهم من علماء الأمة - مجتهدين مستقلين في اتفاق تام على قول واحد في أصولهم حسبما كان عليه كبار علماء الأمة[٤]، أما في الفروع الفقهية فيختلفون فيها بحسب اجتهادهم، وكان الإمام زيد بن علي (ت ١٢٢هـ) يمثل هذه الحقبة، وقد خلف كتابين جُمعا بعد وفاته ضم في أحدهما مروياته في الحديث وأقوال آبائه وسمي بالمجموع الصغير ويعرف بالمجموع

---

(١) أبو زهرة. محمد (الشيخ). الإمام زيد، حياته، وعصره، آراؤه وفقهه ص ٤٨٩ و٤٩٠. دار الفكر العربي. القاهرة.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٥.

(٣) باحنان. جواهر تاريخ الأحقاف جـ٢ ص ٩٩.

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦.

الحديثي. وأما الآخر فقد احتوى على اختياراته واجتهاداته الفقهية أطلق عليه مجموع الفقه الكبير[١].

وللتشابه الواضح بين مجموع زيد وكتب أهل السنة التي ظهرت في تلك الحقبة وما بعدها زعم بعض المستشرقين بعدم صحة نسبة الكتاب إلى زيد بن علي، ولأنه يختلف عن كتب الزيدية المتأخرة، وهذا الزعم ناتج عن عدم إدراك صحيح لنشأة علم الفقه الإسلامي في القرنين الأول والثاني. فلم يكن هناك انشقاق حقيقي بين فقه الشيعة وفقه السنة. ومن هنا فإن الاتفاق بين كتب فقه السنة وكتاب مجموع الفقه الكبير دليل على صحة نسبته إلى الإمام زيد بن علي[٢]، وقد ظل هذا المجموع يمثل فقه (العترة)[٣] في فترة ما قبل القاسم بن إبراهيم (الرسي) (ت٢٤٦هـ)[٤]، وحفيده الهادي (ت ٢٩٨هـ)[٥].

وكان أحمد بن عيسى بن زيد بن علي (ت ٢٤٧هـ)[٦] أحد أئمة الزيدية من أكبر من تصدى لاحتواء مذهب الإمام زيد، والدعوة إليه، وإخراجه إلى الناس، وقد ألف كتاباً أسماه (الأمالي) ضمنه قسماً كبيراً من مجموع زيد.

---

(١) السياغي. الحسين بن أحمد (ت ١٢٢١هـ). الروض النضير. شرح مجموع الفقه الكبير جـ١ ص ٤٣. الطبعة الثانية، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م). مكتبة المؤيد. الطائف. السعودية.

(٢) سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٢٨٣، ٢٨٥.

(٣) اختلف في المقصود من (العترة): فالمشهور المعروف أنهم عترة الرسول (أي أهل بيته وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة وهم ذوو القربى الذين لهم خمس الخمس المذكور في سورة الأنفال. وهناك أقوال أخرى منها: عترته أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده - وقيل ولد فاطمة البتول رضي الله عنها (لسان العرب جـ٤ ص ٢٧٩٦).

(٤) القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني والمعروف بالرسي فقيه شاعر، من أئمة الزيدية وهو شقيق ابن طباطبا الخارج على المأمون، أعلن دعوته بعد موت أخيه سنة ١٩٩هـ ومات بالرس بالقرب من المدينة وله ٢٣ رسالة. (الزركلي. الأعلام جـ٦ ص ٥ - المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٢ وما بعدها).

(٥) السياغي. الروض النضير جـ١ ص ٤٨.

(٦) سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٢٨٤ - وأحمد بن عيسى بن زيد بن علي، أبو عبد الله الحسني العلوي الطالبي (١٥٧ - ٢٤٧ هـ) من زعماء الزيدية، كان في أيام هارون الرشيد بالمدينة فأحضِرَ إلى بغداد وسجن بها ثم هرب إلى البصرة ومات بها (الزركلي. الأعلام جـ١ ص١٨٢).

وكان مقيماً بالعراق ولهذا التقى بتلاميذ أبي حنيفة فأخذ عنهم الفقه التقديري وهو فرض مسائل لم تقع وبيان حكمها. ثم اتجه إلى الكتابات الفقهية التي كانت قد جَدَّت وهي ربط الأحكام الجزئية بأدلتها من الكتاب والسنة والقياس ودوَّنَ ذلك كله في كتابه (الأمالي)[١].

وأبرز من أخذ عن أحمد بن عيسى الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ت٢٤٦هـ) ومحمد بن منصور المرادي (ت ٢٩٠هـ)[٢].

وقد أدت المكانة العلمية التي تميز بها القاسم بن إبراهيم إلى أن وصل إلى مرتبة الإمامة الفقهية في المذهب الزيدي فلم يقتصر على تثبيت أقوال الإمام زيد والتفريع عليها بل كان له آراؤه الخاصة القيمة واختياراته الكثيرة التي كانت غالباً تتفق مع المذهب الحنفي؛ لأنه كان على اطلاع واسع فيه[٣]، وقد نسبت إليه طائفة من الزيدية تسمى القاسمية[٤]، وبالإضافة إلى ما ألفه الإمام القاسم من كتب في الأصول والفروع[٥]، فقد وجد من علماء الزيدية من عاصروه أو جاؤوا بعده حيث ألفوا الكتب في تخريجات مذهبية[٦]. وأصبحت تخريجاته واختياراته مدونة في كتب الفروع بالمذهب الزيدي ولها شأن في اليمن[٧].

الفقه الزيدي بعد ظهور الإمام الهادي:

ولما ظهر في اليمن حفيده الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (٢٤٥-

---

(١) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤٩٧.

(٢) السياغي. الروض النضير جـ١ ص ١١٥ - محمد بن منصور المقري المرادي من علماء الزيدية في العراق وهو الذي جمع أمالي أحمد بن عيسى، وكان علامة العراق وإمام الشيعة، وقيل إن البخاري صحبه خمساً وعشرين سنة وله كتب كثيرة (ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢٥٩، ٢٦٠).

(٣) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤٩٧.

(٤) ابن النديم. الفهرست ص ٢٧٤.

(٥) انظر: المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٣٢٢.

(٦) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٣٦ - ٣٨.

(٧) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤٩٧.

٢٩٨هـ) كان قد اكتسب المذهب الزيدي عن طريق جده القاسم بن إبراهيم، ولكنه لم يلتزم بل أصبح له اختيارات كثيرة حتى صار له مذهب منسوب إليه يعرف (بالهادوية)(١).

وقد ساعده على الاجتهاد الواسع توليه مقاليد الأمور في اليمن، وكان كثير الاختيار من المذهب الحنفي حتى أنَّ الإمام الناطق بالحق أبا طالب الهاروني (ت٤٢٤هـ) كان يرى أنه إذا لم يوجد نص على مسألة قد رويت عن الهادي، أو تخريج عن نص روي عنه يكون مذهبه مذهب أبي حنيفة في هذه المسألة(٢).

ومن هنا يتضح أن المذهب الزيدي الذي دخل اليمن أيام الإمام الهادي أواخر القرن الثالث الهجري ليس هو مذهب زيد بن علي، ولا مذهب القاسم بن إبراهيم ولكن الذي دخل هو مذهب الهادي المستمد عن جده، ومذهب أبي حنيفة واجتهادات الهادي الخاصة. ولم تعد هذه الأجزاء منسوبة إلى أصحابها بل غلبت نسبتها إلى الهادي وأصبح له مذهب مستقل حتى غلب على الزيدية أتْبَاع الهادي في مذهبه في الأصول والفروع، وقد خرَّجوا وفرَّعوا المسائل على مقتضى نصوصه التي وردت في كتابيه الأحكام في الحلال والحرام، والمنتخب.

واستقرّ أهل مذهب الزيدية المتأخرين على مذهب الهادي، ولم يعتمد مذهب زيد بن علي في الأصول والفروع عندهم، لأن الهادي خالفه ولم يتقيد بأقواله ولا بكثير من أقوال أهل البيت(٣).

وعاصر الإمام الهادي إمام من أئمة الزيدية وهو الناصر الأطروش أبو محمد الحسين بن علي (٢٣٠ - ٣٠٤هـ) وكان مشهوراً بأنه عالم آل محمد بينما اشتهر الهادي بفقيه آل محمد، وكان قد اختار اختيارات كثيرة بعد أن تلقى عن محمد بن منصور المرادي الذي يعرفون بأنه جامع علوم آل محمد. إلا أن الناصر الأطروش أصبح له

---

(١) السياغي. الروض النضير جـ١ ص ١١٥، ١١٦.

(٢) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤٩٨ - كان الإمام الناطق بالحق أحد أئمة الزيدية في بلاد العجم وهو الذي جمع فقه الهادي.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦، ٦٦.

مذهب فقهي مستقل عرف بمذهب الناصر وكان مقره في الجيل والديلم، إلا أن الصلة بين الناصر والهادي لم تنقطع بل ولا بين العلماء الزيدية من بعدهما[١].

وقد حصل تمازج بين المذهبين فوصل المذهب الهادوي إلى بلاد العجم بواسطة ثلاث طرق:

الأولى: على يد أولئك الذين عادوا إلى طبرستان من اليمن بعد أن شاركوا الإمام الهادي معاركه فيها. فبعد موته عاد الطبريون إلى بلادهم[٢] حاملين ما استفادوه وما خبروه من حياة الإمام الهادي، وفي مقدمة هؤلاء علي بن العباس بن إبراهيم الحسني (٣٤٠هـ) الذي كان قاضي طبرستان، ثم صحب الهادي وبعد وفاته عاد وصحب الناصر الأطروش، وكان مشهوراً بأنه يروي إجماعات أهل البيت[٣].

الثانية: عن طريق حفيد الهادي وهو يحيى بن محمد بن الهادي الذي خرج من اليمن، ودخل بلاد العجم وجيلان والديلم، فتلقى عنه علماء الزيدية ما رواه عن أبيه وعمه وعن جده[٤].

الثالثة: عن طريق أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني (ت ٣٥٢هـ) الذي ارتحل إلى اليمن فسمع مصنفات الهادي على حفيده يحيى بن أحمد بن الهادي (ت ٣٦٦هـ) وكان يعد عالم الزيدية، ووضع كتاباً في شرح كتاب الأحكام[٥]، بالإضافة إلى كتاب عن الخلاف بين القاسم والهادي وبين أبي حنيفة والشافعي[٦].

---

(١) السياغي. الروض النضير جـ١ ص ١١٥، ١١٦ - أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤٩٨، ٤٩٩. الجيل: بلاد فيما وراء بلاد طبرستان، وقيل قرية من أعمال بغداد تحت المدائن (ياقوت. المعجم جـ٢ ص ٢٠١، ٢٠٢).
الديلم: جيل سموا بأرضهم وهو في أرض فارس (ياقوت. المعجم جـ٢ ص ٥٤٤).

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٧.

(٣) الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٢٩/ب، ٣٧).

(٤) السياغي. الروض النضير ص ١١٦، ١١٧ - وأما ابن أبي الرجال في مطلع البدور جـ٤ ص ٣٤٥ فقد نسبه هكذا: يحيى بن الحسن ابن الإمام المرتضى بن الهادي إلى الحق.

(٥) الجنداري. الجامع الوجيز (ق٣٨/أ، ٣٩/ب).

(٦) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ٥٠.

ولا ندري ما إذا كان قد وصل إلى اليمن في هذا الوقت أم لا؟

وعن أبي العباس تلقى الأخوان: المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (٣٣٣- ٤١١هـ) والناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (٣٤٠ - ٤٢٤هـ) فجمعا مذهب الهادي وعَمِلاَ على مقارنته بمذهب الناصر وأوردا أيضاً اجتهاداتهما فألف المؤيد في فقه الهادي كتاب التجريد وشرحه في أربعة مجلدات استوفى فيها الأدلة من الأثر والنظر، وكتاب البُلْغَة في فقه الهادي.

أما أبو طالب فقد وضع في فقه الهادي كتاب التحرير وشرحه في ستة عشر مجلداً وقد بالغ في نظره مذهب الهادي بكل وجه وأودعه من أنواع الأدلة والتعليلات ما لا يوجد في غيره، وذكر الكثير من مذاهب الفقهاء ورجح مذهب الهادي[١].

وقد تميز القرن الرابع الهجري بالنسبة للمذهب الزيدي بصفة عامة بأن قام علماء منهم جمعوا بين آراء أئمة الجيل والديلم وأذربيجان وخراسان وآراء الكوفيين والحجازيين وأهل اليمن وضموا هذا كله في كتبهم وأصبحت تمثل الفقه الزيدي[٢].

ولقد وصلت هذه الكتب إلى اليمن، ولكن لا أظن أنها وصلت في أواخر القرن الرابع الهجري بل الذي أرجحه أنها لم تدخل اليمن إلا في أوائل القرن الخامس الهجري، ويؤيد هذا الترجيح أنه حينما قام الإمام القاسم العياني سنة ٣٨٨ وَدَعَا إلى نفسه رفض بعض العلماء مبايعته؛ لأنه خالف الهادي في مسائل الفروع[٣]، ولم توجد أية إشارة في عهد القاسم العياني (ت ٣٩٨هـ) وابنه الحسين (٤٠٤هـ) للاختلافات التي وردت في كتب السيدين الهارونيين. ولم ترد إلا بعدهما. وقد أحدثت ضجة كبيرة لدى العامة والخاصة، وأثارت قضية كانت نائمة وهي عدم خطأ الأئمة[٤]، وسنتحدث عنها في فقرة تالية.

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٧ - المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص٦٨، ٨٨.

(٢) أبو زهرة. الإمام زيد ص ٥٠٦ - ٥٠٨.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٨٤.

(٤) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم اللحجي (ق ٢٨٤).

الفقه الهادوي في اليمن:

لقد اتضح لنا أن مذهب زيد بن علي - الذي ينسب إليه مذهب الزيدية - لم يعد هو المعمول به بل أصبح لكل عالم من الزيدية آراؤه، واجتهاداته واختياراته الفقهية التي تتناقض مع مذهب زيد كلية، وإذا كان قد ظهرت بعد الإمام زيد عدة مدارس أو مذاهب أو طوائف فقهية وهي الطائفة (القاسمية) والطائفة (الهادوية) والطائفة (الناصرية)، وكل هذه الطوائف يجمعها عنوان واحد وهو المذهب الزيدي، إلا أن (القاسمية) كانت قبل الهادي ومكانها الحجاز، و(الناصرية) معاصرة للهادي وبعده ومقرها بلاد العجم.

أما(الهادوية) فهي التي بقيت في اليمن لذلك لا بدّ من تتبع حركتها بتؤدة وترو. ويمكننا أن نتابع المذهب الهادي من خلال مراحله التالية:

أولاً: مرحلة عهد الهادي:

دخل الهادي اليمن وخاصة صعدة وصنعاء وفيهما كان ينتشر المذهب الحنفي، ولم يحصل أي اصطدام مع علماء الحنفية على أساس فقهي بل على العكس من ذلك كان علماء اليمن الأحناف على وفاق تام مع الزيدية، فقد تولوا القضاء للهادي[١]، وناصروه وبايعوه[٢]، وقد عرفنا آنفاً أن الإمام الهادي كان كثير الاختيار من المذهب الحنفي وهذا يفسر عدم الاحتكاك بينهما.

ولم تكن قد تبلورت اجتهادات الهادي الفقهية قبل دخوله اليمن أما بعد ذلك فقد بدأ - من خلال حركته ودولته التي عمل على إقامتها في اليمن - نشر آرائه واجتهاداته واختياراته من خلال أحكامه التنفيذية، ورسائله وكتبه التي يبعثها للولاة والزعماء ومجالسه ورواياته التي كان تلاميذه يتلقونها عنه، ومن خلال الأسئلة التي كانت توجه إليه، ويتأكد لنا من خلال مراجعة مؤلفاته التي وردت في كتب التراجم

---

(١) مثل آل النقوي والحذاقي (انظر: العلوي. سيرة الهادي ص ٣٩٢ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤١).

(٢) العلوي. سيرة الهادي ص ١٤٠.

لأنها لا تعدو عن كونها إجابات عن أسئلة وجهت إليه، وما ذلك إلا لأن حياته في اليمن كانت كلها مليئة بالمعارك والصراعات مع كل القوى التي كانت تنافسه السيادة في اليمن، كما سبق أن أوضحناه في التمهيد، ولذلك انتقل إلى رحمة الله مخلفاً تِرِكَةً فقهية علمية وعتها وحفظتها صدور تلامذته وأبنائه. وبعض الرسائل التي بقيت من بعده حتى كتبه التي اشتهرت عنه لم تجمع وتنسق إلا بعد موته كما سنوضح هذا قريباً.

وكان لسيطرة الهادي على مقاليد الأمور في مناطق يمنية كبيرة دور في حدوث وثبات واستقرار المذهب (الهادوي) لأنه كان يواجه أحداثاً باجتهادات، ثم لما تولى قضاته في المناطق كانوا عادة ممن يرى رأيه ويسير على نهجه(١)، ومن أبرزهم أخوه عبد الله بن الحسين (توفي في حدود عام ٣٠٠هـ) الذي كان من علماء الزيدية(٢).

ثانياً: مرحلة أبنائه وتلامذته:

وهي مرحلة البلورة لمذهب الهادي، فقد قام أبناء الهادي: محمد المرتضى وأحمد الناصر بدور الشرح والتوضيح والرواية عن أبيهما، أما تلامذته فيمكن أن نركز على شخصيتين منهم كان لهما أكبر الأثر في بقاء المذهب الهادوي، فقد أخرجا كتابي الهادي: (الأحكام، والمنتخب) وفيهما يجتمع مذهب الهادي، وأصبحا فيما بعد مصدرين منفردين في مذهب الهادي يدرسهما العلماء في القرون التالية(٣).

أما أولهما: فهو أبو جعفر محمد بن سليمان الكوفي: كان من علماء الزيدية في الكوفة وتلقى العلم عن محمد بن منصور المرادي(٤) حتى أصبح من المحدثين العلماء المبرزين، وله دراية بأسانيد الحديث عند جميع فقهاء الأمصار(٥)، وكان على صلة

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٠، ٤١، ٤٦، ٤٧ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢١٩.

(٢) الجنداري. الجامع الوجيز (ق٣٣/أ).

(٣) صارم الدين. إبراهيم بن القاسم المؤيد. نسمات الأسحار في طبقات رواة كتب الفقه والآثار (وتعرف بطبقات الزيدية الكبرى) ص ٣ (مخطوط صورته عن مخطوطة القاضي حسين السياغي بصنعاء).

(٤) مسلم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٢/أ).

(٥) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢١٩.

بالهادي من قبل خروجه إلى اليمن، وقد سبقه بالخروج إلى اليمن ليدعو إليه[١]، وحينما استقر في صعدة صار قاضيها وفقيهها في أيام الهادي وولديه[٢]، وله العديد من المؤلفات في أصول الدين، والمناقب والفضائل، وروى كتباً من كتب الشيعة[٣].

ولكن العمل الذي قام به لتعزيز المذهب الهادوي هو أنه جمع كتاب المنتخب في الفقه للإمام الهادي[٤]، وهو في مجمله عبارة عن إجابات أسئلة كان يوجهها للهادي ثم قام بترتيبها حسب أبواب الفقه[٥].

وقد اتبع الطريقة نفسها حينما جمع كتاباً أسماه الفنون في أبواب من العلم والفقه وهو أيضاً يضم ما أجاب به الهادي على أسئلة الكوفي[٦].

ولم تعرفنا المصادر بعد ذلك عن حياته بعد وفاة الناصر بن الهادي الذي جعله أحد مستشاريه في حكمه[٧]، ولا ندري متى توفي ولا أين؟

وأما ثانيهما: فهو ابن أبي حريصة: وهو الحافظ أبو الحسن علي بن الحسن بن أحمد بن أبي حريصة صحب الهادي وروى عنه علماء الزيدية كثيراً من أخبار الهادي، وكان له عناية خاصة بالرواية وقراءة كتب آل محمد وسماع الحديث عنهم.

وبالإضافة إلى كونه فقيهاً فقد كان شاعراً سلك في شعره طريق الحكم والآداب، وكان رجلاً زاهداً ولذلك ألف - ضمن ما ألفه - كتاب الزهد والإرشاد، وقد وصف بأنه من الكتب المحببة للقلوب.

---

(١) العلوي. سيرة الهادي ص ٦٥.

(٢) الجنداري. الجامع الوجيز (ق٣٣/أ).

(٣) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٢/أ).

(٤) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٤٠.

(٥) انظر: سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٣٠٢ - الحبشي. حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ص ٤٢.

(٦) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢١٩ - سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٣٠٢ - الحبشي. حكام اليمن ص ٤٠.

(٧) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢١٦.

ولا شك أن عمله الذي قام به وهو رواية كتاب الأحكام في الحلال والحرام الذي وضعه الهادي في أصول الدين وأصول الفقه ثم ترتيبه ترتيباً حسناً[١]، لا شك أن هذا العمل كان له فضل في بقاء كتاب الأحكام كمصدر هام لفقه الهادي فيما بعد.

وكان للهادي في كتاب الأحكام آراء مختلفة عما جاء في كتاب المنتخب، وقد أخذ بعض علماء الزيدية بالآراء التي وردت في الأحكام، لأنه ثبت له أن المنتخب هو أول ما صنف من كتب الهادي ثم الأحكام ثم الفنون[٢]. فاختير ما في الأحكام لتأخره.

ويبدو أن الجمع والترتيب تمَّ في القرن الثالث الهجري، وغالباً بعد وفاة الهادي[٣]، وقد وجدت نسخ من المخطوطة كتبت في القرن الثالث الهجري وعدت من أقدم المخطوطات في مكتبات العالم[٤].

ولم يقتصر ابن أبي حريصة على ما ذكره الهادي بل أضاف بعض أقوال لابنه المرتضى[٥]، وقد تكون هذه تعليقات ألحقت بالكتاب خاصة أن علماء الزيدية كانوا يتلقون هذا الكتاب وغيره عن المرتضى والناصر ابني الهادي[٦]، ولا بد أن يعلقوا على بعض ما جاء في تلك الكتب.

ثالثاً: مرحلة ما بعد أبناء الهادي حتى آخر القرن الرابع:

بموت الناصر بن الهادي انتهت مرحلة من مراحل نمو مذهب الهادي كانت لأزمة ضرورية لتطوره، وهي بلورة وإخراج كتب الهادي مبوبة حسب ترتيب كتب الفقه عليها بعض تعليقات أبنائه.

---

(١) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٤٠ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٤٠.
(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٤٠.
(٣) انظر: مقدمة كتاب الأحكام (ق ٢/أ).
(٤) سزكين. تاريخ التراث جـ٢ ص ٢٠١ - كوريكس عواد. أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم ص ٧٩. وزارة الثقافة والإعلام. العراق - وتوجد هذه المخطوطة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ٣١٧، ٣١٨ فقه.
(٥) انظر مثلاً: كتاب الأحكام (ق ٢٩/ب).
(٦) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص٢٥٧.

وقد أثَّرَ الجانب السياسي في اليمن على مذهب الهادي بعد وفاة الناصر بن الهادي، فقد عرفنا في التمهيد أن الدولة التي أقامها الهادي وابنه الناصر من بعده أكل بعضها بعضاً بعد الناصر، فوق ما كان يتربص بها من أعداء محيطين بها، فهذا الوضع كان لا بد أن يؤثر على انتشار ونمو مذهب الهادي في اليمن، وكان من مظاهر هذا التأثير أن رَحَل بعض رجال الزيدية إلى خارج اليمن، كما ذكرنا آنفاً، صحيح أن هذا الخروج أدى إلى انتشار مذهب الهادي في بلاد العجم، وتصدى رجال منهم للمنافحة عنه إلا أن أثره في اليمن كان سلبياً في هذا الوقت.

فلم يظهر في هذا الوقت عالم من علماء اليمن عمل على تخريج أو تفريع أو حتى شرح لكتب الهادي، وأكبر شخصية بعد موت الناصر كان لها دور في نشر مذهب الهادي والدعوة إليه هو أحمد بن موسى الطبري(١)، ولا يعرف عن حياته الكثير غير أنه جاء من طبرستان لمناصرة الهادي، ومن الذين بقوا بعد موته في اليمن، وقد تلقى العلم عن الهادي، ثم عن ابنه المرتضى، وعاصر الناصر، ولم يظهر أنه تولى شيئاً من مقاليد الحكم في عهده، ومن الممكن أنه لم يكن قد اشتهر في عهد الناصر، ولما رأى الطبري اليمن غارقاً في فتنه المتعددة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري فَضَّل العودة إلى طبرستان، وفي هذه الأثناء -كما يبدو- لم تكن هناك قوة زيدية في اليمن حتى يلجأ إليها؛ لأنه لجأ إلى أقوى سلطة موجودة على أرض اليمن وهي سلطة موالي آل زياد في زبيد بزعامة الحسين بن سلامة(٢)، ولكنه سرعان ما صرف النظر عن العودة إلى طبرستان لرؤيا رأى فيها الإمام الهادي يعاتبه على ترك اليمن، ولما عاد إلى صعدة وصنعاء لم ينضو إلا تحت دولة آل الضحاك الهمدانيين، مما يدل على اضمحلال الدولة الزيدية.

ولم يكن فقيهاً - كما يبدو من خلال ما جاء في المصادر التي ترجمت له - ولم

---

(١) كل ما جاء من ترجمة الطبري مستمد من: يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٧ - ٥٢ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ١٢٨ - الحبشي. مصادر الفكر ص ٩٢، وأشار إلى أن وفاته كانت سنة ٣٢٥هـ تقريباً وهذا غير صحيح لأنه كما سنرى في ترجمته عاصر ابن الضحاك، والحسين بن سلامة وهذان كانا في أواخر القرن الرابع الهجري.

(٢) تولى الحسين بن سلامة مقاليد الحكم في حدود (سنة ٣٨٠هـ وتوفي سنة ٤٢٦هـ).

يسع في هذا الوقت إلى بسط مذهب الهادي الفقهي بل كان جل همه هو الدفاع عن مذهب الهادي العقائدي، ولهذا أطلق عليه « شيخ الهادوية وعمادهم في الأصول الدينية»، ويظهر هذا من تصانيفه التي تركزت حول علم الكلام كما سنثبت هذا عند الحديث عن علم الكلام.

ونستطيع أن نقول - ونحن على يقين - إنَّه منذ أن توفي الهادي إلا قبيل نهاية القرن الرابع الهجري كان عمل علماء الزيدية في اليمن في جمع كتب الهادي وروايته، واستنساخها ونشرها[١] وتقليدها، ولم يظهر من صنَّف في مذهب الهادي في أواخر هذا القرن - حسب علمي - سوى اثنين[٢] وهما من ذرية الهادي:

أما أحدهما: فهو المحسن بن محمد المختار بن الناصر وكان معاصراً للقاسم العياني وابنه الحسين، وكان إمام مسجد الهادي بصعدة، فقد وضع كتاباً اسمه اللمعة في فقه الهادي[٣]، ولا ندري عن كتابه شيئاً حتى الآن.

وأما الثاني: فهو المطهر بن علي بن أحمد الناصر بن الهادي وكان عالماً مصنفاً، له التصانيف الفائقة على مذهب جده الهادي، ويخرج على مذهبه تخاريج كثيرة وتوفي بمخلاف جعفر بذي جبلة عام ٤١٥هـ[٤]، ولا نعرف اسماً لكتبه.

وقد أشير إلى أن للقاسم كتاب التفريع ويتضمن بعض الأحكام[٥]، ولعله خالف فيها الهادي من خلال اجتهادات فقهية علمية أثارت بعض مُقلِّده الهادي حيث اعترضوا عليها كما سبقت الإشارة إليه.

وكانت جل كتب القاسم وابنه الحسين في علم أصول الدين، وقد أشير في ترجمة الحسين بن القاسم إلى أنه ألف كتاباً اسمه (مختصر الأحكام)[٦]، فهل هو

---

(١) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ ص ٣، ٣٨.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٧.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٢، ٦٣ - الجندي. الجامع الوجيز (ق ٤٥/ب).

(٥) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٣ ص ٣٣٢ - منه نسخة في المتحف البريطاني (تالي ٢٠٣، ٧١١ - ٢٠٥).

(٦) الحبشي. حكام اليمن المؤلفون ص ٦٥.

مختصر لكتاب الأحكام للهادي أم ماذا؟ ولا نستطيع القطع بشيء؛ لأن الكتاب في عداد الكتب المفقودة.

الاجتهاد والتقليد والتعصب في المذهب الزيدي:

مما سبق لاحظنا القاسم بن إبراهيم يخالف الإمام زيد في كثير من اجتهاداته، ولاحظنا الهادي يخالف القاسم وزيد بن علي. ثم لاحظنا الناصر له اجتهادات تخالف الجميع، من هذا يتضح أن الاجتهاد في المذهب الزيدي أصل، وأنه لا يعاب الاختلاف بين أئمة الزيدية بل هو أمر مطلوب.

ولكن ما مساحة هذا الاجتهاد لدى غير الأمة، أي من غير أبناء الحسن والحسين؟.

إن علماء الزيدية - من غير أئمتهم - يستمدون النصوص والاجتهادات من الأئمة ثم يدورون حولها ويخرجون عليها وكل هذا في الفروع لا في الأصول الفقهية، وقد اعتبر الإمام أبو زهرة(١) ثبوت الاجتهاد في المذهب الزيدي في الفروع فقط، وبذا فهو ليس اجتهاداً مطلقاً ولكنه اجتهاد فيه انتساب للمذهب فلا يأتي الخلف بما يخالف أقوال الأئمة، ولكنه يُخَرِّج على أقوالهم. وقد يختار من المذاهب الأخرى.

ويبدو أن التقليد الذي عم الفكر الفقهي في بلاد الإسلام في القرن الرابع الهجري قد أثر هو الآخر على علماء الزيدية في اليمن، فقد عارض القاضي عبد الملك بن غطريف الصائدي الإمام القاسم العياني، وامتنع عن البيعة له لأنه خالف الهادي في مسائل الفروع، وكانت الزيدية في هذا الوقت تعتقد أن المصيب في الاجتهادات واحد الحق معه ولم يتقرر عندهم مبدأ (كل مجتهد مصيب) إلا في زمن متأخر(٢).

وهذا يتعارض مع ما قرره الإمام أبو زهرة في أن التعصب لم يتطرق إلى المذهب الزيدي في خلال القرن الرابع ثم الخامس، كما كان بين المذهب الحنفي

---

(١) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية ج ٢ ص ٤٩٩.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٧٤.

والشافعي[١]، فقد كان الاختلاف والتعصب واضحاً بين الناصرية والقاسمية وكل منهما ينكر على الآخر ويخطئه[٢]، وكانت الزيدية في اليمن تسير على تقليد الهادي في الفقهيات لا يعدون عن مذهبه ويستنكرون التصويب لسواه[٣].

وهذا لا شك غير ما كان عليه الإمام زيد الذي كان يخالف ما يروى عن الإمام علي[٤]، وغير ما كان عليه القاسم الذي خالف الإمام زيداً، وغير ما انتهجه الإمام الهادي نفسه الذي كان يقول: وكيف لنا بصحة هذا عن علي بالرغم أنه مروي في مجموع الإمام زيد[٥]، ولكن الخلاف أثر فيهم للجو العام للتقليد والتعصب في كل المذاهب فساروا مع التيار.

ويبدو أن ظلالاً من الأفكار الإمامية والإسماعيلية قد تسرَّبَتْ إلى فكر الزيدية في اليمن في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس، فقد كانوا لا يجوزون الخلاف بين آل محمد ويعتبرون هذا كارثة؛ لأنه إذا جوز الخلاف بين آل محمد (فيما يحتاج فيه إليهم فإلى من يفزع بعدهم في حل ما أشكل من أمرهم[٦].

إلا أن هذه الظلال لا أظن أنها بقيت بعد ذلك في كتب الزيدية المعتمدة، فقد عدلت الأمور، وكما يقول أبو زهرة: أصبح الباب مفتوحاً عندهم للأخذ من السنة، كما رواها أئمة أهل البيت، وكما رواها جماعة أهل السنة، كما أن الباب عندهم مفتوح للأخذ من المذاهب الأخرى[٧].

---

(١) أبو زهرة. الإمام زيد ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٧٤ - إدريس عماد الدين. عيون الأخبار جـ٤ ص ٢٣٧.

(٣) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٢٨٤).

(٤) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٤٩٣.

(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ١٨، ٦٦.

(٦) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٢٨٥، ٢٨٦).

(٧) أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية جـ٢ ص ٥٠٠ - وانظر: المقبلي. صالح بن المهدي بن علي بن عبد الله بن سليمان المقبلي (ت ١١٠٨هـ). العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ص ٨،٩،٣١٨،٣١٩. طبع مصر سنة ١٣٢٨هـ.

الفصل السادس

علوم اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا

- النحو
- اللغة
- البيان
- الأدب
- التاريخ
- الجغرافيا

تمهيد:

لقد حاولت أن أجمع العلوم التي تكوِّن - في مجموعها - أداة للعلوم الشرعية، فتخدمها وتؤدي مهمة التبيين والتوضيح. فوجدتها تشمل (العلوم العربية والتاريخ والجغرافيا).

فالعلوم العربية أداة لفهم الشرع - كما يقول ابن خلدون - ولم توضع وتقعَّد إلا خوفاً على العلوم الشرعية من أن تعجز الأجيال التالية عن فهمها لعدم فهم اللغة.

وأما التاريخ فهو فوق أنه نشأ في وسط علم الحديث يعد سجلاً عاماً لحركة الإسلام تستقى منه العديد من الاجتهادات الفقهية، وبعبارة أوضح لم ينشأ الفقه الإسلامي إلا من خلال حركة التاريخ الإسلامي، ولم ينشأ من فراغ.

ونصل إلى الجغرافيا - وكما سيأتي - لم تنشأ وتزدهر إلا من خلال الاهتمام بخدمة الأحكام الشرعية مثل تحديد القبلة وطرق الحج، وتحديد فتوح البلدان حيث يترتب عليها أحكام مالية.. وهكذا.

ولهذا فقد ضمت هذه العلوم في مجموعة واحدة.

وعملت على إلقاء الضوء - بإيجاز - على هذه العلوم بالنسبة للحضارة الإسلامية على سبيل العموم لتكون مساعدة على فهم حركة هذه العلوم في اليمن.

أولاً: علم النحو:

من البديهي حينما تختلط الأجناس واللغات والثقافات أن تحصل تغيرات، وتطرأ حالات، وتنشأ أفكار ليست معهودة، وهذا الذي حدث في وسط المجتمع الإسلامي حينما توسعت رقعة دار الإسلام، ودخل في الإسلام أجناس مختلفة، دخلوه وهم يحملون لغاتهم، وثقافاتهم، وكان لا بدّ أن يحصل تغيير في اللغة، فقد تخلل إلى مَلَكتهم العربية الفساد[١]، وبدأ اللحن يغزو لغتهم وسليقتهم العربية السليمة

---

(١) ابن خلدون المقدمة جـ٢ ص ١٠٥٦، ١٠٥٧.

وكان قد بدأ هذا منذ عهد النبي ﷺ وخاصة أنه ظهر في أوساط الموالي والمتعربين(١).

وبما أن أَصْلا الدين - القرآن، والسنة - يقومان باللغة العربية فقد خشي العلماء أن يطول العهد بهما فيبتعد الناس عن فهمهما نتيجة عدم إدراك للمفهوم الحقيقي لنصوص القرآن أو الحديث، بالإضافة إلى الحاجة الملحة للشعوب الداخلية في الإسلام إلى تعلم اللغة العربية لغة الإسلام ولغة القرآن ولغة الدولة، ومن هنا اتجه العلماء لاستنباط القواعد والأحكام اللغوية من خلال مجريات كلامهم بحيث صار علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهله بعلم النحو(٢).

وابتدأت المحاولة الأولى من التفكير حول عملية ضبط كلمات القرآن الكريم وقد تولاها أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)(٣) من خلال وضع النقط على الحروف، ومحاولة ضبط أواخر الكلمات(٤)، وقطعاً لم يتولَ وضع علم النحو كلية كما يفيد بعض الرواة سواء استقاها من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أم من ذات نفسه، وسواء باجتهاد منه أم بأمر من زياد ابن أبيه (ت٥٣هـ) والي البصرة في عهد

---

(١) أبو الطيب اللغوي. عبد الواحد علي (ت ٣٥١هـ) مراتب النحويين ص ٢٣ - تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - القاهرة.

(٢) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٥٧، ١٠٧٥ - ومهدي المخزومي (الدكتور) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص ٣٢ - ٣٥ - ط٢ - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م. مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.

(٣) أبو الأسود الدؤلي (١ق هـ- ٦٩هـ): ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، وكان معدوداً من الفقهاء، والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، ولي إمارة البصرة في أيام الإمام علي إلى أن قتل علي رضي الله عنه وقد بالغ معاوية في إكرامه إلى أن مات بالبصرة (الزركلي. الاعلام جـ٣ ص ٣٤٠).

(٤) أبو الطيب. مراتب النحويين ص ٢٩ - أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم العتري (ت ٣٤٩هـ) - أخبار النحويين ص٢٠، ٢٢ - تحقيق / د. محمد إبراهيم البنا - دار الاعتصام ط الأولى - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - القاهرة - والسيرافي سعيد الحسن بن عبد الله (ت٣٦٨هـ). أخبار النحويين البصريين ص١٦ تحقيق فريش كرنو - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٣٦م.

معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ)(١).

ولكن مما لا شك أنه كان صاحب الفضل في وضع الخطوات الأولى لعلم النحو مما دفع أحد الباحثين لأن يقول: إن علم النحو أول ما دوّن في الإسلام(٢).

وقد جاء بعد أبي الأسود علماء القراءات الذين كانوا هم علماء اللغة والنحو سواء كانوا في البصرة أم الكوفة فتولوا إضافة جزئيات علم النحو(٣)، وإن كانت البصرة هي ميدان هذا العلم منذ البداية(٤).

ولقد تجمعت مسائل النحويين بين يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)(٥) في عهد هارون الرشيد وبعقليته الفذة وضع أسس النحو وهذبها وأكمل أبوابها.

ثم تلقفها تلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ)(٦) فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها. ودونها في كتاب عرف واشتهر بكتاب (سيبويه)(٧).

---

(١) السيوطي. عبدالرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). سبب وضع علم العربية ص٥١ (رسالة ضمن مجموعة رسائل باسم: التحفة البهية والطرفة الشهية - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) - والسيوطي أيضاً المزهر جـ٢ - ص ٣٩٧.

(٢) ناصف علي النجدي ناصف. تاريخ النحو ص ٣ (دار المعارف - القاهرة - سلسلة كتابك - عدد ١٥٧).

(٣) طاش كبرى زادة. مفتاح السعادة جـ١ ص ١٤٩ - ١٥٣ - وأبو الطيب. مراتب النحويين ص ٣٠- ٣٤ - وأبو طاهر. أخبار النحويين ص ٣ (مقدمة المحقق). ومهدي المخزومي - مدرسة الكوفة ص ٣٢ - شوقي ضيف. المدارس النحوية ص ١٧. دار المعارف. القاهرة.

(٤) أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٢٨٣، ٢٨٤. وضيف المدارس النحوية ص ١٨ - ٢٢.

(٥) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي. من أئمة اللغة والأدب، واضع علم العروض. وهو أستاذ سيبويه ولد ومات بالبصرة وكان متقشفاً زاهداً(الزركلي. الأعلام جـ٢، ص٣٦٣).

(٦) سيبويه. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشير. الملقب سيبويه (١٤٨ - ١٨٠هـ) إمام النحاة وأول من بسط علم النحو ولد في شيراز وتوفي بالأهواز. وسيبويه بالفارسية: رائحة التفاح. (الزركلي. الأعلام جـ٥ ص ٢٥٢).

(٧) ابن خلدون. مقدمة جـ٢ ص ١٠٥٧.

وانتهت مرحلة التأسيس ووضع القواعد في البصرة وكان كتاب سيبويه هو أساس علم النحو فيها[١].

وتلقى علماء الكوفة كتاب سيبويه ودرسوه وتعقبوه وبدأت تنشأ الاختلافات بين الفريقين فتكونت بذلك مدرستا البصرة والكوفة[٢].

وليس من أساس بحثنا أن نتحدث عن الفوارق بين المدرستين إلا أن الملاحظ أنه بعد الاختلاف الطويل بين المدرستين الذي امتد حتى أواخر القرن الثالث الهجري - نشأت مدرسة بغداد التي مزجت بين المدرستين وحصل على التوفيق بينهما[٣].

ومن هنا يتضح أن العراق هو المصدر الوحيد الذي تولى أمر علم النحو منذ البداية حتى النهاية[٤]، بحيث أصبح علم النحو حتى الآن هو ما توصل إليه علماء العراق.

حركة علم النحو في اليمن:

لقد تأكد من خلال ما ورد سابقاً أن علم النحو ظهر ونشأ وتفرع وأتى ثماره في العراق. في البصرة أولاً، ونافستها الكوفة بعد ذلك وتولت بغداد التوفيق بين المدرستين. فالنحو إذن - مثلها اللغة - لم يسع لوضع أسسها سوى العراقيين[٥]، حيث كانت هي البيئة المضطرة إلى ضبط اللغة وحفظها لحفظ دين الله المتمثل في الكتاب والسنة. وما دام هذا هو الهدف فأمر بدهي أن يسير مسيرة أهل العراق كل المسلمين لكي يحافظوا على كتابهم بمحافظتهم على اللغة والنحو فاستقوا من علماء العراق ما توصلوا إليه في هذا العلم.

---

(١) أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٢٩١.
(٢) شوقي ضيف. العصر العباسي الأول ١٢٤ - مهدي المخزومي. مدرسة الكوفة ص ٧٤ وما بعدها - السيوطي. سبب وضع العربية ص ٥٢.
(٣) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٥ - أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٣١٢.
(٤) أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٢٧٧، ٢٧٨.
(٥) المصدر نفسه جـ٢ ص ٣١٦.

واليمن وهو أحد الأمصار الإسلامية التي يربط بينها ولاء واحد للإسلام كان لا بدّ أن تصله أثر هذه الحركة العلمية ويتأثر بها.

وقد أشرنا آنفاً إلى أن هناك علاقة وثيقة بين القراء وعلماء النحو واللغة وخاصة في بداية النشأة، ومن خلال هذا نستطيع أن نعتبر القراء الذين نوهنا إليهم في علوم القرآن هم علماء النحو واللغة. إلا أننا لا نستطيع أن نقرر ما إذا كانوا ينتسبون إلى مدرسة البصرة أم مدرسة الكوفة إلا إذا كنا سنعتد بالاحتمال الناشئ من أن كلاً من أئمة القراءات الكوفيين والبصريين يمثلون مدارسهم النحوية، وهو احتمال لا نستطيع الاعتماد عليه تماماً؛ ولكنه يعطينا مؤشراً يمكن أن نضعه في حسابنا.

ونتجه إلى مؤشر آخر وهو رحلات بعض علماء النحو، واللغة، وهم علماء قراءات أيضاً، فقد رحل بعضهم إلى اليمن ولا نغفل الأثر الذي يمكن أن يخلفوه وراءهم.

فأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) إمام في القراءات وإمام في اللغة العربية، رحل إلى اليمن ودخل صنعاء وعدن وتلقى عنه بعض علماء اليمن القرآن[١]، ولا أستبعد أن يتأثر به بعض علماء اليمن لغوياً ونحوياً. ورغم أنه متقدم عن زمن دراستنا المحددة بالقرن الثالث والرابع الهجريين إلا أن الأثر ممتد حتى هذين القرنين.

وفي مطلع القرن الثالث رحل إلى اليمن أبو كريب. محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي (ت ٢٤٧ هـ) وهو أحد القراء[٢]، وقد يكون من نحاة مدرسة الكوفة.

وفي الربع الأخير من القرن الثالث دخل صنعاء يوسف بن يحيى بن يوسف (ت ٢٨٨هـ) وهو أحد علماء اللغة والنحو، ومن علماء القيروان[٣].

---

(١) مجهول تاريخ اليمن (ق ٥١/ب، ٥٢/أ).

(٢) الرازي. تاريخ صنعاء ص ٣٤ - ابن حجر. التقريب جـ٢ ص ١٩٧.

(٣) ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص ٢٠٠ - السيوطي. بغية الوعاة جـ٢ ص ٢٦٣ - المطوع - نحاة القيروان - ص ٣٢.

وأشار الهمداني[١] إلى أن أحد علماء النحو في مصر في أواخر القرن الثالث زار اليمن ودخل صنعاء وهو: طوق بن أحمد الحبشي النحوي وكان صاحب رحلة إلى كثير من الأمصار ولا يعرف عن هذا ومن قبله مذهبهم النحوي.

وكان أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ). من آخر من دخل اليمن في القرن الرابع أحسب ما لدينا من معلومات أو قد استقر بذمار وجمع ديوان الهمداني وعرَّبه[٢]، ويعد ابن خالويه ممن جمع بين مذهبي النحو - البصري والكوفي[٣] أو ما دام قد أقام بذمار فبداهة أن يتلقى عنه بعض علماء اليمن.

وإلى جانب رحلات العلماء إلى اليمن وتأثيرهم في أهلها، فإن هؤلاء أنفسهم كانوا يرحلون إلى خارج اليمن ويستقون علومهم من العلماء في مراكز العلم المختلفة.

والذي يهمنا هنا أننا نجد إشارات تصف بعض العلماء بوصف (النحوي) مما يدل على أنه كان هناك علماء في النحو في اليمن وإن لم يقدموا نتاجاً يذكر في هذا المجال.

فوصف أبو مسعود المقري بأنه كان بصنعاء نحوياً، ونعت مكرم بن إسماعيل ابن الزبير الأبناوي بمعرفته بالعربية - أي النحو - ولعلهما من علماء القرن الثالث الهجري[٤].

وأشير إلى أبي جعفر عبد الله بن عبد الصمد النحوي وأنه كان كاتباً[٥].

---

(١) الإكليل جـ ٨ ص ١٢٣.

(٢) القفطي. أنباه الرواة جـ١ ص ٢٨٤ - السيوطي. بغية الوعاة جـ١ ص ٤٩٨.

(٣) ابن النديم. الفهرست ص ١٢٤.

(٤) الرازي. تاريخ صنعاء ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٥) مجهول تاريخ اليمن (ق ١١٠/ب، ١٢٥/ب) - وصف المؤلف نفسه رجلاً - يروي عنه - بالنحوي وهو أبو محمد النحوي مما يدل على شهرته في القرن الثالث الهجري. وقد يكون أبو محمد عبد الله بن محمد الكشوري (مجهول. تاريخ اليمن ق ٥١/ب،٥٢/ب).

وفي القرن الرابع الهجري كان أبو نجران كثير بن كثير بن عمر آخر من تؤخذ عنهم القراءة بصنعاء في هذا القرن، وقد تلقى القراءات على يد ابن مقسم محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن (٢٦٥ - ٣٥٤هـ)[١] الذي كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين[٢]، ولا ندري أين تلقى عنه؟ هل في اليمن أم خارجها؟ إلاّ أن اللافت للنظر هنا أن أبا نجران لا يستبعد أن يكون قد أخذ النحو الكوفي عن ابن مقسم.

وقد أشرنا سابقاً إلى أنه في القرن الرابع الهجري نشأ التوفيق بين المدرستين - الكوفية والبصرية - واستقرّ أمر النحو في مذهب موحد مع بعض الاختلافات القليلة، ومن هنا لم يأت آخر القرن الرابع إلا وعلم النحو في اليمن قد أخذ شكله النهائي وأصبح له علماء غير القراء.

فكان في اليمن مثلاً محمد بن عبد الله الصعبي النحوي **الأديب الذي كوّن** مدرسة في (ذي أشرق) وكان يلقي فيها الدروس حول علم النحو[٣].

وقد نشأ من هذه المدرسة عالمان جليلان أديبان وهما: الحسن بن أبي عباد، وابن أخيه إبراهيم بن محمد بن أبي عباد إماما النحو في بلاد اليمن، ولكل منهما مختصر في النحو.

فكان مختصر الحسن في متناول غالب فقهاء اليمن، ولا يستفتح الاشتغال بصناعة النحو إلاّ به لسهولة ألفاظه وقرب عبارته.

أما مختصر إبراهيم فقد اختصره من كتاب (سيبويه)[٤]، وهذا يدل على أن المذهب البصري كان أساس النحو في اليمن في هذا الوقت المتأخر.

---

(١) الرازي. تاريخ صنعاء ص ٣٠٧.

(٢) ابن الجزري. غاية النهاية جـ٢ ص ١٢٤

(٣) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلم (ق٣٤) - الجندي. السلوك ص ٧٥.

(٤) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١١٤ - الجندي. السلوك ص٨٣ - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٥٧. وانظر: ياقوت الأدباء جـ١ ص ٦٤ وجـ٨ ص ٥٣ - القفطي. أنباه الرواة جـ١ ص ٢٩٠ - السيوطي. بغية الوعاة جـ١ ص ٤٢٦.

وكان وجودهما في آخر المائة الرابعة وأول الخامسة - غالباً -.

ولإبراهيم مصنف في النحو غير المختصر وهو (تلقين المتعلم)[١].

ثانياً: علم اللغة:

أما علم اللغة وهو بيان الموضوعات اللغوية، فقد كانت الأسباب التي أدت لظهوره وتطوره هي الأسباب نفسها التي كانت من وراء علم النحو، حيث احتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين، خشية الدرس والفساد، وما ينشأ عن ذلك من جهل بالقرآن والحديث[٢].

وكان علماء القراءات هم علماء اللغة فكان أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) إماماً في اللغة والنحو والشعر والقراءات، فتلقى أئمة اللغة من بعده على يده علم اللغة[٣].

وكان الاتجاه للعناية بلسان (مضر)[٤] لأن القرآن أنزل به ولأن الحديث منقول بلغته[٥]، وقد قيست الفصاحة بلغة القرآن.

وقد حدد علماء اللغة القبائل التي يأخذون عنها مفردات اللغة ومصدراً لها وحصروها في القبائل التالية:

قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يأخذوا

---

(١) الجندي. السلوك ص ٨٣. ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٥٧.

(٢) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٥٩.

(٣) أبو الطيب. مراتب النحويين ص ٧٠ - السيرافي. أخبار النحويين البصريين ص ٥١ وما بعدها، وكان أشهر أئمة اللغة الذين أخذوا على يد أبي عمرو هم ثلاثة:
الأصمعي. عبد الملك بن قريب (١٢٢ - ٢١٦ هـ).
وأبو زيد. سعيد بن أوس الأنصاري (١١٩ - ٢١٥هـ).
وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (١١٠ - ٢٠٩هـ).

(٤) مضر، هي قبيلة مضر بن نزار من قبائل العدنانية، كانت ديارهم بجوار الحرم إلى السروات وفي أماكن أخرى، وكانوا أهل الكثرة والغلبة بالحجاز، ولهم رياسة مكة. (كحالة. عمر رضا. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ٣ ص ١١٠٧ - مؤسسة الرسالة- بيروت).

(٥) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٧٤، ١٠٧٥.

من القبائل الأخرى إما لمخالطتها أجناساً أخرى ذوي لغات مختلطة أو لمجاورتهم أمماً غير عربية، ومن هذه القبائل قبائل اليمن القاطنة في بلاد اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة[١].

وكما كان العراق هو المصدر الوحيد الذي أسهم في النحو، كذلك كان علماؤه هم المسهمون في وضع علم اللغة[٢].

وقد مر علم اللغة في مراحل ثلاث[٣]:

الأولى: جمع الكلمات المتفرقة بدون تنسيق.

الثانية: جمع الكلمات المتفرقة بموضوع واحد وقد طالت هذه المرحلة وتداخلت مع المرحلة الثالثة وظلت متّبعة طوال القرون الثاني، والثالث، والرابع[٤] ومن أمثلة هذه المرحلة: جمع بعض اللغويين أسماء القسي.. أو الخيل، أو الإبل... وهكذا[٥].

الثالثة: وقد تداخلت مع المرحلة السابقة وهي مرحلة وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص كان قد اختاره الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) وهو ترتيب الحروف حسب مخارجها من الحلق، واستمرّ مؤلفو المعاجم يسيرون على ذلك النمط حتى اخترع الجوهري (ت ٣٩٣هـ)[٦] في القرن الرابع النمط الذي أصبح

---

(١) السيوطي. المزهر جـ١ ص ٢١١ ولم تدخل قريش في القبائل المأخوذة عنها اللغة بالرغم من أنهم أفصح العرب لأنهم كانوا يسكنون مكة وما حولها - وهي حاضرة الحجاز - وحينما جاء علماء اللغة لنقل اللغة وجدوهم قد خالطوا غيرهم من الأمم. وفسدت ألسنتهم (انظر: المزهر. جـ١ ص٢١٠ - ٢١٢).

(٢) أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٣١٦ - السيوطي. المزهر جـ١ ص ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص ٢٦٣ - ٢٧٠.

(٤) ضيف. العصر العباسي الأول ص ١٢٠، ١٢١ - انظر: ابن النديم. الفهرست ص ٨٢.

(٥) أبو الطيب. مراتب النحويين ص ١٤٤.

(٦) الجوهري. إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نضر. لغوي من الأئمة، وأول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، طاف في البلدان، واستقر في نيسابور، وبها صنع جناحين من خشب وربطها بحبل، وصعد سطح داره، ورمى بنفسه معتقداً أنه سيطير فسقط إلى الأرض قتيلاً. (الزركلي. الأعلام ١ ص ٣٠٩).

في المعاجم فيما بعد، وكان هذا من خلال كتابه الصحاح المرتب بحسب الحروف الهجائية[١].

وبهذا استقر علم اللغة على ذلك.

حركة علم اللغة في اليمن:

في الوقت الذي اتجه فيه العلماء لجمع اللغة العربية وحفظها، كانوا قد اشترطوا على أنفسهم ألا يأخذون اللغة إلا من قبائل معينة تنطبق عليها شروطهم، وأهمها عدم الاختلاط بأجناس ولغات أخرى، وألا تكون مجاورة لأمم غير عربية. وأن تكون في حالة بداوة أي لا تؤخذ اللغة من الحضر. ووفقاً لشروطهم هذه فقد أخرجت اليمن من نطاق مصادر اللغة لمخالطتهم للهند والحبشة حتى إنَّهم لم يأخذوا من ثقيف والطائف وبني حنيفة واليمامة لمخالطتهم تجار اليمن[٢].

ولم تكن المخالطة وحدها هي سبب عدم الأخذ من لغة اليمن بل لأن لغة حمير - وهي لغة يمنية مشهورة - قد استبعدت لأنها تكاد تكون لغة وحدها مخالفة للغة مضر - وهي اللغة العربية الفصيحة - في الكثير من أوضاعها وحركات إعرابها[٣].

ومن هنا قال أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) الذي تلقى عنه العلماء اللغة العربية: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا»[٤].

وقد يدفع هذا الحكم الصارم بعض الناس إلى اتهامه بالظلم والتجني، وخاصة أن بلاد اليمن هي موطن العرب والعربية، ولكن لزاماً علينا أن نورد البراهين التي تعضد هذا الحكم وتُسَوِّغه حتى نزيل هذا اللبس ونوضح صدق وصواب موقف علماء اللغة، وأقوى دليل نستند عليه هنا هو إجراء مسح ميداني، وعمل خريطة لغوية لليمن

---

(١) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ١١١.

(٢) السيوطي. المزهر جـ١ ص ٢١١.

(٣) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٧٥ - أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٤) ابن سلام. طبقات الشعراء ص ٣٩.

من خلال ما كتبه الهمداني (ت ٣٦٠هـ) تقريباً وهو أحد أئمة اللغة في اليمن في القرن الرابع الهجري، وكفى به دليلاً لأنه شاهد من أهله. وسنشير إلى بعض المصادر الأخرى.

فقد بدأ رصده اللغوي من أقصى اليمن من ناحية عمان يحصيهم قبيلة قبيلة ومنطقة منطقة؛ فيصف سكان هذه المناطق حتى عدن؛ فبعضهم يصفهم بأنهم ليسوا بفصحاء أو أنهم (غتم)[١] يشاكلون العجم، أو فصحاء وفيهم رويّ اللغة، أو أنهم ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير (أي اللغة الحميرية) إلى أن يصل إلى عدن فقال عن أهلها: لغتهم مولدة ردية.

ثم يصف أهل المناطق الساحلية من باب المندب حتى جيزان بأنه لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى.

ومن لحج حتى ذمار في وسط بلاد اليمن لغتهم بين: (الغتم) واللسان الحميري الذي فيه تعقيد، أو الحميرية القحة المعقدة.

أما من لحج في ناحية المناطق المجاورة للربع الخالي، وهي المناطق المعروفة بسرو مذحج فهم فصحاء، ومن يقاربهم مثل خولان العالية.

وفي النواحي التي بين ذمار وبين تهامة لغة وسط بين الفصاحة واللكنة[٢]. وإلى اللكنة أقرب في بعض المناطق، ومنها الحميرية المعقدة.

وأما همدان فهي خليط بين الفصيح، و(الغتم)، و(الحميرية) ويمتد هذا حتى صعدة بما فيهم خولان صعدة وشبام.

وفي شمال غرب صعدة في جميع كلامهم الإمالة.

أما صنعاء ففي أهلها بقايا من العربية المحضة، ونبذ من كلام حمير، ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات لكل بقعة منها لغة.

---

(١) الغتمة: عجمة في النطق (لسان العرب جـ٥ ص ٣٢١٣).

(٢) اللكنة: عجمة في اللسان، والألكن الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه (لسان العرب جـ٥ ص٤٠٧٠).

حتى المناطق الفصيحة التي تقع في عروض الجزيرة العربية مثل جنب، وزبيد وبنو الحارث.. الممتد حتى ثقيف فتختلف أعالي هذه البلاد عن أسافلها في الفصاحة[١].

فإذا كانت هذه شهادة واحد من فصحاء أهل اليمن فكان من الأجدر أن نكتفي بها ولكننا نزيد الاستئناس بشهادات أخرى.

يقول المقدسي[٢]: «أهل إقليم جزيرة العرب لغتهم العربية إلا بصحار[٣]، فإن نداهم وكلامهم بالفارسية، وأكثر أهل عدن فرس، وفي مخلاف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم، وأهل الأحقاف غتم»[٤].

ويقول المسعودي[٥]: «وأهل الشِّحْر[٦] أناس من قضاعة[٧] وغيرهم من العرب وهم قبيلة (مهرة)[٨] ولغتهم بخلاف لغة العرب».

بعد هذا المسح اللغوي لا أرى أننا في حاجة إلى دليل آخر يرجح وجهة نظر علماء اللغة الذين استبعدوا اليمن من معينهم اللغوي، على الرغم من أنه يوجد فيهم من يبلغ القمة في الفصاحة، ويشبه بقريش في فصاحته مثل قبيلة التراخم من

---

(١) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ - ٢٧٩ - الهمداني. الإكليل جـ٢ ص٢٤٦.

(٢) أحسن التقاسيم ص ٩٦، ١٠٣.

(٣) صحار: قصبة عمان مما يلي الجبل وهي مدينة كبيرة (ياقوت. معجم البلدان جـ٣ ص٣٩٣).

(٤) ويقصد بمخلاف الحميري هو مخلاف جعفر المذكور في التمهيد.
والأحقاف: رحل فيما بين عمان إلى حضرموت (ياقوت. معجم البلدان جـ١ ص ١١٥).

(٥) مروج الذهب جـ١ ص ١٥٠.

(٦) الشَّحر: بكسر أوله وسكون ثانيه، والشحر الشط. وهو صقع يقع بين عدن وعمان (ياقوت. المعجم جـ٣ ص ٣٢٦).

(٧) قضاعة: شعب عظيم اختلف النسابون فيه؛ فنسبوه إلى حمير وهو المشهور، ومنهم من نسبهم إلى عدنان، وكانت ديارهم في الشحر ثم في نجران ثم في الحجاز ثم في الشام. (كحالة. معجم قبائل العرب جـ٣ ص ٩٥٧).

(٨) مهرة: بطن من قضاعة وهم بنو مهرة بن حيدان وينسب إليهم مخلاف اليمن. (كحالة. معجم قبائل العرب جـ٣ ص ١١٥١).

همدان[١]، ولكن بالرغم من ذلك فيوجد إلى جوارهم من يوصف الغتم واللكنة والحميرية كما عرفنا[٢].

ومع هذا فلا يتحتم أن ينعدم في هذه البيئة المختلطة الشعراء والفصحاء والخطباء الأصقاع، والكتّاب البارعين ما دامت اللغة العربية هي لغة الإسلام ولغة الثقافة ولغة النجابة والاتصال بين الناس، ولذلك وردت مفردات في اللغة عند الهمداني مثلاً لم تدون في قواميس اللغة لأن علماء اللغة استبعدوا الأخذ عن اليمن ومع هذا فهي مفردات لغوية فصيحة[٣].

ولم يمنع هذا الاختلاط اللغوي أن يرحل بعض علماء اللغة إلى اليمن سواء للأخذ عنها أم للتأكد من الوضع اللغوي في اليمن أم لأي هدف آخر، فقد أشرنا آنفاً لرحلة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) إلى صنعاء وعدن، وأبي كريب محمد بن العلاء (ت ٢٤٧هـ)، وابن خالويه (ت ٣٧٠هـ). ونشير هنا إلى إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ أو ٣٧٠هـ) الذي دخل اليمن وسكن زبيد وبها صنف بعض كتبه منها: (كتاب المجمل)، و(ديوان الأدب) الذي عرَّفه بأنه ميزان اللغة ومعيار الكلام[٤].

ولا شك في أن مثل هؤلاء كان لهم تأثير على أدباء اليمن وعلمائها.

وما قلناه في علم النحو من أن القراء كانوا علماء فيه، نقوله في علم اللغة بالأولى فكل عالم باللغة هو عالم بالقراءات وخاصة في القرن الثالث والنصف الثاني من القرن الرابع، وإن اختلفت المقاييس بعد ذلك حيث أصبح النحوي - غالباً - غير متبحر في اللغة ولا القارئ يعلم الاثنين.. وهكذا.

---

(١) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٣٤).

(٢) الهمداني. الإكليل جـ٨ ص ١٦١ وكان بعض همدان من يجر وينصب المثنى بالألف.

(٣) الهمداني. الدامغة ص ٧٧(المقدمة).

(٤) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ١١٠ - السيوطي. بغية الوعاة ص ١٩١- ياقوت. معجم الأدباء جـ٢ ص ٢٢٦.

والملاحظ في القرن الثالث وجزء من القرن الرابع أن أكثر ما يكتب في علم اللغة هو رسائل صغيرة وبحوث محددة من فروع وأجزاء مفردة[١]. فيكتبون عن (القسي) و(الخيل) و(الإبل)... الخ[٢].

مثل هذا الأمر ظهر في اليمن في القرن الرابع الهجري على يد الهمداني الذي يعد - بحق - إمام اليمن اللغوي والنحوي والفلسفي.. وشاعرها المفلق، ولذا وصف بلسان اليمن[٣].

فقد كان له بعض الكتب في أجزاء متفرقة وإن كانت قد فقدت إلا أنها تمدنا بخط سير اللغة في اليمن في هذا الوقت، ومنها:

- كتاب اليعسوب في القسي والرمي والسهام والنصال[٤].
- كتاب الحيوان.
- كتاب أخبار الإبل.
- كتاب أخبار الأوفياء.
- كتاب أسماء الشهور والأيام[٥].

والباقي بين أيدينا من تراثه اللغوي هو كتاب شرح الدامغة. فقد وضع قصيدة الدامغة - كما سنشرح هذا في الأدب - ثم شرح القصيدة لغوياً وتاريخياً فأجاد وبرَّزَ،

---

(١) ابن سلام. محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ). طبقات الشعراء ص ٢٠ (المقدمة) نشر جوزف هل. دار الكتب العلمية بيروت - ط الأولى - ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) - شوقي ضيف. العصر العباسي الأول ص ١٢١.

(٢) أبو الطيب. مراتب النحويين ص ١٤٤ - ابن النديم. الفهرست ص ٨٢.

(٣) الأكوع. مقدمة المقالة العاشرة من سرائر الحكمة ص ١٩. المفلق: أفلق الشَّاعِرُ: أتى بما يُعْجِبُ في شعره؛ فهو مفلق، وفي الأمر: كان حاذقاً. (المعجم الوسيط جـ٢ ص ٧٠١).

(٤) الهمداني. الإكليل جـ١٠ ص ٨٨ القفطي. أبو الحسن علي ابن القاضي الأشرف يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ). أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٣ - دار الآثار - بيروت.

(٥) الأكوع. مقدمة المقالة العاشرة من سرائر الحكمة ص ٢٢، ٢٣.

ولهذا الأمر ذاته أدرجه القفطي في كتابه أنباه الرواة(١)، ووصفه بأنه «كان من أهل اللغة يدل على ذلك قصيدته الدامغة وشرحها»(٢).

أخيراً نلمح إلى أن بعضاً من كتب علماء اللغة كانت متداولة باليمن(٣) مثل كتاب: العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيدة (ت ٢٢٤هـ)(٤)، وكتاب الجمل في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) وهو من علماء بغداد(٥)، وكتاب المداخل في اللغة لأبي عمر المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥هـ)(٦).

وبقي الأمر هكذا حتى كان القرن الخامس الذي ظهر فيه علماء نجباء في علم اللغة، ولا يعنينا هنا تتبع هذه الحركة في هذه الدراسة.

ثالثاً: علم البلاغة - البيان:

علم البلاغة: علم حدث بعد علم اللغة والنحو، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني(٧).

---

(١) جـ١ ص ٢٧٩ ترجمة رقم ١٨٣.

(٢) القفطي. أخبار العلماء ص ١١٣.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ١٥٧، ١٦٤.

(٤) أبو عبيدة القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، الخراساني، البغدادي (١٥٧ - ٢٢٤هـ) من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ولي قضاء طرطوس ثماني عشرة سنة، ورحل إلى مصر ثم إلى بغداد ثم إلى مكة وتوفي بها (الزركلي. الأعلام جـ٦ ص ١٠).

(٥) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٢ ص ١٧٣ - الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، شيخ العربية في عصره، ولد في نهاوند ونشأ في بغداد وتوفي في طبرية من بلاد الشام (الزركلي. الأعلام جـ٤ ص ٦٩).

(٦) ابن خير. فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٣٥٨، ٣٥٩ وقد تلقى ابن خير هذا الكتاب عن شيوخ كان أحدهم وهو أبو سليمان عبد السلام بن السمح الذي قرأ كتاب (المداخل) في اليمن على أبي عبد الله الحسين بن حمد بن بريهة العباسي الذي قرأ كتاب المداخل على مؤلفه غلام ثعلب - وغلام ثعلب هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المطرز الباوردي المعروف بغلام ثعلب (٢٦١ - ٣٤٥هـ) أحد أئمة اللغة، المكثر من التصنيف. صحب ثعلب النحوي زماناً حتى لقب (غلام ثعلب) وتوفي ببغداد (الزركلي. الأعلام جـ٢ ص ١٣٢).

(٧) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٦٤.

وفي صدر الإسلام وعهد بني أمية كان الاكتفاء بالملاحظات البيانية، أما في العصر العباسي الأول فقد اتَّسع مجال الملاحظات البلاغية.

ثم اعتورت البلاغة ثلاث طوائف[١]:

أ - **اللغويون والنحاة**: وقد ظلوا حتى أوائل القرن الثالث الهجري يقدمون خدمات جليلة للبلاغة، إلا أنهم لم ينفتحوا على البلاغة وظلت دراستهم مقصورة على المباحث اللغوية منحازين عن الدراسات البلاغية إلا بعض إشارات هنا وهناك، وقد استمروا على ذلك طوال القرن الرابع الهجري.

ب - **المتكلمون وخاصة المعتزلة**: وقد حاولوا الاستفادة من البلاغة الأجنبية من ناحية المقارنة بينها وبين البلاغة العربية[٢]، وكان في مقدمتهم الجاحظ (ت٢٥٥هـ) من خلال كتابه البيان والتبيين. ولم تتوقف دراساتهم البلاغية في القرن الرابع حتى ظهر أواخر هذا القرن العديد من الدراسات عن إعجاز القرآن من ناحية الإعجاز البياني[٣].

جـ - **المتفلسفة**: وهؤلاء نشطوا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وقد ظلوا يرددون ما عرفوه من قواعد البلاغة عند فلاسفة اليونان طوال القرن الرابع أيضاً[٤].

ولن أفرد للبلاغة في اليمن مساحة مخصوصة في هذه الدراسة لأنه لا توجد إلا إشارات إلى بعض العلماء الذين عرفوا بالفصاحة والبلاغة، وسندرجهم ضمن حديثنا عن الأدب بقسيمة الشعر والنثر إن شاء الله.

---

(١) شوقي ضيف. (الدكتور). البلاغة تطور وتاريخ ص ١٥، ١٩، ٣٢، ٣٥، ٦٣، ٦٤، ٧٥، ١٠٢، ١٠٣، ط٦ - دار المعارف القاهرة.

(٢) الجاحظ. البيان والتبيين جـ٢ ص ٨٨، ٩٢.

(٣) مثل كتاب: النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى الرمّاني، (ت ٣٨٦هـ) - وكتاب: إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ).

(٤) مثل كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ).

رابعاً: علم الأدب:

علم الأدب: هو إجادة فني المنظوم والمنثور، أو هو حفظ أشعار العرب، وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف[١].

ومن الأنسب هنا أن نذكر ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه «كان الشعر علم قوم (العرب) لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغل عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم وألهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الأشعار..» الخ[٢]

وإذا كان لم يبدأ جمع الشعر إلا في عصر بني أمية إلا أنه لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر بني العباس[٣].

وكان العلماء الذين عرفوا باللغة هم العلماء الذين تولوا رواية الأدب حيث كانت اللغة ممزوجة بالأدب، وحينما دونوا اللغة ساروا نحو الجمع والاستقصاء أما حينما دونوا الأدب فقد اتجهوا إلى الاختيار، لأن الجمع الشمولي غير وارد لضخامته[٤].

وقد نشط تدوين الشعر في أوائل القرن الثالث حيث دوِّن الشعر الجاهلي والإسلامي، ودونت سير الشعراء وأخبارهم[٥].

ولم يأت القرن الرابع الهجري حتى كان الأدب قد دون في أصول استقى منها الأدباء فيما بعد[٦].

هذا من ناحية التدوين والجمع، أما من ناحية اتجاه الأدب فقد اصطلح الأدباء

---

(١) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٦٩ - آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٤٣٩.

(٢) ابن سلام. طبقات الشعراء - ص ٣٤.

(٣) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي - ١/ ٦٥.

(٤) أحمد أمين. ضحى الإسلام جـ٢ ص ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥ - بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ١ ص ٧٧، ٨٢، ٨٥.

(٥) طه أحمد إبراهيم. مقدمة طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٥.

(٦) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ١٠٧٠.

على أن ينعتوا الشعراء العباسيين بلفظ (المحدثين) وقد أفرد ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) طبقاته للشعراء المحدثين[(١)].

وبدأ الأدب منذ حوالي عام ٢٠٠هـ / ٨٠٠م يتحرك نحو اتجاه جديد، فقد تراجعت القصائد التي تتغنى بحياة البداوة وبرزت العبارات اللينة بدلاً من الأساليب البدوية ومال الناس إلى الطرائق المستحدثة.

وكان الاتجاه واضحاً نحو النثر حيث أصبح الأدباء يكتبون كتباً، واهتم الأدباء بما يحيط بهم من وصف مدن وأخلاق[(٢)]، ولا تكاد تجد شاعراً من فحول شعراء القرنين الثالث والرابع لم يشترك في الحركة العلمية، وأصبح الشعراء يزينون شعرهم بألوان الثقافة المختلفة، ويمزجون عملهم بفنهم الشعري، بل أصبح للشعر - كالنثر - أداة يعبر به عن الفلسفة والمذاهب المختلفة، وسار العلماء على طريقة الشعر التعليمي فنظمت العلوم في القرن الرابع[(٣)].

ومن هنا أصبح الشعر في القرن الرابع - غالباً - شعراً متكلفاً، وظل النقاد والبلاغيون يردون أشعارهم إلى أصولها من الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث، وكان ذلك إيذاناً بجمود الشعر العربي[(٤)].

والأمر ذاته بالنسبة للنثر، فقد كان القرن الثالث بعيداً إلى حد ما عن السجع والتكلف بل كان مكروهاً إلا أنه انتشر في بيئة التصوف وفي مجالس وعظ العامة.

وكانت الرسائل الديوانية هي من الأدب المنثور المرسل ويتخللها بعض السجع

---

(١) ابن المعتز. عبد الله بن محمد (ت ٢٩٦هـ). طبقات الشعراء ص ٥، ٨٦ تحقيق / عبد الستار أحمد فراج ط٤ - دار المعارف - وابن المعتز: عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (٢٤٧ - ٢٩٦هـ). شاعر، تولى الخلافة يوماً وليلة !! ولد في بغداد وأولع بالأدب، وصنف كتباً وقتل على أثر توليه للخلافة (الزركلي. الأعلام جـ٤ ص ٢٦١).

(٢) آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٤٣٩ - ٤٤١.

(٣) محمد كامل حسين. ديوان المؤيد داعي الدعاة ص ١٥٧، ١٥٨.

(٤) شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢١.

ولكن أصبح منذ حوالي عام ٣٠٠هـ هو الطريقة الجديدة المستخدمة عند كبراء بغداد[١].

وقد ازدهر النثر في القرن الرابع وقسم إلى رسائل سلطانيات (المكاتبات الرسمية) ورسائل إخوانيات[٢].

وكانت الرسائل الهامة مثل كتب تولية العمال ونحوها تكتب في ديوان خاص لم تخلُ منه حكومة ما، ويسمى ديوان الرسائل.

وكان السجع كثيراً ما ينظمها بينما الرسائل الإخوانيات في القرن الثالث كانت نثراً مرسلاً، ولكنها في القرن الرابع كان لا يخطر على البال أن تكتب من غير أن يكون فيها سجع[٣].

حركة علم الأدب في اليمن:

لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنَّ الأدب اليمني حتى منتصف القرن الرابع بشعره ونثره لم نطلع عليه - غالباً - إلا من خلال كتابات الهمداني أو ما ظهر من كتبه، فهو الذي أشار إلى كتّاب وشعراء وخطباء، وأورد القصائد الطويلة والأبيات القليلة، والبيت المفرد، ونثر المعلومات هنا وهناك، وكل ما جاء من بعده لم يزد على ما أورده الهمداني.

أولاً: الشعر

ولم يكن الهمداني يسجل الإنتاج الأدبي قاصداً ذلك بل كان في معرض حديثه عن أنساب اليمن يستطرد فيذكر بعض الشعراء والكتّاب وبعض إنتاجهم، أو حينما يشير إلى بلد ما يشير إلى بعض أدبائه. ومن هنا لا نجد ترتيباً محدداً لهؤلاء الشعراء ولا حصراً لإنتاجهم.

---

(١) آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٤٤٣ - ٤٤٥.

(٢) كحالة. عمر رضا. الأدب العربي في الجاهلية والإسلام ص ٣٦. المطبعة الثقافية. دمشق ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣) آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٤٤٨، ٤٥٠ - القنوجي. أبجد العلوم جـ١ ص ٢٨٦-٢٨٨.

وأكثر ما أشار إليه الهمداني في كتبه هم الشعراء الذين كانوا يدورون حول العصبية إما لقحطان، أو لنزار من عدنان. أو مدح زعماء الدولة اليعفرية ولم تجمع نتاجهم الأدبي - كما نحسب - لا من قبل علماء اليمن ولا من خارجها إلا إذا استثنينا ديوان الهمداني الذي تولى جمعه وشرحه ابن خالويه[١]، وأصبح الآن في حكم المعدوم ولا نعلم شيئاً عن محتوياته لأن اليمن كما قلنا لم يكن موطناً لجمع الشعر.

وتسهيلاً لمهمة البحث سنقسم الشعراء إلى مجموعات متنوعة:

المجموعة الأولى - شعراء قبائل:

فكل قبيلة لها شاعرها، وكان للهمداني - باعتباره نسابة اليمن، ورحّالة يجوب مناطقه - قدرة على تتبع أخبارهم ووصف لغتهم، فمثلاً يذكر بني السباعي فيصفهم بقوله: وهم كرماء علماء فصحاء شعراء ما منهم إلا من يقول الشعر لفصاحتهم[٢]. ويصف المسلّم بن عباد بأنه رجل خولان، وأورد له بعض شعره، ومدحه الهمداني نفسه في بعض قصائده لأنه معاصر له[٣].

ووصف عبد الله بن محمد بن عباد وعبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي - وكانا في أوائل القرن الثالث الهجري - بأنهما «أشعر أهل اليمن في عصرهما بل دهرهما لأنا لا نعلم أحداً في عصرهما يأتي بأطبع من شعرهما»، وكان ابن أبي الطلح هجّاءً مُقْذِعاً شبهه بدعبل بن علي[٤] ويصف أحمد بن عبد الله بن محمد بن عباد بأنه شاعرٌ مفلقٌ[٥].

ويسرد شعراً طويلاً لأحمد بن يزيد بن عبد الرحمن القشيبي الذي كان موجوداً

---

(١) القفطي. أنباه الرواة جـ١ ص ٢٨٤ - السيوطي. بغية الوعاة جـ١ ص ٤٩٨.
(٢) الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ٧٧.
(٣) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٣٥٠ - ٣٥٧.
(٤) المصدر نفسه، جـ١ ص ٣٢٧ - ٣٣٣، ٤٥٥، ٤٧٩، ٤٨٢ و٥١٤، ٥٢٥ - دعبل بن علي الخزاعي. (١٤٨ - ٢٤٦هـ)، شاعر هجاء أصله من الكوفة، أقام ببغداد - كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس (ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ٢ ص ٢٦٦ - ٢٧٠).
(٥) المصدر نفسه، جـ١ ص ٣٣٨ - ٣٥٠.

في أول القرن الثالث، وكان ذا رياسة في قومه، ومقرباً من رأس الدولة اليعفرية: يعفر ابن عبد الرحمن الحوالي، والهمداني هنا يذكر له شعراً يعاتب إبراهيم الجزار على تعاملاته القاسية مع بعض قبائل خولان، ويورد له شعراً حول حروبه مع قبيلة عنز[(١)].

وبالإضافة إلى عبد الخالق الشهابي الذي كان من شعراء الشهابيين نذكر إبراهيم ابن كنيف الشهابي[(٢)].

وهكذا كان الهمداني لا يترك قبيلة - تقريباً - عندها شاعراً وقال رجل فيها شعراً إلا ذكره. حتى إنَّه ذكر بعض الشعراء الذي له افتخارات في قبيلته بالأشعار الحميرية[(٣)].

المجموعة الثانية - شعراء دول:

في مقدمة الدول التي كانت لها السيادة في القرنين الثالث والرابع الهجريين الدولة اليعفرية التي ينسب إليها بعض الشعراء الذين كانوا يفاخرون بها ويمجدونها ويحطون من قدر أعدائها[(٤)]. وعدّ محمد الأكوع من شعرائها إبراهيم بن محمد بن الجدوية الأبناوي الصنعاني، الذي كان أشعر زمانه حسب وصف الهمداني له[(٥)]، وقد يكون الأكوع استند في هذا إلى بعض قصائده في أسعد بن أبي يعفر الحوالي، بينما هو في الحقيقة من شعراء صنعاء الذين يميلون في شعرهم إلى النزارية[(٦)] أو يمكن أن يكون من الشعراء الذين عندهم القدرة على التَّلوُّن مع الأحداث والدول، فبينما هو يكيل المديح لأسعد بن أبي يعفر الحوالي ويهاجمهم الناصر بن الهادي إذا به يمجده في قصائد أخرى، ويرثي الإمام الهادي[(٧)].

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢ ص ١٣٢ - ١٣٧ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٧٧.

(٢) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٢٩٧، ٤٥٩، ٤٦١.

(٣) الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ٢٧٠ وهو أبو العلاء الحيفاني الشاعر صاحب الأشعار الحميرية.

(٤) نشوان الحميري. ملوك حمير وأقيال اليمن ص ١٦٦، ١٦٧.

(٥) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٤٤١ - وتعليق الأكوع عليه.

(٦) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٧.

(٧) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٣٢/ب) - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٧ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ٢٩. مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٣٥٤، ٣٥٥).

وكان الهمداني نفسه من أكبر الشعراء الذين عبروا عن قوة بني الضحاك والدعام من همدان[١].

ويعد جعفر المناخي زعيم دولة المناخيين شاعر هذه الدولة، والمعبر عنها[٢].

وأما الدولة الزيدية فقد حظيت بمجموعة من الشعراء ابتداءً من الإمام الهادي نفسه الذي كان يقول الشعر بطلاقة ويعبر به عن أغراضه بسلاسة، وتمكن، وقصائده متناثرة في سيرته، وكذلك كان أبناؤه من بعده[٣] وبعض ولاته أيضاً كانوا شعراء مثل صاحب سيرة الهادي وأبيه.

وكان الشعراء بمثابة الوسيلة الإعلامية للدولة فمن خلاله تنشر مبادئها وتحث على المضي في سبيلها وتهاجم أعداءها، وكان من شعراء الزيدية المجيدين: عبد الله بن أحمد التميمي الذي عاصر الهادي وابنه الناصر وله القصائد الطوال[٤].

ومنهم ابن أبي البلس الخيواني الشاعر المجيد البليغ[٥].

وكذلك إبراهيم بن الجدوية الذي أشرنا إليه في السطور السابقة فقد كان ممن أشاد بالهادي وابنه الناصر إشادة جعلت الهمداني يصفه بأنه يذهب مذهب الكميت (ت١٢٦ هـ) في انتصاره للنزارية على القحطانية وأنه كان شاعراً مطبوعاً[٦].

---

(١) الهمداني. الإكليل ج١٠ ص ١٨٢ - ١٨٥، وج٢ ص ٢٣٥.

(٢) ابن أبي القبائل الحمادي. كشف أسرار الباطنية ص ٣٠.

(٣) انظر: العلوي. سيرة الهادي مثلاً ص ٣٢٢ - انظر: الحبشي. حكام اليمن المؤلفون ص ٣١ - ٣٧، ٤٩ - ٥١.

(٤) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٣٥٤) - له أيضاً: كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤١/ب)، ٥٢، ٥٣، ٥٨) - ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٣ ص ٤٢، وج٤ ص ١٣٣ - المحلي: الحدائق الوردية ج٢ ص٥١ - العلوي. سيرة الهادي ص ٣٢٢.

(٥) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج١ ص ٣٠ - الهمداني. الإكليل ج١٠ ص ١١٩ - (الحاشية)- والهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٩٨.

(٦) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٧. الكميت بن زيد بن خنيسي الأسدي (٦٠ - ١٢٦هـ) شاعر الهاشميين - من أهل الكوفة، عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها. متعصباً للمضربة على القحطانية (الزركلي الأعلام ج٦ ص ٩٢ - ابن خلكان. وفيات الأعيان ج٥ ص ٢١٩، ٢٢٠) والمسعودي. مروج الذهب ج٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٦.

وعاصره هؤلاء إبراهيم بن محمد التميمي الذي وصفه ابن أبي الرجال بأنه كان «فصيحاً، بليغاً، مفوهاً وشاعراً مجيداً له كل قصيدة غرّاء»(١).

وكان الغطريف الصائدي شاعر الناصر بن الهادي والمنافح عنه في كل موقعة، والمعلن مثالب أعدائه في كل مناسبة(٢).

وفي أواخر القرن الرابع حينما تولى القاسم بن علي العياني (ت ٣٩٨هـ) زمام معظم أمر الزيدية كان من حوله بعض الشعراء منهم الحسين بن أحمد بن يعقوب المتصف بالبلاغة وصاحب الأشعار الكثيرة(٣).

وكان يحاصره سلام بن الحداد الزيدي الصنعاني الذي كان أديباً شاعراً، عارفاً وقد قال شعراً في القاسم العياني(٤).

ومثله إسماعيل بن علاء الذي وصفه بالعلم والعمل واللغة والأصول وقد اعتبره علي بن محمد الصليحي أمير الدولة الصليحية أشعر من امرىء القيس(٥).

المجموعة الثالثة - شعراء العصبية:

حول العصبية كان العرب في جاهليتهم يدندنون فلما جاء الإسلام عمل على إماتتها والقضاء عليها، وحينما انقضى عصر صدر الإسلام ودخل عصر الدولة الأموية كانت العصبية العربية ضد الموالي من أهم انحرافات هذه الدولة ثم تعمقت وتشعبت

---

(١) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص ٣٤.
(٢) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٣٩/ب، ٥١/ب، ٥٥/أ، ٥٦/ب، ٥٩/ب).
(٣) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ ص ٥٧، ٥٨ - فهرس مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء التابعة لوزارة الأوقاف التي أعدها أحمد عبد العزيز الرقيحي وعبد الله محمد الحبشي وعلي وهاب الآنسي (عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) جـ٢ ص ٧٤٦، ٨٧٩، وجـ٣ ص ١١٤٢، يذكر الحسن بن أحمد بن محمد بن يعقوب، وأنه تولى نسخ بعض المخطوطات بخط كوفي جميل في حدود عام ٤٠١هـ ولعله صاحبنا المذكور في صلب الرسالة.
(٤) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ ص ١١٤.
(٥) المصدر نفسه جـ١ ص ١٦٤، ١٦٥ - الدولة الصليحية: دولة إسماعيلية قامت في اليمن عام ٤٢٩هـ وكان أول زعيم لها هو علي بن محمد الصليحي (أحمد السعيد سليمان. تاريخ الدول الإسلامية ص ٢٠٠).

هذه العصبية لتعود إلى ما كانت عليه سابقاً من عصبية قبلية بين العدنانية والقحطانية.

وحينما قامت دولة بني العباس على أكتاف الفرس حدث استشهاد للموالي وانتشرت العصبية ضد العرب وكان الفرس غالباً ما يوجهون الهجاء للعرب المتمثل في آل قحطان ويميلون إلى عدنان قد يكون لأن رسول الله ﷺ من عدنان وحتى لا يسببون لأنفسهم حرجاً.

وكان من البداهة أن تتولى قحطان - بشعرائها - استخراج مثالب عدنان وتنشرها وأصبحت المعركة محتدمة بين الفريقين لا على لسان الشعراء فحسب بل في ميدان القتال أيضاً، وقد استهل القرن الثالث الهجري بمعركة حامية الوطيس بين اليمانية والنزارية في الموصل، وكانت الغلبة لليمانية[١] وكان لا بدّ من ظهور آثار واضحة على أرض اليمن نفسها سواء من ناحية الصراع في ساحات القتال أم على ألسنة الشعراء. ولذا كان دخول إبراهيم الجزار - كما شرحناه في التمهيد - إلى اليمن في مطلع القرن الثالث وشدته مع معارضيه فسرت عند بعض قبائل اليمن أن هذه الشدة أساساً نابعة من حقد النزارية على اليمانية.

وكان انضمام (الأبناء) الذين كانوا من أصل فارسي وقد استوطنوا اليمن - إلى جانب إبراهيم الجزار العلوي - قد فسر عند بعض اليمانية تفسيراً يقوم أساساً على العصبية[٢]، وكان لوجود بعض الأسر العدنانية في اليمن - التي أصبحت مستقرة باليمن من زمن طويل كالعمريين[٣] - دور في إشعال نار العصبية لا من جانب هذه الأسر وحدها بل من الطرفين لأن نفوسهم كانت قد أقيمت على العصبية، ولم يُحَكِّمُوا الإسلام في هذا الشأن.

ولذلك حينما عين المأمون إسحاق بن عباس العباسي على اليمن سنة ٢٠٩هـ

---

(١) ابن خلدون. التاريخ جـ٥ ص ٥١٤.

(٢) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٥٢٩ - ٥٣٤ - الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٢٦٤.

(٣) الهمداني. الإكليل جـ١٠ ص ٣٠، ٣١، ١١٧ وكان قد ظهر في القرن الثاني والثالث صراع عنيف بين العمريين نسبة إلى عمر بن الخطاب وبين اللغويين من همدان وكان في هؤلاء شاعر يحرض قحطان على النزارية وهو أبو علكم المراني الذي كان في خلافة هارون الرشيد.

كان نزاري النزعة والعصبية، شديداً على اليمانية حتى إنَّه دفع أحد الشعراء لعمل قصيدة أسماها الدامغة ذكر فيها مثالب قحطان[(١)].

وكان إسحاق هذا خلفاً ليزيد بن جرير القشيري الذي وَلاَّهُ المأمون سنة ١٩٩هـ، وكان صاحب عصبية قحطانية ضد النزارية حتى إنَّه كان يفرق بين الزوجين إذا كان أحدهما من اليمن والآخر من نزار[(٢)].

هذه العصبية بهذه الشراسة والعُنْفوان من الطرفين لم تكن لتولد إلا شراً محضاً، ولن تولد إلا مزيداً من الصراع المقيت النتن الذي ينذر بالخطر.

وكان بعض الشعراء اليمنيين يستعدون بعض القوى اليمنية ضد بعض الأسر اليمنية - التي قد أصبحت جزءاً من اليمن - مثل (الأبناء) فقد كان عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي - في منتصف القرن الثالث الهجري - يحرض محمد بن يعفر الحوالي ضد (الأبناء)[(٣)].

ولما دخل الإمام الهادي اليمن عام ٢٨٤هـ إماماً للزيدية وممثلاً لآل البيت - كان له في نفوس كثير من القبائل مكانة خاصة باعتباره من علماء آل البيت، بينما بعض القبائل لم يكونوا على هذا الرأي بل اعتبروها سيادة نزارية على اليمانية مثل بعض رجال خولان من آل عبادة[(٤)] وإن كان السبب الحقيقي هو انتزاع السلطة من أيديهم.

وكان أحد الزعماء الذين يحيطون بآل يعفر هو عبد الله بن أحمد الأوساني - المعاصر للهادي إلى الحق - وقد قال شعراً يفتخر بقحطان على نزار[(٥)]، مما يؤجج

---

(١) الأصفهاني (أبو الفرج) علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) - الأغاني جـ٢٠ ص ١٨٦ - ويسمى هذا الشاعر أبو الذلفاء الحسن بن زيد (وانظر: الأكوع، مقدمة الدامغة للهمداني ص ٥٣).

(٢) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٦٥/أ) وكان له موقف مع بكر بن الشرود الصنعاني الأنباوي وقد طلب منه أن يطلق زوجته من خولان.

(٣) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٤٧٩ - وكان عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي أحد الفصحاء والعلماء بالأنساب وكان هجاء مقذعاً شبه بدعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) الذي كان بَذِيء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس (انظر: الزركلي. الأعلام جـ٣ ص ١٨).

(٤) المصدر نفسه جـ١ ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٥) المصدر نفسه جـ٢ ص ٣٧٠.

المعركة ويوحي باتهام دولة الهادي بأنها نزارية، ومما يؤكد هذا الشعور أن توافد إلى صعدة بعض الشعراء الذين كانوا لا يحملون فكراً ودعوة مثل بقية علماء الزيدية في ذلك الوقت بل كانت العصبية والتهاجي والمزاج والتماري هو أكثر موضوعات شعرهم وكان من هؤلاء: الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الصرار(١)، وكان يشاركه بعض الشعراء منهم: أبو أحمد بن أبي الأسد، وعلي بن عشَّام، وأبو عبيد محمد بن عبيد الصنعاني، ولعله من الأبناء، وعلي بن محمد السحولي، وكان أصله يهودياً ثم أسلم. هؤلاء الشعراء وغيرهم كان لهم دور في إذكاء نار العصبية في مطلع القرن الرابع الهجري، وقد اشتهر من شعرهم قصيدة تعرف بأم الدنان أو بالقارعة وينسبها البعض لأبي زيد محمد بن الخطاب العدوي الصنعاني وينكر البعض نسبتها إليه ويثبتها لمجموعة الشعراء السابق ذكرهم، والقصيدة فخر للعدنانيين والأعاجم على اليمن(٢).

وكان الهمداني الشاب المتحفز المتطلع الذي يقول الشعر في زعماء القبائل مدحاً وفخراً - وهي قحطانية - قد حصلت مهاجاة بينه وبين أحد أولئك الشعراء وهو الشاعر علي بن عشَّام(٣).

وحينما وضعت قصيدة أم الدنان - كما يبدو - انبرى مستخدماً مواهبه في معرفته بالأنساب فوضع قصيدته (الدامغة) لا لينقض بها قصيدة (أم الدنان)، ولكن ليناقض بها قصيدة الكميت بن زيد الأسدي (٦٠ - ١٢٦هـ) النونية التي كانت أول قصيدة أثارت العصبية بين النزارية واليمانية(٤).

وقصيدة (الدامغة) نونية أيضاً وعدد أبياتها (٦٠٢ بيتاً).

وهي - كما أحسب غالباً - كانت سبباً في سجنه؛ لأنه تفاخر في هذه القصيدة

---

(١) الصرار كان من بني دارم من بني تميم من نزار.

(٢) ابن أبي الرجال. مطلع البدور ج٤ ص ١٦٧، ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٤ ص ١٦٨.

(٤) المسعودي. مروج الذهب ج٣ ص ٢٤٤.

وأصبح يفتخر بقحطان حتى في الأشياء التي ذمها الله سبحانه وتعالى ولا يقرها الإسلام[١]، وإن كان بارعاً في عدم التعرض للرسول (منهم فاستله كاستلال الشعرة من العجين، وكما يبدو أنه ألف هذه القصيدة في سن الشباب الدافق الذي عبر عنه الهمداني مستخدماً الرمز، وأنه يتحدث عن شخص آخر وإن كان الراجح أنه يخبر عن تطورات حياته الشخصية فيقول: «استرفع عيشه وحسنت أحواله.. وجنح إلى النساء وخالط الغرباء والأضداد»[٢]. ولعله يعني (بالأضداد) من كانوا يضادونه مما يشير إلى المهاجاة التي كانت تتم بينه وبين الشعراء، وأما شرح القصيدة فقد أكمله سنة ٣١٦هـ[٣] وكان عمره ٣٧ سنة تقريباً. ولعله كان من أول مؤلفاته.

وقد سببت له هذه القصيدة السجن باستعداء من الشعراء الذين كانوا على غير وفاق معه، وقد سجن على يد أمير قحطاني وهو: أسعد بن أبي يعفر الحوالي باتفاق مع الناصر بن الهادي.

والحقيقة أن العصبية لم تكن متملكة لكل حياة الهمداني ولكنه كما يبدو اندفع إليها في مطلع شبابه، ومما يدل على هذا أن شرح الدامغة وهي من أول مؤلفاته لم يشر إليه في أي كتاب ألفه فيما بعد حتى إنَّه حينما تحدث عن العصبيات في الإكليل[٤] لم يشر إلى الدامغة وقد يكون السبب أنه لم يكن راضياً عنها تماماً، لأنه كثيراً ما يشيد بشعراء وقضاة وعلماء من (الأبناء)، بل وقف في صفهم ضد أهل صنعاء في قضية لهم، ويصف بعضهم بصفات كريمة، وتعلم على أيدي بعضٍ منهم، ويصف بعضهم بأنهم لا يدخلون في عصبية[٥].

---

(١) الهمداني. الدامغة ص ٢٥٠، ٢٩٥، ٤٦٣، ٥٠٩، ٥١٠، فيفتخر مثلاً بأن أهل اليمن كانوا هم قتلة الحسين. ويعتبر زيد بن حارثة أنه نزل عن زينب بن جحش للرسول ﷺ وهو غلط فاحش.. الخ.

(٢) الهمداني. المقالة العاشرة من سرائر الحكمة ص ١٠٧.

(٣) الهمداني. الدامغة ص ٥٤١.

(٤) جـ٢ ص ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٢.

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٦، ٨٧، ٤٠١، ٤٠٢ - الدامغة ص ٤٨٥ - الإكليل. جـ٨ ص ٦٤ - وجـ٢ ص ٣٦.

وفوق هذا يتحدث عن الإمام علي رضي الله عنه من وجهة زيدية ويصفه بأنه (الوصي)[١]، وهذا ما جاء في الدامغة نفسها مما يدل على أنه لم يتخذ موقفاً معادياً للإمام الهادي منذ اللحظة الأولى وإن كان هواه مع قومه.

وهذا كله أورده لا لأنفي عصبيته لقومه فهذا أمر بارز في كتاباته؛ ولكن الذي أريد التأكيد عليه هو أن عصبيته متغيرة حسب نموه الفكري والثقافي، فقد كانت في البداية حادة، في مؤلفاته الأخيرة كانت هادئة إلى حد ما.

وقد يكون من مظاهر عصبيته في الكتابات المتأخرة أنه في الأنساب كثيراً ما يفتخر بقومه وينسب إليه كل شبيه للمآثر الذي تنسب للعدنانيين[٢]. وهو بهذا لم يكن بعيداً عن شعراء وأدباء عصره الذين كانوا يضيفون لقبائلهم ضروباً من المكانة والمجد قد لا تكون فيهم[٣].

ويشبهه في هذا الموقف - ولكن باعتدال - أبو بكر محمد بن الحسن، أو الحسين بن محمد الكلاعي (ت ٤٠٤هـ) الذي كان من فقهاء الزيدية وهو عالم نحوي لغوي له معرفة بالسير والتاريخ والأنساب وأيام العرب والعجم وحروب الجاهلية ووقائعها والمناقب والمثالب شاعراً فصيحاً مترسلاً، وقد وضع معظم قصائده في الفخر بقحطان وأشهرها قصيدة (الكلاعية) النونية وقد تسمى (القاصمة) وهي أكثر من ألف بيت، ولما كان الهمداني قد نقض قصيدة الكميت بن زيد الأسدي في الدامغة فإن الكلاعي نقض قصيدة (أم الدنان) التي وضعت في عهد الهمداني السابقة الذكر.

وحينما انبرى أحد قادة الأمير إسحاق بن إبراهيم بن زياد في أواخر القرن الرابع الهجري وهو باروخ الرومي، وأنشد قصيدة - يهجو فيها (حِمْيَرَ) - أجابه الكلاعي بقصيدة طويلة رائية تزيد على ثلاثمائة بيت سماها (ذات الفنون)، وقد أنشدها في صفر

---

(١) الدامغة ص ٣٨٢ - البيت رقم ٤٠٤.

(٢) انظر: مقدمة صفة جزيرة العرب، ص ١٣ - ومقدمة الإكليل ص (ي) وبحث للمؤلف بعنوان (نكبة الهمداني) سينشر في كتاب قريباً.

(٣) ابن سلام. طبقات الشعراء ص ١٧ (مقدمة).

من عام ٤٠٤هـ بقصر كحلان الذي كان مقر ملك من تبقى من الحواليين[١]، وكل ما ذكر له من كتب هي في مفاخر قحطان ومنها: كنز المآثر في مفاخر قحطان، والأنوار في مفاخر قحطان، ثم القصيدة النونية في الردّ على من فاخر قحطان في ثلاث مجلدات، ولكن لم يعثر على أي من هذه الكتب حتى الآن[٢].

المجموعة الرابعة - أغراض أخر:

فقد نجد من الشعراء من تخصص في الهجاء مثل: مرطل الصنعاني الذي كان هجاء للأشراف داخلاً في أعراضهم، وكان معاصراً ليعفر بن عبد الرحمن الحوالي[٣].

ونجد منهم من تخصص في الوصف ولعل في مقدمة هؤلاء أحمد بن عيسى الرداعي الخولاني - الذي كان في القرن الثالث غالباً - وقد وصفه الهمداني بقوله: «ولا نعلم أحداً وصف من جزيرة العرب مسافة أربعة وعشرين يوماً بشعر طبعي ونشر لصفة الإبل والفلوات سوى أحمد بن عيسى»[٤].

وأنشد الشعراء كثيراً من الأغراض الأخرى فقد وضعوا شعراً في المزاح والمساجلات الشعرية[٥].

وكان للهمداني الكثير من الشعر متعدد الأغراض سواء في الرثاء أو العتاب أو المدح[٦].

إلى غير ذلك من أغراض الشعر الأخرى التي تحتاج إلى دراسة أدبية للشعر حاصره لكل النتاج الشعري في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

---

(١) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٥٦ - وابن أبي الرجال. مطلع البدور ص ٤٠٤. ص ١٦٧ - ١٦٩ - والجنداري. الجامع الوجيز (ق ٤٤/ب).

(٢) القفطي. المحمدون من الشعراء ص ٣٥٨ - ط دمشق - والحبشي. مصادر الفكر اليمني ص٤٠٤.

(٣) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٦.

(٤) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨١، ٤٠٠ -. الرازي. تاريخ صنعاء ص ١٨٢.

(٥) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٦٨.

(٦) انظر مثلاً: الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٣١٢، وجـ١٠ ص ١٩٨، ٢٠٣، ومجهول. تاريخ اليمن (ق ٩٣/أ) - ومسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٦).

ثانياً: النثر

أشرنا – آنفاً – إلى أنه كان يتراوح بين الرسائل الديوانية أو السلطانية والرسائل الإخوانية.

ومن خلال تتبعنا للنثر في اليمن فقد وصف كثير من أهل اليمن بأنهم أدباء وكل من ذكرناهم في علوم اللغة كانوا ممن يتصفون بالأدب، والفصاحة مثل: تبع بن عبد الله بن أحمد بن يعفر الحوالي الذي كان من أحسن آل يعفر أَدباً، وله فصاحة في لسانه وبلاغة في قلمه(١).

ووصف إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالي بأنه من خطباء صنعاء المبرزين(٢).

وكان بعض ولاة بني العباس يتصفون بالأدب ويحسنون إجادة التعبير مما يشجع الأدباء على الإبداع، وقد قيل عن الوالي العباسي جفتم علي بن الحسين الذي ولي على اليمن في النصف الثاني من القرن الثالث أنه كان أديباً.. ويقعد طوال النهار للحكم بين الناس، وللنظر في أمورهم، ويرد على الشكاوى، والكتب التي ترد إليه وكان ربما أحفى عشرة أقلام وهو يكتب في اليوم(٣).

وكان أسعد بن أبي يعفُر الحوالي دائم الكتابة بنفسه في بعض أموره، وفي رسائله المتبادلة بينه وبين بعض الوجهاء، أو يعاتب بعض أمرائه على فعل فعله، أو يخاطب صديقاً له(٤).

وكانت الكتب السلطانية غالباً ما تكتب في ديوان خاص يتولاه كاتب بارع أو أكثر من واحد، ولم تمدنا المصادر المتوفرة بين أيدينا بمعلومات كافية عن هذا الشأن وإن كانت المعلومات الموجودة تخوِّل لنا رسم صورة تقريبية.

---

(١) الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ١٨٨.
(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٣.
(٣) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٢٥/ب، ١٧٠/أ).
أحفى: المبالغة في الإزالة (لسان العرب جـ٢ ص ٩٣٥) أي أنه استهلك عشرة أقلام.
(٤) الأكوع. الوثائق السياسية اليمنية ص ٢٥١ – ٢٥٥.

فهناك إشارة إلى أن آل يعفر كان لهم ديوان وفيه أناس يتولون الكتابة فيه، وكان أبو عبد الله محمد السراج الصنعاني أحد من يكتب لآل يعفر[١].

وقد وصل إلى أيدينا نص كتاب أرسله أسعد بن أبي يعفر الحوالي إلى الخليفة المقتدر بالله (ت ٣٢٠هـ) يبشره فيه بفتح المذيخرة عام (ت ٣٠٤هـ) وهو كتاب يقوم على السجع غير المتكلف، ويوحي بأن كاتبه أحد الأدباء المبرزين[٢].

وبالرغم من اشتهار الهادي وابنه الناصر بالقدرة على الإجادة الأدبية والقدرة اللغوية إلا أنه لم يكن هناك مانع من وجود كتبه يتولون كتابة العود والمواثيق والرسائل الرسمية، والذي يدل على هذا أن الحسن بن أحمد بن إبراهيم من (بني بحر) كان كاتباً للناصر بن الهادي يحيى بن الحسن[٣].

وكان القاضي الحسين بن أحمد بن يعقوب أديباً كاتباً للإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني وهو الذي كتب له عهد التولية[٤].

كذلك كان الأديب محمد بن الحسين الكلاعي (ت ٤٠٤هـ) قد اتصل بالسلطان حسين بن سلامة وكتب له[٥] أي أصبح له كاتباً.

وبعد فإن الجانب الأدبي شعراً ونثراً يحتاج إلى متخصص في الأدب يتولى الاهتمام بشقيه: النظم والنثر: جمعاً وتحقيقاً ودراسة.

خامساً: علم التاريخ

مما لا ريب فيه أن ما كتب عن تاريخ التاريخ كثير - كثير وليس المطلوب مني أن أعيد ما كتبه غيري وأملأ صفحات مكررة لا جديد فيها.

---

(١) الرازي. تاريخ صنعاء للرازي ص ١٠٩، ١١٠، ٥٢٩.
(٢) الأكوع. الوثائق السياسية اليمنية ص ٢٤٢ - ٢٤٦.
(٣) الهمداني. الإكليل جـ٢ ص ٣٢٣.
(٤) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ ص ٥٧، ٥٨، وهو الذي ذكرناه ناسخاً لكثير من الكتب.
(٥) المصدر نفسه، جـ٤ ص ١٧٩.

ولكني ألزمت نفسي بمنهج محدد لكي أعطي القارئ - سواء الخالي الذهن، أم من عنده علم، أو متخصص بهذه العلوم - أعطيه فكرة مُيسَّرة عن العلوم في ساحة الحضارة الإسلامية الواسعة لتكون أوتاداً أشد إليها وثاق المعلومات المجزأة التي تخص اليمن وهو طرف من أطراف بلاد الإسلام.

فعلم التاريخ[١] عند المسلمين ظهر في صدر الإسلام وتولى المسلمون جمع ما وصلتهم من أخبار العرب في الجاهلية سواء تلك التي جاءت في أشعارهم، أم في ثنايا مشجرات أنسابهم، أم في رواياتهم الشفوية عن ملاحمهم ومعاركهم القبلية المعروفة بالأيام[٢].

ولكن أساس التاريخ الإسلامي نشأ أول ما نشأ في بيئة المحدثين الذين تولوا نقل ما سمعوه وما رأوه من حياة رسول الله ﷺ ليقدموا صورة متكاملة عن سيرته التي تمثل الجانب العلمي للقرآن الكريم.

ومن هذا يتبين أن التاريخ كان يسير في اتجاهين[٣]:

أ - اتجاه ظهر عند أهل الحديث وهو الاتجاه الإسلامي وكان في المدينة المنورة غالباً، وقد أنتج هذا الاتجاه في النهاية السيرة النبوية والمغازي[٤].

ب - والاتجاه الآخر هو الاتجاه القبلي.. أو اتجاه الأيام وكان أساساً في

---

(١) يقصد من كلمة (التاريخ) أحد معنيين أو هما معاً: أولهما: تسجيل أهم حوادث الأمم أو بمعنى الحوليات أي تدوين الحوادث عاماً عاماً أو مرتبة بحسب العصور، وثانيهما: تحديد بداية الأخبار الخاصة، وبمعنى حساب الأزمان وحصرها، وبمعنى تحديد زمن وقوع الحوادث تحديداً دقيقاً. (السير هـ. ل. جب. علم التاريخ ص ١٥ ترجمة إبراهيم خورشيد. د. عبد الحميد يونس. وحسن عثمان - ط الأولى - ١٩٨١م - دار الكتاب اللبناني بيروت - سلسلة دائرة المعارف الإسلامية).

(٢) حاجي خليفة. كشف الظنون جا ص ٣٢.

(٣) الدوري. عبد العزيز(الدكتور). بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٩. المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

(٤) جب. علم التاريخ ص ٥٣.

الكوفة والبصرة، وقد بدأ بجمع أخبار (الأيام) في الجاهلية، ثم أصبحت القبائل في دولة بني أمية تفخر بالأعمال التي قامت بها في الفتوح الإسلامية[١] مما جعلها تظهر كأنها تنمي الاتجاه القبلي.

وكان لعلماء اللغة دور في هذا الاتجاه[٢] لتوجههم إلى القبائل لتلقي أشعارهم ومفردات لغاتهم فجمعوا ضمن ما جمعوا أشتاتاً من المواد التاريخية المتفرقة وبرزت نتائج هذا الاتجاه في كتب (الأيام) وكتب (الأنساب)[٣].

وبدأ يتوسع الاتجاه الأول فضم إليه تاريخ الخلفاء، ثم امتد حتى شمل العهود الإسلامية المختلفة وبذا اقترب علم التاريخ القائم على الحديث من المادة التاريخية التي جمعها فقهاء اللغة وكان هذا النشاط نابعاً من العراق[٤]، ولكن ليس على أساس قبلي ولكن على أساس الاتجاه الإسلامي وهو اتجاه أهل الحديث الذي تغلب في نهاية الأمر، حيث ظهر مؤرخون لا تحدهم مدرسة أو اتجاه بل حاولوا الاستفادة من كل المواد التاريخية التي بين أيديهم، وكللت جهود هذا الاتجاه بظهور عدة مؤرخين كتب على أيديهم التاريخ الإسلامي العام ومن أبرزهم محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)[٥].

بالإضافة إلى هذا كان علماء كل إقليم أو مدينة قد شرعوا منذ القرن الثالث في

---

(١) الدوري. نشأة علم التاريخ ص ٣٣، ٣٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٣، ٤٤ • وفرانز روزنثال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٣٦ ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي - ط٢ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. مؤسسة الرسالة - بيروت - جب. علم التاريخ ص ٥٠، ٥١، ٦١ - ضيف. العصر العباسي الأول - ص ١٢٥.

(٣) حاجي خليفة. كشف الظنون جا ص ٢٠٤ - الدوري. نشأة التاريخ ص ١٦، ٣٣، ٣٤، ٣٩ - جب. علم التاريخ ص ٥١، ٥٢، ١٤٠، ١٤٥ - وروزنثال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥.

(٤) جب. علم التاريخ ص ٥٧ - ٥٩.

(٥) الدوري. نشأة علم التاريخ ص ١٩، ٤٨ - جب. علم التاريخ ص ٦٦ - أمين مدني. التاريخ العربي ومصادره ص ٣٠٤، ٣٠٥ الجزء الثاني من سلسلة العرب في أحقاب التاريخ. دار المعارف بمصر، ط. الأولى - ١٩٦٤م.

جمع الروايات التاريخية التي تتصل بتاريخهم وهو ما عرف (بالتاريخ المحلي) مع العلم أنه من بعد منتصف القرن الرابع الهجري كان من المتعذر التمييز بين التاريخ العام والتاريخ الإقليمي، خاصة إذا كان يقوم أساساً على الحوليات[١].

وظهرت في المرحلة أيضاً كتب التراجم والسير الشخصية بل وضعت معاجم لتراجم العلماء ومشاهير الرجال[٢].

كل هذا كان يمثل المرحلة الثانية من مراحل التاريخ الإسلامي التي تبدأ من القرن الثالث الهجري وتستمر حتى القرن السادس الهجري[٣].

وقد ظلت العلاقة وثيقة بين التاريخ والجغرافيا (تقويم البلدان) حيث أسهمت كتبه(تقويم البلدان) في تحصيل مواد تاريخية هامة[٤].

وكان الاعتماد في جمع المادة التاريخية على الروايات من خلال السند[٥] الموصل إلى أصحاب الأحداث أو من شاهدوها أو اطلعوا عليها.

واعتمدوا أيضاً بوفرة على الوثائق والرسائل والأوراق الحكومية والبيانات الرسمية والخطب وأمثال ذلك[٦].

ولا نغفل ما كانوا يلاحظونه من نقوش وآثار ونقود[٧].

---

(١) جب. علم التاريخ ص ٧٣ - ٧٥، ٧٧ مثل تاريخ مصر وفتوح المغرب لابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) وانظر: الدوري. نشأة التاريخ ص٥٦ - وروزنتال. علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٠٦.

(٢) روزنتال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٤٥ - جب. علم التاريخ ص ٨٠.

(٣) قسم التاريخ الإسلامي إلى مراحل أربع: - أ من البداية إلى القرن الثالث الهجري ب - من القرن الثالث إلى القرن السادس جـ- من نهاية القرن السادس إلى بداية القرن العاشر د- من القرن العاشر إلى الوقت الحاضر (انظر: جب. علم التاريخ ص ٤٥).

(٤) كراتكشوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جا ص٧١ - جب. علم التاريخ ص ٧١ - روزنتال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٤٨ - ١٥١.

(٥) جب. علم التاريخ ص ٥٣.

(٦) روزنتال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٦٧.

(٧) المصدر نفسه ص ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥.

واستخدموا العلوم الرياضية والفلكية أو التنجيم حيث كانوا يعتمدون في حساباتهم على ما توصل إليه علم الفلك[١].

حـركـة علم التاريخ في اليمن:

أولاً: الاتجاه الإسلامي

تمثل هذا الاتجاه في التاريخ العام، وفي السير والتراجم، وفي تاريخ المدن والأمصار.

فأما التاريخ العام:

لم يكن اليمن بعيداً عن سير الحركة العامة للتاريخ الإسلامي فكما كان علم الحديث ميداناً وبيئة لنشأة اتجاه التاريخ الإسلامي ابتداءً بالسيرة النبوية والمغازي خارج اليمن، فكذلك كان لمدرسة الحديث في اليمن إسهام جاد في حقل المغازي حيث تولى إمام الحديث في اليمن أمر هذه المهمة وهو: الإمام عبد الرزاق الصنعاني[٢] (ت ٢١١هـ).

فقد عدَّ السخاوي[٣] من جمع المغازي فكان منهم عبد الرزاق، وبما أنه لم يُعثر على كتاب لعبد الرزاق بهذا الاسم حتى الآن - كما نعلم - لكي نحدد هويته ومنهجه فقد يرد احتمال أنه كتاب المغازي الذي نسبه ابن النديم[٤] لمعمر بن راشد (ت١٥٣هـ) - شيخ عبد الرزاق وهو من أصحاب السير والأحداث - وقد يكون عبد الرزاق رواه عنه فنسب إليه[٥]، وهو احتمال لا دليل عليه بينما نسبه الكتاب إلى عبد الرزاق هو

---

(١) جب. علم التاريخ ص ٨٧،٨٨ - وروزنثال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) البغدادي. هدية العارفين جا ص ٥٦٦.

(٣) السخاوي. الإعلان بالتوبيخ ص ٨٨ وله أيضاً: الجواهر الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. (نص محقق ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال ص ٧٢٨).

(٤) الفهرست ص ١٣٨.

(٥) هوروفتس. يوسف (مستشرق). المغازي الأولى؟ومؤلفوها ص ٧٥ ترجمة / حسين نصار. ط الأولى ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م. مكتبة مصطفى الحلبي بمصر.

الأثبت لأن (السخاوي) وهو متأخر نسب الكتاب إلى عبد الرزاق وكأنه كان متداولاً في عصره، ولم يذكر كتاب (معمر). والذي يؤدي هذا أن إسماعيل باشا البغدادي[١] حينما أورد معمر بن راشد لم يذكر إلا ما ذكره ابن النديم ونص على ذلك مما يدل على عدم معرفته بوجود كتاب متداول باسم (معمر).

ويبدو أن كتاب (المغازي) كان في القرن السادس الهجري قد ضم إلى كتاب المصنف لأن (ابن خير)[٢] ذكره من ضمن كتبه التي أخذها وأشار إلى أنه من جملة (المصنف).

وقد جاء في الدراسة المفصلة عن حياة عبد الرزاق الصنعاني المتصدرة لتفسيره[٣] أن من ضمن كتبه: كتاب في التاريخ، وأحال إلى المصدر الذي انفرد بهذه الرواية وهو ابن سمرة الجعدي في طبقات فقهاء اليمن[٤] وإذا أحْسَنَّا الظن فإن الأمر قد التبس على الباحث لأن العبارة التي أوردها ابن سمرة لا توحي بهذا البته فهو يقول: «روى عنه أحمد بن حنبل تاريخه ومفرقات غيره وقال له: ولدت سنة ست وعشرين ومائة في آخر أيام بني أمية وله تصنيف مليح ترويه الحنابلة في بغداد مسنداً إلى أحمد رحمهم الله تعالى: «ولكن الباحث أوقع نفسه في الخطأ - وجعل غيره من الباحثين يلجأ إلى سوء الظن - حينما حذف عبارة: «وقال له ولدت سنة ست وعشرين ومائة في آخر أيام بني أمية» لأن هذه العبارة هي التي تفسر كلمة (تاريخه) فابن سمرة يقصد تاريخ مولده وأخبار متفرقة عنه. أما كونه أورد روايات لعبد الرزاق في كتب التاريخ فهذا شيء، ونسبة كتاب إلى رجل لم يؤلفه شيء آخر.

وفي الحقيقة وردت روايات لعبد الرزاق في كتب تاريخية مثل تاريخ الطبري[٥].

---

(١) هدية العارفين جـ٢ ص ٤٦٦.

(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ١٢٩.

(٣) محمود محمد عبده موسى. تفسير عبد الرزاق ص ٥٤، ٥٥.

(٤) ص ٦٨.

(٥) جـ٢ ص ٢٧.

وهناك روايات كثيرة في تاريخ مدينة صنعاء عن عبد الرزاق.

كل هذا يدل على مشاركة عبد الرزاق في التاريخ العام ولكن لا نستطيع القول بأنه كتب كتاباً في هذا الشأن لأنه لا يوجد دليل يؤيد ما نقوله.

وأما السير الشخصية:

وفي أواخر القرن الثالث الهجري ظهر نوع آخر من التاريخ هو: السير الشخصية وقد دخل اليمن بدخول الزيدية إليه فقد كان يخصص لكل إمام من أئمتهم سيرة خاصة بهم كتبها بعض دعاتهم ولذا نجد يحيى بن الحسين صاحب طبقات الزهر في أعيان العصر المعروفة بطبقات الزيدية الصغرى لم يترجم للأئمة بل يشير إلى سيرهم الخاصة. وقد انتقده[١] ابن أبي الرجال لذكره سير الأئمة واعتبر هذا تحصيل حاصل.

العلوي مؤلف سيرة الهادي:

وقد ظهرت سيرة الإمام الهادي إلى الحق وعليها إشارة في الورقة الأولى أنها من روايات محمد بن سليمان الكوفي وعلي بن محمد بن عبيد الله العلوي إلا أن السيرة في الحقيقة من تأليف العلوي[٢]، وكان معاصراً للهادي وأبوه يعد أكبر دعاته. وقد هاجر إلى صعدة في ذي الحجة من سنة ٢٨٥هـ في الوقت الذي كان أبوه والياً عليها للهادي. وقد تولى هو بعض الأعمال للهادي في نجران التي كانت مكان استشهاد والده[٣].

وأما تاريخ وفاته:

فقد وردت رواية في الورقة الأولى للمخطوطة أثبتها المحقق في بداية السيرة وهي: أنه أصيب بنجران في زمن الهادي إلى الحق، ونقل إلى (خيوان) حياً وتوفي بها، ورثاه الهادي شعراً[٤].

---

(١) ص ٤١٩.

(٢) العلوي. نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب لأنه من ذرية العباس بن علي بن أبي طالب.

(٣) العلوي. سيرة الهادي ص ٣٥، ٨١، ١١٥، ٢٩٢.

(٤) العلوي. سيرة الهادي ص ١٥.

ولكن هناك روايات معاصرة له تثبت أن الناصر ولاه على (غرق) مقر مملكة الدعام[١] وهذا ينفي موته في حياة الهادي وقد أيّد هذا الرأي ابن أبي الرجال[٢]، واعتبر المدفون بخيوان هو غير هذا.

سليمان الكوفي أحد رواة سيرة الهادي:

أما محمد بن سليمان الكوفي فقد كان من فضلاء الكوفة، ومن تلامذة عالم الزيدية بالكوفة محمد بن منصور المرادي وقد اختار بنفسه الهجرة من العراق إلى صعدة ليكون مع الهادي[٣] وقد قدمها قبل الهادي بنيف وخمسين يوماً[٤]. وكان من قضاة الهادي ثم أصبح في عهد الناصر أحد مستشاريه[٥] - وقد ذكرناه في قسم الفقه الزيدي - وله هنا في التاريخ إضافة إلى رواياته التي جاءت في السيرة له كتاب في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من نمط السير الشخصية وهي أساساً تقوم على أسلوب الإسناد[٦]، وقد أتم تأليفه في شهر رجب سنة ٣٠٠هـ[٧].

كتاب سيرة الهادي:

أما كتاب سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين التي وجدت وطبعت بتحقيق الدكتور سهيل زكار فهي من أقدم الكتب التي ذكرت تاريخ اليمن في هذه الحقبة وأصبحت مصدراً أصلياً استقت منها معظم الكتب فيما بعد.

---

(١) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٣/أ) على الرغم من أن مسلّم اللحجي كان في القرن الخامس. إلا أنه روى هذا من سيرة الناصر التي كتبها عبد الله بن عمر الهمداني أحد قواد الناصر.

(٢) مطلع البدور جـ٣ ص ٢٣٠.

(٣) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٢/أ).

(٤) العلوي. سيرة ص ٦٥.

(٥) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ٢١٩.

(٦) مسلم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٢/أ).

(٧) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٣ ص ٢١ وتوجد في مكتبة الأمبروزيانا برقمين ١٢٨، ٢٠٦.

وكانت المادة التي تحتويه السيرة، إما مروية عن محمد بن سليمان الكوفي، وإما عن والد المؤلف، أو أنه عايشها بنفسه وكان عليها شهيداً. وقد أضيف إليها ما ليس فيها في وقت لاحق[١].

ومما أضيف إليها كما يبدو نقُولات من سيرة مفقودة تسمى (الروض الأزهر في سيرة السيد الشهيد أبي جعفر). وأبو جعفر هذا هو والد مؤلف سيرة الهادي ولا يعرف من ألف الروض الأزهر ولكن جاءت الإشارة إليها في حاشية مخطوطة سيرة الهادي الموجودة في صنعاء[٢].

سيرة الناصر بن الهادي:

وجرياً على عادة الزيدية فقد وضعت سيرة للناصر بن الهادي وضعها أحد قواده الكبار والذي أدار معظم المعارك مع القرامطة باسم الناصر وقد ولاه على صعدة وهو عبد الله بن عمر الهمداني ولم نجد من يؤرخ للهمداني هذا.

وأما كتابه (سيرة الناصر لدين الله أحمد بن يحيى) فهو اليوم مفقود حسب ما نعلم وقد أعلن مسلّم اللحجي (ت ٥٤٥هـ) في القرن السادس أنه «كاد ينقطع ويعدم لضعف همم كثير من الناس في اقتنائه ولا سيما أهل اليمن»[٣].

ومن محاسن مسلّم اللحجي أنه احتفظ لنا ببعض مادة هذا الكتاب في كتابه تاريخ مسلّم اللحجي الذي قسمه إلى خمس طبقات ولم يوجد منه إلا الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة[٤]. أما الطبقة الأولى والثانية فغير موجودتين وسيرة الناصر ضمنها الطبقة الأولى التي خصصها لأحوال ابني الهادي والحروب التي جرت بين الناصر

---

(١) مقدمة محقق سيرة الهادي ص ٨، ٩.

(٢) انظر: سيرة الهادي ص ٢٨٧ لعل ما نقل من الروض الأزهر من ص ٣٣٠ إلى ص ٣٨٣.

(٣) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٣٩، ٤٢/أ، ٤٣/ب) - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٤ - ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٣ ص٧٠.

(٤) توجد هذه النسخة مخطوطة في مكتبة باريس رقم ٥٩٨٢ (انظر: أيمن فؤاد سيد. مصادر تاريخ اليمن ص ١٠٦. نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة. ١٩٧٤م. (تحَصَّلتُ على صورة من هذا المخطوط).

وبين القرامطة، وقد وجد جزء من هذه الطبقة (في برلين رقم ((2)9664) ضمن مجموع من ص ٣٨ - ٦٠)، بعنوان: كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية في اليمن، وفيه إشارات وروايات عن عبد الله بن عمر الهمداني[١].

مناقب أهل البيت:

وفي هذا الوقت كان علي بن سليمان الكوفي قد وضع كتاباً عن مناقب أهل البيت وفضائلهم في مجلد واحد[٢]، ولم يعثر عليه على حسب ما أعرفه من المصادر المتوفرة لديَّ رغم ما عملته من المؤلفات اليمنية.

سيرة المنصور العياني:

لم يحظ الأئمة الذين جاؤوا بعد الناصر الذي توفي عام (٣٢٥هـ) بترجمات وسير شخصية لكثرتهم ولتنازعاتهم الكثيرة فيما بينهم حتى جاء الإمام المنصور القاسم ابن علي العياني (ت ٣٩٣هـ) فحظي بسيرة شخصية لمكانته العلمية ولهيمنته على كثير من البلاد اليمنية، وقد تكفل بها أحد علماء الهدوية وهو الحسن بن أحمد بن يعقوب[٣].

وهكذا نلاحظ أن السير والتراجم كانت مقتصرة على علماء الزيدية في اليمن فلم يشاركهم غيرهم ويرجع ذلك - غالباً - إلى أن هذا التقليد نقلوه معهم من خارج اليمن ولأنهم يملكون شيئاً يقولونه ويحفظونه في مؤلفات.

وعلى الرغم من الإشارة التي أثبتها ابن سمرة[٤] في كتابه من أنه نقل ما كتبه عن

---

(١) أيمن فؤاد سيد. مصادر تاريخ اليمن ص ١٠٦ (قد تحصلت على صورة لهذا المخطوط). نشرة ويلغرد ماديلونغ وحققه تحت عنوان (سيرة الإمام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله) وطبع سنة ١٩٩٠م في المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد.

(٢) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٠.

(٣) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٦٧ - بروكلمان تاريخ الأدب العربي ج٣ ص٨٥ ومنها نسخة في المتحف البريطاني (ثاني ٣٥٢).

(٤) طبقات فقهاء اليمن ص ٧٤.

المائة الثالثة - حول الفقهاء - مختصراً من كتب متفرقة مما يوحي بوجود كتب سبقته إلا أن هذه الإشارة التي تؤكد على وجود كتب لا تعطينا اسم أي كتاب منها.

وأما تاريخ المدن أو الأمصار:

فهو القائم على أساس من الاتجاه الإسلامي فقد شارك أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي (كان موجوداً سنة ٣٣٧هـ) في تخليد مكة المكرمة في تاريخ خاص بها حيث وضع كتاباً عن فضائل مكة على نمط كتاب تاريخ مكة للأزرقي (توفي بعد سنة ٢٤٤هـ)[١].

تاريخ مدينة صنعاء:

اتجه علماء اليمن لجمع تاريخ اليمن، وكان طبيعياً أن ترنو الأنظار نحو عاصمة اليمن صنعاء المدينة التي تحاك حولها الحكايات والأقاويل والأساطير والحقائق.

وقد ظهرت إشارة عند الجندي (كان يكتب كتابه عام ٧٢٢هـ)، حينما كان يعد مصادر مادته العلمية فذكر إسحاق بن جرير الزهري الصنعاني، ونسب إليه كتاب تاريخ صنعاء، وأنه كتاب لطيف الحجم به فوائد جمة[٢]، ولم يترجم له ولم يُعطِنا عنه فكرة أكثر من ذلك وكأن الكتاب - بعد الجندي - لم يعد له وجود. وحينما جاء السخاوي[٣] لم يزد على عبارة الجندي، ومثله حاجي خليفة[٤]. ولهذا فإن هذا الكتاب كما يبدو لم يعد له وجود وقد حصل لبس في مكتبة بلدية الإسكندرية حيث نسب خطأ (المخطوط رقم ٣٦٨٢ ج المصور بمعهد المخطوطات برقم ٦٠٠ تاريخ) إلى ابن جرير وبمراجعة المخطوط تبين أنه نسخة أخرى من تاريخ الرازي[٥]. الآتي

---

(١) الجندي. السلوك ص ٣٩ - السخاوي. الإعلان بالتوبيخ ص ١٣٢ - الأزرقي هو: محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، أبو الوليد الأزرقي مؤرخ يماني الأصل من أهل مكة له أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (الزركلي. الأعلام جـ٧ ص ٩٣).

(٢) السلوك ص ٦.

(٣) الإعلان بالتوبيخ ص ١٢٧، ١٣٤.

(٤) كشف الظنون جـ١ ص ٢٩٧.

(٥) أيمن فؤاد سيد. مصادر تاريخ اليمن ص ٨٧.

ذكره وكانت هذه النسخة إحدى المخطوطات التي اعتمد عليها محقق كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي[١].

مؤرخون من القرن الثالث والرابع في كتاب تاريخ صنعاء للرازي:

وإذا ما تطرقنا إلى كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي فإننا نجد فيه إحالات إلى مصادر معلوماته مما يوحي بوجود كتب سبقته نقل منها ما جاء في كتابه.

ابن عبد الوارث:

فهو ينقل كثيراً جداً عن أبي الحسن علي بن الحسن بن عبد الوارث الصنعاني وهو من رجال أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري[٢]، إلى حد أنه تكرر اسمه في الكتاب أكثر من تسعين مرة، وينقل عنه بصيغ مختلفة: «وجدت بخط علي بن عبد الوارث» و«قال ابن عبد الوارث» أو «قال أبو الحسن» أو «وجدته بخطه» وهكذا.. وهذا يدل دلالة أكيدة على وجود كتاب للشيخ أبي الحسن علي بن الحسن بن عبد الوارث.

الكشوري:

وأبو الحسن ذاك كانت معظم رواياته عن أبي محمد عبيد بن محمد بن إبراهيم الكشوري الأزدي الصنعاني الذي كان من رجال القرن الثالث الهجري وهو «ممن نقل عنه الفقه والحديث قبل ظهور مذهب الشافعي من أهل صنعاء»[٣].

---

(١) العمري. مقدمة تاريخ مدينة صنعاء ص ٣٣ وقد تشكك فيها روزنثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين ص ٦٣٤، ٦٣٥ في الهامش ٢٤٠ وكان أميل إلى أنها ليست لإسحاق بن جرير - أما بروكلمان في تاريخ الأدب العربي جـ٣ ص ٥١ فقد نسب مخطوطة في المكتبة الأصفية رقم ١٢ خ ١١٣٨هـ في ١٠٠ ق، (مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٩٦٠ تاريخ) نسبها إلى محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) المشهور وهو وهم (انظر: الحبشي. مصادر ص ٤٠٣ - أيمن. مصادر تاريخ اليمن ص ١٠٥). اكتشف عبد الله الحبشي مخطوطة برقم ٢٦٧٨ بمكتبة جامع صنعاء وجزم بأنها لابن جرير وحققها وأخرجها باسم تاريخ صنعاء وطبع بمكتبة السنحاني بصنعاء.

(٢) جاء في تاريخ اليمن (ق ١٧٣/ب) أن مسرة بن عبد الله المسود سمع منه سنة ٣٢٠هـ.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٦٤.

وكان ابن عبد الوارث وهو يروي عن الكشوري إما بلفظ «حدثني» أو «حدثنا» أو «قال» أو «سألت» مما يدل على معاصرته بل إن الرازي نفسه يقول في بعض رواياته: «وبخط الشكوري حدثني»[١]، وكأن الكشوري نفسه كان له تاريخ رواه عنه ابن عبد الوارث، والذي يؤيد هذا ما جاء في مخطوطة مجهولة المؤلف - اعتمدت عليها كثيراً في هذه الدراسة - «قال ابن عبد الوارث وجدت في كتاب الكشوري»[٢] فكأنه كان له تاريخ لليمن نقل منه ابن عبد الوارث بالإضافة إلى ما سمعه منه وما سأله مشافهة.

وكانت مصادر الكشوري لمعلوماته متعددة ومتنوعة وكلها قائمة على الإسناد بدون إشارة إلى كتب.

أما ابن عبد الوارث فقد رجع إلى كتب هي الآن مفقودة ولم يشر هو نفسه إلى مؤلفيها فيقول مثلاً: «قال أبو الحسن وجدت في كتاب من كتب صنعاء من حديث مشايخها»[٣] ويقول: «قال ابن عبد الوارث: وجدت في كتاب أبي جعفر البرجمي. كتاب الأنساب أنه. .»[٤].

ويذكر الرازي[٥] أكثر من مرة «وقرأت أنا في كتاب قديم» أو «وجدت بخط شيخ من عليه مشايخ صنعاء في قصة معاذ».

وهكذا نخلص من هذا الاستطراد إلى أن كتباً عن تاريخ اليمن - ذا الاتجاه الإسلامي - كانت موجودة في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وقد أشير إلى بعضها في كتاب تاريخ مدينة صنعاء وتاريخ الجندي، ولم تظهر فيما بعد وهي الآن في حكم المفقود.

---

(١) تاريخ مدينة صنعاء ص ٢٩.

(٢) تاريخ اليمن في الكواني والفتن (ق٥٨/ أ).

(٣) تاريخ صنعاء ص ٧، ٢٨.

(٤) مجهول. تاريخ اليمن (ق ٥٨/ أ) وهذا الكتاب توحي الدلائل بأن قسماً منه جزء من كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي.

(٥) تاريخ صنعاء ص ٢٥٢.

ثانياً: الاتجاه القبلي:

جُل اعتمادنا في هذا الموضوع على ما كتبه الهمداني في القرن الرابع الهجري لا لأنه يمثل قمة الاتجاه القبلي فحسب بل لأنه سجل لنا ذلك في كتبه المتبقية بين أيدينا وأحتفظ لنا بالكثير من إنتاج أصحاب هذا الاتجاه.

الهمداني مؤرخاً:

الهمداني[1] هو لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني. ولد يوم الأربعاء ١٩ صفر ٢٨٠هـ بمدينة صنعاء من أسرة رحالة تجوب البلدان في القوافل التجارية والحج لأنه من بيت مشهور بالإبل.

وبعد خمسة عشر عاماً انتقل إلى صعدة، ومنها ظل يتنقل بين صعدة ومكة في قوافل الحجاج أو قوافل التجارة. ولا شك أنه في هذه الرحلات كان يكتسب الكثير من العلوم والمعارف ويقتني الكتب، وكان والده أيضاً في رحلاته إلى العراق والشام ومصر يجلب معه الكتب المتنوعة حينما رأى ابنه في تطلع إلى المزيد من التعلم والمعرفة.

وتلقى بعض العلوم عن بعض علماء مكة مثل أبي علي الهجري الذي كان مؤدب أولاد طاهر بن يحيى الحسيني بمكة.. وأخذ السيرة النبوية عن أحد رواتها وهو: الخضر بن داود بمكة سنة ٣٠٧هـ.

---

(١) حرص الهمداني في كتابه: المقالة العاشرة من سرائر الحكمة أن يترجم لنفسه ولكن عن طريق الحساب الفلكي وبصورة رمزية لم يصرح بأنه المقصود منها ولكنها توحي بصورة صارخة أنه كان يعني نفسه في كل ما قاله في سرائر الحكمة (ص٩٦ - ١١٦) وقد اعتمدت على كثير من المعلومات التي وردت منها وانظر عن بقية المعلومات [الإكليل جا ص ١١٢، ٢٧٥، ٣١٢، ٤٢٦، جـ١٠ ص ١١٨ - ١٩٦ - ١٩٩ أو الجوهرتين العتيقتين ص ٢٢، ٢٠٣ - وصفة جزيرة العرب ص ٣٥٦، ٣٦١ - والدامغة ص ٥٢، ٥٣، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣١٦، ٤٤٣، ٤٦٥ - ومجهول. تاريخ اليمن (ق٩٣/أ) - ومسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٦) - يحيى ابن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٥٦ - وابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٢ ص ٥٥، ١٣٨، ١٣٩، وجـ٤ ص١٦٧، ١٦٨ - وصاعد. طبقات الأمم ص ٥١ مطبعة السعادة. مصر - والقفطي. أنباه الرواة جا ص ٢٧٩].

وكان في هذه الأثناء يحتك بالكثير من الرجال والشعراء، ويرى ويسمع ويشارك في الكثير من الأحداث التي تموج بها اليمن، فكان لا بد أن يحصل أثر لذلك الاحتكاك خاصة أن اتجاهه يميل نحو العصبية للقحطانية ضد العدنانية، وهو يسكن صعدة التي هي مقر الدولة الزيدية الفتية وقاداتها من العدنانيين، وقد تجمع فيها شعراء وأدباء ممن ليس لهم هم إلا الشعر، فكان من التلقائية أن ينبري أولئك الشعراء ليهاجموا الهمداني المفتي الشاعر المفتخر بقومه في كل مآثره أو موقعه، فأنتجت هذه المعركة قصيدة (الدامغة وشرحها) كما أشير إلى ذلك في السابق (فرع علم الأدب).

وسارت الدعاية والوشاية بأنه يهاجم الرسول ﷺ وآله فحصلت حوله ضجة يعبر عنها هو نفسه قائلاً: «أثار عليه السلطان والرعية وسَطَا عليه الغوغاء والسفل بالكلام... فكانت نكبة عظيمة بالسمعة كثيرة الخطر»[1].

وانتقل إلى صنعاء للإقامة فيها في ظلال دولة آل يعفر الحواليين لأن المعركة بينه وبين حساده في صعدة كانت مشبوبة. ولكن حينما زادت الوشايات والدعايات حصل الاتفاق بين الناصر بن الهادي وأسعد بن أبي يعفر الحوالي على القبض عليه وسجنه عام ٣١٩هـ. وبعد وساطات عدة من زعماء قبائل كثيرة كان يهيجهم الهمداني بأشعاره التي كانت تتسرب من السجن أطلق من سجنه عام ٣٢١هـ ولم يفضل البقاء في صنعاء أو صعدة بل انتقل إلى (ريدة) عاصمة آل الضحاك ليعيش في ظلالهم ويشاركهم مواقعهم، ثم اتجه إلى التأليف التي تدور معظمها في نطاق الاتجاه القبلي وفي مقدمته الأنساب، وإن كان قد شارك في معظم معارف ذلك الوقت ووضع فيها كتاباً أو رسالةً سواءً في اللغة أم الجغرافيا الوصفية أم الفلكية. والفلاحة.. والفلسفة وغير ذلك من المجالات. حتى توفي بين عامي ٣٥٠ و٣٦٠هـ.

أما النتاج الهمداني التاريخي القائم على الاتجاه القبلي سواء من ناحية النسب، أو الأيام أو إضفاء المفاخر إلى القبيلة هذا واضح فيما تبقى من كتبه التي عثر عليها حتى الآن.

---

(١) راجع: للمؤلف. نكبة الهمداني (بحث نشر في مجلة كلية الآداب. جامعة صنعاء. العدد ١٦ سنة ١٩٩٤).

ونظرة واحدة إلى بعض كتبه سنجد منها ما يخص التاريخ وهي تدور - غالباً - في الاتجاه القبلي منها: السيرة والأخبار، والأيام، ومفاخر اليمن ووقائعها وهي كلها مفقودة[١].

أما الإكليل فهو مكون من عشرة أجزاء كل جزء يعد كتاباً مستقلاً:

الأول: مختصر من المبتدأ وأصول الأنساب.

الثاني: في نسب ولد الهميسع بن حميد.

الثالث: في فضائل قحطان.

الرابع: في السيرة القديمة إلى عهد أسعد تبع.

الخامس: في السيرة الوسطى من أول أيام أسعد تبع إلى ذي نواس.

السادس: في السيرة الأخيرة إلى ظهور الإسلام.

السابع: في التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة.

الثامن: في ذكر قصور حمير ومحافدها[٢] ومدنها ودفائنها.

التاسع: في أمثال حمير وحكمها واللسان الحميري وحروف المسند.

العاشر: في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها[٣].

وهكذا نجد أن هذا الكتاب هو سجل كامل لتاريخ وحضارة اليمن.

وقد صرح القفطي[٤] أنه يتعذر وجوده تماماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن أدى إلى أن أعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب، وتتبعوا إعدام النسخ منه فحصل نقصه لهذا السبب.

---

(١) الأكوع. مقدمة سرائر الحكمة ص ٢٢، ٢٣.

(٢) محافد: جمع محفد على وزن مفعل هي قصور الملوك التي فيها الحفدة وهم الأعوان والخدم (نشوان الحميري. منتخبات في أخبار اليمن في كتاب شمس العلوم ص ٢٧ - ط٢ - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م - وزارة الإعلام - اليمن).

(٣) القفطي. الأنباه جـ١ ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) أنباه الرواة جـ١ ص ٢٨٣ - روزنثال علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢١٧، ٢١٨.

ومن هنا فإنما وُجد حتى الآن من هذا الكتاب سوى أربعة أجزاء: الأول والثاني والثامن والعاشر فقط.

وبما أن الارتباط وثيق بين الجغرافيا والتاريخ فإن ما كتبه الهمداني في الجغرافيا وهو كتاب (صفة جزيرة العرب) يتخلله الكثير من المعلومات التاريخية القيمة بل إنه استغل مهارته ومعرفته بالجغرافيا الفلكية والتنجيمية فسخرها في كتاباته التاريخية(١).

والأمر ذاته بالنسبة للغة فالصلة بينها وبين التاريخ جوهرية كما قد ذكرناه آنفاً. ومن هنا فإن كتاب (الدامغة) يفيض بالوقفات التاريخية المتنوعة لحقبتي الجاهلية والإسلام.

وأما مصادره التي كان يستقي منها أخباره ووقائعه فهي متنوعة، وكثيراً جداً ما يشير إليها، وكان أحياناً يمحص المادة العلمية التي استقاها من ذلك المصدر(٢).

فأخبار اليمن القديم - غالباً - ما كان يستقيها عن وهب بن منبه (ت١١٠هـ)، وعبيد بن شرية (ت ٦٧ أو ٧٠هـ)، وهشام الكلبي (ت٢٠٤هـ)، وابن إسحاق (ت ١٥١هـ)(٣)، ....

---

(١) كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ٧٣، ٨١.

(٢) ففي الإكليل جـ٢ ص ٦٠ صحح شيخه نصر الحنبصي بعضاً من معلوماته - وفي ص ٤٦٥ أشار إلى أنه صحح الكثير من الأخبار والسير، ونبّه إلى ما فيه اختلاف لأن الأخبار القديمة عند جميع الأمم قد زيد فيها ونقص. ويشير في جـ٨ ص ١٢٧ إلى بعض ما يرويه بأنه خرافات. وهكذا.

(٣) ويوجد هذا بوضوح في القسم الأول من الجزء الأول من الإكليل. وتكرر هذا كثيراً في الجزء الثامن.

وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني: الذماري أبو عبد الله. مؤرخ. كثير الأخبار عن الكتب القديمة. عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس في اليمن وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، وفي وفاته اختلاف قيل سنة ١١٠ و١١٤ و١٢٠ هـ. (الزركلي. الأعلام جـ٩ ص ١٥٠).

عبيد بن شرية الجرهمي: رواية من المعمرين، أول من صنف الكتب من العرب حيث أملي كتابين بأمر من معاوية بن أبي سفيان، وهو من الخطباء الحكماء في الجاهلية وكان في صنعاء واستقدمه معاوية إلى دمشق وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. (الزركلي. الأعلام جـ٤ ص٣٤١).

=

ومع هذا فقد انتقد نساب العرب لتقصيرهم في أنساب اليمن[١].

أما مصادره الأخرى الكثيرة فهي إما أن يتلقى معلوماته مشَافَهَةً من علماء القبائل[٢] أو علماء الأنساب المتضلعين بأنساب اليمن وفي مقدمتهم أبي نصر الحنبصي[٣] الذي أخذ عنه الكثير من معلوماته عن قبائل اليمن، ومع هذا فقد استقى من مصادر أخرى عديدة ويهمنا هنا تلك التي كانت مكتوبة: منها «سجل خولان وحمير بصعدة» و«سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية»[٤] و«زبور قديم يتضمن نسب اللعويين بريدة»[٥]، و«مشجر نسب أولاد الهميسع»[٦] إلى غير ذلك مما هو متناثر في تراثه الباقي بين أيدينا بالإضافة إلى مشاهداته، أو معاصرته للأحداث لأنه كان رحالاً منقباً عن الأخبار دارساً للخط المسند ترجم نقوشاً حميرية أو رواها عمن قراها[٧].

ولذا استخدم العديد من النقوش التي ترجمها أو سمعها ممن روى عنهم، وهذا

= **هشام الكلبي**: هشام بن محمد أبي النصير بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب، وأيامها، من أهل الكوفة وتوفي بها، له نيف ومائة وخمسون كتاباً (الزركلي. الأعلام جـ٩ ص ٨٧).

ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني. من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة له السيرة النبوية سكن بغداد ومات فيها. (الزركلي. الأعلام جـ٦ ص ٢٥٢).

(١) الإكليل جـ١ ص ٨٤، ٨٥.

(٢) انظر مثلاً: الإكليل جـ٢ ص ١٤، ٢٠٠ وجـ١٠ ص ٨٢، ٨٦، ٨٨، ٢٢٩.

(٣) انظر: الإكليل جـ١ ص ٨٥، ٤٥٥، جـ٨ ص ٢٢٣ - أبو نصر الحنبصي: هو أبو نصر محمد بن عبد الله بن سعد. يصل نسبه إلى أحد ملوك حمير، وقد وصفه الهمداني بقوله: « شيخ حمير وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما أدخرته ملوك حمير في خزانتها من مكنون علمها وقارئ مساندها والمحيط بلغاتها». (الإكليل جـ١ ص٨٥) وقد هرب بدينه من القرامطة من صنعاء التي كان يسكن بالقرب منها في قصر جده ببيت حنبص واستقر بصعدة إلى أن انتهى أمر القرامطة. [مسلم اللحجي. تاريخ مسلم (ق ٢٨٣) - نشوان الحميري. ملوك حمير ص ١٦٢، ١٦٣. ويحيى بن الحسين. طبقات الزيدية الصغرى ص ٤٧].

(٤) الإكليل جـ١ ص ٢٦٩، ٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه جـ٨ ص١٦٩، ١٧٠، ١٧١، وجـ١٠ ص ١١١.

(٦) الإكليل جـ٢ ص ٣٩٢

(٧) انظر: الإكليل جـ٨ ص ٨٢، ١٩٦ وجـ١٠ ص ١٦، ١٩.

خلاف ما زعمه (روزنثال)[١] في تعميمه الذي أطلقه بأن كل ما قيل عن قراءة النقوش في التاريخ الإسلامي هي موضوعات، وقد وصف كراتشكوفسكي[٢] الهمداني بالجغرافي وعالم الآثار المشهور.

ولم يهمل الهمداني النقود التي كان يدرسها بل جعلها ضمن مصادره التي اعتمد عليها[٣].

إلا أن كل قارئ لكتبه يشم فيها بوضوح عصبيته لقومه حيث يحاول إضفاء كل فضيلة عليهم، حتى إنَّه لا يجد عند العدنانيين منقبة إلاَّ وأشار إلى مثلها عند اليمانية[٤].

الكلاعي مؤرخاً:

وعلى الاتجاه نفسه ظهر في أواخر القرن الرابع الهجري أبو بكر محمد بن الحسن - أو الحسين - بن محمد الكلاعي (ت ٤٠٤هـ)[٥] وقد وصفه يحيى بن الحسين[٦] بقوله: «كان فقيهاً نبيلاً نحوياً ولغوياً عارفاً بالسير والتواريخ والأنساب وأيام العرب والعجم وحروب الجاهلية، ووقائعها، والمناقب والمثالب شاعراً فصيحاً مترسلاً». ووصفه الأكوع[٧] بقوله: «المؤرخ اليمني الوزير الشهير».

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين ص ١٧٤، ١٧٥.

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي جـ١ ص ٧٣، ٨١.

(٣) الهمداني. الجوهرتين ص ١٣١ وما بعدها حيث ذكر النقود وما يكتب عليها عند كل أمة وما يستخلص منها في الأمم الماضية والدولية الإسلامية.

(٤) انظر مثلاً: الإكليل جـ٢ ص ٤٥١ وجـ١٠ ص ٦٥، حتى إنَّه في جـ٢ ص ٤٤٥ حاول أن يميز الأسماء التي يقع فيها التشابه بين حمير وغيرهم من العرب.

(٥) ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ٤ ص ١٧٩، ١٨٠ - الجنداري. الجامع الوجيز (ق ٤٤/ب) إلا أن اسمه عنده: محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد الكلاعي - القفطي. المحمدون من الشعراء ص ٣٥٨.

(٦) طبقات الزيدية الصغرى ص ٥٦.

(٧) مقدمة سرائر الحكمة ص ١٧.

وقد أشرت سابقاً إلى أثره في الأدب. ويبدو أن العصبية التي قام عليها إنتاجه العلمي كانت خلف فقدانها أو إعدامها لترصد أصحاب المثالب لها لأن ما عرف من أسماء كتبه تدل على هذه العصبية والذي يخص التاريخ اثنان منها: وهما:

كنز المآثر في مفاخر قحطان، والأنوار في مفاخر قحطان.

ولا نعلم ما إذا كانا موجودين أم لا[١]؟ ومن ثم لا نعلم شيئاً عن مصادره ومنهج كتابته التاريخية.

سادساً: علم الجغرافيا[٢]:

قبل القرن الثالث الهجري لم يكن علم الجغرافيا يحتل مكاناً مرموقاً بحيث يمثل علماً مستقلاً بذاته.

فقد كان وصف الأقاليم والطرق والمفاوز يدخل ضمن كتب السير والمغازي والفتوح[٣] كما كان علماء اللغة يضيفونها إلى كتبهم بهذا الاعتبار أيضاً حتى إنَّ هذه الصلة ظلت قائمة خلال قرون متعاقبة[٤].

---

(١) الحبشي. المصادر ص ٤٠٤.

(٢) الجُغرافيا (وتنطق أحياناً بفتح الجيم) كان يطلق هذا الاسم على كتاب بطليموس المعروف في الجغرافيا وقد فسرت هذه الكلمة بأنها قطع الأرض، واستعملت لأول مرة بمعنى (علم الجغرافيا) في رسائل (إخوان الصفا) وفسرت بأنها (صورة الأرض)، ولم يصبح لهذه الكلمة المعنى المعروف اليوم من علم الجغرافيا إلا في أزمنة حديثة بعض الشيء بينما كان يطلق على هذا العلم: علم تقويم البلدان. أو المسالك والممالك أو تخطيط الأقاليم. وقد قسمت العلوم البحتة إلى خمسة أصول: علوم الرياضة، والهندسة، والهيئة، والعدد، والموسيقى، وأدخل علم الجغرافيا ضمن فروع الهيئة الذي يشمل مصطلح الجغرافيا بالمعنى الحديث (انظر: طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ٣٧٢، ٣٧٩ - ٣٨٩ - جمال الفندي (الدكتور). الجغرافيا عند المسلمين ص ١١، ١٢. ترجمة/ إبراهيم خورشيد وأخوان. سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية ط الأولى ١٩٨٢م دار الكتب اللبناني. بيروت).

(٣) نقولا زيادة (الدكتور). الجغرافيا والرحلات عند العرب. ص ١١. دار الكتاب اللبناني. بيروت - جب. علم التاريخ ص ٧١ - كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ٧١ - روزنثال- علم التاريخ عند المسلمين ص ١٤٨.

(٤) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ١٤ - كحالة. عمر رضا. التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية ص ٢١٨، ٢١٩. المطبعة التعاونية. دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ومنذ مستهل العصر العباسي انتقلت المعرفة الجغرافيا الهندسية والفارسية واليونانية إلى العرب(١)، وكانت محصورة غالباً في الجغرافيا الفلكية.

أما الجغرافيا الوصفية أو الجغرافيا الإدارية والسياسية فقد توفرت لها ظروف ودفعتها ضرورات أدت إلى نشوئها كتحديد الطرق الكبرى والمناطق سياسياً وإدارياً وتعيين محطات القوافل على طرق الحج.

وهذا المنحى في الجغرافيا ظهر في القرن الثالث الهجري(٢)، الذي يعد بداية حقبة جديدة بالنسبة للجغرافيا تمتد حتى القرن الخامس الهجري(٣).

وفي القرن الثالث ظهرت كلمة الجغرافيا وهي كلمة يونانية وترجمت (بصورة الأرض)(٤) وهذا يدل على بداية التأثير اليوناني مما حدا بأحد الباحثين أن يطلق على مجموعة الجغرافيين الذين كتبوا في هذا المجال في القرن الثالث الهجري المدرسة اليونانية العربية، وذلك لأنهم تأثروا ببطليموس(٥) وآرائه الجغرافية من ناحية أخذ الأطوال والعروض والمواقع، وقبول تقسيم العالم إلى سبعة أقسام كما قسمه بطليموس(٦).

ولكن القرن الرابع تميز بنشاط حركة التأليف الجغرافي على مستوى بلاد الإسلام عامة(٧)، مع الرغبة والمحاولة في الاستقلالية وإعمال الفكر لمخالفة المدرسة

---

(١) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ٩٠ - طوقان. قدري حافظ. تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ١٠١ - ١١٥. دار الشروق - بيروت والقاهرة - كرامرز. الجغرافيا والتجارة ص ١٣٢، ١٣٣ (بحث ضمن كتاب تراث الإسلام).

(٢) زيادة. الجغرافيا والرحلات ص ١١ - جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ٢٦ - وكحالة. التاريخ والجغرافيا ص ٢١٦، ٢١٧ - كرامرز. الجغرافية والتجارة ص ١٣٥.

(٣) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ٩٠.

(٤) كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ٩٩ - كحالة التاريخ والجغرافيا ص ٢٢٢ وقد ظهرت كلمة الجغرافيا حين ترجم كتاب الجغرافيا لبطليموس.

(٥) ستأتي ترجمته بطليموس في علم الفلك ص ٣٣٣.

(٦) زيادة. الجغرافيا والرحلات ص ١٧، ١٨.

(٧) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ٣١ - كرامرز. الجغرافيا والتجارة ص ١٣٦.

اليونانية، وكان أبو زيد البلخي (ت ٣٢٢هـ) أول من فتح هذا الباب[١] حيث وضع أول أطلس عربي ألحقه بكتابه صور الأقاليم[٢].

ومن هنا يمكن تقسيم الكتب الجغرافية التي وضعت في القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى ثلاث فئات.

الأولى: كتب تتناول العالم في عمومه وتتناول مملكة الإسلام في تفصيل أكبر بحيث تشمل الجغرافيا الرياضية والفلكية والطبيعية والبشرية والاقتصادية.

الثانية: كتب أطلق عليها (المدرسة البلخية) لتبعية معظمها لأبي زيد البلخي وقد قصروا كلامهم على مملكة الإسلام[٣].

الثالثة: كتب خصصت لقطر واحد أو إقليم بعينه أو مملكة محددة[٤].

وبذا فإن معظم كتب المسالك أو الجغرافيا الوصفية وضعت في القرنين الثالث والرابع الهجريين[٥]. هذا ومن الملاحظ أنه بمجرد انتشار الجغرافيا الفلكية ظهر الاهتمام بعمل جداول فلكية عرفت (بالزيج) وهي جميعها بالتقريب تعطينا أطوال عروض المواضع الجغرافية موزعة على الأقاليم السبعة[٦].

---

(١) زيادة. الجغرافيا والرحلات ص ٣١، ٣٢ - أبو زيد البلخي: أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ) تلقى علمه في بغداد وله كتب عديدة في علوم متفرقة وكان أول من استقل عن بطليموس (انظر: المصدر السابق - ابن النديم. الفهرست ص ١٩٨).

(٢) كحالة. التاريخ والجغرافيا ص ٢٢٦.

(٣) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ١١١ - ١١٣ - كحالة. التاريخ والجغرافيا ص ٢٢٨ - ٢٣٠ ومن الفئة الأولى: ابن خرداذبه (ت ٢٨٠هـ) واليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) والمسعودي (ت٣٤٦هـ) - ومن الثانية: الإصطخري (ت ٣٤٦هـ) والمقدسي (ت ٣٨٠هـ) - ومن الثالثة: محمد بن يوسف الكندي (توفي بعد ٣٥٥هـ) في كتابه الخطط المصرية - والهمداني. الآتي ذكره إن شاء الله.

(٤) زيادة. الجغرافيا والرحلات ص ١٢ - جمال الفندي: الجغرافيا عند المسلمين ص ٣٨، ٤١ - كحالة. التاريخ والجغرافيا ص ٢٣١، ٢٣٢ - كرامرز. الجغرافيا والتجارة ص ١٣٨.

(٥) أيمن فؤاد سيد. مقدمة كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري. القسم الخاص باليمن ص ١٢ دار الاعتماد.

(٦) كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ٧٥، ١٠٥ - كحالة. التاريخ والجغرافيا ص ٢٢١، ٢٢٢.

ولذلك كانوا يستخدمون العلوم الرياضية والفلكية هذه في استخلاص تحديد وقت للحوادث، وقد استغل المؤرخون هذا الأمر - كما قلت آنفاً -[١].

وكانت أهم مميزات الكتابات الجغرافية في هذا الوقت:

١ - الاعتماد على المشاهدة الشخصية والرحلات، والحس.

٢ - العناية بالمسالك والطرق والمسافات.

٣ - ندرة الإحصاءات عند الجغرافيين بل انعدامها غالباً[٢].

حركة علم الجغرافيا في اليمن:

وإذا اتجهنا إلى اليمن لنرى ما تم بها في هذا المضمار فإننا لن نجد نتاجاً جغرافياً البتة في القرن الثالث الهجري - حسب ما توفر لهذا البحث من مصادر - إلا إذا استثنينا الإشارات التي وردت في كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي تلك الإشارات التي رواها ابن عبد الوارث - وهو من رجال القرن الثالث والرابع الهجريين كما أثبتناه في فرع التاريخ. فقد وجد الرازي[٣] بخط علي بن عبد الوارث حديثاً طيباً عن تحديد صنعاء وعماراتها... بل وإحصاءات عن دورها، ومساجدها، ومساكنها، وحماماتها، ومصانعها، وحوانيتها. ونقل عن وثيقة بخط القاضي سليمان بن محمد النقوي نقلها من وثيقة بخط أبي قرة عن إحصاء لدور صنعاء في زمان جفتم (الذي كان والياً عباسياً على اليمن قبل سنة ٢٨٦هـ). ثم أورد إحصاءات في أزمان مختلفة وهذا خلاف ما قيل عن انعدام الإحصاءات عند الجغرافيين العرب[٤].

أما في القرن الرابع الهجري فإن الهمداني قد غطى هذا الجانب وبرز فيه، فهو يمثل الجغرافية التخصصية في الإسلام المعروفة بالجغرافيا الإقليمية أو المحلية

---

(١) جب. علم التاريخ ص ٨٧، ٨٨ - روزنثال. علم التاريخ عند المسلمين ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) زيادة. الجغرافية والرحلات عند العرب ص ١٣.

(٣) تاريخ صنعاء ص ١٠٥ - ١١٥.

(٤) زيادة. الجغرافيا والرحلات عند العرب ص ١١٣.

ويتمثل هذا في كتابه النفيس (صفة جزيرة العرب) التي يصفها فيه وصف العارف الخبير[١]، ولعله من المفيد هنا أن نثبت ملخص ما ذكره كراتشكوفسكي[٢] من تحليلات حول الهمداني وكتابه صفة جزيرة العرب حيث قال:

«إن كتاب صفة جزيرة العرب يعتبر إلى جانب كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي أقيم ما أنتجه العرب في الجغرافيا».

«ولا يمكن ضمه إلى المؤلفات الجغرافيا اللغوية المفردة لجزيرة العرب لأن الهمداني كان بلا شك على علم تام بالمادة الجغرافية اللغوية التي عرفها المؤلفون السابقون له في القرن الثالث الهجري، وكان أيضاً على معرفة تامة بالجغرافيا الفلكية الرياضية».

«ومن الواضح أن وصفه لليمن يعتمد على الملاحظة الشخصية، مع الإفادة من المادة اللغوية، أما وصف بقية الجزيرة العربية فيعتمد فيه أساساً على الرحالة والحجاج».

«وللهمداني معرفة جيدة ببطليموس وهو يبدأ كتابه بمقدمة رياضية جغرافية وافية لتحديد الأطوال والعروض ووصف للأقاليم السبعة للأرض أما القسم الأساسي من كتابه فقد كرسه لوصف جزيرة العرب».

«وهو يكشف دائماً عن معرفة لا تجارى بالآثار والنقوش القديمة التي حاول أحياناً أن يفك رموزها».

«أما في مجال الجغرافيا الإقليمية فإن كتاب الهمداني يمتاز على جميع مصنفات القرنين التاسع والعاشر - أي الثالث والرابع الهجريين - ولا يبرزه في القرن العاشر -

---

(١) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ١٥، ٤١، ٤٢ - زيادة. الجغرافيا والرحلات ص١٢.

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ١٧٠ - ١٧٢. نسب المستشرق الهولندي البروفسور جي. أج. كرامرز في بحثه عن الجغرافيا والتجارة ص ١٣٨ (ضمن تراث الإسلام) نسبة إلى ابن الفقيه الهمداني وهو خطأ واضح.

أي الربع الهجري - إلا أثر واحد. ذلكم هو كتاب: الهند للبيروني (ت ٤٤٣هـ)»[١].

ونلفت الانتباه - بعد هذا التلخيص لما ذكره كراتشكوفسكي عن الهمداني - إلى أنه بالرغم من اعتماد على ملاحظاته الشخصية، ورحلاته فإن هذا يصدق على اليمن ولا يصدق على بقية الجزيرة العربية، ولذلك لا يبعد أن يكون قد استقى بعض معلوماته عن جغرافيين سابقين خاصة أنه أفادنا في أحد كتبه أنه رجع إلى كتاب ابن خرداذبه (ت ٢٨٠هـ)[٢].

ومن عادة الجغرافيين أنهم كانوا يصدرون كتبهم الجغرافية الوصفية بالحديث عن الجغرافيا الرياضية والطبيعية والبشرية[٣]. فكذلك فعل الهمداني في صفة جزيرة العرب، بالإضافة إلى أنه كان يشير إلى طوالع المدن وأطوالها في كتبه الأخرى[٤]. وكان إذا رجع إلى علماء الجغرافيا الفلكية لا ينسى أن يذكر علماء اليمن فيأخذ عنهم ويرجح - أحياناً - أقوالهم[٥].

وهو حينما يتحدث عن شكل الأرض، وأنها ليست بمسطحة ولا ببساط مستوى الوسط والأطراف ولكنها مقببة.. يتحدث عن قياساتها وكأنه خبير؛ لأنه يحلل ويضرب الأمثلة.. ثم يرسم صورة للأرض ويقسمها إلى أقاليم سبعة ويبين خط الاستواء[٦]. بل يصرح بوضوح تام بكروية الأرض، ودوران كل الكواكب، وعلل لذلك ويشير إلى أن ضوء القمر يستمد من شعاع الشمس، وهكذا[٧].

---

(١) البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي الملقب ببرهان الدين(٣٦٢ - ٤٤٣) فيلسوف ومؤرخ وطبيب وكيميائي ورياضي، وفلكي ومنجم. (موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ص ٦٤ لمجموعة من الباحثين منهم بول غليونجي. دار ومطابع المستقبل. القاهرة).

(٢) الهمداني. الدامغة ص ٤٧٨.

(٣) جمال الفندي. الجغرافيا عند المسلمين ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) الهمداني. الإكليل جـ٨ ص ٣٨، ٧٨، ٧٩.

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٣، ٥٣ - ٥٥ والمقالة العاشرة ص ٨٨.

(٦) المصدر نفسه ص ٨٧.

(٧) الهمداني. الجوهرتين ص ٣٠، ٣٨. وهذا ينقض ما يدعيه علماء الغرب من أنهم هم الذين اكتشفوا كروية الأرض (انظر: الدفاع. علي عبد الله (دكتور). أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ص ٢٩. ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. مؤسسة الرسالة. بيروت).

ونشهده وهو يحكي المذاهب في الأطوال ثم يرجح بينها وكأنه قاسها بنفسه(١). وإذا ما تطرق إلى بعض الظواهر الجيولوجية (علم الأرض) لتفسيرها مثل الزلازل فسرها تفسيرات مبدعة(٢).

أما حينما يصف جزيرة العرب فهو يحصيها بلداً بلداً، ومرحلة مرحلة، ويذكر القرى والمدن وسكانها ولغاتها وما يتميزون بها. بل يذكر بعض رجالاتها وزعمائهم ويصف غلاتها النباتية والحيوانية والمعدنية. ويتطرق إلى وحوشها وصناعاتها ووسائل ريِّها - إلى غير ذلك - ويُدَبِّج - أحياناً - بعض كلامه بالقطع الشعرية.

وقد وصفه أحد الباحثين في ندوة عالمية(٣) أنه ألم بكل ما حوته جزيرة العرب «فكأنه أعد دون أن يشعر أو يفكر قائمة لجميع مسميات خريطة طوبوغرافية(٤) لم تطبع بعد».

ومن مميزاته التي يحمد عليها أنه حرص على جمع جهود من سبقه في العمل الذي يقوم به، فهو لم ينته من كتابه صفة جزيرة العرب حتى خلَّد لنا نصاً جغرافياً سجل بوسيلة الشعر. وقد عمل وسعه للحصول عليه وأثبته في نهاية الكتاب ويسمى:

«أرجوزة الحج» لأحمد بن عيسى الرداعي الذي يصفه الهمداني بقوله: «لا نعلم أحداً وصف جزيرة العرب مسافة أربعة وعشرين يوماً بشعر طبعي، ونشر بصفة الإبل والفلوات سوى أحمد بن عيسى الرداعي»(٥).

ولم ترد هذه الأرجوزة في أي مصدر آخر قبل الهمداني وكل من جاء بعده استقاها منه.

---

(١) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٣٣.

(٢) انظر: الهمداني. الجوهرتين ص ٣٩.

(٣) هو عبد المجيد الذويب في بحثه الذي قدمه عن الجغرافيين العرب في الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ جزيرة العرب. جامعة الرياض سنة ١٩٧٧م. (انظر: أحمد رمضان أحمد (الدكتور). الرحلة والرحالة المسلمون ص ٩٩، ١٠٠. دار البيان العربي. جدة).

(٤) الطبوغرافية: هي الوصف أو الرسم الدقيق للأماكن أو لسماتها السطحية. أو السمات السطحية لموضع أو إقليم وتشمل الهضاب والأودية والبحيرات والأنهار والطرق والجسور.. الخ (انظر: منير البعلبكي. المورد ص ٩٧٧. ط ١٩٧٨م دار العلم للملايين. بيروت).

(٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٤٠٠. والأرجوزة تضم الصفحات من ٤٠١ - ٤٥٨.

الفصل السابع

العلوم العقلية والطبيعية

- علم الكلام
- علم الفلك (الهيئة)
- علم الطب
- علم الكيمياء

تمهيد:

حاولت في هذا الفصل أن أجمع فيه العلوم التي يربطها عامل مشترك أساسي وهو ما كان للقياسات العقلية فيه دور كبير، إن لم يكن هو الأساس. بالإضافة إلى الجانب التجريبي الذي هو أيضاً يعتمد على الافتراضات النظرية العقلية، فوجدت أن هذه العلوم من العلوم التي أتى لها ذكر في الحياة العلمية في اليمن.

وهي تشمل: علم الكلام، وعلم الفلك، والطب، والكيمياء.

ولهذا ضممتها جميعاً في حزمة واحدة وجعلتها في فصل واحد.

وعملت - كما في كل علم سابق - على إعطاء صورة مُيَسَّرة عن حركة هذه العلوم في الحضارة الإسلامية بصفة عامة كتمهيد لإدراك مساحة هذه العلوم في الحياة العلمية في اليمن.

أولاً: علم الكلام

حركة علم الكلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري:

كثير ذلك الذي كُتِبَ عن علم الكلام سواءً في القديم أم الحديث.. وسواء أكان مدحاً أم قدحاً.. اختصاراً أم شرحاً.

وليس ما يعنينا هنا أن نجمع ما قاله الأولون والآخرون حول هذا العلم لنملأ به الصفحات، وإنما الذي يعنينا أن نكشف عن الدور الذي اضطلع به اليمن في علم الكلام من زاويتي: الرجال الذين أمسكوا بزمام هذا الأمر، والنتاج الذي تركه أولئك الرجال.

ومع أن ذاك هو مقصودنا هنا إلا أنه من مستلزمات الموضوع أن نقدم بين يديه بتقدمة موجزة عن علم الكلام بصفة عام.

فقد أشرت في الفصل الرابع إلى الاختلاف الذي حصل ويحصل بين البشر، وأنه كان يدور حول رب الأنام أو حول الإمام أو حولهما معاً. وأن الاختلاف طبع بشري يكمن في النفس البشرية فينشأ تلقائياً، وقد يغذى بأيدٍ خارجية فينمو، وتتفرج

الزاوية حتى يصبح البون شاسعاً بين الأصل الذي كانوا مجتمعين عليه وبين الفرع الذي شذ عن أصله.

فالله سبحانه وتعالى وصف لنا الإيمان من تصديق واعتقاد وإقرار وعمل، وحدد قواعد العقائد الإيمانية في آيات ونصوص واضحة محكمة. فأخذ السلف تلك الأدلة وأرشد إليها العلماء وحققها الأئمة.. ثم عرض بعد ذلك الخلاف في تفاصيل هذه العقائد وأكثر مثارها حول الآي المتشابهة؛ فدعا ذلك إلى الجدل والخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل، فحدث بعد ذلك علم الكلام[١].

وكما هو واضح من اللفظ أن الكلام مقابل الفعل، والمتكلمون يقولون في أمور ليس تحتها عمل فكلامهم نظري لفظي[٢] أي يرتبط في النواحي الاعتقادية.

وما دام عمل المتكلمين يقوم على أساس من إثارة المتشابهات في النصوص فقد نشأ في مبدأ أمره تلقائياً[٣] نابعاً من طبيعة الإنسان (المجادلة)، ونشأ في مقابل ذلك من تصدى لهذه الأقاويل من العلماء؛ فكثير من الفقهاء والمحدثين والمتصوفة وغيرهم حاولوا أن يصوغوا أساس عقيدتهم في أبحاثهم الخاصة، وكانوا يطلقون على ذلك غالباً اسم: العقيدة أو التوحيد أو الأصل أو الإيمان، أو يصفونه بمقدمة في أصول الدين، أو أنه الفقه الأكبر. واستمر الحال على ذلك حتى أواخر القرن الثالث الهجري[٤].

وكان علم الكلام في خلال هذه القرون الثلاثة غالباً غير مقبولٍ عند جميع العلماء. وقد أورد السيوطي في كتابه (صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام)[٥]. الكثير من النصوص التي تَنْهَى وتُكرِّه وتُحرِّم علم الكلام... والانشغال به.

---

(١) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٢٩، ٨٣٠. وانظر: أبو زهرة. محمد (الشيخ). تاريخ الجدل ص ٨ - ١١ و٧٦ - ٨١ ط. الثانية - ١٩٨٠م.

(٢) مصطفى عبد الرزاق. تهميد لتاريخ الفلسفة ص ٢٦٨ لجنة التأليف.

(٣) كارادوفو. الغزالي ص ٢٢، ٢٣. والترجمة - ١٩٤٤م.

(٤) سزكين. تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٣٦٧.

(٥) سبق تحديد طبعته.

وكان يطلق على المعتزلة غالباً أنهم هم أهل الكلام(١) لانشغالهم بالبحوث النظرية للقضايا الكلامية.

ولا بد من ملاحظة عمل آخر - غير التلقائية - فقد وقف وراء ذيوع ما سمي بعلم الكلام حيث تسلل ذلك الفكر اليوناني، والبحوث اللاهوتية المسيحية واليهودية إلى وسط المجتمع الإسلامي، وقد عملت الكنائس المسيحية على إدخال تلك البحوث إلى المجتمع الإسلامي قاصدة إحداث الفرقة والانقسام(٢).

وقد تحدث السيوطي(٣) حول هذا فقال: علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم لكنها لم تكثر فيها ولم تشتهر بينهم لما كان السلف يمنعون الخوض فيها.

وقد ثبت مؤخراً أن الفكر اليوناني والإلهيات المسيحية ظلت تدرس في مدرسة الإسكندرية التي كانت قائمة بذلك التعليم(٤)، ثم انتقلت في عهد عمر بن عبد العزيز إلى أنطاكية، ثم انتقلت إلى حران في أيام المتوكل، أما في عهد المعتضد فكانت في بغداد(٥).

---

(١) كارادوفو. الغزالي ص ٢٠.

(٢) وهذه شهادة واحد منهم وهو: الفريد غيوم في مقاله الذي كتبه عن علم الكلام ضمن كتب تراث الإسلام ص ٣٦٣، ٣٦٤ - أشرف على إخراجه سير توماس أرنولد - ترجمة وتعليق جرجس فتح الله المحامي دار الطيعة - بيروت - ط - الثالثة - ١٩٧٨م. انظر: آدم متز. الحضارة الإسلامية جـ٢ ص ١٩ - أبو زهرة تاريخ الجدل ص ٨٠.

(٣) صون المنطق ص ١٢.

(٤) النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ١ ص ١٠٣ - ١٠٥، انظر ابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ) عيون الأنباء في طبقات الأطباء جـ٢ ص ١٣٥ - دار الثقافة - بيروت.

(٥) المسعودي. التنبيه والإشراف ص ١٠٥ - انظر: محمد كرد علي الإسلام والحضارة العربية جـ٢ ص٣٨، ٣٩.

وأنطاكية: مدينة فخمة في الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة - فتحت على يد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (ياقوت. معجم البلدان جـ١ ص ٢٦٦ - ٢٧٠).

وحران: مدينة عظيمة على طريق الموصل والشام والروم وفتحت في أيام عمر بن الخطاب. (ياقوت. معجم البلدان جـ٢ ص ٢٣٥، ٢٣٦).

ومعنى هذا أن الأفكار غير الإسلامية كانت تعمل على الوصول إلى الفكر الإسلامي بهدوء، حيث أصبحت معيناً آخر للثقافة والتلقي والاستمداد إلى جانب الكتاب والسنة في الوقت الذي كان السلف يحذرون من اختلاط المصادر فيقول عبد الله بن عباس: «إن هذا العلم دِيْنٌ فانظروا عمَّنْ تأخذونه»[١].

وكان دخول هذه الأفكار بصورة أوضح على يد الدولة العباسية، ويعلل السيوطي[٢] هذا بأنها دولة قامت بالفرس «وكانت الرياسة فيهم وفي قلوب أكثر الرؤساء منهم الكفر والبغض للعرب ودولة الإسلام، فأحدثوا في الإسلام الحوادث التي تُؤْذِنُ بهلاك الإسلام».

ففي عهد أبي جعفر المنصور ترجمت كتب أرسطاطاليس المنطقية[٣].

وفي عهد هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) تولى يحيى بن خالد البرمكي (ت١٩٠هـ) إخراج كتب يونانية إلى أرض الإسلام فترجمت إلى العربية، وشاعت في أيدي المسلمين[٤]، ولعلَّه حينما تم القضاء على البرامكة تنبه هارون الرشيد إلى خطورة هذه الكتب فنهى عن الكلام وأمر بحبس المتكلمين[٥]، مع العلم أن الحرب كانت مشبوبة ضد الزنادقة منذ عهد المهدي (ت ١٦٩هـ)[٦].

---

(١) السيوطي. صون المنطق ص ٨١.

(٢) صون المنطق ص ٧.

(٣) صاعد. طبقات الأمم، ص ٧٧. انظر: النشار. نشأة الفكر الفلسفي جـ١ ص١٠٩.

(٤) السيوطي. صون المنطق ص ٧.

يحيى بن خالد بن برمك (١٢٠ - ١٩٠هـ) مؤدِّب هارون الرشيد ولما ولي هارون الخلافة دفع إليه خاتمة وقلده أمره واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه حتى مات (الزركلي. الأعلام جـ٩ ص ١٧٥).

(٥) المرتضى. المعتزلة ص ٣٢.

البرامكة: أسرة من الوزراء العباسيين تنتسب إلى جدها برمك، عاصرت قيام الدولة العباسية وكان برمك سادناً لمعبد في خراسان ولم يعتنق الإسلام ولكن ابنه خالد المولود عام ٩٠هـ أصبح من عداد الزعماء في خراسان وقد اشترك مع أبي مسلم الخراساني في نشر الدعوة العباسية... واستمر سلطانهم حتى تغير عليهم هارون الرشيد لأسباب كثيرة متداخلة (انظر: أحمد عطية الله القاموس الإسلامي جـ١ ص ٢٩٤).

(٦) شوقي ضيف. العصر العباسي الأول ص ٣٥، ٨٠، ٨١.

ومن هنا فإنه منذ بداية عهد الدولة العباسية ظهرت كتب علم الكلام[١].

وقد اكد الشهرستاني[٢] على أن علم الكلام ظهر في ثوبه المتكامل منذ عهد هارون الرشيد واستمر طوال عهود المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل.

وكان عهد المأمون هو زمن انتشار الفكر اليوناني؛ لأنه كان معتنياً بكتب الفلسفة وأداة تفكيره، ومن يحيطون به من علماء المعتزلة إلى أن جعل ما يعتقده هو عقيدة للمجتمع، وكان من أبرز هذه العقيدة ما عرف بفتنة خلق القرآن[٣].

وكان هذا ناشئاً من تعمق المعتزلة في كتب الفلسفة اليونانية[٤].

ومن هذا العهد - عهد المأمون وعلى مدى القرنين الثالث والرابع - ظهرت الفرق وتعددت وكثرت وأصبحت مختلفة المشارب والاتجاهات «وما منهم إلا من نظر في الفلسفة وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره»[٥].

وبما أنه قد ثبت شيوع الكلام على يد المعتزلة منذ أهل القرن الثاني الهجري[٦] وثبت تسرب كتب الفلسفة منذ بداية الدولة العباسية، وثبت أيضاً تلقف المعتزلة لهذه الكتب فإنه أصبح الزمام في أيديهم، حيث كان أكثرهم يدافعون عن الدولة العباسية[٧]. ومن هنا أصبح لهم سلطان سياسي ظل حتى عهد المتوكل (ت ٢٤٧هـ)

---

(١) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٦٦ - انظر: مصطفى عبد الرزاق. تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ٢٨٨ - السيوطي. صون المنطق ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) الملل والنحل جـ١ ص ٣٥.

(٣) السيوطي. صون المنطق ص ١٢ - طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٧٦ - ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٣٢، ٨٣٣ - القنوجي. أبجد العلوم جـ١ ص ١٣٤، ١٣٥.

(٤) الشهرستاني. الملل والنحل جـ١ ص ٣٢.

(٥) المقريزي. الخطط جـ٤ ص ١٨٤.

الإسفراييني: أبو المظفر (ت ٤٧١هـ) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين ص ١٤ وما بعدها. تحقيق محمد زاهد الكوثري - نشر مكتبة الثقافة الإسلامية - ط. الأولى ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م - القنوجي. أبجد العلوم جـ١ ص ١٣٤، ١٣٥.

(٦) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٦٦.

(٧) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٤ ص ٣٧.

أما بقاء علم الكلام في أيديهم فقد استمر حتى مطلع القرن الرابع الهجري حينما انبرى أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) ليثبت طريقة السنة والجماعة بمنهج المعتزلة نفسه[١].

ولم يأت الأشعري من فراغ، فقد أصبحت أفكار الناس متبلبلة واستدعت الحاجة الملحة إلى إعادة صياغة جديدة لعلم أصول الدين لمواجهة صياغة المعتزلة وأفكارهم[٢]، ولكن بنفس المنهج الذي اتخذه المعتزلة.

وإلى جانب التذبذب الفكري والثقافي في هذا الوقت كان هناك تضعضع في السلطان السياسي للمعتزلة، وقد استبدل به سلطان الشافعية في عهد المتوكل - كما يقال[٣] - فكان ظهور الأشعري ظهوراً طبعياً نتاجاً لهذه المرحلة ليعيد إلى العقيدة الإسلامية صفاءها ونقاءها والذي يؤيد هذا ظهور أبي منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)[٤] وأفكاره متقاربة مع أفكار الأشعري وكانا يمثلان قُطْبًا مذهب أهل السنة[٥] إلا أنهما نهجا في طريقتهما طريقة المعتزلة.. وهو الاعتماد على كتب الفلسفة. وإن كانا قد فرَّقا بين المنطق والفلسفة فأخذوا بقواعد المنطق وتركا مقولات الفلسفة[٦].

وظل علماء السنة يقارعون المعتزلة بالنهج الذي اتخذه الأشعري والماتريدي طوال القرن الرابع الهجري.

---

(١) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٣٤، طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٥٢، **الأشعري**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من أئمة المتكلمين، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافه.. وتوفي ببغداد عام ٣٢٤هـ (الزركلي. الأعلام، جـ٥ ص٦٩).

(٢) ألفريد غيوم، تراث الإسلام ص ٣٨٠.

(٣) بروكلمان. تاريخ الأدب العربي جـ٤ ص ٣٨.

(٤) الماتريدي (ت ٣٣٣هـ). أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، من أئمة علم الكلام، وله كتب كثيرة حنفي المذهب - وتوفي بسمرقند (الزركلي. الأعلام جـ٧ ص ٢٤٢) وينسب إليه مذهب الماتريدية أحد مذهبي أهل السنة (طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٥١).

(٥) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ٢ ص ١٥١.

(٦) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٣٤ - انظر: تراث الإسلام ص ٣٨٠، ٣٨١ - ومصطفى عبد الرزاق. تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ٢٩٤.

حركة علم الكلام في اليمن في القرنين الثالث والرابع:

كما عرفنا - آنفاً - فإن المعتزلة كانوا يتسلمون زمام علم الكلام منذ أوائل القرن الثاني الهجري حتى مطلع القرن الرابع الهجري، وليس هذا محصوراً في مصر دون مصر من الأمصار بل هذه هي الظاهرة التي كانت تعم كل الأمصار.

ففي مطلع القرن الثالث الهجري دار حوار بين الإمام عبد الرزاق وبين إبراهيم ابن يحيى ولا بد من إيراده بنصه لنستخلص منه ما يخصنا هنا:

قال إبراهيم: إني أرى المعتزلة عندكم كثيراً.

قال عبد الرزاق: نعم. ويزعمون أنك منهم.

قال إبراهيم: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك.؟!!

قال عبد الرزاق: لا.. ثم أردف قائلاً: «لأن القلب ضعيف وإن الدين ليس لمن غلب»[١].

من هذا الحوار نلحظ أن المعتزلة في القرن الثالث كانت صاحبة الغلبة في اليمن، وكان علم الكلام فيهم، وخاصة أن عصر سيادة المعتزلة السياسي كان في ذروة سلطانه في دار الخلافة.

كذلك نلحظ الإمام عبد الرزاق - وهو من رجال الحديث - لا يرى رأي المعتزلة، ويكره الدخول في علم الكلام ويعتبره سبباً لتغير دين المرء. ورأيه هذا لا يخرج عن رأي بقية أهل الحديث الذين كانوا يمثلون أهل السنة وإن كان خصومهم من المعتزلة قد دمغوهم بالجبر والتشبيه كما سبق في الفصل الرابع.

ولا أظن أن سلطان المعتزلة في اليمن قد اهتز بما قام به الخليفة المتوكل الذي قلّص من سلطانهم السياسي لأنه جَدَّ عامل جديد شَدَّ من أزرها في اليمن.

ففي الربع الأخير من القرن الثالث دخلت الزيدية اليمن وعلى رأسها الإمام

---

(١) السيوطي. صون المنطق ص ٥٣.

الهادي الذي يحمل أسس المعتزلة نتيجة تربيته على يدي أبي القاسم البلخي (ت٣١٩هـ) الذي كان أحد زعماء المعتزلة. وقد أشرنا إلى هذا في الفصل الرابع فأصبح الصراع بين المعتزلة متمثلاً بالزيدية التي اعتمدت في مبدأ أمرها - كما هو ملحوظ من رسائل الإمام الهادي وبنيه - على التركيز على مسألة الإمام، وهي المسألة التي تختلف فيها الزيدية عن المعتزلة.

وقد أكد المقبلي[١] على أن الزيدية «هم معتزلة في كل المواد إلا في شيء يسير من مسائل الإمامة».

حتى إنَّ الأصول الخمسة[٢] التي صاغها أبو الهذيل العلاف (ت٣٣٥هـ)[٣] كانت هي نفسها التي أوردها عند الزيدية - القاسم بن إبراهيم الرسي جَدّ الإمام الهادي، إلا أنه أبدل المنزلة بين المنزلتين بالكتاب والسنة ولم ينف هذا الأصل بل أدخله ضمن العدل والتوحيد[٤].

ومن هنا نرى المعتزلة هي القابضة على زمام علم الكلام في اليمن، وإذا كان لدخول الزيدية إلى اليمن أثر في انتشار المعتزلة إلا أنهم كانوا من قبل دخول الزيدية، ولكن المصادر لا تسعفنا أو تدلنا على علماء من المعتزلة في هذه الحقبة.

---

(١) العلم الشامخ ص ٨، ٩.

(٢) الأصول الخمسة عند المعتزلة هي التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين - (النشار. نشأة علم الكلام جـ١ ص ٤١٦، ٤١٧)، أما عند الزيدية فهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٨، ٩، والنشار. نشأة الفكر الفلسفي جـ١ ص ٤١٩- وعارف. أصول الاتفاق ص ٥٧).

(٣) أبو الهذيل العلاف: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي - ولد بالبصرة عام ١٣٥هـ واشتهر بعلم الكلام. وهو من أئمة المعتزلة، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات وتوفي بسامرا عام ٣٣٥هـ (الزركلي. الأعلام جـ٧ ص ٣٥٥ - والنشار. نشأة الفلسفة جـ١ ص ٤٤٣ وما بعدها).

(٤) المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٨، ٩، وتعتبر الرسالة العلمية التي وضعها الباحث أحمد عبد الله عارف تحت عنوان: أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة من أشمل ما كتب عن العلاقة بين الزيدية والمعتزلة.

ولم يظهر مؤلف واحد في اليمن - حسب ما بين أيدينا من مصادر - في القرن الثالث في علم الكلام المعتزلي أو غيره باستثناء ما ظهر من رسائل على يد الإمام الهادي وهي في مجملها عن النبوة والإمامة وثبوت إمامة علي رضي الله عنه مع بعض الرسائل الصغيرة حول بعض القضايا الكلامية كالعرش والكرسي، والمنزلة بين المنزلتين، والعدل والتوحيد، والعلم والقدرة والإرادة والمشيئة، وردود على القدرية والمجبرة... الخ[١].

وفي القرن الرابع كانت الغلبة الظاهرة للزيدية باعتبارها صاحبة دعوة وفكر معتزلي نابض بالحياة.

وقد أشرنا عند علم الفقه بأن الفقه الحنفي كان له السيادة في صنعاء وصعدة[٢]، وهي مناطق الزيدية. وقد اتهمتهم كتب الزيدية بأنهم كانوا مجبرة. ومع علمنا بأن الإمام أبا حنيفة كان له دور كبير في تقرير كثير من أصول الدين[٣]، فلا بد أن الأحناف هؤلاء كانوا ملتزمين بمذهب أبي حنيفة الكلامي السني، ولعلّ سند هذا الرأي هو ما وصف به المقدسي[٤] أهل تهامة وصنعاء بأنهم أهل سنة، على الرغم من أنه دخل اليمن في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري فهل هم سنيون على وفق ما ذكره أبو حنيفة؟ لعل هذا هو الاحتمال الأصوب.

وبالرغم من احتدام المعركة بين المعتزلة وأهل السنة من (أشعرية) و(ماتريدية) في بغداد ونيسابور في الربع الأول من القرن الرابع، إلا أن اليمن - كما يظهر من المعلومات التي وصلت إلينا في المصادر المتيسرة بين أيدينا - لم تصله هذه المعركة وقد يكون السبب هو الفتن والمعارك التي كانت تشمل اليمن جميعاً طوال القرن الرابع الهجري.

---

(١) انظر: المجموعة الفاخرة التي ضمت ثمانٍ وثلاثين رسالة من رسائل الهادي حول هذه المعاني.
(٢) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٦.
(٣) النشار. نشأة علم الكلام جـ١ ص ٢٣٤ - ٢٤٣.
(٤) المقدسي. أحسن التقاسيم ص ٩٦.

وقد أشرنا – في الفصل الرابع – إلى أنه ليس من المعقول أن مذهب الأشاعرة لم يدخل اليمن إلا في القرن السادس حسب ما أثبته يحيى بن الحسين في طبقاته[١]، لأن الأشعري شافعي المذهب، ولم ينقطع توارد علماء الشافعية من اليمن إلى بغداد أو غيرها لتلقي المذهب الشافعي، فلا يتصور ألا يكون الفكر الأشعري قد وصل إلى اليمن، ولكنه كما يبدو لم يكن هناك من العلماء البارزين من يتبنى الفكرة ويدافع عنها.

وهذا الذي يفسر ما جاء عن الكتاب الذي ألفه الفقيه الشافعي حسين المراغي وهو مختصر في العقيدة وقد اطلع عليه الجندي (ت ٧٣٢هـ) ووصفه بأنه موافق لمعتقد السنة[٢]. وهو كما يبدو كان أثراً من آثار المعركة القائمة بين السنة والمعتزلة ويظهر هذا من اسم المختصر هو (الحروف السبعة في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الضلال والبدعة)[٣] وإن كنت أميل إلى أنه يقوم في أسسه على المذهب الأشعري؛ لأنه كان أحد فقهاء العراق ثم نزح إلى مكة ثم إلى اليمن واستقر هناك ليموت في اليمن بعد عام ٣٨٩هـ[٤]. فلا يتصور أن يكون شافعي المذهب، ويعيش في العراق، ومهتم بعلم الكلام، وسني المعتقد، ثم لا يتأثر على الأقل بالأشعرية خاصة وأنه معاصرٌ لها مواكب لوقت نضوج المذهب الأشعري.

من هذا الاستعراض لا نرى في الميدان إلا الفكر المعتزلي المندمج ضمن المذهب الزيدي الذي ينافح عنه علماؤه: أصولاً وفروعاً ودولة.

وكانت كتب علماء الزيدية وأئمتها هي التي يتحلق حولها الناس ليتعلموا منها المذهب الزيدي في الأصول والفروع على حد سواء.

وبما أن الخوارج والباطنية – الإسماعيلية – كانتا قد وجدتا مكاناً في اليمن– كما

---

(١) ص ١١٣.

(٢) الجندي. السلوك ص ٧٦.

(٣) ابن سمرة. طبقات فقهاء اليمن ص ٨٣ – حاجي خليفة. كشف الظنون جـ١ ص ٦٦٠.

(٤) إسماعيل باشا. هدية العارفين جـ١ ص ٣٠٦.

مر ذكره في الفصل الرابع - فإن المناقشات والمناظرات التي كانت تتم هي أساساً بين الزيدية وبين الخوارج[(١)] وبين الزيدية والباطنية[(٢)] وأحياناً بين الزيدية وبين من كانوا يطلقون عليهم المجبرة والمشبهة[(٣)] وهم ممن كانوا على مذهب أبي حنيفة أو أحمد ابن حنبل غالباً.

وبقدر ما بقي من كتب الزيدية في اليمن حتى الوقت الحاضر في المكتبات الخاصة والعامة بقدر ما اختفت - غالباً - كتب الخوارج والباطنية، وإن كانت الكتب الخاصة بالباطنية قد أخفاها أصحابها، وأصبحت سراً من أسرارهم ومع هذا فقد اطلع عليها بعض الزيدية وناظروهم حول ما عرفوه من مبادئ معتقداتهم[(٤)].

فالصراع الفكري في اليمن - إذن - كان يمسك في زمامه علماء الزيدية، ويواجهون كل الأفكار والآراء التي تقابلهم سواء من الخوارج أو الباطنية أو الأفكار السنية، ولعلَّ الدور الذي قام به أبو الحسين أحمد بن موسى الطبري الزيدي في المجادلة والمناظرات مع جميع الفرق يؤيد ما قلناه بوضوح[(٥)].

وحينما انتهى القرن الرابع الهجري كانت الزيدية قد أصبحت فرقاً متنازعة وكانت بعضها تقتبس الأفكار الفلسفية المعتزلية مثل المطَّرفية التي تعتمد على أساس

---

(١) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٠/أ)، ٤٤/ب، ٤٥/ب) المحلي. الحدائق الوردية جـ٢ ص ٤٦ للناصر بن الهادي كتاب للرد على الإباضية.

(٢) مسلّم اللحجي. تاريخ مسلّم (ق ٢٦٨).

(٣) المصدر نفسه (ق ٣٣٩) - المحلي. الحدائق الوردية، جـ٢ ص ٤٦. للناصر بن الهادي كتاب للرد على الجبرية والقدرية الغواة - يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٨٥.

(٤) مسلّم اللحجي. كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٣/ أ، ب) - يورد نصاً لعبد الله بن عمر الهمداني أحد معاصري الإمام الهادي وهو يفند بعض المصطلحات الإسماعيلية ويذكر شعراً لعبد الله بن أحمد التميمي من شعراء القرن الثالث والرابع فيذكر فيه بعض المصطلحات الإسماعيلية. انظر أيضاً: تاريخ مسلم اللحجي (ق ١٥٩، ٢٢٦، ٢٦٨) وفيه ما يدل دلالة كاملة على وقوف علماء الزيدية على رسائل في المعتقدات الباطنية.

(٥) يحيى بن الحسين. طبقات الزيدية ص ٤٨ - ٥٢، ٧٢ ابن أبي الرجال. مطلع البدور جـ١ ص١٢٨ - الحبشي. مصادر الفكر الإسلامي ص ٩٤.

مقالة أبي القاسم البلخي (ت ٣١٩هـ) الذي يركز فيها على أن الله خلق الأصول الأربعة: الماء والنار والثَّرَى والهواء.

وأما بقية الأشياء فلم تخترع بل توجد بالقابلية والطبيعة[١] وهي مستمدة من أفكار يونانية قديمة في تعليل الوجود[٢]. وخلف لنا هذا الصراع مؤلفات للرد على المطرفية ظهرت في القرن الخامس وما بعده ولم يبق كتاب من مؤلفات المطرفية لأنها اندثرت ووجهت إليها سهام النقد ما عدا ما وجد من كتاب تاريخ مسلم اللحجي وهو من علماء المطرفية في القرن الخامس حيث أشار إلى بعض معتقداتهم ويكاد يكون هو الوحيد الذي بقي حتى الآن حسب ما لدينا من مصادر.

ثانياً: علم الفلك:

لم يكن علم الفلك معروفاً - كما نعلم - لدى العرب بل كان التنجيم هو المعروف والمتداول فيما بينهم، مع معرفة بالحسابات البدائية والنظر إلى ما هو مشهور ومعروف في السماء من الكواكب والنجوم[٣].

وفي أواخر الدولة الأموية بدأت ترجمة يونانية فلكية[٤] وتوسعت حركة الترجمة هذه في مطلع الدولة العباسية. ففي عهد المنصور العباسي (ت ١٠٦هـ) ترجم كتاب (السند هند)[٥] الذي يمثل المذهب الهندي في علم الفلك ثم بعد ذلك ترجمت بعض

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٦.

(٢) عارف. أصول الاتفاق ص ٣١.

(٣) صاعد. طبقات الأمم ص ٥١ - الدفاع. أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ص١٥،١٦.

(٤) طوقان. تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص ١١٠ - الدفاع. أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ص ١٩.

(٥) السند هند: كتاب هندي في الفلك مشهور اسمه (سوريا سدهانتا) أي (المعرفة من الشمس) لمؤلف مجهول من القرن الخامس الميلادي فيما يبدو ثم عرف هذا الاسم حتى أصبح يعرف بالسند هند (أي المعرفة). وأصبح هذا الاسم يطلق على كل كتاب يبحث في علم النجوم. وقد ترجم هذا الكتاب تحت إشراف إبراهيم بن حبيب الفزاري (ت١٦١هـ) الذي حول جداول الكتاب من سني الهند إلى سني العرب (فروخ. عمر (الدكتور). تاريخ العلوم عند العرب، ص٣٩، ١٢٣ - ١٢٦. دار العلم للملايين. بيروت. ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

كتب بطليموس[١] التي تمثل المذهب اليوناني في علم الفلك[٢].

وكانت هناك دوافع كثيرة تدفع المسلمين إلى السير قدماً في علم الفلك[٣]، فقد أدى إلى نشاط الجداول الفلكية (الزيجات)[٤] المستخرجة من كتب اليونان وكان محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٢هـ) أول من افتتح هذا في زيجه المشهور وكانوا معتمدين على المراصد الفلكية[٥] ولكنه جمع بين مذاهب الهند ومذاهب الفرس وبين مذهب بطليموس (المذهب اليوناني)[٦].

وقد عد الخوارزمي عنواناً لعصر من عصور علم الفلك وهو عصر الخوارزمي، ويشمل علم الفلك في القرن الثالث الهجري[٧].

---

(١) بطليموس القلوذي (توفي نحو سنة ١٧٠ للميلاد): وهو رياضي وعالم من علماء الفلك من أهل مصر وهو غير بطليموس الطبيب (ابن جلجل. أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي كان موجوداً سنة ٣٧٧هـ) طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق / فؤاد سيد ص ٣٥ - ٣٧. مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥م) وليس هو بطليموس الغريب الفيلسوف (القفطي. أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٣) (انظر: فروخ. تاريخ العلوم عند العرب ص ١٢٧، ١٢٨).

(٢) ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٩٢، ٩٠٥ - طوقان. تراث العرب العلمي ص ١١٠-١١٢ - فروخ. تاريخ العلوم عند العرب ص ٣، ١٢٣ - ١٢٦، ١٦١ - كحالة. عمر رضا كحالة. العلوم البحته في العصور الإسلامية ص ١٦١. مطبعة الترقي. دمشق. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م - كارادفو (البارون). الفلك والرياضيات ص ٥٦٩ (بحث ضمن تراث الإسلام).

(٣) طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ٣٧٩، ٣٨٠ - كحالة. العلوم البحته ص ١٦٣، ١٦٤. من تلك الدوافع تحديد القبلة، تحديد الشهور... الخ (انظر: الدفاع. أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ص ٣٠، ٣١).

(٤) زيج: جمعها أزياج: وهي صناعة حسابية تتضمن جداول لتحديد وحساب مواقع الكواكب ولحل مشاكل فلكية أخرى (ابن خلدون. المقدمة جـ٢ ص ٨٩٠، ٩٠٧ دايفيد كنج. الدكتور مستشرق أمريكي). حول تاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن - محاضرة ألقاها في جامعة صنعاء سنة ١٩٧٤م. ونشرت في مجلة تاريخ العرب والعالم ص ٦١ - ٦٦. السنة الثانية. العدد ٢٢. سنة ١٩٨٠. بيروت - الدفاع - أثر علماء العرب في تطوير علم الفلك ص ٣٢.

(٥) كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ١٠٠ - طوقان. تراث العرب العلمي ص ١١٣، ١٣١، ١٣٢- فروخ. تاريخ العلوم ص ١٢٦.

(٦) فروخ. تاريخ العلوم عند العرب ص ١٦٢ - زيدان جورجي. تاريخ التمدن الإسلامي جـ٣ ص ٢٠٨. دار مكتبة الحياة. بيروت. ١٩٦٧م.

(٧) طوقان. تراث العرب العلمي ص ١٥٤.

وقد تميز القرن الرابع الهجري بالنسبة لعلم الفلك بتحويل الحساب الفلكي القائم على أساس الحساب الفارسي إلى الحساب العربي(١).

علم الفلك في اليمن:

أما إذا انتقلنا إلى استخلاص الجهود التي بذلت من قبل علماء اليمن في علم الفلك فإننا مهما نقبنا في بطون المصادر فلن نجد سوى الهمداني الذي أصبح يرافقنا في معظم هذه العلوم سواء من خلال إمدادنا بالمعلومات التي تفرد بها - عن اليمن وعلمائه - أو من خلال تسجيل جهده الذي بذله في هذا العلم أو ذاك.

وهنا - في علم الفلك - يعطينا(٢) صورة متكاملة عن مراحل وصول هذا العلم إلى المسلمين والعلماء الذين تقبلوه وطوروه حتى وصل إلى عصره، وأصبح يدرس في الكتب. فيعتبر أول ما ظهر فيه كتاب (السند هند) وهو الكتاب الذي أخذ عنه بطليموس وجاءت بعده كل (الأزياج) حتى وصلت إلى خالد بن عبد الملك المروزي فاستقى منها زيجه(٣)، ومنه عمل أبو عصمة(٤)، وحبش(٥) من أهل عصر الهمداني.

وكان للفرس (زيج) وأخذ منه الخوارزمي(٦). ثم جاء أبو معشر جعفر بن محمد

---

(١) كحالة. العلوم البحته ص ١٦٦.

(٢) الهمداني. المقالة العاشرة ص ٨٨، ٨٩.

(٣) خالد بن عبد الملك المروزي. كان ممن اختارهم المأمون لقياس الأرض (فروخ. تاريخ العلوم عند العرب ص ١٦١ - طوقان تراث العرب العلمي ص ١٢٠).

(٤) ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ٨٤ أنه من علماء صنعاء في الفلك وعلم النجوم.

(٥) أحمد بن عبد الله المروزي المعروف بحبش الحاسب أحد أصحاب الأرصاد(ابن النديم. الفهرست ص٣٨٤) وله كتب كثيرة في الفلك والحساب وأشهرها أزياجه الثلاثة وخاصة الزيج الممتحن. وقد ظهر حبش هذا في عهد المأمون (انظر: طوقان. تراث العرب العلمي ص١٨٥).

(٦) الخوارزمي: محمد بن موسى (ت ٢٣٢هـ) وهو يمثل بداية مرحلة جديدة حيث جمع بين المذاهب الفلكية الهندية والفارسية واليونانية وله كتب عدة ويعد هو الأب الروحي لعلم الجبر (ابن النديم. الفهرست ص ٣٨٣ - فروخ. تاريخ العلوم ص ١٢٦ - طوقان. تراث العرب العلمي ص ١٥٤ وما بعدها - الدفاع. علي عبد الله (الدكتور). إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ١٣. تعريب/ د. جلال شوقي. ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. دار الشروق. بيروت والقاهرة).

البلخي[١] فأصبح هناك اختلاف بين السند هند، وزيج الفرس، وزيج أبي معشر.

ولعلَّ الهمداني لم يذكر الكندي (ت ٢٥٢هـ) وهو شيخ أبي معشر لكونه لا يعتد بالتنجيم[٢] بينما الهمداني - كما يبدو - يميل إليه.

وبالرغم من أنه كثيراً ما ينقل عن بطليموس إلا أنه كان يرجح ما جاء في (السند هند) باعتباره الأصل.

ويبدو أنه اعتمد كثيراً على ما جاء في (زيج) أبي عصمة الصنعاني المستخرج من زيج خالد بن عبد الملك المروزي، إلا أن لأبي عصمة مذهباً خاصاً في التقويمات والتقديرات للشمس والمريخ وله تعديلات على الحسابات القديمة[٣].

ومن هنا فلم يكن الهمداني أول عالم فلكي يمني كما قال الدكتور كنج[٤] فقد سبقه علماء ذكرهم الهمداني نفسه، ولكن ميزة الهمداني أنه كان أعمق وأشمل وأنه سجل إنتاجه في ثنايا كتبه.

نجد الهمداني أيضاً يشير إلى بعض المتخصصين بعلم الفلك وعلم النجوم، أو ما يطلق عليهم - أحياناً - الحسّاب - فيذكر أبا هارون الحاسب من (الكباريين) من همدان ولعلّه كان في عصره[٥].

---

(١) أبو معشر: جعفر بن محمد البلخي (ت ٢٧٢هـ) المنجم المشهور كان إمام وقته في فنه وله التصانيف المفيدة في علم النجامة (ابن النديم. الفهرست ص ٣٨٦ - ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ١ ص٣٥٨).

(٢) فروخ. تاريخ العلوم ص١٦٢، الكندي هو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح (ت٢٥٢هـ) يسمى فيلسوف العرب وكتبه في علوم مختلفة. ومنها كتب علم النجوم وكتب في الفلكيات وفي الحساب والهندسة... الخ (انظر: ابن النديم. الفهرست ص٣٥٧ - ٣٦٥ - وطوقان تراث العرب العلمي ص ١٦٦ - ١٧٦ - الدفاع. أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك ص١٨).

(٣) الهمداني. المقالة العاشرة ص ٨٨، ٨٩، ٩٧، ١٠٠، ١١٩.

(٤) حول تاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن ص ٦٣ (انظر: الحبشي. مؤلفات أهل اليمن في علم الفلك. بحث نشر في مجلة تاريخ العرب والعالم ص ٦٦ - ٧١. السنة الثانية. العدد ٢٣. ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. بيروت).

(٥) الهمداني. الإكليل جـ١٠ ص ٥٣.

ويتحدث عن أحد رجالات آل يعفر وهو تبع بن عبد الله بن أحمد بن يعفر - وكان في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع - بأنه ذا «علم وبصر بغامض علم النجوم»[١].

وحينما يصف صنعاء يقول عنها « وفيها من أهل النجوم: وردان، وأبو عصمة، وأبو جندة، وابن عاصم، وابن المنذر، وابن عبد الله وغيرهم»[٢].

ويضيف إلى هذا ذكر الحساب والفلكيين الذين رحلوا إلى اليمن[٣].

❀ ❀

أما مصادره في علمي الفلك والحساب من غير اليمن فهو يرجع إلى كثير من العلماء المشهورين والمغمورين على حد سواء، أصحاب المذاهب الفلكية الثلاثة التي ترجع إلى الهند وفارس واليونان، ثم إلى العلماء المسلمين الذين عملوا على التوفيق أو الإبداع في هذا الجانب، ومن هؤلاء أصحاب الرصد المأموني الذي نسب إلى الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ) حيث وضع في عهده وبتوجيه منه بالإضافة إلى أخذه من جميع علماء الفلك الذين سبقوه تقريباً[٤].

ويرجع إليه الفضل في أنه احتفظ لنا بقطعة كبيرة من (كتاب الأربعة في التنجيم) لبطليموس في الجغرافيا التنجيمية[٥].

ويبدو أن الاهتمام بالتنجيم وعلم الفلك كان أمراً مألوفاً في ذلك الوقت فمجلس

---

(١) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٨٨.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٨٤.

(٣) الهمداني. المقالة العاشرة ص ١٠١.

(٤) انظر: الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٩، ١١، ٣٣، ٥٣ - ٥٥، ٣٧٨ - وسرائر الحكمة. ص ٦٨، ٨٧- ١٠٠ - كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ١٧١ - ١٧٣ عن الرصد المأموني: انظر: المسعودي. التنبيه والإشراف ص ٣٠، ١٨٨ - مروج الذهب جـ١ ص٨٧).

(٥) كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي جـ١ ص ٨١.

الوالي العباسي في اليمن في الربع الأخير من القرن الثالث كان يضم عادة منجماً ملازماً للوالي[١].

ولهذا فإنه لا غرابة أن يكون الهمداني - ذلك الطامح للخوض في كل العلوم - قد خاض في علمي الفلك والحساب وأصبح يعبر عنهما بعبارة الواثق المتمكن مما يقول.

وإذا كان قد ضَمَّنَ كتبه العديد من القياسات وحساب الأطوال والأوقات وأحكام النجوم إلا أنه خص هذا العلم بكتب مخصوصة منها المطالع والمطارح[٢] ومنها كتاب (الزيج) وعليه اعتماد أهل اليمن[٣]، وله مكانته بين أشهر الأزياج في جهود العلماء المسلمين في علم الفلك[٤] ولم يتم العثور عليهما حتى الآن. ثم كتاب سرائر الحكمة، ولم يتم العثور إلا على المقالة العاشرة من هذا الكتاب. وغرضه منه هو التعريف بجمل علم الهيئة ومقادير حركات الكواكب وتبيين علم أحكام النجوم واستيفاء ضروبه واستيعاب أقسامه.

ويعد بعض العلماء هذا العلم فرعاً من علم الفلسفة الذي قال صاعد الأندلسي[٥] عنه بأنه لا يعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبا محمد الحسن الهمداني.

❋ ❋

ولم يتوقف الهمداني عند ذلك الحد بل عمل جهده لإثبات قياسات كان

---

(١) مجهول. تاريخ اليمن (ق ١٢٥/ب).

(٢) القفطي. أنباء الرواة جـ١ ص٢٨٣ (انظر: حمد الجاسر. مقدمة صفة جزيرة العرب ص ٢٨) وقد أشار الأكوع في مقدمة سرائر الحكمة ص ٢٢ بأنه توجد نسخة في مكتبة الإسكندرية وبعد البحث في هذه المكتبة لم يتم العثور عليه.

(٣) صاعد. طبقات الأمم ص ٦٨ - القفطي. أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٣.

(٤) طوقان. تراث العرب العلمي ص ١٣٦.

(٥) طبقات الأمم ص ٥١.

يمتحنها بنفسه فجعل حياته الشخصية ميداناً للتجربة ليؤرخ لمراحل حياته بتفصيل ولكن بطريقة الحساب الفلكي[١] الذي يقوم على حساب المثلثات وعلم الهندسة عموماً[٢].

ومن هنا فلا تعترينا الدهشة أن اعتبره بعض علماء اليمن بأنه فاق المنجمين وبرز على علماء الكفار والمسلمين[٣].

ولا غرو فإن أحد المستشرفين المحدثين صرح بأنه لم يظهر عالم فلكي يمني حتى القرن السادس الهجري[٤].

وكان لا يتوانى عن بسط خبراته الهندسية والحسابية كلما وأتته الفرصة فكان - مثلاً - يصف كيفية صناعة النقود فيذكر بعض الأدوات، والمصطلحات الهندسية مثل (البرجال) - وهو لفظ كما يقول: معرب عن الكلمة الأعجمية: البركار والفركار - ومثل (نصف القطر) و(القطر) و(المركز) وهكذا[٥].

كذلك يتحدث عن أصل المساحات والأشكال الهندسية الأخرى من مثلثات ومسدسات. . . الخ.

وهو يؤكد أن أصل الأعداد هو الواحد القائم بنفسه ثم يتضاعف إلى ما لا نهاية. ويكسر في نفسه إلى ما لا نهاية[٦].

وهذا لا يعني أن له إسهاماً في تطور الحساب والهندسة ولكنه يدل على أن هذه المعارف كانت معروفة له، وله فيها خبرة بل إجادة واتقان.

ثالثاً: علم الطب:

صناعة الطب توجد في كل أمة وكل بلد بنسب مختلفة حسب رقي الأمم وحضارتها وأخذها بأسباب العلم.

---

(١) انظر: المقالة العاشرة ص ٩٢، ٩٩ وما بعدها.

(٢) الدفاع. إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٩٢ - ٩٤.

(٣) قائل هذا: محمد بن نشوان الحميري راوي كتاب الإكليل جا ص ٨١.

(٤) كنج: حول تاريخ الفلك ص ٦٣.

(٥) الهمداني. الجوهرتين ص ١٤٠.

(٦) المصدر نفسه ص ١٣٠.

فللبادية طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارث وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على أساس علمي، بينما هذه الصناعة ضرورية في المدن لكثرة أنواع المرض[١].

وحينما فتح المسلمون بلاد فارس ومعظم بلاد الروم كان المركز الثقافي الذي يصدر معظم العلوم العقلية والطبيعية هو مدرسة (جُنْدَ يسابور)[٢]، ولم يتعرض لها المسلمون بأذى وبقيت تؤدي عملها، وانتخبت أطباء معظمهم نصارى ويهود وفرس[٣].

وقد تولى هؤلاء الأطباء حركة الترجمة والنقل من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية ضمهم ابن أبي أصيبعة[٤] في باب خاص بهم أسماه (طبقات الأطباء النقلة... الخ).

وتعد هذه أولى مراحل حركة التاريخ الطبي التي تمتد من أول ظهور الإسلام إلى أواسط القرن الثالث الهجري.

وأما الثانية التي تليها فهي مرحلة الأصالة والاستنباط[٥] حيث اتجه الطب في هذه المرحلة إلى الجانب العلمي منه ونشأة المدارس للطب[٦]، ودكاكين الصيدلة[٧]

---

(١) ابن خلدون. مقدمة ج١ ص ٩١٨.

(٢) جُنْدَ يسابور: مدينة علمية في جنوب فارس - فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلحاً سنة ١٩هـ (ياقوت. معجم البلدان ج٢ ص ١٧٠).

(٣) مايرهوف. ماكس (الدكتور المستشرق الألماني) العلوم والطب ص ٤٥١(بحث ضمن تراث الإسلام) - فروخ. تاريخ العلوم ص ٢٧٦.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج٢ ص ١٧١، مايرهوف. العلوم والطب - ص ٤٥٢ - صاعد. طبقات الأمم ص ٥٥.

(٥) دياب. محمود (الدكتور). الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية ص ١١٦ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

(٦) فروخ. تاريخ العلوم ص ٢٧٦ - مايرهوف. العلوم والطب ص ٤٦٢ وما بعدها.

(٧) دياب. الطب والأطباء ص ١٤١ - محمد كامل حسين (الدكتور). الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٣١٤، ٣١٥. طبع على نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية - جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج٣ ص ٢٠٣.

التي كانت من إنشاء عربي (إسلامي) خالص بحيث أصبح لدى المسلمين المؤهلات للتأليف المستقل والاستنباط الواعي، فظهر بذلك العصر الذهبي للطب[١] - كما هو الشأن لكافة العلوم - في القرن الرابع الهجري. مع الأخذ في الاعتبار أن علم الطب كان حينذاك يشمل كثيراً من العلوم التي أصبحت اليوم متميزة بعضها عن بعض كالطبيعيات. والصيدلة. والكيمياء[٢].

علم الطب في اليمن:

هذه صورة موجزة عن تطور الطب في دار الإسلام بصفة عامة، فهل اليمن شارك في هذا التطور، أو نال الطب نصيباً من اهتمام علماء اليمن؟

ليس من الممكن القطع بذلك أو نفيه ما دامت المعلومات الكافية لم تتوفر لنا حتى نجزم بأي شيء، ولكن بقدر ما لدينا من معلومات متناثرة من مصادر متفرقة نستطيع أن نقول:

إن اليمن - كغيره من الأمم والبلدان - لا يخلو من هذا العلم الهام ولكن الإشكال الذي يعترض إثبات هذه الحقيقة هو عدم تسجيل هذه المعارف في وثائق أو كتب لندرك مدى وجود مثل هذا العلم في الوسط اليمني.

ولكننا لا نستبعد أبداً وجود أطباء من اليمن لأنه ما دام هناك داء فهناك دواء ومن سيصرفه أو يتعامل معه غير الطبيب.

وقد عرفنا آنفاً أن مدينة (جُنْدَ يسابور) في فارس كانت مركزاً علمياً حينما ظهر الإسلام وتخرج منها الكثير من الأطباء والفلاسفة.. ورجال الكيمياء... الخ وهذه المدينة تخرَّج منها الحارث بن كلدة (توفي حوالي سنة ١٣) المعروف بطبيب العرب والذي تلقى علم الطب من فارس واليمن على حد سواء[٣]، مما يؤكد رسوخ هذه الصنعة في اليمن.

---

(١) محمد كامل. الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عن العرب ص ٢٤.

(٢) كحالة. العلوم البحته ص ١١.

(٣) ابن جلجل. طبقات الأطباء والحكماء ص ٥٤ - صاعد. طبقات الأمم ص ٥٤ - الحارث بن كلدة: يعرف بطبيب العرب وأصله من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى فارس وتعلم في مدينة جند يسابور. وفي اليمن، واشتغل بالطب في فارس وبلاده.

وليس من مهمة هذا البحث تتبع الحياة الطبية في اليمن في القرنين الأول والثاني، ولكن إذا ما انتقلنا إلى القرن الثالث الهجري فإن المصادر شحيحة وليس بين أيدينا سوى الإشارات وهي قليلة.

فقد أشار الهمداني[١] مثلاً إلى طبيب بصري استقر في اليمن، وتزوج أحد أمراء بني يعفر ابنته، فلعلَّه جاء اليمن ليتعلم المزيد من الطب، أو ليعمل ويباشر مهنة الطب في اليمن.

وكان في صنعاء طبيب بصري آخر وهو إبراهيم بن أبي البصري الطبيب وكان يتولى صناعة الأدوية بنفسه[٢].

ويلفت الهمداني[٣] نظرنا إلى حشائش اليمن أن منها الكثير مما يستخلص منها العقاقير الطبية «ويعرفها الحكيم من الناس من أهل صناعة الطب» مما توحي هذه العبارة بوجود صيادلة وأطباء يجيدون هذه الصنعة في اليمن.

وإذا كنا قد فشلنا في الوصول إلى معلومات عن الطب في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين على الرغم من بداهة وجود ذلك لضرورته في الواقع إلا أننا لم نعدم معلومات مثيرة، من خلال الهمداني نفسه، الذي تربع على عرش معارف ذلك العصر ومما حدا بمحمد بن نشوان الحميري[٤] أنْ يصفه بقوله: «وتصانيفه في علم الطب والنجوم شاهدة له في العلم بالحظ العظيم الذي فاق به علماء الطب والمنجمين وبرز فيه على علماء الكفار والمسلمين» ولهذا الأمر ترجم له القفطي ضمن الأطباء[٥].

ولم يكتف بالإشارات التي وردت في كتبه بل خصص كتاباً للطب وأسماه

---

(١) الإكليل جـ٢ ص ١٨٤ - يعرف هذا الطبيب بأبي عباد الطبيب.
(٢) الرازي. تاريخ مدينة صنعاء ص ٩٣.
(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٦، ٢٧٧.
(٤) الهمداني. الإكليل جـ١ ص ٨١.
(٥) كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٣.

(القوى)[١] وبما أنَّ هذا الكتاب يعتبر في عداد المفقودين، إلا أننا نستطيع استخلاص بعض الملاحظات الطبية التي وردت متناثرة في كتبه المعروفة لدينا.

وأهم كتبه في هذا الشأن كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) حيث عقد باباً لمنافع الذهب والفضة، وما يتولد منهما في فنون الطب حوته ثلاث صفحات[٢] يذكر فيه الكثير من الأدوية التي يمكن أن تدخل فيها مركبات الذهب والفضة أو الحالات المرضية التي لا يكون دواؤها إلا من مركبات الذهب والفضة.

ثم يعقد باباً آخر للآثار المترتبة على صناعات الذهب والفضة وما التي تخلفه في الإنسان من أعراض مرضية أو عاهات وقد جعله بعنوان: (باب ما يصيب من روائح هذه الأشياء)[٣] وهذا يشبه حالياً الدراسات الطبية التي تقام على بيئات محددة.. كالصناعية أو الريفية وغيرها المعروف بطب المجتمع.

ويحدثنا أيضاً عن العقاقير وفعلها في الجسم التي يقبلها قبولاً كلياً ثم يعمل كل جنس من الأدوية عملاً لا يعمله فيه غيره سواء كان أدوية ظاهرية (سطحية) أم مشروبة[٤].

ويلمح إلى بعض حركات الجسم اللاإرادية ومنها الارتعاش وحركة الأمعاء[٥].

وهذه الأمثلة من إشارات الهمداني تدلنا على طول باعة في علم الطب ولا يكفي ما قلناه عنه في هذا المجال لأنه يحتاج في الحقيقة إلى دراسات متخصصة لاستخراج إشاراته ولفتاته الطبية من كتبه وتقويمها التقويم الصحيح وإخراجها بصورة تليق بأهمية صاحبها.

---

(١) صاعد. طبقات الأمم ص ٦٨ - انظر: حمد الجاسر. مقدمة صفة جزيرة العرب ص ٢٨ - الهمداني ألمح إليه في الإكليل جـ١ ص ١١٢.

(٢) ص١١ - ١٢ - ما تزال الكثير من الأدوية في الوقت الحاضر تدخل فيها بعض مركبات الذهب والفضة.

(٣) ص ١١٧ - ١١٨.

(٤) الهمداني. الجوهرتين ص ٣٤.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٩.

رابعاً: علم الكيمياء

علم الكيمياء هذا المصطلح العربي البحت[1] هو علم يقوم أساساً على الصناعة والخبرة المكتسبة والمران الطويل[2]، بل إن بعضهم يسميه (الصنعة)[3].

وكان هذا العلم من أقدم العلوم ترجمة إلى العربية حيث ترجمت بعض كتب الكيمياء في مطلع الدولة الأموية[4].

وكان فضل السبق فيه للمسلمين في ترجمته وحفظه ثم تطويره ووضع أسسه كعلم تجريبي حيث أقاموا التجارب والاختبارات وأبدعوا فيه أيمَّا إبداع[5].

وكثيراً ما تظهر الكيمياء بوضوح عند الصاغة الذين يتولون معالجة المعادن من الذهب والفضة وغيرهما سواء كان لصناعة الْحُلِي أم الزينات أم الأواني أم النقود.

بالإضافة إلى ممارسة بعض الصناعة في مهن أخرى مثل صناعة العقاقير، والأدوية، والعطور، إلى غير ذلك من الصناعات.

---

(١) الخوارزمي. مفاتيح العلوم. ص ١٤٦. وقال: وهو مشتق من كمى يكمي إذا ستر وأخفى ويقال: كمى الشهادة يكميها إذا كتمها - ويقال إنه مُعَرَّب من اللفظ العبراني، وأصله: كيم يه - معناه: آية من الله (طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة ص ٣٤١ - كحالة. العلوم البحته ص ٢٤٦).

(٢) مدحت إسلام (الدكتور). الكيمياء عند العرب ص ٣. دار المعارف. مصر.

(٣) الخوارزمي. مفاتيح العلوم ص ١٤٦.

(٤) فروخ. تاريخ العلوم عند العرب ص ١١٣، ٢٤٢ - ابن النديم. الفهرست ص ٣٣٨. كان هذا برعاية خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ) حينما أزيح عن الخلافة (سنة ٦٤هـ) فتحول إلى العلوم ودرس الصنعة (الكيمياء) على راهب إسكندراني اسمه مريانوس ثم أمر رجلاً إسكندرانياً بأن ينقل له كتب الصنعة فكان ذلك أول نقل في الإسلام انظر(ابن خلكان. وفيات الأعيان ج٢ص٢٢٤ - ٢٢٦).

(٥) مدحت. الكيمياء عند العرب ص ٤،٥ كان جابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ)هو أبو الكيمياء قد تولى في مطلع الدولة العباسية وضع أسس الكيمياء وعَدَّلَ العديد من آراء الأقدمين وظلت بعض نظرياته معمولاً بها حتى القرن الثامن عشر الميلادي (كحالة. العلوم البحته ص ٢٤٩-٢٥٣ - جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج٣ ص ٢٠٣).

ومن هنا يتبين أن هذا العلم وثيق الصلة بالجانب المعملي أكثر من النظري، وأن أي بيئة قد تستخدمه لضرورات حياتها العملية والصناعية سواء وعت لتدوين ما تقوم به بصورة نظرية أم ظلت تمارسه دون تدوين، ويتوارث جيل بعد جيل، ويضيف كل جيل خبراته الجديدة إلى خبراته المتوارثة.

علم الكيمياء في اليمن:

ولا يظن ظان خلو اليمن من هذه الصناعات، ومن عدم وجود أناس لهم خبرات في هذا المضمار.

خاصة إذا عرفنا أن كثيراً من العطور كانت تصنع في بعض مدن اليمن مثل عدن(١)، وصناعة الجلود كان لها مصانع خاصة في صعدة ومشهورة بهذه الصناعة(٢).

كما أن السلاح اليمني الذي ينسب إلى اليمن عامة، أو إلى بعض مدنه، أو رجالاته كان مطلب الفرسان في تلك العصور، حتى إنَّ التجار كانوا يتوافدون على صنعاء لشراء الحديد منها(٣).

بالإضافة إلى صناعة الثياب التي تحتاج إلى أصباغ وألوان(٤).

أما الصناعات المرتبطة بالذهب والفضة فما دام هناك تعامل بين الناس فلا بد من

---

(١) المرزوقي. أبو علي. الأزمنة والأمكنة جـ٢ ص ٢٣٤. (طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني بقطر سنة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م) - انظر: حسن صالح شهاب. أضواء على تاريخ اليمن البحري ص ١٤٣ - ١٤٦. ط٢. ١٩٨١م. دار العودة، بيروت - اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي جـ١ ص ٢٧٠.

(٢) الهمداني. صفة جزيرة العرب ص ٢٤٩ - انظر: حسن صالح شهاب. أضواء على تاريخ اليمن البحري ص ١٦٠ - ابن خرداذبه. المسالك والممالك ص ١٣٦.

(٣) المرزوقي. الأزمنة والأمكنة جـ٢ ص ٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه. لعلَّ من الأفضل الإشارة إلى كتاب أضواء على تاريخ اليمن البحري ص ١٥٥- ١٥٨، ١٦٢ - ١٦٤ فقد أجاد الوصف واستخرج شوارد المعلومات حول الثياب والأصباغ اليمنية.

سك أو صناعة النقود. وما دام هناك نساء يحتجن إلى الحُلِي فلا بد من صاغة لصناعة الحلي... وهكذا إلى غير ذلك من الصناعات التي ترتبط بشكل مباشر بعلم الكيمياء.

وإذا كنا لم نشبع رغبتنا بالتوصل إلى تراث نظري عن الكيمياء بصفة عامة في اليمن في خلال القرنين الثالث والرابع إلا أننا سعداء الحظ لحصولنا على كتاب للهمداني يقوم أساساً على علم الكيمياء وهو (الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء «الذهب والفضة»).

والهمداني في هذا الكتاب يصب جماع خبرته في الكيمياء ويورد الكثير من اللفتات[١].. والكثير من أسماء الآلات المستعملة والمصطلحات المستخدمة في صناعة الذهب وصياغته وتذويبه ويتعرض لجزئيات كثيرة مثل تكون المعادن في باطن الأرض من خلال التفاعلات والانصهار وعن طريق التحولات من شيء إلى شيء (ص ٢٨). ويعرض لأصل الحرارة في جوف الأرض ومصدرها وينقد الآراء الفلسفية اليونانية وغيرها التي قررت أن مصدر الحرارة في جوف الأرض هو الشمس (ص٣٠).

ويستعرض أنواع المعادن وما يستخلص منها من مركبات وطرق معرفة الرديء من الخالص (ص ٤٠-٤٢ و١٢٨).

ويحدثنا عن آلات استخدامها عمال مناجم الذهب والفضة لجمعها وتخليصها من باطن الأرض ثم تنقيتهما من الشوائب والمواد التي تضاف إليهما وطريقة سبكهما وإخراجهما على هيئة رقائق.. (ص ٤٩ - ٥٤).

ثم يشرح باستفاضة طريقة إذابتهما والآلات المستخدمة لذلك والمساحيق أو السوائل المضافة. الخ (ص ٥٥ - ٦٨).

ويتكلم عن الأوزان والقياسات ومتى تكون الأوزان صحيحة ومتى تكون مغشوشة وكيفية الغش (ص ٨٣ - ٨٨).

---

(١) وتفادياً لكثرة وطول الهوامش سأذكر صفحات الكتاب في ثنايا المتن أن هذه الطريقة أسرع بالوصول إلى موضع النقل من الكتاب.

ويفصل بدقة عملية الطلاء بالذهب وما هي المواد المستخدمة في هذه العملية ثم كيفية فصل الذهب من الفضة (ص ١١٤ - ١١٦).

ونلاحظ أن معظم من خاضوا في علم الكيمياء تعرضوا لتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة من ذهب وفضة، وهي القضية التي أثبتت التجارب فشلها وألفت فيها الكتب لبيان فسادها وفساد ذكر قائلها[١]، ولكنا لا نجد الهمداني يتعرض لهذه القضية وكأنه غير مسلِّم بها، ولم يتعرض إلا لطلاء الأشياء بالذهب والفضة.

ويفرد باباً حدد فيه المقادير الثقيلة من الأشياء الجامدة والسائلة (ص١٢٤).

ولم يقف عند الذهب والفضة بل تعداهما إلى الحديد فيحدثنا عن كيفية جلائه (أي صقله) وسقيه (أي تخفيفه)[٢] (ص ١٤١).

وترددت كلمة (الكيمياء) في الكتاب أكثر من مرة (ص١٠٦، ١٠٨، ١٢١)

وحينما تحدث عن المتخصصين في صناعة الذهب، ذكر منهم من يتولى تخليص الذهب من الشوائب فأشاد برجال الصنعة من المصريين، أو من ذهب مذهب المصريين في عملية استخلاص الشوائب من الذهب والفضة (ص١٠٢)، وقد نقل من مصر إلى بقية البلدان فأصبح معروفاً أيضاً في اليمن.

ومن هذا الاستعراض الذي يعد خطوطاً عريضة لبعض ما جاء في كتاب (الجوهرتين) للهمداني يتبين لنا أنه كان من أفذاذ الرجال لأنه استطاع أن يهضم العلوم ويعبر عنها أصدق تعبير، ويُعْرها الكثير من اهتمامه، بل يقيم التجارب الذاتية ويمارسها ليبرهن على صدق ما يقره أو ينفيه. ويحاول الاستقصاء فيسال أرباب الصناعات والحرف، ويحضر إلى مواقع الصناعات ليشاهد بنفسه كيف تتم.. وهكذا. ولكن هل معنى هذا أن الهمداني كان كيميائياً[٣] باشر العمل في معامل خاصة

---

(١) كحالة. العلوم البحته ص ٢٤٦ فقد أنكرها الكندي (ت ٢٦٠هـ) وألف أحمد ابن تيمية رسالة في إنكارها، (انظر: طاش كبرى زاده. مفتاح السعادة جـ١ ص ٣٤١).

(٢) تفسير المصطلحات مأخوذ من كتاب الكيمياء عند العرب للدكتور مدحت إسلام ص ١٤.

(٣) مدحت. الكيمياء عند العرب ص ٤ - كحالة. العلوم البحته ص ٢٤٧، ٢٤٨.

أم هو درس هذا العلم في الكتب وأشبع رغبته العلمية بالسؤال والاستفسار والاستقصاء والإشراف عن كثب على مواقع الصناعات وسجل ملاحظاته حول ذلك كله؟ إنني أميل إلى الفرض الأخير لعدم توفر المعلومات الكافية التي توَثِّق الرأي الأول.

الحرارة والاحتراق:

قد يكون من المفيد أن نضيف - هنا - صورة من الصور التي تدل على نبوغ الهمداني في معظم - إن لم نقل جميع - العلوم الموجودة في عصره.

فلم يكتف بالنقل والحكاية أو تسجيل معارف عصره في ثنايا كتبه بل له ممارسات عملية وتجارب ولفتات تدل على خبرة في مجالات شتى.

وبرهن على هذا بتسجيل ملاحظاته عن أشياء لم تظهر كحقائق إلا في عصور متأخرة.

فهو - مثلاً - يتكلم عن أصل الحرارة، وينقض ما قاله اليونان في هذا الشأن ويصفه بأنه قول فاسد إلا أنه لم يعرفنا ببراهينه في هذا المضمار، واكتفى بالإحالة إلى كتابه سرائر الحكمة حيث أفرد له باباً[١] ولعلَّ هذا ضمن الأجزاء المفقودة من هذا الكتاب لأنه لا يوجد في الكتاب المنشور.

وفي معرض ذكره لحكايات عن بعض الآثار المدفونة يذكر حادثة ثم يتهمها بالتَّزيد وعدم الصدق لأنها تتعارض مع حقيقة علمية حاول إثباتها بشتى الصور.

فقد ادعى راوي الحكاية أنه دخل مغارة عميقة طويلة مظلمة وبيده شمعة وظل ينتقل داخلها في سراديب متعددة فيتساءل الهمداني كيف تم له هذا والنسيم (الهواء) - في مثل تلك المغارات - يقل، ويعجز بها التنفس، وإن الشمعة لا يمكن أنْ تبقى مشتعلة في هذا الظرف[٢].

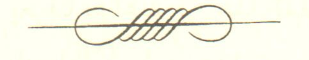
---

(١) الهمداني. الجوهرتين ص ٣٠.

(٢) الهمداني. الإكليل جـ٨ ص ٢١٣ - ٢١٩.

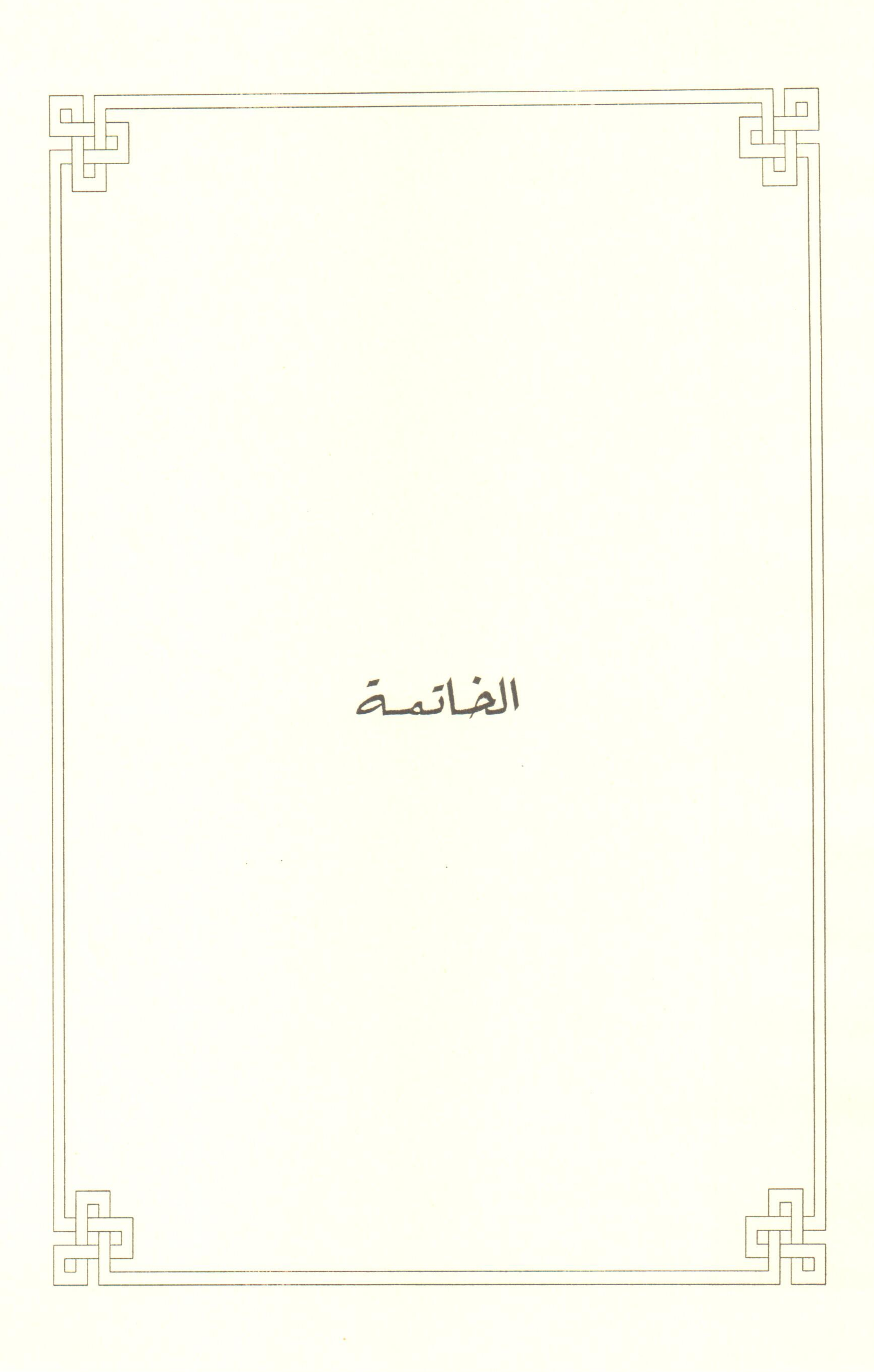
وفي حادثة أخرى يحدثنا عن قوم دخلوا مغارة وهم يحملون شمعة، وحينما أوغلوا فيها انطفأت الشمعة فرجع القوم مذعورين ناسبين إطفاء الشمع إلى الجن. ويستنكر الهمداني هذا الزعم ويفند رأيه بأن السبب هو قلة الهواء ويقرر قائلاً: «وتقبل النار الهواء وتقوى به لاتصالهما ولا تبقى في موضع لا هواء فيه»(١).

ومن خلال هذا أثبت من حيث لا يدري حقيقة الاحتراق وبرهن بشكل حاسم على علاقة الهواء بالاحتراق أولاً والتنفس ثانياً. قبل ظهور أية نظرية مماثلة في أوروبا بنحو ثمانية قرون ميلادية(٢).



(١) الهمداني. الجوهرتين ص ٣٤.

(٢) الصغيري. محمود إبراهيم. نظرية الهمداني في الاحتراق ومكانها في تاريخ العلم (بحث نشر في مجلة الإكليل ص ١٩٣ - ٢٠٤. العدد الثاني. السنة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء).



الخاتمة



الخاتمة

وبعد تلك الرحلة المضنية الممتعة معاً فقد آن لنا أن نتوقف قليلاً للنظر إلى الحياة العلمية في اليمن لنستخلص زبدة هذه الدراسة في نقاط محددة مكتفين بالظواهر أو الملاحظات التي شدت الانتباه في هذه الدراسة لتكون بمثابة (عناوين) أو (مفاتيح) لمزيد من الدراسة والبحث والتعميق والتوسع والتأصيل:

١ - إن موقع اليمن الجغرافي المتطرف عن حواضر الإسلام المشهورة وتحوله - لذلك - في القرنين الثالث والرابع الهجريين إلى مكان تأوي إليه الأفكار التي تناوئ الحكام في عاصمة الخلافة مما أدى إلى أن أصبح مسرحاً لصراع مرير بين مختلف الطوائف والقوى القبلية حيث تعاورته في هذه الحقبة ست قوى من خارجه، وأكثر من خمس عشرة قوة قبلية من داخله، ومن ثم لم يحظ باستقرار، ولا بدولة موحدة تولي اهتمامها للعلوم، فأصيب أهل اليمن بالإحباط عبروا عنه بعدم الاهتمام بالعلوم، أو بالهجرة من اليمن.

٢ - أدى دخول الشيعة إلى اليمن - من حيث لا يقصدون - إلى إذكاء روح العصبيات القبلية بين القبائل اليمنية بعضها بعضاً من ناحية، وبين اليمانية والنزارية من ناحية أخرى.

٣ - كان هناك توافق وتشابه بين الزيدية والإسماعيلية في اليمن من ناحية سير حركتهما وتغلبهما على أكثر مناطق اليمن في زمن قصير ثم انحسرت قوتهما بالسرعة ذاتها.

٤ - إذا كان سبب الخلاف بين أئمة الزيدية معروفاً وهو ادعاء كل واحد منهم أن صفات الإمامة تتوفر فيه، فإن الخلاف الذي نشأ بين علي بن الفضل، ومنصور اليمن، أو القرامطة والإسماعيلية يحتاج إلى دراسة مستفيضة بالرغم مما بذله الباحث في هذه الدراسة.

٥ - عملت هذه الدراسة على توضيح حقيقة (الدولة الزيادية) في (زبيد) زماناً ودوراً ومع هذا فهي في حاجة إلى دراسة مستقلة مستفيضة.

٦ - بالرغم مما ثبت في التمهيد من عدم استقرار، وعدم توحد لليمن إلا أن العديد من المراكز العلمية ظلت تؤدي رسالتها العلمية: يأتيها الطلاب والعلماء، وتقيم حلقات العلم في كل الأحوال، وتحت أية ظروف، وفي أي جو وهي ظاهرة تتشابه مع كثير من الأمصار الإسلامية، ولعلَّ هذا مما جعل المجتمع الإسلامي متماسكاً محافظاً على مقوماته بالرغم من الفتن التي كانت تلتهم الأخضر واليابس.

٧ - تميزت خمسة مراكز في اليمن نلحظ من خلالها تخصص كل واحد منها بنوع معين من العلوم وأصبحت المراكز الأخرى تابعة لهذا المركز أو ذاك:

أ - (فصعدة) كانت تمثل مركز المذهب الزيدي وفكره وفقهه.

ب - و(الجند) كانت بؤرة الفقه الشافعي: إليها وصل، ومنها انتشر، وعلى يد علمائها أخذ، وكانت قبل هذا مركزاً لبعض علماء الحديث.

جـ - وأما (صنعاء) و(زبيد) فقد كانتا تمثلان علوماً شتى على رأسها الحديث والفقه الحنفي والمالكي.

د - و(مَسْور) في (حجه) و(يام) في (نجران)، تخصصتا بكونهما مركزاً للإسماعيلية، ومنهما نشأت الدولة الصليحية (الإسماعيلية) في القرن الخامس الهجري.

هـ - مدينة (دَوْعَن) في حضرموت كانت مركز الخوارج في اليمن وبها مقر زعامتهم.

٨ - كانت المراكز العلمية إما مدن وإما قرى، ولم تأخذ القرى شهرتها ودورها كمركز علمي إلا لقربها من المدن حيث اختارها بعض العلماء مقراً لإلقاء دروسه.

٩ - لقد ذكرت في هذه الدراسة بعض المدن والقرى التي كان لها دور في الحياة العلمية في هذه الحقبة التي تؤرخ لها، أما الآن فقد تلاشى دورها إما بخمولها تماماً، وإما بانمحاء ذكرها، وإما أن اسمها حُرِّف أو غُيِّر تماماً.

١٠ - من الملاحظ أن مهنة تعليم الصبيان في المساجد في اليمن كانت معهودة وغير مستنكرة على خلاف ما كان في أماكن أخرى من الأمصار الإسلامية.

١١ - كانت بعض مدارس المراحل العليا هي المساجد الخاصة التي يبنيها العالم لتكون مقراً لدروسه، فكأن العلماء أنفسهم كانوا يتولون بناء المدارس حتى ولو كانت على شكل مسجد، ولم تكن الدولة تشارك في مثل هذا العمل العلمي الهام.

١٢ - كذلك بالنسبة للمكتبات التي وجدت في اليمن كانت خاصة، ولكن أصحابها أشاعوا أمرها: وجعلوها كالمكتبات العامة. ثم شارك العلماء في تنميتها بإهداء الكتب، أو الوقف على هذه المكتبات.

١٣ - في الغالب حينما نريد الوصول إلى صورة عن المناهج العلمية المتبعة في مثل هذه الحقبة التي قامت عليها هذه الدراسة فإننا لن نجد بغيتنا إلا من خلال كتب مصطلح الحديث وقد تكفلت هذه الكتب بجمع أقوال الأئمة وتقعيد القواعد لها، وأصبحت أسساً تحتذى. وكما هو واضح أن كتب مصطلح الحديث تُعْنَى بالحديث ولا شأن لها بالعلوم الأخرى.

١٤ - ولكن يمكننا الاستفادة من هذا العلم في النظام التعليمي بصورة عامة، ونستطيع من خلاله وضع أسس للنظام التربوي في هذه الحقبة، ولأن هذه الدراسة مقصورة على اليمن، فقد كان الباحث مُكَبَّلاً بما تحت يديه من مواد ومعلومات مما يقتضي حث الدارسين على دراسة متأنية لكتب مصطلح الحديث، واستنباط منهج دراسي تربوي عملي من خلال نظام كان متبعاً ومعمولاً به في المجتمع الإسلامي.

١٥ - كلما كثرت الوسائل التعليمية قلت العلاقة المباشرة بين العلماء والتلاميذ، حيث يمكن أن يؤهل الطالب دون أن يمر - في معظم أحواله - على شيوخ في كل العلوم. فحينما كانت الكتب عزيزة كان الشيخ هو المعلم، وهو الكتاب، ولا بد أن يأتيه الطالب لأخذ العلم عنه.. ولذا صدرت الحكمة القائلة «من كان شيخه كتابه كان خطأه أكثر من صوابه». أما وقد انتشرت (الكتابة) وكثرت (الوراقة)،

وأصبحت الكتب متداولة إما بالاقتناء، وإما بالاستعارة، أو قراءتها في المكتبات العامة، أو شبه العامة، فإن الأمر أصبح مختلفاً تماماً فأصبحت طريقة (الوَجَادَة) - أي التعامل المباشر مع الكتاب - مقبولة وغير منبوذة، وليست في آخر القائمة بل هي في مقدمتها وأصبح الكثير من العلماء يتلقون علومهم عن هذه الطريقة.

١٦ - إن الغوص في كتب تراجم العلماء في عصور الإسلام سيؤهلنا لتناول حياتهم العلمية والاجتماعية، وستعطينا الكيفية والطريقة التي وصل إليها أولئك العلماء الفطاحل الذين كان لهم شرف وضع أسس العلوم حيث أصبح كل من جاء من بعدهم عالة عليهم لا يزيدون على الشرح والتوضيح والتفريع.

١٧ - كان العلم مشاعاً لكافة الناس ولجميع الطبقات، ولا يمنع أي إنسان من التعليم إلا إذا قرر من ذات نفسه لأي سبب من الأسباب.

١٨ - فلم تكن هناك مدارس خاصة، أو مبانٍ مقصورة على التدريس لا يحق لغير المسجلين في تلك المدارس أن يشاركوا فيها، وليس هناك علماء أخذوا الأجر لتعليم مجموعة مختارة من الطلبة، بل كانت الحلقات والمجالس والمنتديات العلمية تقام في المساجد أو في منازل العلماء والوجهاء ويحضرها من يشاء، سواء ليواصل مسيرة العلم ليتأهل لمكانة العلماء فيما بعد أو ليتفقه في دينه بصورة ذاتية.

١٩ - من عوامل النبوغ العلمي - كما يراها الباحث - في هذه الحقبة الذهبية بالنسبة للمجتمع الإسلامي عامة هو أن الطالب كان له حق اختيار الأستاذ الذي يأخذ عنه علمه فلا يقتصر على أستاذ بعينه، وله أن يأخذ العلم الواحد من أكثر من أستاذ. ولذا كانت (الرِّحلات) العلمية للأخذ من العلماء المتفرقين في المراكز العلمية المتنوعة. بالإضافة إلى أن الطالب يظل طالب علم طوال عمره لا تنتهي رحلة طلب العلم في سن معينة، ولا يتلقى شهادة معينة ثم تنقضي مرحلة التحصيل العلمي. بل يظل العالم شاباً في علمه حتى لو بلغ من العمر عِتِيّاً.

٢٠ - كان علماء المسلمين في شتّى الأمصار يرتبطون بعرى وثيقة: فمصدر المعرفة واحد، واللغة التي يتفاهمون بها واحدة، والهدف واحد، والعلماء يتنقلون بين

شتى المراكز العلمية في جميع بقاع دار الإسلام يُعَلِّمون ويتعلمون، ويتولون المناصب تارة في المغرب، وتارة بالمشرق، وتارة في مكة، وتارة في قرطبة لا يمنعهم من ذلك مانع ما دام يحمل دين الإسلام والولاء لدين الله.

٢١ - ولهذا كان علماء المسلمين وحدة واحدة ولُحْمة متماسكة كل واحد يكمل الآخر سواء أكان في الأندلس أم في اليمن أم في فارس وخراسان.

٢٢ - فهذه الوحدة الثقافية تجعلنا نتوقف عندها لعلّها تكون من عوامل تماسك المجتمع الإسلامي طوال هذه القرون.

٢٣ - كان اليمن نموذجاً مُصَغَّراً لما كان يحدث في البلاد الإسلامية كلها وفي وقت واحد.

٢٤ - ففي القرنين الثالث والرابع الهجريين نشأت الفرق والمذاهب، وأثير النزاع بينها على كافة المستويات سواء أكان بالمقارعة الفكرية ومواجهة الحجة بالحجة، أم بالمواجهة المسلحة وهذه ظاهرة تستدعي النظر والبحث عن عوامل ظهورها والمؤثرات التي اجتاحت المجتمع الإسلامي مما أدى إلى إفراز ذلك (الكَم) الضخم من الفرق والمذاهب.

٢٥ - على الرغم من الواقع السياسي المتردي في الثلثين الأخيرين من القرن الرابع الهجري إلا أن المذهب الزيدي (فكراً وفقهاً) ظل يرسي قواعده في أوساط الناس ويكتسح غيره من المذاهب بجهود علمائه دون تدخل من القوى السياسية بينما الإسماعيلية لم تكن تتمتع بقاعدة شعبية في اليمن.

٢٦ - بدأت الإسماعيلية تعمل في اليمن منذ منتصف القرن الثالث الهجري بصفتها قوة موحدة وسرعان ما انقسمت إلى قوتين مختلفتين تحت زعامتين كانتا على وفاق تام، وما لبثَا أن اختلفتا وخلَّفتا خلفهما عدة جوانب غامضة حول حياتهما وحالة الوفاق، وأبعاد وخلفيات الاختلاف وأسبابه، وما زالت تثير التساؤلات حتى الآن.

٢٧ - في علوم القرآن يلاحظ أن اليمن لم يكن لديه مشاركة فعلية في معظم مجالات علوم القرآن:

أ - ففي القراءات لم تكن لهم قراءة مخصوصة بهم بمعنى أنهم لم يكن عندهم من العلماء الذين اختاروا قراءة خاصة بهم. بل كانوا يتبعون غيرهم من القراء خارج اليمن. ومن ثم كانت لهم قراءات متعددة.

ب - أما في التفسير فقد أسهم اليمن فيه، وأصبح تفسير الإمام عبد الرزاق الصنعاني هو الخطوة الأولى قبل خطوة محمد بن جرير الطبري من ناحية التفسير الموسوعي، حيث كانا يمثلان في القرنين الثالث والرابع الهجريين زعامة التفسير بالمأثور.

جـ - لم يظهر بعد الإمام عبد الرزاق من اهتم بتفسير القرآن خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين إلا في أوساط الزيدية فقط وهو أمر يستدعي النظر كما هو واضح من خلال هذه الدراسة.

٢٨ - وفي علوم الحديث كان لأهل اليمن إسهام في مراحل تدوين الحديث حيث شاركوا في (المصنَّفات)، و(المسانيد)، و(السنن)، وكل هذا كان في مطلع القرن الثالث الهجري. أما بعد ذلك فقد كان الملاحظ أن علماء اليمن لم يشاركوا في التصنيف وإيجاد شيء جديد، واقتصر دورهم على رواية الحديث فقط، ولم يشاركوا في حركة التأليف؛ إما لأنهم لم يصنفوا البتة، وإما لأنهم صنفوا، ولكن كتبهم ضاعت تحت وطأة الأحداث التي حاقت بالمجتمع الإسلامي كله.

٢٩ - **وفي الفقه:**

أ - يلاحظ أنه كان للفقه الاجتهادي حضور في اليمن، وله علماء في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، أما بعد ذلك فقد حل مكانه الفقه المذهبي.

ب - ويلاحظ أن الفقه الشافعي، انتشر في اليمن بجهود العلماء الذاتية، وأنه استطاع بهذه الجهود أن يقضي على بعض المذاهب، مثل المذهب الحنفي والمالكي ومذهب الخوارج... الخ ومن ثم أصبح هو المذهب الوحيد المقابل لمذهب الزيدية في اليمن.

٣٠ - علماء اللغة لم يأخذوا - في حقبة تدوين اللغة - من لغة أهل اليمن، ومع هذا دخلت بعض المفردات اللغوية في كتابات بعض الأدباء اليمنيين، ولم تدخل في المعاجم الموجودة حالياً، ومع هذا فقد قيل إن هذه المفردات هي لغة عربية فصيحة ولهذا فإن القضية في أمس الحاجة إلى دراسة (لُغَوية) متخصصة لتحقيق هذا الأمر.

٣١ - (الأدب اليمني) في القرنين الثالث والرابع الهجريين لم ينل حظه من الدراسة، وقد يكون المُسَوِّغ لهذا أنه لا يوجد تراث أدبي واضح لافت للنظر، إلا أن هذه الدراسة تؤكد على وجود تراث أدبي في هذه الحقبة كان للهمداني الفضل في الاحتفاظ بالكثير منه، وهو في أشد الحاجة إلى تجميع وتبويب وتنظيم ودراسة.

٣٢ - لم يزدهر (التاريخ) ولم تتعدد أنواعه سوى في أوساط علماء الزيدية لأنهم التزموا بتقليد متبع لديهم، وهو تسجيل حياة أئمتهم في سير شخصية لهم، ولم يظهر في غيرهم إلا عند الهمداني الذي اهتم بمجال واحد من مجالات علم التاريخ وهو (الأنساب).

٣٣ - لقد تعرض الباحث في هذه الدراسة تلميحاً وتصريحاً - لكن بإيجاز - إلى أن علم الكلام منذ نشأته لم يكن علماً مقبولاً عند معظم العلماء في أزمان متوالية، لأنه علم غريب على الأسلوب الذي يوصل العقيدة إلى عقول وقلوب الناس، فالخطاب القرآني اختار نهجاً يقوم على مخاطبة الكيان البشري جملة، ويطرق كل جوانب النفس الإنسانية ليهزها، وينفض عنها ما ران عليها، وحينذاك يسكب فيها العقيدة الإسلامية فتدخل وتتمكن وتتأصل وتتجذر وتستقر في الكيان البشري كله بأساليب سهلة وواضحة دون داعٍ أو حاجة إلى التعقيد والتطويل والألغاز والإبهام.

٣٤ - أما المنهج الذي انتهجه علم الكلام فإنه يقوم على قوالب ومصطلحات فلسفية بل وعلى بعض التصورات الفلسفية. خاصة إذا عرفنا أن بداية نشأة علم الكلام ظهرت من تناول الآيات المتشابهة بالمناقشة والتحليل، بينما كان عند السلف نهي عن الخوض في مثل هذه المجالات لأنها ليست مجالاً جاداً للمسلم الجاد.

٣٥ - ومن هنا فإن هذه الدراسة تدعو إلى تفهم هذه البداية، والعمل على العودة إلى المنهج القرآني في توصيل أمور العقيدة إلى الكيان البشري، ونبذ كل الأساليب البشرية الجافة التي لا تساعد على الإيمان ولكنها توصل إلى الشك والبلبلة، بل وإلى الضياع والضلال.

٣٦ - يلاحظ أننا - في علوم الفلك والطب والكيمياء - لا نجد إلا الهمداني: إمَّا متحدثاً عن المهتمين بهذه العلوم، أو مشاركاً فيها مشاركة فعلية: ممارسة أو تأليفاً، مما يدعو إلى توجيه الدعوة للباحثين المهتمين بالحياة العلمية في اليمن إلى دراسة كتب الهمداني دراسة متأنية، واستخراج الدرر المتناثر في كتبه وتحويلها من نصوص جامدة غامضة إلى كيانات تنبض بالحياة والفاعلية.

وبعد:

فهذا غَيْضٌ من فيض، حيث سمح به لنا الوقت والجهد معاً وهو جهد المقل، ولَعَلَّ من يأتي بعدنا سيقوم بالواجب الشامل الكامل، وإن كان الكمال لله وحده.

والله حسبنا ونعم المستعان.

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة:

- **إبراهيم بن القاسم بن بالمؤيد. صارم الدين (توفي نحو ١١٥٣هـ).**

١ - نسمات الأسحار في طبقات رواة كتب الفقه والآثار.. ويعرف (بطبقات الزيدية الكبرى).. و(بطبقات الزيدية رواة الفقة والآثار).

(مخطوط مصور عن مخطوطة القاضي حسين السياغي. صنعاء. وقد تحصلت على صورة منها).

- **أحمد بن سليمان (الإمام المتوكل على الله) (٥٠٠ - ٥٦٦هـ).**

٢ - الحكمة الدرية والدلالة النبوية (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير. صنعاء رقم ٥١ علم كلام).

- **إسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد (ت ١٠٧٩أو ١٠٨٠هـ)**

٣ - سمط اللآل في شعر الآل. (مخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ١٠١ أدب).

- **الجنداري. أحمد بن عبد الله الجنداري (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م) (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م).**

٤ - جامع الوجيز في وفيات العلماء أولى التبريز. (مخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبيرة خ ١٣٣٢هـ في ٢٢٢ق رقم ٦٥ تاريخ).

- **الجندي. بهاء الدين. أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ)**

٥ - السلوك في طبقات العلماء والملوك. (مخطوط خ ٨٩٧هـ بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. ميكروفيلم رقم ٦٩٨، تاريخ، مصورة من مكتبة كوبرلي رقم ١١٧ وتحصلت على صورة منه من نسخة مصورة لدى الدكتور أحمد حافظ الحكمي) [الكتاب طبع بعد إنجاز الرسالة بوقت كبير بتحقيق محمد علي الأكوع].

- **ابن أبي الرجال. أحمد بن صالح (١٠٢٩ - ١٠٩٢هـ).**

٦ - مطلع البدور ومجمع البحور. (مخطوطة تحصلت على صورة من نسخة لدى القاضي إسماعيل بن علي الأكوع عن مخطوطة الأستاذ علي بن أبي الرجال. صنعاء).

- **الشرفي. أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد الشرفي (٩٧٥ - ١٠٥٥هـ).**

٧ - عقائد أهل اليمن أيام الدولة الأموية. (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٨ مجاميع).

- **صارم الدين. إبراهيم بن محمد بن عبد الله (ت ٩١٤هـ).**

٨ - الفصول اللؤلؤية في أصول فقه العترة النبوية. دار الكتب رقم (٢٥٥٠٠ب).

- **أبو علامة عز الدين محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين (ت ١٠٤٤هـ).**

٩ - التحفة العنبرية في المجددين من أنباء خير البرية. (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير رقم ٥٧ تاريخ).

- **الكرماني. حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني (توفي بين عامي٤٠٨و٤١٢هـ).**

١٠ - الرسالة الكافية في الرد على الهاروني الحسيني الزيدي(تحصلت على صورة منها أمدني بها الأستاذ عبد الله محمد الحبشي).

- **مجهول.**

١١ - كتاب تاريخ عدن المحروس. (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٤٥ تاريخ وتراجم).

- **مجهول.**

١٢ - تاريخ اليمن في الكواني والفتن. (مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. على ميكروفيلم رقم ١٨. مصور عن مخطوطة الأمبروزيانا ١٠G) وقد تحصلت على صورة منه من نسخة مصورة لدى الأستاذ محمد بن علي الأكوع.

- **مسلّم اللحجي. مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي (ت ٥٤٥هـ).**

١٣ - تاريخ مسلم اللحجي ويسمى: أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن. (الجزء الرابع وفيه ثلاث طبقات من علماء الزيدية). (مخطوط بمكتبة باريس رقم ٥٩٨٢ خ القرن الثامن في ٢٦٠ق وقد تحصلت على صورة منه عن طريق الأستاذ / عبد الله محمد الحبشي).

١٤ - كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن من الأفاضل من آل الرسول وشيعتهم من بعد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. (مخطوطة تحصلت على صورة منسوخة عن المخطوطة الأصلية الموجودة في مكتبة برلين (٣٨٦ - ٧٠ - ٩٦٦٤ ٢) أمدني بها الأستاذ / عبد الله محمد الحبشي نشره/ ويلغرد مايديلونغ باسم (سيرة الإمام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله) وطبعه في المعهد الشرقي بجامعة أكسفرد.

- **الناطق بالحق يحيى بن الحسين بن هارون البطحاني (٣٤٠ - ٤٢٤هـ).**

١٥ - الإفادة في تاريخ الأئمة السادة. (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ٣٥ - مجاميع).

- **الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (٢٤٥ - ٢٩٨هـ).**

١٦ - الأحكام في الحلال والحرام. (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ب ٣٥٥٠٧).

- **ابن الوزير. أحمد بن عبد الله بن الوزير (٩٢١ - ٩٨٥هـ).**

١٧ - تاريخ السادات العلماء الكمل النبلاء الفضلاء ويعرف بـ(تاريخ بني الوزير). (مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٤١ تاريخ).

- **يحيى بن الحسين ابن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسني (١٠٣٥ - ١١٠٠هـ - ١٦٢٥ - ١٦٨٨م).**

١٨ - أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن. (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٧ تاريخ).

١٩ - كتاب الطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم - وتعرف (بطبقات الزيدية الصغرى). (مخطوط تحصلت على صورة منه عن نسخة مصورة في جامعة صنعاء كان للدكتور طه أحمد أبو زيد الفضل في حصولي عليها).

ثانياً: المطبوعة:

- **ابن الأثير. أبو الحسن عز الدين علي محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت٦٣٠هـ).**

١ - الكامل في التاريخ. دار صادر، بيروت للطباعة والنشر. ١٩٦٥م.

٢ - اللباب في تهذيب الأنساب. مكتبة حسام الدين القدسي. القاهرة. ١٣٨٦هـ.

- **الآجري. أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ).**

٣ - أخلاق العلماء. ط٢. ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. دار الكتب العلمية. بيروت.

- **أحمد رمضان أحمد (الدكتور).**

٤ - الرحلة والرحالة المسلمون. دار البيان العربي. جدة.

- **أحمد السعيد سليمان.**

٥ - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة. دار المعارف. القاهرة (د.ت).

- **أحمد محمد الدسوقي المنوفي.**

٦ - البحرية الإسلامية في القرن الثالث الهجري (رسالة دكتوراه لم تنشر. كلية اللغة العربية. القاهرة. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

- **إخوان الصفا.**

٧ - جامعة الجامعة. تحقيق / عارف تامر. دار مكتبة الحياة. بيروت.

- **ابن الأخوة. محمد بن محمد بن القرشي (ت ٧٢٩هـ).**

٨ - معالم القرية في أحكام الحسبة. تحقيق / الدكتور محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى المطيعي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م.

- **إدريس. عماد الدين بن حسن القرشي (ت ٨٧٢هـ).**

٩ - عيون الأخبار وفنون الآثار. تحقيق / الدكتور مصطفى غالب. دار الأندلس. بيروت.

- **آدم متز. (ت ١٩١٧م).**

١٠ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام. ترجمة / محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط الرابعة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م. نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. ودار الكتاب العربي. بيروت.

- **أرنولد. سير توماس.**

١١ - تراث الإسلام. (جمع وإشراف لبحوث متنوعة). عربة جرجس فتح الله. ط الثالثة. ١٩٧٨م. دار الطليعة. بيروت.

- **الإسفراييني. أبو المظفر (ت ٤٧١هـ).**

١٢ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين. تحقيق / محمد زاهد الكوثري. نشر مكتبة نشر الثقافة الإسلامية. ط الأولى. ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م. القاهرة.

- **إسماعيل باشا البابانى. إسماعيل بن محمد أمين (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م).**

١٣ - هدية العارفين أسماء المؤلفين. وكالة المعارف. استانبول. ١٩٨١م. وأعادت تصويره دار العلوم الحديثة. بيروت.

- **الأشعري. أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ).**

١٤ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

- **الإصطخري. أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكوفي (ت٣٤٦هـ).**

١٥ - مسالك الممالك. مطبعة بريل بمدينة ليدن ١٩٢٧م.

- **الأصفهاني. أبو الفرج. علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (٢٨٤/ ٣٥٦هـ).**

١٦ - الأغاني. ط. الأولى. دار الكتب المصرية بالقاهرة. ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

- **ابن أبي أصيبعة. أحمد بن القاسم بن خليفة (٥٩٦ - ٦٦٨هـ).**

١٧ - عيون الأبناء في طبقات الأطباء. دار الثقافة. بيروت.

- **الأكوع. محمد علي.**

١٨ - الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ(جمع وتحقيق). ط. الأولى. دار الحرية للطباعة. بغداد. ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

١٩ - اليمن الخضراء مهد الحضارة.

ط. الأولى. ١٣٩١هـ / ١٩٧١م. مطبعة السعادة. القاهرة.

- **أمين. أحمد.**

٢٠ - ضحى الإسلام. ط. الثامنة. ١٩٧٤م. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

٢١ - ظهر الإسلام. ط. الخامسة. ١٩٧٧م. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

- **الأهدل. عبد الرحمن بن سليمان (ت ١٢٥٠هـ).**

٢٢ - النفس اليماني. تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. صنعاء.

- **الأهواني. أحمد فؤاد (الدكتور).**

٢٣ - التربية في الإسلام. (ومعه آداب المعلمين لابن سحنون). دار المعارف بمصر. سلسلة دراسات في التربية.

٢٤ - التعليم في رأي القابسي. (وملحق به الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (ت ٤٠٣هـ). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

- **أيمن فؤاد سيد.**

٢٥ - مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي. المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية. بالقاهرة. ١٩٧٤م.

- **البخاري. أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري(ت ٢٥٦هـ).**

٢٦ - التاريخ الكبير. طبع تحت مراقبة الدكتور/ محمد عبد المعيد خان بحيدر آباد بالهند. ١٣٦٢هـ.

- **بروكلمان. كارل.**

٢٧ - تاريخ الأدب العربي. ترجمة /رمضان عبد التواب. ط. الثانية. دار المعارف. القاهرة. (مطبوعات جامعة الدولة العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

- **البعلبكي. منير**

٢٨ - المورد. ط. عام ١٩٧٨م. دار العلم للملايين. بيروت.

- **البغدادي. عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ).**

٢٩ - الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. ط ٥، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

- **البكري. أبو عبيد. عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ).**

٣٠ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق/ مصطفى السقا. ط. الأولى. ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

نشر المعهد الخليفي للأبحاث المغربية. بيت المغرب ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

- **البلقيني. سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني (٧٢٤ - ٨٠٥هـ).**

٣١ - محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح. (انظر: ابن الصلاح).

- **ابن تغري بردي. جمال الدين. أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ - ٨٧٤هـ).**

٣٢ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة.

- **التهانوي. محمد علي الفاروقي (توفي بعد ١١٥٨م).**

٣٣ - كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق / الدكتور لطفي عبد البديع. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر. ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

- **تيمور أحمد تيمور باشا.**

٣٤ - نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة. ط الثانية ١٣٥١هـ. السلفية. القاهرة.

- **ابن تيمية. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (٦٦١ - ٧٢٨هـ).**

٣٥ - رسالة سماع الصوفية. ضمن كتاب الجامع الفريد. طبع بدون تاريخ. ولا مكان للنشر.

٣٦ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ط. الأولى. ١٣٢١هـ. المطبعة الأميرية. القاهرة.

- **الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن محمد (ت ٢٥٥هـ).**

٣٧ - البيان والتبيين. ط. الأولى. المطبعة العلمية. ١٣١١هـ.

- **جب. السير هـ. ال.**

٣٨ - علم التاريخ. ترجمة / إبراهيم خورشيد، ود. عبد الحميد يونس، وحسن عثمان. ط. الأولى ١٩٨١م. دار الكتاب اللبناني. بيروت (سلسلة دائرة المعارف الإسلامية).

الجرافي. عبد الله عبد الكريم (القاضي).

٣٩ - المقتطف من تاريخ اليمن. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبي. القاهرة.

- **الجرجاني. علي بن محمد (ت ٨١٦هـ).**

٤٠ - التعريفات. ط. الأولى. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م. دار الكتب العلمية. بيروت.

- **ابن جرير الطبري. إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني(ت٤٥٠هـ).**

٤١ - تاريخ صنعاء. تحقيق / عبد الله محمد الحبشي. مكتبة السنحاني. صنعاء.

- **الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ).**

٤٢ - غاية النهاية في طبقات القرّاء.

تحقيق /ج. برجستراسر. طبعة ثانية. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. دار الكتب العلمية. بيروت.

٤٣ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **جعفر بن منصور اليمني.**

٤٤ - الكشف. نشر وتحقيق/ ستروثمان (مستشرق ألماني) على نفقة جمعية الدراسات الإسلامية بالهند.

- **ابن جلجل. أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (كان موجوداً سنة ٣٧٧هـ).**

٤٥ - طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق/ فؤاد سيد. مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية. القاهرة. ١٩٥٥م.

- **ابن جماعة الكناني. أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ).**

٤٦ - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. تعليق/ محمد هاشم الندوي. دار الكتب العلمية. بيروت.

- **ابن الجوزي. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ).**

٤٧ - أخبار الحمقى والمغفلين. طبعة دمشق. ١٣٤٨هـ.

- **جولد تسهير. اجنتنس.**

٤٨ - مذاب التفسير الإسلامي. ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار. ط. الثالثة. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. دار اقرأ. بيروت.

- **ابن أبي حاتم. أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الحنظلي (ت ٣٢٧هـ).**

٤٩ - الجرح والتعديل. ط. الأولى. ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م. مطبعة مجلس دائرة

المعارف العثمانية. حيدر آباد. الهند، وصور بالأوفست بدار الأمم للطباعة والنشر. بيروت.

- **حاجي خليفة. مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي (ت١٠٦٧هـ).**

٥٠ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار العلوم الحديثة. بيروت.

- **الحازمي. أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني (ت ٥٤٨ - ٥٨٤هـ).**

٥١ - عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب. تحقيق / عبد الله كنون. نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة. مطابع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- **الحاكم النيسابوري. أبو عبد الله بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ).**

٥٢ - معرفة علوم الحديث. تصحيح وتحقيق / السيد معظم حسين. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

- **الحامدي. إبراهيم بن الحسين. (ت٥٥٧هـ).**

٥٣ - كتاب كنز الولد. تحقيق/ مصطفى غالب. دار الأندلس. بيروت. ١٩٧٩م.

- **الحبشي. عبد الله محمد.**

٥٤ - حُكَّام اليمن المؤلفون المجتهدون. ط. الأولى. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار القرآن الكريم. بيروت.

٥٥ - الصوفية والفقهاء. نشر مكتبة الجيل الجديد. صنعاء. ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٥٦ - مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن. مركز الدراسات اليمنية. صنعاء.

- **ابن حجر. شهاب الدين أبو الفضل أحمد علي (ت ٨٥٢هـ).**

٥٧ - تقريب التهذيب. تحقيق / عبد الوهاب عبد اللطيف. ط. الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. نشر المكتبة العلمية. المدينة المنورة. طبع دار المعرفة. بيروت.

٥٨ - تهذيب التهذيب. ط. الثانية. ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.

٥٩ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية. القاهرة. ١٣٨٠هـ.

٦٠ - لسان الميزان. مطبعة دائرة المعارف النظامية. الهند. ١٣٢١هـ.

- **الحجري. محمد بن أحمد (كان موجوداً سنة ١٣٥٨هـ)**

٦١ - مساجد صنعاء عامرها وموفيها. ط الثانية بمطبعة دار إحياء التراث العربي. ١٣٩٨هـ. بيروت.

- **حسن صالح شهاب.**

٦٢ - أضواء على تاريخ اليمن البحري. ط. الثانية. ١٩٨١م. دار العودة. بيروت.

- **الحمادي. محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي اليمني. (توفي نحو ٤٧٠هـ).**

٦٣ - كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة. نشر وتصحيح/ عزت العطار. مطبعة الأنوار. القاهرة.

- **باحنان. محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن.**

٦٤ - جواهر تاريخ الأحقاف. مراجعة وتصحيح/ الدكتور حسن جاد حسن - ومحمد عبد الله الديوي. مكتبة النهضة الحديثة. مكة المكرمة. ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

- **ابن حوقل. أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ).**

٦٥ - صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٧٩م.

- **ابن خُرداذّبه. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفي حوالي ٣٠٠هـ).**

٦٦ - (مكرر) المسالك والممالك. مطبعة بريل. ليدن ١٨٨٩م صورتها بالأوفست مكتبة المثنى. بغداد.

- **الخزرجي. أبو الحسن. علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي (ت ٨١٢هـ).**

٦٧ - العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك.

(صورة للمخطوطة بالأوفست. وعدت الطبعة الأولى مكتبة دار الفكر. دمشق. نشر وزارة الإعلام. صنعاء).

٦٨ - اليمن في عهد الولاة. تحقيق/ راضي دغفوس. للفصول الخمسة الأولى من كتاب الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من أهل الإسلام. فصلة من: Les Cahiers de Tunisic عدد ١٠٨ - ١٠٧ مجلد XXXXVIII لسنة ١٩٧٩ كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الجامعة التونسية.

- **الخضري. محمد بك (الشيخ).**

٦٩ - تاريخ التشريع الإسلامي. ط. التاسعة. ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م. دار الكتب العلمية. بيروت.

- **الخطيب البغدادي. الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ).**

٧٠ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام. دار الكتاب العربي. بيروت (د.ت).

٧١ - تقييد العلم. تحقيق/ يوسف العش. ط. الثانية. ١٩٧٤م دار إحياء السنة النبوية. القاهرة.

٧٢ - شرف أصحاب الحديث. تحقيق الدكتور/ محمد سعيد خطيب أوغلي. نشر كلية الإلهيات. جامعة أنقرة. وأعادت طبعة دار إحياء السنة النبوية.

٧٣ - الكفاية في علم الرواية. المكتبة العلمية. المدينة المنورة.

- **ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ).**

٧٤ - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف (بتاريخ ابن خلدون). دار الكتاب اللبناني. ومكتبة المدرسة. بيروت.

٧٥ - مقدمة ابن خلدون. (تمثل المجلد الأول والثاني من تاريخ ابن خلدون).

- **ابن خلكان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. (٦٠٨ - ٦٨١هـ).**

٧٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق/ إحسان عباس. دار صادر. بيروت. (د.ت).

- **الخوارزمي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ).**

٧٧ - مفاتيح العلوم. ط٢، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م. الكليات الأزهرية. القاهرة.

- **الخولي - أمين.**

٧٨ - التفسير نشأته. تطوره. تدرجه. ترجمة/ إبراهيم خورشيد، ود. عبد الحميد يونس، وحسن عثمان. ط. الأولى. ١٩٨٢م. دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة. بيروت (سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية).

- **ابن خير. أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥هـ).**

٧٩ - فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعرفة. تحقيق/ فرنسشكه قداره زيدين. وخليان ربارة طرغوه. ط. ثانية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. مصورة عن النسخة المطبوعة بقومش بسرقسطة. إسبانيا. ١٨٩٣م.

- **الداني. أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ).**

٨٠ - المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ومعه كتاب النقط للمؤلف نفسه). تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.

- **ابن أبي داود السجستاني. الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٣١٦هـ).**

٨١ - المصاحف. تصحيح الدكتور/ آثر جفري. ط. الأولى. ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. المطبعة الرحمانية. مصر.

- **الدّفاع. علي عبد الله (الدكتور).**

٨٢ - أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك. ط. الأولى. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. مؤسسة الرسالة. بيروت.

٨٣ - إسهام علماء المسلمين في الرياضيات. تعريب/ د. جلال شوقي. ط. الأولى. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. دار الشروق. بيروت والقاهرة.

- **الدوري. عبد العزيز.**

٨٤ - نشأة علم التاريخ عند العرب. المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

- **دياب. محمود (الدكتور).**

٨٥ - الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

- **ابن الديبع. عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر (ت ٩٤٤هـ).**

٨٦ - بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد. تحقيق / عبد الله محمد الحبشي مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. ١٩٧٩م.

٨٧ - قرة العيون بأخبار اليمنية الميمون. تحقيق / محمد علي الأكوع. السلفية. القاهرة.

- **دي خويه.**

٨٨ - القرامطة نشأتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين. ترجمة حسني زينة. ط الأولى. ١٩٧٨م. دار ابن خلدون بيروت.

- **الديلمي. محمد بن الحسن (توفي بعد سنة ٧٠٧هـ).**

٨٩ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه. جزء من كتاب قواعد آل محمد استخرجه وصححه/ ر. شروطمان. نشر إدارة ترجمان السنة. لاهور. باكستان. وصورتها المكتبة الإمدادية. مكة المكرمة. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **الذهبي. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ).**

٩٠ - تذكرة الحفاظ. دار إحياء التراث العربي.

٩١ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال. تحقيق/ علي محمد البجاوي. ط. الأولى. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبي. ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م. القاهرة.

- **الرازي. أحمد بن عبد الله (ت ٤٦٠هـ).**

٩٢ - تاريخ مدينة صنعاء. تحقيق/ حسين عبد الله العمري. عبد الجبار زكار. ط الأولى. ١٩٧٤. بيروت.

- **الرازي.**

٩٣ - آداب الشافعي ومناقبه.

- **الرازي. فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (٥٤٤ - ٦٠٦هـ).**

٩٤ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. (ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لطه عبد الرؤوف سعد. ومصطفى الهواري).

مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة. ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- **ربيرا. خوليان.**

٩٥ - التربية الإسلامية في الأندلس. ترجمة الدكتور/ الطاهر أحمد مكي. دار المعارف. القاهرة.

- **ابن رسته. أبو علي أحمد بن عمر (كان موجوداً عام ٢٩٠هـ).**

٩٦ - الأعلاق النفيسة. مطبعة بريل. ليدن. سنة ١٨٩١م.

- **الرقيحي. أحمد عبد الرزاق. (ومعه عبد الله الحبشي، وعلي وهاب الآنسي).**

٩٧ - فهارس مكتبة الجامع الكبير بصنعاء. إشراف ونشر/ وزارة الأوقاف. بصنعاء. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- **رونتال. فرانز.**

٩٨ - علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة الدكتور/ صالح أحمد العلي. ط. الثانية. ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. مؤسسة الرسالة. بيروت.

- **الزاوي. الطاهر أحمد**

٩٩ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة. ط الثانية. عيسى الحلبي. ١٩٧١ م. القاهرة. انظر: الفيروزآبادي.

- **زبارة. محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني (١٣٠١ - ١٣٨٠هـ).**

١٠٠ - أئمة اليمن. مطبعة النصر الناصرية. تعز. اليمن.

- **الزبيدي. السيد محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ).**

١٠١ - تاج العروس من جواهر القاموس. نشر / دار ليبيا للنشر والتوزيع. بنغازي. ليبيا. طبع على مطابع دار صادر. بيروت. ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

- **الزرقا. مصطفى أحمد.**

١٠٢ - الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد. (المدخل الفقهي العام). ط التاسعة. ١٩٦٧م - ١٩٦٨م. مطابع الألف باء. الأديب. دمشق.

- **الزركلي. خير الدين.**

١٠٣ - الأعلام. ط. الثالثة. ١٩٦٩م (بدون تحديد جهة الطبع).

- **الزرنوجي. برهان الدين (تُوفي بعد ٥٦٣هـ).**

١٠٤ - تعليم المتعلم طريق التعليم. إعداد الدكتور/ عبد اللطيف محمد العبد. ط. الأولى. ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م. النهضة العربية. القاهرة.

- **زكار. سهيل (الدكتور).**

١٠٥ - أخبار القرامطة في الأحساء. الشام. العراق. اليمن. (دراسة وجمع وتحقيق). ط ثانية. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. دار حسان.

- **أبو زهرة. محمد (الشيخ).**

١٠٦ - الإمام زيد: حياته وعصره، آراؤه وفقهه. دار الفكر العربي. القاهرة.

١٠٧ - تاريخ الجدل. ط الثانية. ١٩٨٠م. دار الفكر العربي. القاهرة.

١٠٨ - تاريخ المذاهب الإسلامية. دار الفكر العربي. القاهرة.

- **زيادة. تقولا (الدكتور).**

١٠٩ - الجغرافية والرحلات عند العرب. دار الكتاب اللبناني. بيروت.

- **زيدان جورجي.**

١١٠ - تاريخ التمدن الإسلامي. دار مكتبة الحياة. بيروت. ١٩٦٧.

- **زيدان. عبد الكريم (الدكتور).**

١١١ - المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية. دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع. الإسكندرية.

- **زيعور. شفيق محمد.**

١١٢ - المذهب التربوي عند السمعاني في كتابة أدب الإملاء والاستملاء. ط الأولى. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. دار اقرأ. بيروت.

- **السبكي. تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. (ت ٧٧١هـ).**

١١٣ - طبقات الشافعية الكبرى. ط ثانية. دار المعرفة. بيروت.

- **ابن سحنون. محمد بن عبد السلام (٢٠٢ - ٢٥٦هـ).**

١١٤ - آداب المعلمين. (ملحق في كتاب التربية في الإسلام للأهواني). (انظر: الأهواني).

- **السخاوي. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ).**

١١٥ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١١٦ - الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. (نص محقق ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال). (انظر: روزنثال)

- **سزكين. فؤاد.**

١١٧ - تاريخ التراث العربي. ترجمة /د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٧م.

- **أبو سعدة. محمد جبر جبر.**

١١٨ - الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في القرنين الأول والثاني للهجرة. رسالة دكتوراه. كلية اللغة العربية. القاهرة. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- **ابن سعد. محمد (ت ٢٣٠هـ).**

١١٩ - الطبقات الكبرى. دار بيروت. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. بيروت.

- **السكسكي. عباس بن منصور (ت ٦٨٣هـ).**

١٢٠ - البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. تحقيق / خليل أحمد إبراهيم أحمد. ط. الأولى. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. دار التراث العربي. القاهرة.

- **ابن سلاَّم. محمد بن سلاَّم الجمحي (ت ٢٣١هـ).**

١٢١ - طبقات الشعراء. قدم لها: طه أحمد إبراهيم. نشر/ جوزف هل. ط الأولى. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. دار الكتب العملية. بيروت.

- **ابن سمرة الجعدي. عمر بن علي بن سمرة الجعدي (توفي بعد حوالي ٥٨٦هـ).**

١٢٢ - طبقات فقهاء اليمن. تحقيق / فؤاد سيد. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. ١٩٥٧م.

- **السمعاني. أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ).**

١٢٣ - أدب الإملاء والاستملاء. ط الأولى. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. دار الكتب العلمية. بيروت.

١٢٤ - الأنساب. تصحيح/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. ط الأولى. دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الدكن. الهند. ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

- **السهيلي. المحدث عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي (٥٠٨هـ - ٥٨١هـ).**

١٢٥ - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٢١٨هـ). تحقيق وتعليق وشرح / عبد الرحمن الوكيل. دار الكتب الحديثة. القاهرة. ط أولى. ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- **السيابي. سالم بن محمود بن شامس.**

١٢٦ - أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج.

تحقيق / سيدة إسماعيل كاشف. نشر وزارة التراث القومي. سلطنة عمان. ١٩٧٩م.

١٢٧ - الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز. نشر / وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- **السيّاغي. الحسين بن أحمد (ت ١٢٢١هـ).**

١٢٨ - الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير. ط الثانية. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨. مكتبة المؤيد. الطائف. السعودية.

- **السيرافي. أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت٣٦٨هـ).**

١٢٩ - أخبار النحويين البصريين. تحقيق / فريتس كرنكو. المطبعة الكاثوليكية. بيروت. ١٩٣٦م.

- **السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).**

١٣٠ - الاتقان في علوم القرآن. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٧٠هـ. ١٩٥١م.

١٣١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم. ط الأولى. ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. عيسى الحلبي. القاهرة.

١٣٢ - تدريب الراوي في شرح تقريب النووي. تحقيق / عبد الوهاب عبد اللطيف. ط الثانية. ١٣٩٢هـ. ١٩٧٢م. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٣٣ - سبب وضع علم العربية. (رسالة ضمن مجموعة رسائل باسم التحفة البهية والطرفة الشهية لمؤلفين مختلفين (ط الأولى. ١٤٠١هـ / ١٩٨١م. دار الآفاق الجديدة. بيروت).

١٣٤ - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام. تعليق / علي سامي النشار. دار الكتب العلمية. بيروت.

١٣٥ - طبقات المفسرين. تحقيق/ علي محمد عمر. ط. الأولى. ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. مكتبة وهبة. القاهرة.

١٣٦ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق/ محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي. ط ثالثة. دار التراث. القاهرة.

- **شاخت. يوسف.**

١٣٧ - أصول الفقه. ترجمة / إبراهيم خورشيد، ود. عبد الحميد يونس وحسن عثمان. (سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية). دار الكتاب اللبناني. بيروت. ١٩٨١م.

- **الشاطري. محمد بن أحمد بن عمر.**

١٣٨ - أدوار التاريخ الحضرمي. مكتبة الإرشاد. جدة. ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

- **الشامي. أحمد بن محمد**

١٣٩ - جناية الأكوع على ذخائر الهمداني. ط الأولى. دار النفائس. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. بيروت.

- **الشجاع. عبد الرحمن عبد الواحد.**

١٤٠ - تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري. ط الثالثة ١٩٩٩م. دار الفكر المعاصر. صنعاء.

١٤١ - اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية. رسالة ماجستير. جامعة الأزهر. كلية اللغة العربية. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

- **الشرجي. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ).**

١٤٢ - طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص. المطبعة اليمنية. مصر. ١٣٢١هـ.

- **شرف الدين. أحمد حسين.**

١٤٣ - تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن. ط الثالثة. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م؛ (دون ذكر مكان النشر والناشر).

- **الشعراني. عبد الوهاب.**

١٤٤ - لواقح الأنوار في طبقات الأخبار المعروف بالطبقات الكبرى. مصر ١٢٢٦هـ.

- **شلبي. أحمد (الدكتور).**

١٤٥ - التربية الإسلامية: نظمها، فلسفتها، تاريخها. ط السابعة. ١٩٨٢م. مكتبة النهضة. القاهرة.

- **الشّلي. محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي.**

١٤٦ - المشرع الرّوي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي. ط. الثانية. ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. بيروت.

- **الشهرستاني. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ).**

١٤٧ - الملل والنحل. بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ). ط. الثانية مصورة بالأوفست ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. دار المعرفة. بيروت.

- **الشوكاني. محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ).**

١٤٨ - أدب الطلب. تحقيق / عبد الله محمد الحبشي. نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. صنعاء. ١٩٧٩م.

- **الشيرازي. أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (٣٩٣ - ٤٧٦هـ).**

١٤٩ - طبقات الفقهاء. تحقيق / إحسان عباس. ط. الثانية. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. دار الرائد العربي. بيروت.

- **صاعد. أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ).**

١٥٠ - طبقات الأمم. مطبعة السعادة. مصر.

- **صبحي. أحمد محمود (الدكتور).**

١٥١ - الزيدية. منشأة المعارف. الإسكندرية. ١٩٨٠م.

- **صبحي. الصالح (الدكتور).**

١٥٢ - علوم الحديث ومصطلحه (عرض ودراسة). ط. حادية عشرة. ١٩٧٩م. دار العلم للملايين.

١٥٣ - مباحث في علوم القرآن. ط. ثالثة عشرة. ١٩٨١م. دار العلم للملايين. بيروت.

- **ابن الصلاح. تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (٥٧٧ - ٦٤٣هـ).**

١٥٤ - مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصلاح. تحقيق/ د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مطبعة دار الكتب. ١٩٧٤م. القاهرة.

- **ضيف. شوقي (الدكتور).**

١٥٥ - البلاغة. تطور وتاريخ. ط. السادسة. دار المعارف. بيروت.

١٥٦ - العصر العباسي الثاني. ط. رابعة. دار المعارف. القاهرة.

١٥٧ - المدارس النحوية. ط. الخامسة. دار المعارف. القاهرة.

- **طاش كبرى زاده. أحمد بن مصطفى (٩٠١ - ٩٦٨هـ).**

١٥٨ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. تحقيق / كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديثة. القاهرة.

- **أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم العشري (ت ٣٤٩هـ).**

١٥٩ - أخبار النحويين. تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم البنا. ط. أولى. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. دار الاعتصام. القاهرة.

- **طه الولي.**

١٦٠ - القرامطة أول حركة اشتراكية في الاسلام. ط. أولى. ١٩٨١م. دار العلم للملايين. بيروت.

- **الطبري. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).**

١٦١ - تاريخ الرسل والملوك. تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. ثانية. دار المعارف. ١٩٦٨. القاهرة.

- **الطحان. محمود (الدكتور).**

١٦٢ - أصول التخريج ودراسة الأسانيد. ط. أولى. ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. المطبعة العربية. حلب. سوريا.

- **طوقان. قدري حافظ.**

١٦٣ - تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك. دار الشروق. بيروت والقاهرة.

- **أبو الطيب اللغوي. عبد الواحد علي (ت ٣٥١هـ).**

١٦٤ - مراتب النحويين. تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر. القاهرة.

- **الطيبي. الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ).**

١٦٥ - الخلاصة في أصول الحديث. تحقيق / صبحي السامرائي. نشر رئاسة ديوان الأوقاف. العراق. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

- **الطيبي. شمس الدين بن أحمد بن يعقوب.**

١٦٦ - الدستور ودعوة المؤمنين للحضور. (ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية).

(انظر: عارف تامر).

- **عارف. أحمد عبد الله.**

١٦٧ - أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة. (رسالة ماجستير لم تنشر. قسم الفلسفة الإسلامية. كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

- **عارف تامر.**

١٦٨ - أربع رسائل إسماعيلية. (تحقيق). ط الثانية. ١٩٧٨م. مكتبة الحياة. بيروت.

١٦٩ - الإمامة في الإسلام. دار الكاتب العربي. بيروت. ومكتبة النهضة ببغداد.

١٧٠ - القرامطة: أصلهم، نشأتهم، تاريخهم، حروبهم. دار مكتبة الحياة. بيروت.

- **عاشور. سعيد عبد الفتاح.**

١٧١ - الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية. (بحث / في مجلة عالم الفكر. مجلد ١١. عدد ١. سنة ١٩٨٠م. الكويت).

- **عبد الأمير شمس الدين (الدكتور).**

١٧٢ - المذهب التربوي عند ابن جماعة. ط. الأولى. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. دار اقرأ. بيروت.

١٧٣ - الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي. ط. الأولى. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. دار اقرأ. بيروت.

- **ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣هـ).**

١٧٤ - جامع بيان العلم وفضله. دار الكتب العلمية. بيروت.

- **عبد الجبار الهمداني (القاضي) (ت٤١٥ أو ٤١٦هـ).**

١٧٥ - تثبيت دلائل النبوة. (انظر: زكار).

- **عبد الفتاح شائف نعمان.**

١٧٦ - الإمام الهادي والياً ومجاهداً وفقيهاً. (رسالة ماجستير لم تنشر. كلية الشريعة والقانون. جامعة الأزهر. القاهرة. ١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م).

- **عبد الله أبو السعود بدر.**

١٧٧ - تفسير قتادة رضي الله عنه. (جمع وتحقيق ودراسة). عالم الكتب. القاهرة.

- **ابن عبد المجيد. تاج الدين بن عبد الباقي (ت ٧٤٤هـ).**

١٧٨ - بهجة الزمن في تاريخ اليمن. ويسمى تاريخ اليمن. تحقيق/ مصطفى حجازي. دار العودة. بيروت. ودار الحكمة. صنعاء.

- **عبدان. (الداعي القرمطي) عبدان بن الربيط (ت ٢٨٦هـ).**

١٧٩ - كتاب شجرة اليقين. تحقيق/ عارف تامر. ط. الأولى. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

- **العجلوني. إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ).**

١٨٠ - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. (مجهول الناشر. وكذا الطبع. وزمانه).

- **ابن العديم.**

١٨١ - بغية الطالب. ملحق بكتاب أخبار القرامطة. (انظر. زكار).

- **ابن العربي. أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ).**

١٨٢ - أحكام القرآن. تحقيق / علي محمد البجاوي. ط. الثانية. عيسى الحلبي. القاهرة. ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- **العرشي. حسين بن أحمد (ت ١٣٢٩هـ).**

١٨٣ - بلوغ المرام في شرح مسك الختام. تحقيق / الأب أنستاس الكرملي. مكتبة اليمن الكبرى. صنعاء.

- **عريب بن سعد القرطبي (توفي بعد سنة ٣٣١هـ).**

١٨٤ - صلة تاريخ الطبري. (ملحق بتاريخ الطبري). (انظر: الطبري).

- **عطية الله. أحمد.**

١٨٥ - القاموس الإسلامي. ط. الأولى. ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

- **ابن عطية. أبو محمد عبد الحق بن عطية المحابي الأندلسي (ت ٥٤١هـ تقريباً).**

١٨٦ - فهرس ابن عطية. تحقيق/ محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي.

ط. الثانية. ١٩٨٣م. دار ألف الإسلامي. بيروت.

- **عفيفي. فوزي سالم.**

١٨٧ - نشأة تطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي. ط. الأولى. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وكالة المطبوعات الكويت.

- **العقيلي. محمد بن أحمد عيسى.**

١٨٨ - من تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ. مطابع الرياض. ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

- **العلوي. علي بن محمد بن عبيد الله العباسي (توفي في مطلع القرن الرابع).**

١٨٩ - سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. تحقيق/ الدكتور سهيل زكار. ط. الأولى. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. دار الفكر. بيروت.

- **ابن عماد الحنبلي. أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ).**

١٩٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. (د.ت).

- **عمارة. بن علي اليمني (ت ٥٦٩هـ).**

١٩١ - تاريخ اليمن المسمى. المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها. تحقيق/ محمد علي الأكوع. ط. الثانية. مطبعة السعادة. ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. القاهرة.

- **العمري. يوسف علي يوسف (الدكتور الشيخ).**

١٩٢ - محاضرات في التاريخ الإسلامي. (ألقيت في كلية التربية. جامعة الأزهر. طبع آلة كاتبة).

١٩٣ - مذكرة عن الحركات الفكرية في العصر الأموي. (مطبوع على الآلة الكاتبة).

- **غالب. مصطفى (الدكتور).**

١٩٤ - أعلام الإسماعيلية. دار اليقظة العربية. بيروت. ١٩٦٤م.

١٩٥ - تاريخ الدعوة الإسماعيلية. ط. ثالثة. ١٩٧٩م. دار الأندلس. بيروت.

- **غليونجي. بول (وآخرون).**

١٩٦ - موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء والمسلمين. دار ومطابع المستقبل. القاهرة.

- **غيوم. ألفريد.**

١٩٧ - علم الكلام. (بحث ضمن كتاب تراث الإسلام). (انظر: أرنولد).

- **أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ).**

١٩٨ - تقويم البلدان. مطبعة دار الطباعة السلطانية. ١٨٤٠م. باريس.

- **أبو فراس. شهاب الدين (ت ٩٤٧هـ).**

١٩٩ - مطالع الشموس في معرفة النفوس. (ضمن أربع رسائل إسماعيلية). (انظر: عارف تامر).

- **ابن فرحون. برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩هـ).**

٢٠٠ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. (وبهامشه نيل الابتهاج بتطريز الديباج). (دار الكتب العلمية. بيروت).

- **ابن الفرضي. أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ).**

٢٠١ - تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة. ١٩٦٦م.

- **فروخ. عمر (الدكتور).**

٢٠٢ - إخوان الصفا. ط. الثالثة. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. دار الكتاب العربي. بيروت.

٢٠٣ - تاريخ العلوم عند العرب. دار العلم للملايين. بيروت. ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٠٤ - التصوف في الإسلام. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- **ابن فضل الله العمري (٧٠٠ - ٧٤٩هـ).**

٢٠٥ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. القسم الخاص باليمن. تحقيق / أيمن فؤاد سيد. دار الاعتصام. القاهرة.

- **الفندي. جمال (الدكتور).**

٢٠٦ - الجغرافيا عند المسلمين. (في الأصل الكتاب للمستشرق كرامرز. ومقبول أحمد، المستشرق تيسنر. وعلق عليه/ جمالي الفندي ومع هذا وضع على الغلاف منفرداً بالتأليف). ترجمة/ إبراهيم خورشيد، ود. عبد الحميد يونس، وحسن عثمان. ط. الأولى. ١٩٨٢م. دار الكتاب اللبناني. بيروت(سلسلة كتب دائرة المعارف الإسلامية).

- **ابن فهد. النجم عمر بن فهد بن محمد (٨١٢ - ٨٨٥هـ).**

٢٠٧ - اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق/ فهيم محمد شلتوت. ط. الأولى. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م. نشر جامعة أم القرى. مكة المكرمة وطبع بمكتبة الخانجي. القاهرة.

- **الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي) (٧٢٩هـ - ٨١٧هـ).**

٢٠٨ - القاموس المحيط. انظر: الراوي: الطاهر أحمد

- **القاشاني - كمال الدين عبد الرزاق بن أبي الفضائل (ت ٧٣٠هـ).**

٢٠٩ - اصطلاحات الصوفية. تحقيق الدكتور/ محمد كمال إبراهيم جعفر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

- **القاسمي. جمال الدين بن محمد القاسمي الدمشقي. (١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ).**

٢١٠ - تاريخ الجهمية والمعتزلة. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- **القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ).**

٢١١ - تأويل الدعائم. تحقيق / محمد حسن الأعظمي. دار المعارف. مصر.

٢١٢ - رسالة افتتاح الدعوة. تحقيق/ وداد القاضي. ط. الأولى. ١٩٧٠م. دار الثقافة. بيروت.

- **ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ).**

٢١٣ - تأويل مختلف الحديث. مكتبة المتنبي. القاهرة.

٢١٤ - تأويل مشكل القرآن. تحقيق / السيد أحمد صقر. ط. ثانية. ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣. دار التراث. القاهرة.

- **قربان. إسماعيل قربان حسين.**

٢١٥ - السلطان الخطاب حياته وشعره. دار المعارف. مصر.

- **القشيري. أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٧٦ - ٤٦٥هـ).**

٢١٦ - الرسالة القشيرية. (طبعة مصر. ١٣٣٠هـ). تحقيق الدكتور/ عبد الحليم محمود. والدكتور/ محمود بن الشريف. دار الكتب الحديثة. القاهرة.

- **القفطي. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ).**

٢١٧ - أخبار العلماء بأخبار الحكماء. دار الآثار. بيروت.

٢١٨ - إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. الأولى. ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م. دار الكتب المصرية.

٢١٩ - المحمدون من الشعراء. ط. دمشق.

- **القنوجي. صديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ).**

٢٢٠ - أبجد العلوم. إعداد/ عبد الجبار زكار. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق ١٩٧٨م. وصورتها بالأوفست. دار الكتب العلمية. بيروت.

- **كحالة. عمر رضا (الدكتور).**

٢٢١ - الأدب العربي في الجاهلية والإسلام. المطبعة الثقافية. دمشق. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٢٢ - التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية. المطبعة التعاونية. دمشق. ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٢٣ - العلوم البحته في العصور الإسلامية. مطبعة الترقي. دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٢٤ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ط. الثالثة. مؤسسة الرسالة. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. بيروت.

- **كراتشكوفسكي. أغناطيوس - بوليواندفتش.**

٢٢٥ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة/ صلاح الدين عثمان هاشم. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

- **كرادفو. البارون.**

٢٢٦ - الغزالي. ترجمة / عادل زعيتر. مكتبة عيسى الحلبي. القاهرة. ١٩٥٩م.

٢٢٧ - الفلك والرياضيات. (بحث ضمن كتاب تراث الإسلام). (انظر أرنولد).

- **كرامرز. جي. أج.**

٢٢٨ - الجغرافية والتجارة. (بحث ضمن كتاب تراث الإسلام). (انظر: أرنولد).

- **كرد علي. محمد.**

٢٢٩ - الإسلام والحضارة العربية. ط. الثالثة. ١٩٦٨م. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.

- **الكلاباذي. أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ).**

٢٣٠ - التعرف لمذهب أهل التصوف. ط. الثانية. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.

- **كوركيس عواد.**

٢٣١ - أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم. نشر وزارة الثقافة والإعلام. العراق.

- **لويس - برنارد (الدكتور).**

٢٣٢ - أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية. ترجمة / حكمت تلحوق/ ط. الأولى. ١٩٨٠. دار الحداثة. بيروت.

- **ماسينون. لويس.**

٢٣٣ - الإسلام والتصوف بالاشتراك مع / مصطفى عبد الرزاق. دار الشعب. القاهرة. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- **المؤيد في الدين. هبة الله بن موسى (داعي الدعاة) (ت٤٨٠هـ).**

٢٣٤ - ديوان المؤيد (داعي الدعاة). تحقيق/ محمد كامل حسين. دار الكاتب المصري. ١٩٤٩م. القاهرة.

- **مايرهوف. ماكس (دكتور مستشرق ألماني).**

٢٣٥ - العلوم والطب. (بحث ضمن تراث الإسلام). (انظر: أرنولد).

- **المتقي. علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت٩٧٥هـ).**

٢٣٦ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ضبط وتصحيح/بكري حيّاني، وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. بيروت.

- **ابن مجاهد. أبو بكر أحمد بن موسى بن العباسي بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ).**

٢٣٧ - كتاب السبعة في القراءات. تحقيق / الدكتور شوقي ضيف / ط. الثانية. دار المعارف. القاهرة.

- **مجاهد توفيق الجندي (الدكتور).**

٢٣٨ - دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية. ط. الأولى. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. دار الوفاء للطباعة. القاهرة.

- **ابن المجاور - جمال الدين. أبو الفتوح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي (٦٠١ - ٦٩٠هـ).**

٢٣٩ - صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة: تاريخ المستبصر. تصحيح وضبط/ أوسكر لوتغرين. مطبعة بريل. ليدن. ١٩٥١م.

- **مجهول.**

٢٤٠ - دستور المنجمين (ملحق بكتاب القرامطة لدى خويه). (انظر: دي خويه).

- **المحلي. أبو الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي. (ت ٦٥٢هـ).**

٢٤١ - الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية. (صورت المخطوطة بالأوفست بإشراف السيد المؤيد معتبراً إياها الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- **محمد رأفت سعيد (الدكتور).**

٢٤٢ - معمر بن راشد الصنعاني. مصادره ومنهجه وأثره في رواية الحديث. ط.الأولى. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. عالم الكتب. الرياض.

- **محمد كامل حسين (الدكتور).**

٢٤٣ - الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب. طبع على نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية.

- **محمود محمد عبده موسى.**

٢٤٤ - تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني. دراسة وتحقيق - رسالة لم تنشر مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين. جامعة الأزهر. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

- **بامخرمة. أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ).**

٢٤٥ - تاريخ ثغر عدن. طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن بهولندا سنة ١٩٣٦م.

- **المخزومي. مهدي (الدكتور).**

٢٤٦ - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. ط الثانية. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.

- **مدحت إسلام (الدكتور).**

٢٤٧ - الكيمياء عند العرب. دار المعارف. مصر.

- **مدني. أمين**

٢٤٨ - التاريخ العربي ومصادره. (الجزء الثاني من سلسلة العرب في أحقاب التاريخ. ط. الأولى. ١٩٦٤م. دار المعارف. مصر).

٢٤٩ - علل الحديث ومعرفة الرجال. تحقيق الدكتور/ عبد المعطي أمين قلعجي. ط. الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. دار الوعي. حلب.

- **المرتضى: أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ).**

٢٥٠ - باب ذكر المعتزلة في كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل.

تصحيح/ توما أرنولد. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد. الدكن. ١٣١٦هـ، وصورتها دار صادر. بيروت.

- **المرزوقي. أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (٤٢١ هـ).**

٢٥١ - الأزمنة والأمكنة. (طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني بقطر سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

- **مرسي. محمد منير (الدكتور).**

٢٥٢ - التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. طبعة عالم الكتب القاهرة. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ).**

٢٥٣ - التنبيه والإشراف. تصحيح ومراجعة/ عبد الله إسماعيل الصاوي. أعادت طبعة بالأفست مكتبة المثنى ببغداد. ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٢٥٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد. ط. الخامسة دار الفكر. ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. بيروت.

- **مسلم. (الإمام) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).**

٢٥٥ - صحيح مسلم. (مع شرحه للنووي) (انظر: النووي).

- **مصطفى عبد الرازق.**

٢٥٦ - الإسلام والتصوف. (انظر: ماسينون).

٢٥٧ - تمهيد لتاريخ الفلسفة. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م.

- **المطوع. يوسف أحمد (الدكتور).**

٢٥٨ - نحاة القيروان. حوليات كلية الآداب جامعة الكويت. الحولية السادسة. الرسالة ٢٥. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **ابن المعتز. عبد الله بن محمد (ت ٢٩٦هـ).**

٢٥٩ - طبقات الشعراء. تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج. ط. الرابعة. دار المعارف. القاهرة.

- **المقبلي. صالح بن مهدي (ت ١١٠٨هـ).**

٢٦٠ - العلم الشامخ في تفصيل الحق على الآباء والمشايخ. ط. الأولى. القاهرة. ١٣٢٨هـ.

- **المقحفي. إبراهيم.**

٢٦١ - معجم البلدان والقبائل اليمنية. ط الثانية. ١٩٨٥م. دار الكلمة. صنعاء.

- **المقدسي. محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (حوالي ٣٨٠هـ).**

٢٦٢ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط. الثانية. بمطبعة بريل. ليدن (هولندا). ١٩٠٦م.

- **المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ).**

٢٦٣ - إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء. (انظر: زكار).

٢٦٤ - الخطط (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار). طبعة ١٣٢٦هـ مصر.

٢٦٥ - فضل آل البيت (معرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم). تحقيق/ الدكتور محمد أحمد عاشور. دار الاعتصام. القاهرة.

٢٦٦ - المقفى الكبير. ملحق بكتاب أخبار القرامطة. (انظر: زكار).

- **مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ).**

٢٦٧ - الإبانة عن معاني القراءات. تحقيق/ الدكتور محيي الدين رمضان. ط. الأولى. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار المأمون للتراث. بيروت. ودمشق.

- **ابن منظور. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. (٦٣٠هـ - ٧١١هـ).**

٢٦٨ - لسان العرب. دار المعارف. القاهرة.

- **منير الدين أحمد (الدكتور).**

٢٦٩ - تاريخ التعليم عند المسلمين، والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. ترجمة وتلخيص وتعليق الدكتور/ سامي الصقار. دار المريخ. ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. الرياض. السعودية.

- **ناصف. علي النجدي ناصف.**

٢٧٠ - تاريخ النحو. دار المعارف. القاهرة. (سلسلة كتابك عدد ١٥٧).

- **الناصف. محمد.**

٢٧١ - في التربية والتعليم. ط. الثانية. ١٩٨١م. الشركة التونسية للتوزيع. تونس.

- **النجار. عبد الله.**

٢٧٢ - مذهب الدروز والتوحيد. دار المعارف بمصر. ١٩٦٥م.

- **ابن النديم. محمد بن إسحاق النديم. (ت ٣٨٥هـ).**

٢٧٣ - الفهرست. دار المعرفة. بيروت. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- **النشار. علي سامي (الدكتور).**

٢٧٤ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ط. الثانية. دار المعارف. القاهرة.

- **نشوان الحميري. أبو سعيد (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).**

٢٧٥ - رسالة الحور العين. حققها / كمال مصطفى. مطبعة السعادة بمصر. نشر مكتبة الخانجي بمصر. والمثنى ببغداد.

٢٧٦ - ملوك حمير وأقيال اليمن. قصيدة نشوان وشرحها. تحقيق/ إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد. دار العودة. بيروت. ودار الكلمة. صنعاء. ١٩٧٨م.

٢٧٧ - منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم.

تحقيق/ عظيم الدين أحمد (طبعة ثانية. صورتها وزارة الإعلام والثقافة باليمن سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. بدار الفكر بدمشق. عن النسخة التي طبعت لأول مرة عام ١٩١٦م ضمن سلسلة جب التذكارية وطبع بليدن في هولندا).

- **النووي. محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ - ٦٧٦هـ).**

٢٧٨ - صحيح مسلم بشرح النووي. المطبعة المصرية ومكتبتها. القاهرة (دون تاريخ).

- **نيكلسون.**

٢٧٩ - التصوف. (بحث ضمن كتاب تراث الإسلام). (انظر: أرنولد).

٢٨٠ - في التصوف الإسلامي وتاريخه. ترجمة وتعليق/ أبو العلا عفيفي. نشر لجنة التاليف والترجمة والنشر. القاهرة.

- **الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (٢٤٥ - ٢٩٨هـ).**

٢٨١ - المجموعة الفاخرة. (مخطوط مصور بالأوفست وعدت الطبعة الأولى. مكتبة اليمن الكبرى. صنعاء).

- **ابن هداية الله. أبو بكر بن هداية الله الحسيني (ت ١٠١٤هـ).**

٢٨٢ - طبقات الشافعية. تحقيق/ عادل نويهض. ط. الأولى. ١٩٧١م. دار الآفاق الجديدة. بيروت.

- **ابن هشام. عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ).**

٢٨٣ - السيرة النبوية. (موضوعة مع الروض الأنف). (انظر: السهيلي).

- **الهمداني. (لسان اليمن) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ويعرف أحياناً بابن الحائك الهمداني (توفي بين عامي ٣٥٠ و٣٦٠هـ).**

٢٨٤ - الإكليل ج١. تحقيق/ محمد علي الأكوع. ط. الثانية. دار الحرية للطباعة. ١٣٩٧هـ/ ١٩٩٧م. بغداد.

٢٨٥ - الإكليل ج٢. تحقيق/ محمد علي الأكوع. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٨٦ - الإكليل ج٨. تحقيق/ محمد بن علي الأكوع. مطبعة الكاتب العربي دمشق. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٨٧ - الإكليل ج١٠. تحقيق/ محب الدين الخطيب. المطبعة السلفية. ١٣٦٨هـ. القاهرة.

٢٨٨ - (كتاب) الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة). إعداد وتحقيق/ محمد محمد الشعيبي. ط. الأولى. مطبعة دار الكتاب. بدمشق (د. ت).

٢٨٩ - (قصيدة) الدامغة. وشرحها. تحقيق/ محمد بن علي الأكوع. مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٨م. القاهرة.

٢٩٠ - صفة جزيرة العرب. تحقيق/ محمد بن علي الأكوع. دار اليمامة. الرياض. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م بإشراف حمد الجاسر.

٢٩١ - المقالة العاشرة من سرائر الحكمة. (نسخة وعلق عليه محمد الأكوع).

بدون تحديد لمكان الطبع، ولا الطابع أو الناشر، ولا تاريخ أيضاً إلا أنه أرّخ المقدمة بـ ٩/ ٤/١٩٧٨م.

- **الهمداني. حسين بن فيض الله (الدكتور).**

٢٩٢ - الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨ - ٦٢٦هـ. نشر/ وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء.

- **الهمداني. محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١هـ).**

٢٩٣ - تكملة تاريخ الطبري. (ملحق بتاريخ الطبري).

- **هوروفتس. يوسف (مستشرق).**

٢٩٤ - المغازي الأولى ومؤلفوها. حسين نصار. ط. الأولى. ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.

- **باوزير. سعيد عوض.**

٢٩٥ - صفحات من التاريخ الحضرمي. المطبعة السلفية. ١٣٧٨هـ. القاهرة.

٢٩٦ - الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. طبع سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م (بدون تحديد مكان الطبع).

- **الوصابي. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عسر الحبيشي الوصابي (ت٧٨٢هـ).**

٢٩٧ - تاريخ وصاب. المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار. تحقيق/ عبد الله محمد الحبشي. ط. الأولى. ١٩٧٩م. مركز الدراسات والبحوث اليمنية - صنعاء.

- **ابن الوليد. علي (الداعي الفاطمي اليماني) (ت ٦١٢هـ).**

٢٩٨ - كتاب الذخيرة في الحقيقة. تحقيق/ محمد حسن الأعظمي. دار الثقافة. بيروت. ١٩٧١م.

- **ياقوت الحموي. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. الرومي البغدادي (٥٧٤ - ٦٢٦هـ).**

٢٩٩ - معجم الأدباء. ط. الأخيرة. مكتبة عيسى الحلبي. القاهرة.

٣٠٠ - معجم البلدان. (دار صادر. بيروت. ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

- **يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م).**

٣٠١ - غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق/ د. سعيد عبد الفتاح عاشور. دار الكاتب العربي. ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م. القاهرة.

- **اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي (ت٢٨٤هـ).**

٣٠٢ - البلدان. طبع مع الأعلاق النفسية. (انظر: ابن رسته).

٣٠٣ - تاريخ اليعقوبي. دار صادر. بيروت.

٣٠٤ - المسالك والممالك. مقتطفات منه في آخر كتاب البلدان الملحق بالأعلاق النفسية. (انظر: ابن رسته).

ثالثاً: الدوريات:

- **بلبع. محمد توفيق.**

١ - المسجد والحياة الدينية في المدينة الإسلامية. (بحث في مجلة عالم الفكر. مجلد ١١ عدد السنة ١٩٨٠م. الكويت).

- **الحبشي عبد الله محمد.**

٢ - مؤلفات أهل اليمن في علم الفلك. (بحث نشر في مجلة تاريخ العرب والعالم. السنة الثانية. عدد ٢٣. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. بيروت).

- **دايفيد كنج (دكتور مستشرق أمريكي).**

٣ - حول التاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن.

(محاضرة ألقاها في جامعة صنعاء سنة ١٩٧٤م. ونشرت في مجلة تاريخ العرب والعالم. السنة الثانية. العدد ٢٢ سنة ١٩٨٠م).

- **الذويب. عبد المجيد.**

٤ - (بحث عن الجغرافيين العرب في الدورة العالمية الأولى لدراسة تاريخ جزيرة العرب بجامعة الرياض سنة ١٩٧٧م).

- **زيعور. علي (الدكتور).**

٥ - الدراسة بالعَيِّنَة للتربويات (الإدابة والتعليم عند السمعاني). (بحث في مجلة الباحث. السنة الثانية. عدد٦. (١٢). ١٩٨٠م).

- **الشجاع. عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور).**

٦ - نكبة الهمداني (بحث نشر في مجلة كلية الآداب. جامعة صنعاء. عدد ١٦. سنة ١٩٩٤م).

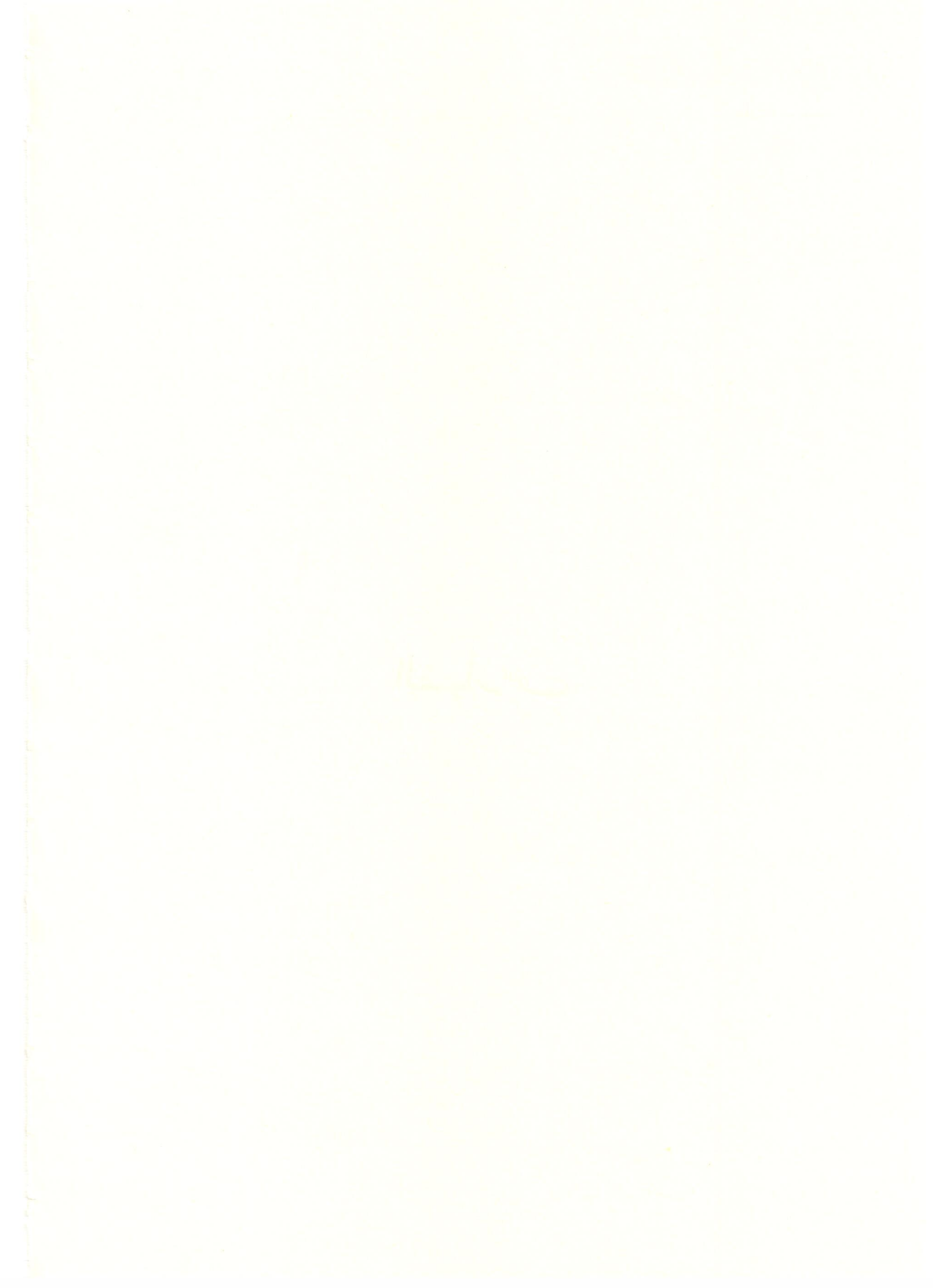
- **الصغيري. محمود إبراهيم.**

٧ - نظرية الهمداني في الاحتراق ومكانها في تاريخ العلم (بحث نشر في مجلة الإكليل. العدد الثاني. السنة الأولى. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. وزارة الإعلام والثقافة. صنعاء).

- **الكردي. أحمد الحجي الكردي (الدكتور).**

٨ - تاريخ العلوم الإسلامية والعربية. (بحث في مجلة تاريخ العرب والعالم. السنة السادسة. العددان٧١ - ٧٢. ١٩٨٤م).

الفهارس



(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأعلام

(ت)

(جـ)

(ح)

(خ)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ى)

فهرس البــلدان

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ف)

(و)

(ى)

فهرس الطوائف والقبائل والمذاهب

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

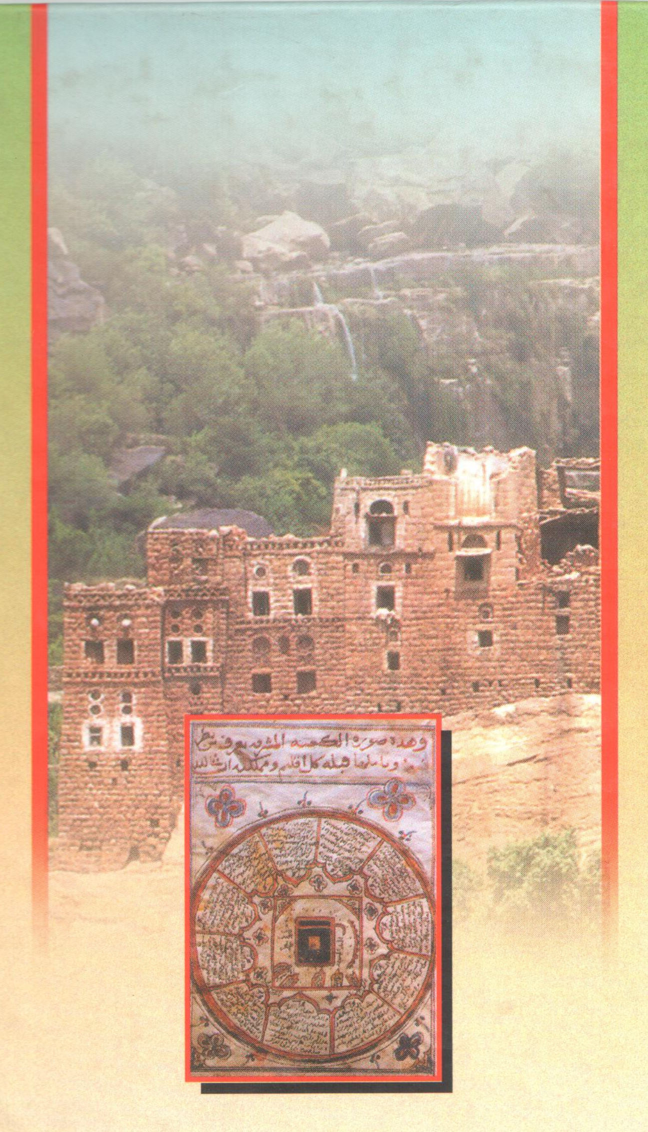
(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

الفهرس





الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة

صنعاء - ص.ب.: (٣٦)-(٢٣٧)

هاتف: ٢٣٥١١٤ - فاكس: ٢٣٥١١٣

بريد الكتروني moc@y.net.ye